تاريخ اليمن

عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول

من سنة ١٠٥٦ هـ إلى سنة ١١٦٠ هـ

تأليف

الأديب العلامة حسام الدين محسن بن الحسن بن القاسم بن أحمد
بن القاسم بن محمد الملقب بـ "أبو طالب"
المتوفى سنة ١١٧٠ هـ

الجزء الأول

تحقيق

عبد الله محمد الحبشي

مطابع المفضل للأوفست

الطبعة الأولى

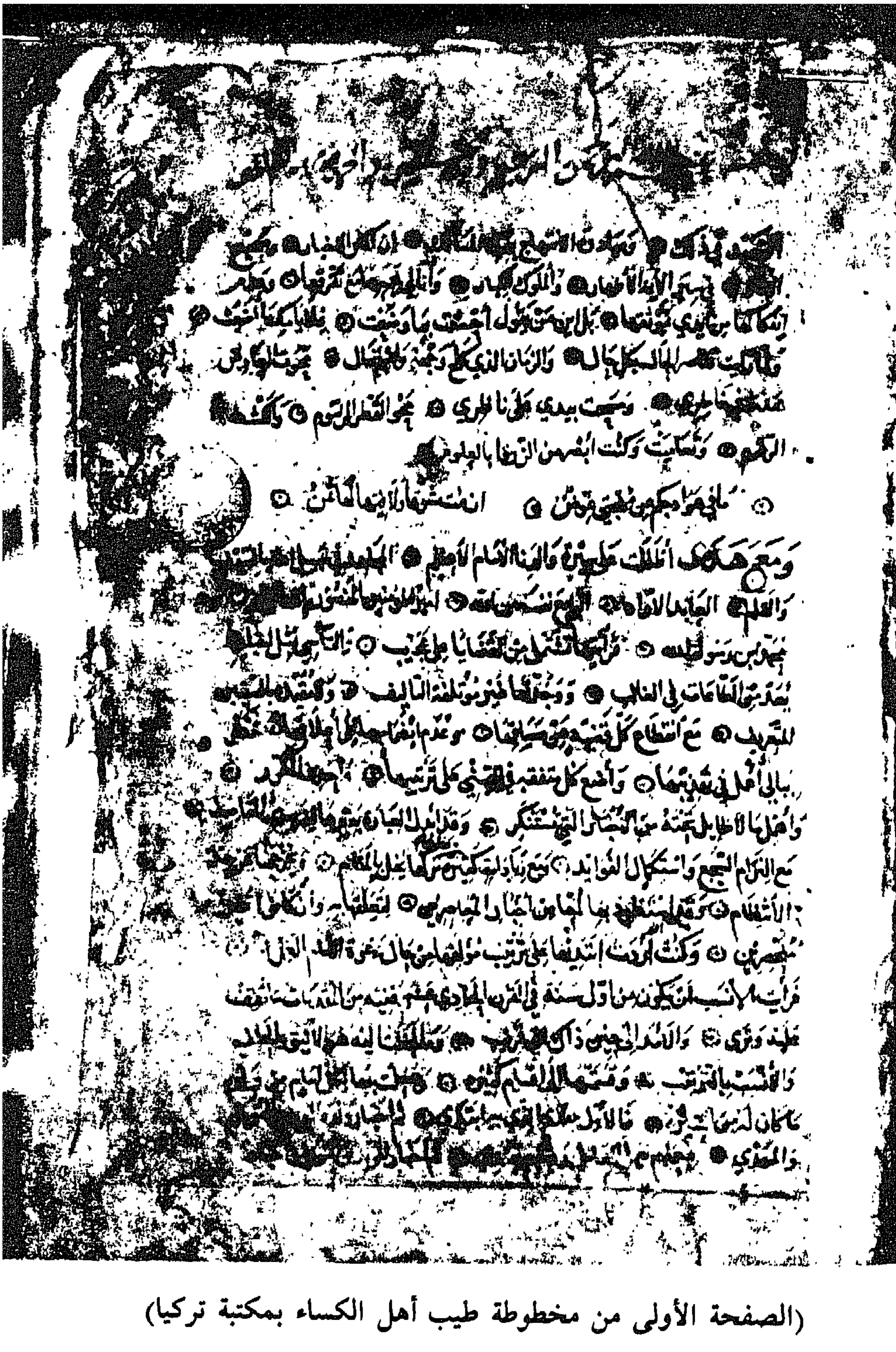
١٤١١هـ ١٩٩٠م

مطابع المفضل للأوفست

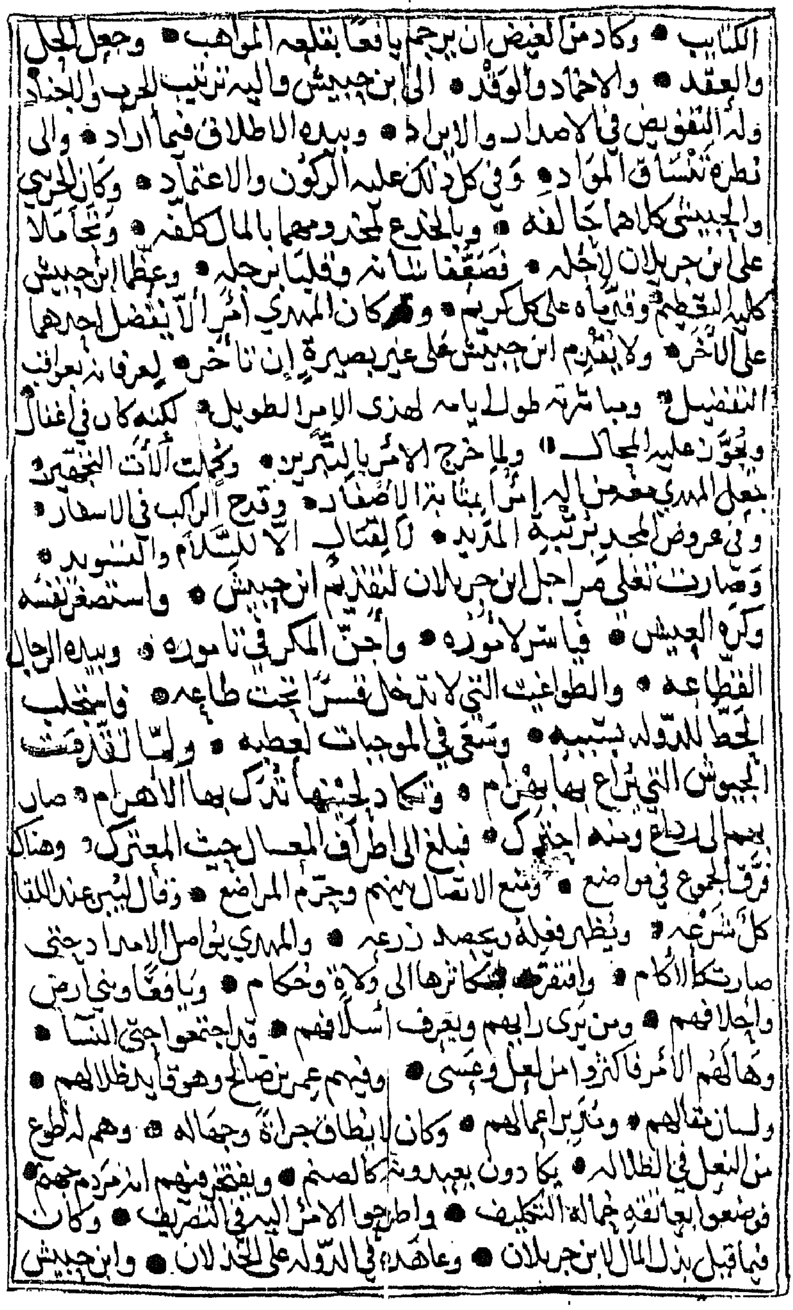
AL MUFADDAL OFFSET PRINTERS

شارع تعز - عمارة رقم ١٥٠ - ص.ب ١٧٣٩ - صنعاء - تلفون ٢٤٥٠٩٢/٣ - تلكس ٢٢٢٧ رامادا - الجمهورية العربية اليمنية

Taiz Street Building 150 P.O. Box 1739 Sana'a Tel. 245092/3 Telex 2227 Ramada - Yemen Arab Republic



(الصفحة الأولى من مخطوطة طيب أهل الكساء بمكتبة تركيا)



الكتائب * وكاد من الغيظ أن يرجم بأنفه بقلعه المواهب * وجعل الحل
والعقد * والإخماد والوقد * إلى ابن جبيش وإليه ترتيب الحرب والجناد
وله التفويض في الإمداد والإيراد * وبيده الإطلاق فيما أراد * وإلى
نظره تنساق المواد * وفي كل ذلك عليه الركون والاعتماد * وكان الحربي
والجبيشي كلاهما حالفه * وبالخدع لمخدوعهما بالمال كلفه * وتحاملا
على ابن جربلان لأجله * فضعّفا شأنه وقلّبا برجله * وعظّما ابن جبيش
كل التعظيم وقدّماه على كل كريم * وكان المهدي أمراً لا ينفصل أحدهما
على الآخر * ولا يقدم ابن جبيش على غير بصيرة إن تأخر * لمعرفته بعواقب
التفصيل * ومباشرته طول أيامه لهذا الأمر الطويل * لكنه كان في أغفال
ويجوز عليه المحال * ولما خرج الأمر بالتدبير * وكملت آلات التجهيز
بعث المهدي معرضاً إليه إمّا إنابة الأضداد * وترجح الراكب في الأسفار *
وفي عروض المجد برتبة المزيد * لا إعتاب إلا للسلام والتسويد *
وصارت تعلي مراحل ابن جربلان لتقديم ابن جبيش * واستصغر نفسه
وكره العيش * فبادر لأموره * وأجنّ المكر في أموره * وبيده الرجال
القطاعة * والطواغيت التي لا تدخل قسراً تحت طاعة * فاستجلب
السخط للدولة بسببه * وسعى في الموجبات لغضبه * ولما تفرقت
الجيوش التي يراع بها الإسلام * وتكاد لخشيتها تدك بها الأهرام * صار
بهم إلى ... ومنه احتراك * فبلغ إلى أطراف المعاقل حيث المعترك * وهناك
فرّق الجموع في مواضع * ومنع الاتصال بينهم وحرّم المراضع * وقال ليس عند اللقا
كل شرعة * وينظر بغلّة يحصد زرعه * والمهدي يواصل الإمداد حتى
صارت كالآكام * وانفردت بكثرتها إلى ولاة وحكام * وبايعوا وبني أرض
وأحلافهم * ومن يرى رأيهم ويعرف أسلافهم * قد اجتمعوا حوى النسا *
وهالهم الأمر فأكثروا من العلل والعسى * وفيهم عمر بن صالح وهو قائد أبطالهم *
ولسان مقالهم * ومدبر أعمالهم * وكان لا يطاق جراءة وجهالة * وهم لا طوع
من التعلل في الضلالة * يكادون يعبدونه كالصنم * ويفتخر منهم امرؤ دم جهم
فوضعوا بجاهليتهم حمالة التكليف * واطرحوا الأمر إليه في التصريف * وكان
فيما قيل بذل المال لابن جربلان * وعاهده في الدولة على الخذلان * وابن جبيش

نموذج من خط المؤلِّف (من كتاب السحر المبين)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلّىٰ الله على سيِّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم.

ساهمت فترة القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين بحصيلة تاريخية كبيرة في التراث اليمني كان لها أهميتها القصوىٰ في كشف أحداث هذه الفترة وبيان أعلامها وأعمالها.

وكان لنشاط البلاد وتطوّرها من الناحية السياسية أثر في إحياء النهضة الكتابية في شتّىٰ المجالات.

فظهر في المجال التاريخي جماعة من المؤرِّخين الكبار عرفناهم أولاً بموسوعاتهم التاريخيّة الضَّخمة نذكر منهم:

المؤرِّخ عبد الله بن صلاح بن داود بن داغر له «الفتوحات المرادية في الجهات اليمانية وفي ثلاثة مجلّدات».

أحمد بن محمّد بن صلاح الشرفي المتوفى سنة ١٠٥٥ له «اللآلىء المضية» في ثلاثة مجلدات ضخمة.

المطهر بن محمد الجرموزي المتوفى سنة ١٠٧٧ له موسوعة تاريخية في ثلاثة مجلدات كبيرة كل مجلد مستقل بعصر إمام من الأئمة الذين عاصرهم.

وأخيراً المؤرخ يحيىٰ بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد المتوفي نحو سنة ١٠٩٩ له أنباء الزَّمن وذيله (بهجة الزمن) في عدّة مجلّدات.

وكان للأخير الأثر الكبير على من أتىٰ من بعده من أهل التاريخ المؤرخين وقد شغفوا بتتبع طريقته ومنهجه الذي سار عليه في كتاباته التاريخية. وكان قد أوفىٰ واستوفىٰ حتى لم يترك لمن بعده سوىٰ الحذف والاختصار فظهرت جملة من التّواريخ كان أساسها في الأصل كتاب أنباء الزمن وذيله للمؤرخ يحيىٰ بن الحسين.

وهٰذا ما فعله العلاَّمة الأديب عبد الله بن علي الوزير المتوفي سنة ١١٤٧ الذي اختصر كتابَيْ شيخه السابق الذكر في مؤلفيه الشهيرين جامع المنون وطبق الحلوىٰ ولم يكن عمله بإزاء الكتابين السابقين ليحيىٰ بن الحسين سوىٰ أنّه حوّل عبارة المؤلِّف الأوّل من النثر المرسل إلى السجع البديعي، وكذا صنع معاصر ابن الوزير العلاّمة الأديب المؤرخ المتفنن السيد حسام الدين المحسن بن الحسن بن القاسم بن أحمد أبو طالب بن الإمام المنصور القاسم بن محمد. وهذا المؤرِّخ ممن عني بكتابة التاريخ وتوسَّع في آداب عصره حتى صار المشار إليه في هذا المجال.

أبو طالب صاحب التاريخ.

ترجم له المؤرِّخ الحوثي في نفحات العنبر وذكر ان ميلاده في ثامن ذي الحجّة سنة ١١٠٣ ونشأ بالروضة قال: وهو الشَّاعر الأديب ذو التَّصانيف المفيدة في التاريخ شارك في علوم الآلة وطالع التَّواريخ وحفظ الأشعار والغرائب والنوادر حتى صارت مجالسته أشهى إلى الأكباد من قطر الندىٰ ثم نظم الشعر الحسن ومدح أكابر الأعيان وأخذ جوائزهم وحفظ في ابان عمره واتّصل بالوزراء آل راجح فأحسنوا إليه وقلّدوا جيده بأطواق المنن ومدحهم بغرر المدائح خصوصاً الوزير جمال الدين علي بن أحمد راجح

وألّف له التواريخ وفعل كتاباً في مناقبهم، ولما انقضت الدَّولة المنصورية سنة ١١٦١ انقطع إلى الفقيه إسماعيل بن حسن النّهمي واتفقت له من المداعبات والمضحكات ما هي متناقلة عند الناس ولمامات الفقيه إسماعيل النهمي نصب له الدّهر شراك المحن، وقلب له ظهر المجن واستثقله أرباب الدَّولة المهدوية العباسيّة حتى انه فعل تاريخاً لسيرة الإمام المهدي سبع سنين في مجلّد وأبلغه إلى حضرته فأرسل له بقدر معلوم من الدَّراهم ووعده بالجائزة لتمام التاريخ مع ان إتمامه موقوف على انقضاء الدَّولة وكان في أوّل أمره متعصِّباً على أهل السنة فكان يذكر البدر محمد بن إسماعيل الأمير في مؤلّفاته أقبح ذكر وينقصه ثم رجع عن ذلك الأمر ومدح الأمير بقصيدة ميمية. ومدح القاضي أحمد قاطن وفعل إليه رسالة بليغة يطلب فيها معاونته عند الوزير أحمد بن علي النهمي وكان الوزير شديد الميل عنه كونه من أصحاب بني راجح ومتعصّباً على أهل السنة وعلى الجملة فالحظوظ أرزاق بيد الله وكان صاحب الترجمة نبيلاً من فحول الرّجال عارفاً بالحقائق انتهىٰ ما ذكره الحوثي، ولم يذكر أحد من المؤرخين سنة وفاته، إلّا أن المؤرِّخ محمد بن محمد زيارة قال لعلَّها بعد سنة ١١٧٠ والله أعلم.

مؤلّفاته:

المؤرِّخ الأديب محسن أبو طالب ممن لهج بالتَّاريخ وكتابته وكان متأثِّراً بالموجة التي سادت عصره من طغيان المدرسة البديعية على كل ما كتبوه حتى أصبحت كتب التّاريخ مزيجاً من سرد الحوادث والقطع البيانية المسجعة حتى شكا من هذه الظاهرة المؤرِّخ إبراهيم بن عبد الله الحوثي في مقدمة كتابه نفحات العنبر.

وكان مؤلّفنا ممن أغرق في السّجع في كل كتاباته فجاءت ضخمة فضفاضة، وقبل أن نصل إلى كتابه المعني طيب أهل الكساء نقف عند

بعض مؤلّفاته الأدبية والتاريخية منها:

١ ـ ذوب الذَّهب بمحاسن من شاهدت من أهل الأدب ضمنه تراجم أهل الأدب مع الاهتمام بإيراد نصوص شعرية لهم وقد بَناه على أسلوب صاحب الريحانة وغيره منه نسخة خطيّة بقلم المؤلّف سنة ١١٤٦ بجامع صنعاء برقم ١٩٣٦ ومنه مصورة بدار الكتب المصرية برقم ١٣٧ وأخرىٰ بالمكتبة الأصيفية مخطوطة سنة ١٢٠٧ وثالثة بمكتبة علي أميري ٢٤٠٣ ورابعة بليدن برقم ٢٣٧٩ . وقد استوعب أكثر مادته صاحب نشر العرف.

٢ ـ الاشعار بما استجد لأهل عصري من الأخبار والأشعار جعله كالملحق لكتابه الأول خ في سنة ١١٥٧ بمكتبة المتحف البريطاني برقم ٣٨٢٢ .

٣ ـ مسك دارين بمدائح الوزير علي بن راجح في مكتبة الأستاذ علي بن أحمد بن أبي الرجال بقلم المؤلّف.

٤ ـ سجع المطوق بمدائح رب المنائح علي بن أحمد راجح بقلم المؤلّف سنة ١١١٨ بمكتبة علي أميري برقم ٢٣٨١ .

٥ ـ ذيل طبق الحلوىٰ.

٦ ـ أقراط اللجين في سيرة المتوكل القاسم بن الحسين مخطوط سنة ١١٠٧ بمكتبة المتحف البريطاني برقم ٢٨٢٣ .

٧ ـ الشذور العسجدية في الخلافة الأحمدية في التاريخ منه مخطوطة سنة ١١٩٧ بمكتبة يايل برقم ١٣١٠ ومصورة بمكتبة الدكتور حسين العمري.

٨ ـ السحر المبين وفتور ألحاظ الحور العين فيما سنح من أخبار اليمن وأهله الميامين من سنة ١٠٩٢ إلى سنة ١١٥٠ على التَّنصيص

والتَّعيين منه نسخة خطية بقلم المؤلِّف بجامع صنعاء وأخرى بدار الكتب المصرية.

٩ ـ وشي صنعاء في أخبار الإمام المتوكل على الله القاسم بن محمد وولده المنصور وهو القسم الثاني من كتاب السحر المبين منه نسخة خطية بمكتبة ليدن برقم ٤٠١.

١٠ ـ نسمات الأسحار بنفحات الأزهار في مدح الأمير ذو الفقار مخطوط بمكتبة الأمير وزيانا ١٢٣ A.

١١ ـ رياض العسجد في شرح بسامة السيد إسماعيل بن محمد فايع في التاريخ مخطوط بمكتبة المتحف البريطاني برقم ٢٨٢٣.

كتابه طيب أهل الكساء:

جميع كتبه التاريخية لخَّصها في كتابه الضَّخم طيب أهل الكساء وهو من الكتب الكبيرة استوعب فيه أخبار الدَّولة القاسمية منذ قيامها وبدأه من سنة ١٠٠١ ونحن لا نعرف من هذا الكتاب سوىٰ نسخة وحيدة مبتورة توجد بمكتبة بغداد لي وهي بتركيا برقم ١٨١٢. ولما كان الكتاب من الكتب الضَّخمة وقد أغرقه المؤلِّف بالسجع المفرط الذي تضيع بين طيّاته الأخبار التاريخية والوقائع تصدَّي لتلخيصه وتهذيبه أحد العلماء في القرن الثاني عشر ـ وأظنّه أحد تلامذة المؤلِّف ـ العلاّمة إسماعيل بن أحمد بن علي بن المتوكل، وهذا الرجل صاحب اختصار أنباء الزمن المطبوع بعنوان غاية الأماني وهو صاحب ذوق أدبي وتاريخي في الاختيار والتّنسيق وقد اشتهر مختصره لأنباء الزَّمن حتى غطىٰ على الأصل ـ إذا النّسخ المتداولة من أنباء الزَّمن ما هو إلاّ اختصار للكتاب المذكور.

ولما وقفنا على الأصل من كتاب طيب أهل الكساء ومختصره للعلاّمة المذكور ترجّح لدينا الابتداء بنشر المختصر لفائدته التاريخية وتجنّبه السّجع

والمحسنات البديعية إلّا ما أتىٰ عرضاً دون تكلّف وهو عمل جليل قام به ذلك المؤرِّخ، وقد اسدىٰ حسنة كبيرة لكتاب المؤرِّخ أبي طالب حيث أعاد إليه الحياة وجعل أحداثه تنبض بالحركة والنّشاط بعد أن حَنّطه مؤلفه في قوالبه المسجعة حتى انك لا تكاد تخلص إلى عبارة أو جملة إلّا بعد أن يعقبها بجملة مشابهة لها لا تفيد سوى المطابقة الجِنَاسية وهكذا.

وقد ذكر الشوكاني طريقة المؤلف في السجع فقال «وله مؤلّفات مسجعة وكان فيه بلاغة في الجملة ولكنه لم يكن ماهراً في العلوم الأدبية فكان يأتي في أسجاعه تارة بملحون وتارة باللغة العامية».

ومع ذلك يبقىٰ لأصل المؤلف رونقه وقيمته التاريخية حيث نجده قد أطنب في ذكر الحوادث وتوسّع في الماجريّات المعاصرة، وكان قد استعان أوّلاً بكتابي أنباء الزمن وبهجة الزمن للمؤرخ يحيىٰ بن الحسين فقد بدأه أوّلاً مستعيناً بأنباء الزمن في الحوادث من سنة ١٠٠١ حتى سنة ١٠٤٥ ثم استعان بذيله الزّمن من سنة ١٠٤٥ إلى سنة ١٠٩٩ ولما كان مولد المؤلِّف سنة ١١٠٣ نَعلم أنه استعان في السّنوات الأولىٰ التي لم يعها بكتب سابقة له أخرىٰ حتى أدرك واتصل بالملوك والوزراء فكان يضع في أخبارهم وحوادث عصرهم المؤلّفات المستقلّة وقد أستوعبها كما أشرنا سابقاً في كتابه هذا طيب أهل الكساء فجاء شاملاً حافلاً ولعلّ الله يمن علينا بنسخة أخرىٰ كاملة بجانب مخطوطة مكتبة بغدادلي وهبة الناقصة فنقوم بنشره على ما فيه من هنات.

مختصر طيب أهل الكساء:

وهذا الذي بين يديك هو مختصر طيب أهل الكساء لمؤلّفه العلاّمة إسماعيل بن أحمد بن علي بن المتوكل وهو مؤلِّف مجهول لا نعلم من عصره شيئاً سوىٰ أنّه أدرك عصر المؤلِّف الأول، وكان قام أوّلاً باختصار

أنباء الزمن إلى سنة ١٠٤٥ ولما رجع إلى طيب أهل الكساء وجد صاحب الطّيب قد استعان هو بكتاب الأنباء فما كان منه إلاّ أن رجع إلى عند السنة التي وقف فيها صاحب الأنباء وتابع الاختصار في السّنوات التي تلت هذا التاريخ من طيب أهل الكساء حيث ضم حوادثاً متأخّرة إلى قريب عصره لا توجد إلاّ فيه. فكان هـذا المختصر الشـامل الحـاوي، وأسلوبه فيـه انه يستوعب الحوادث كلها ثم يحذف السّجع إذا وجده لا يفيد الجملة وإلاّ تركه على أصله وعلى هذا المختصر استعان المؤرخ لطف الله جحاف في تاريخه.

وقد كنّا وقفنا على مخطوطة وحيدة ملحقة بمختصر أنباء الزمن لنفس المختصر وهي نسخة جيّدة مراجعة بخط أحد العلماء المعاصرين للمؤلّف إن لم يكن هو المؤلِّف نفسه وقد كانت هذه المخطوطة مفخرة دار الكتب المصرية فكان العلماء اليمنيُّون يحجون إليها كلما زاروا القاهرة فـانتسخ صور منها العلاَّمة علي بن إسماعيل المؤيد، والعلاّمـة يحيىٰ بن منصور نصر وعندما علم الإمام يحيىٰ بن محمد بوجود هذه النسخة في دار الكتب المصرية بعث من يصورها له، وكان التّصوير في بداية أمره حيث نجدها قد رسمت بالتّصوير الشمسي اللمّاع.

وقد ظلّت هذه المخطوطة هي الوحيدة حتى علمت بوجود نسخة من هذا المخطوط في جامعة الرياض برقم ٦٧٩ فبعثت إلى الجامعة بطلب نسخة فأرسل إلي مدير الجامعة ـ مشكوراً ـ بنسخة مصغّرة منها في «شريط» فوجدتها نسخة جيدة الخط كتبت سنة ١٣٤٧ بخط عبد اللطيف عفيفي.

وهذه النسخة كتبت بإشارة من العلاّمة الشهيد محيـي الدين العنسي أيّام كان طالباً في العراق فقد بعث إلى مصر من ينسخ له مخطوطة دار الكتب المصرية على نفقته.

ونظراً لغيبة صاحب النّسخة وبعده في العراق فإن النّاسخ المُشار إليه

لم يكن أميناً في النّقل وإنما لفّق شيئاً من المخطوطة المودعة في دار الكتب وآدّعىٰ أنّه كتاب طيب أهل الكساء فهوربما حذف صفحات كاملة من الكتاب واكتفىٰ منها بسطر واحد، وعلى الرغم من ذلك فإنه قال في آخر المخطوط:

«بحمد الله تعالىٰ وحسن توفيقه قد تم نسخ كتاب طيب أهل الكسا وهو الكتاب المتمم لكتاب أنباء الزمن في أخبار اليمن ويظهر أن لكتاب طيب أهل الكسا بقية ولكن هذا ما أمكننا العثور عليه بدار الكتب المصرية تحت نمرة ١٣٤٧ ووافق الفراغ من نسخه يوم الاثنين من شهر ذي القعدة سنة ١٣٥٧ الموافق ١٦ من شهر يناير سنة ١٩٢٩ على يد العبد الضعيف عبد اللطيف عفيف على نفقة الشاب المهذّب الباحث المحقّق الأستاذ محيي الدين العنسي وقد أمر حفظه الله بأن نراعي الأمانة في النقل فنقلناه طبق الأصل على ما فيه من أخطاء لغوية فجاء بحمد الله صورة من ضبط الأصل».

وليته لم يقل هذا الكلام فإن الكتاب أتى صورة أخرىٰ من الأصل ليست بالاختصار وليست بالنقل المؤتمن.

ومع ذلك فقد رأينا الإستعانة بها في التحقيق نظراً لعدم وجود نسخة أخرى[1] خطيّة من الكتاب، وقد اتعبتنا هذه المخطوطة كثيراً ـ أوّلاً من حيث استحصالها وتكبيرها من «الفيلم» ثم استكمال النقص وهكذا ـ وقد رمزنا لها بـ «ر».

وانا أدعو الله أن يكون عملي في هٰذا الكتاب لوجهه خالصاً وأن ينفع به كما نفع بغيره مما حقّقته فيفتح أبواباً منه لدراسة غيره من كتب تلك الفترة وينشط على تحقيقها.

عبد الله محمد الحبشي ـ صنعاء

---

(١) في مكتبة جامع صنعاء مخطوطة بعنوان طيب الكساء ولكن وجدناها عبارة عن مختارات من الكتاب ليست من عمل مؤلف هذا المختصر فهي تختلف معه في العبارة لذا أضربنا عنه في التحقيق.

بسم اللّه الرحمن الرحيم وبه نستعين(١)

وفي سنة ١٠٥٦ جاءت كتب إلى الإمام من سلطان الحبشة المسمَّى سجد(٢) وتقدم ذكر مثلها إلى المؤيد وكان في الكتب ما يوهم منه الميل إلى الدخول في الملة الإسلامية واستدعى وصول عالم إليه يبوح له بمكنون سره ، ويطلعه عليه ، فوقع النظر على إرسال القاضي حسن بن احمد الحيمي(٣) الجمالي وستين نفراً من العسكر واصحبه من المال كثيراً ولم يزل يتابع القطار ويوالي واصحبه هدية نفيسة(٤) وأعطى رسل السلطان ، ومنهم الحاج سالم بن عبد الرحمن(٥) وغيره ، من أهل ذلك الدِّين مكافأة وتأليفاً لترويج هذا المقصد عند صاحبهم والتَّحسين ونفح لهم بعطيَّة سنية وما يلائم بلادهم من الأكسية وركب القاضي المذكور معهم من المخا ، فصار الجميع في يومهم إلى بندر بيلول على أعناق النسيم الرخاء ، ثم سار إلى محل السلطان المذكور بعد أن كابد أهوالاً ولقي شدّة أحوال من

(١) من هنا تبتدىء المخطوطة وقد سقطت منها أوراق فيها عنوان الكتاب فيفهم.

(٢) يقول الدكتور مراد كامل اسم الملك بالحبشية ملك سجد وهو ماسيلادس بن سوسينبوس انظر سيرة الحبشة ص ٧٨ .

(٣) هو أحد فضلاء عصره مولده سنة ١٠١٧ ووفاته سنة ١٠٧٢ انظر ترجمته في خلاصة الأثرج ٢ ص ١٦ ومطلع البدور(خ) والبدر الطالع ج ١ ص ١٨٩ وسيأتي ذكره في الكتاب .

(٤) ورد ذكر رحلة الحيمي إلى الحبشة في طبق الحلوى ص ١١٨ سنة ١٠٥٧ .

(٥) في سيرة الحبشة ص ٩٧ سالم بن عبد الرحيم .

القـالة[١] وغيـرها ولـه فيها كتـاب وصف سفره منـذ عزم[٢] من حضـرة الإمـام إلى آخر سفره وهو مشهور ، ولما كان هناك وجد الأمر على خلاف ذلك وأن المقصـد غير المقصـد والثبات على النصـرانية من سجـد وإنـك لفي واد وأنـا في واد وكم بين مريد ومـراد وغايـة الأمر إنـه يقال إنـه كاتب الإمـام في اليمن وطمـع في طـريق التجـار من غيـر بنـادر التـرك[٣] وصـرح بـه وأعلن فتخلص القاضي للرجوع بعد أن أقام زماناً وقـاسى من الأهوال مـاعـانى وكانت طـريقه المسوَّع[٤] .

وفيهـا وصل إلى الإمـام رسل السلطان بـدر[٥] بن عمر الكثيـري صـاحب حضـرموت ، وأنفـذه إلى مولانـا صفي الدين أحمـد بن الحسن وهـو بصنعـاء لمقتضى الحال وإجابة الصَّوت ، فـرجع إلى صـاحبه بـالموئـل والملتمس من تقرير العمل .

وفيها توفي السَّيد الأفضل العلم الأطـول إبراهيم بن أحمـد بن عامـر ،[٦] وكان في هيجاء الجهاد والجود أي مغـامر وقبـره بشهارة ،[٧] وكـان له مـلازمة في سفـر الحـاج اعواماً كثيرة على جهة الإمارة .

وفيها رجع السيد إبراهيم بن محمـد المؤيدي المكنى بحـورية إلى دعـواه وادعى أنـه دان بالتسليم لـلإمام علي إكـراه وما زال يتـردد في بني جمـاعـة[٨]

---

(١) قبيلة من الأحباش معروفة هناك .

(٢) هو المعروف بسيرة الحبشة (طبع) .

(٣) يعني الطرق التي كانت على الطريق في البلاد التي بها الأتراك كسواكن وسنار ونحوهما .

(٤) تعرف بمصوع بالصاد وهي بلده على الساحل على أطراف حدود الحبشة بأرتـريا ومـينـاء على البحر الأحمر .

(٥) في (ر) بدر الدين والتصحيح من (د) وانظر تاريخ الدولة الكثيرية لمحمد بن هاشم ص ١٩ .

(٦) ترجمته في طبق الحلوى ص ١١٧ .

(٧) شهارة جبل في بلاد الأهنوم شمالي حجة .

(٨) بني جماعة : بطن من خولان وبلادهم من أعمال صعدة.

إلى قـراض[١] وهجرة فللة[٢] ويكـاتب رؤسـاء خـولان الشـام وغيـرهم وبعث برسائل إلى اليمن الأسفل فلم يلتفت إليها ، ولا كان لها عندهم من معول ، وكـادت البلاد الشـامية تنحـل ورفعوا رؤوسهم على مـولانا احمـد بن القـاسم فرجح الإمام إرسال مولانا احمد بن الحسين ظهيراً لعمّـه وعونـا في ازالة هـذا الحادث الذي ولد على غير تمام وتتابع منه النكث عـاما بعـد عام فجـرد العزم من صنعـاء في شهر ربيـع الأول وارتحل إلى غـولة ابن عجيب[٣] وسـار منهـا إلى خمـر[٤] ، ثم مضى إلى العمشيـة[٥] وحملت الجمـال من بني عـذر[٦] الأثقـال والبـارود والـرصـاص واتصـل منهـا بحيـدان [٧] ونصب المخيم المنصـور بذلـك المكـان ، وكـان دخـولـه إليـه في ثـالث عشـر ربيـع الآخـر فارتجت الدنيا لوصوله وشـاع الخبر ، وأقـام في حيدان أربعـة أيام ونهض منـه ومعه بنو بحـر وغيرهم من أهـل الشام ، ثم حط في الـدربين من بني جماعـة ثم خرج من عقبة حفـان وسار حتى حط في مـدارك وأمنهم ودانوا لـه بالسمّـع والطاعة وتقالل مـع السيد ابـراهيم ذلك الجمـع ثم صار إلى بـوصان[٨] فـاقام أياماً بعـد مادوخ الشـام واستولى عليـه ، وانحط ، إليه من سـادة الشام طـائفة منهم السيـد احمد بن هـارون وكان العـامل على خـولان من أيام سـالفة ولمـا أحسَّ منهم مـا أحسَّ وانطفـا عنه من طـاعتهم ذلك القبس ، وكـان المـذكـور من أعوان الأئمة فثقلت وطأته عليهم واتصـل بمولانـا احمد بن الحسن السيـد المهـدي بن الهادي صـاحب النوعـة[٩] والقـاضي الشيعي حسن بن احمـد بن

---

(١) بلاد واقعة في الجزء الشمالي الغربي من صعدة .
(٢) فلله من بني جماعة السابقة .
(٣) غولة عجيب : جبل في أقصى البون من جهة الشمال الغربي من ريدة .
(٤) خمر : بالتحريك بلد من حاشد معروف .
(٥) عزلة مشهورة من حرف سفيان وأعمال خمر .
(٦) عذر : بطن من همدان تقع مساكنهم بالشمال من حاشد .
(٧) حيدان : مدينة بالغرب من صعدة بمسافة ٧٠ ك م .
(٨) بلدة في ناحية مجز من جماعة بصعدة .
(٩) النوعة قرية من ناحية مجز .

يحيى حابس[1] وهو من أهل العلم الغزير وكالمدارس واستقر مولانا أحمد في بوصان كما ذكرنا ولما عرف السيد ابراهيم أنه لا قبل له بالجنود وأنه إذا لم يرجع إلى الحق عما قريب ينـدق[2] وضاقت عليه الارض بما رحبت فاستدعى من العقلاء والفضلاء من أصحاب مولانا احمد يصلوا إليه وهو بقراض فلما وصلوا إليه وفاوضهم سلم الأمر من قبل الإعراض ورجع عن دعواه الباطلة ، وصرَّح بقصور في باعه العاطلة وحررً رسالة عظيمة في رجوعه وُقرأها على المسلمين وأظهرها هي قوله : [3]

بعد البسملة ومراعاة الأمور **المكملة** الحمد لله مدبر الأمور على مقتضى إرادته فهو كل يوم في شأن المتصرف في مصالح خلقه على مرّ الدهور بلطيف علمه من غير موازر ولاثان والصلاة والسلام على الهدى والنور المبعوث إلى الانس والجان وعلى آله المطهرين احسن طهور من رجس الشيطان فهم لأهل الأرض أمان ، وبعد فليعلم من على البسيطة من داني الأرض وقاصيها أن الداعي إلى الله [بالمغفرة][4] وراجيها ابراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين ثبته الله على قواعد الشريعة ومبانيها يقول لما ظهرت الدعوة المتوكلية ظهور الشمس عقيب ليل الفتن التي حارت فيها ذوو الألباب ودان لها ذوو العقول ، وخضعت لها خضوع الذليل علت على الرِّقاب ، ورفعها المسلمون معزّين[5] لها ومكرمين وذهب العلماء بناب وعزين[4] ووكل بها قوماً ليسوا بها بكافرين حتى صارت ماضية لشأنها قاطعة لعنانها قائلة بلسانها شعراً :

(١) في المصادر الحسن بن يحيى حابس من العلماء وفاته سنة ١٠٧٩ انظر ترجمته في مطلع البدور (خ) والبدر الطالع ملحق ٧٩ وطبق الحلوى ص ٢٤٧ .

(٢) كذا في الأصل وهو من الدق أي الضرب وما شاكله (من العامي) .

(٣) انظرها بنصها في طبق الحلوى ص ١١٥ .

(٤) ساقط من الأصول والزيادة من طبق الحلوى .

(٥) في (ر) معرزين والاصلاح من (د) وطبق الحلوى .

(٦) كذا في الأصول وفي الطبق « وذهبوا اليها ثبات وعزين » .

دعوني أجوب الأرض في طلب العلى فلا الكرخ الدنيا ولا الناس قاسم(١)

وعقد المسلمون للمسرة بها تاجاً ووهجوا(٢) للجذل بها سراجاً ودخل تحت أمرها المسلمون أفواجاً ، وجاءوا نحوها فرادى وأزواجاً ، وما ذاك إلاّ أن متحملها ينبوع العلم الفوار وغيث الفضائل المدرار وطراز غلالة المعالي والفخار :

عليم رست للعلم في أرض صدرة جبال جبال الأرض في جنبه قف

ذلك(٣) فاتح الأرتاج المولى أمير المؤمنين المتوكل على الله ربّ العالمين إسماعيل بن امير المؤمنين فعند إن اختصه الله بالخصائص الجليلة ورأيت(٤) المصلحة في معارضته ملة قليلة ، وكان الله قد أمر بالوفاق ورغّب فيه وحثّ عليه وقال أن أقيموا الدين ولا تتفَرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه سلمت ما كنت تحملته من الأعباء الثقيلة تسليم راض لا شبهة فيه ولا حيلة(٥) لوليّه وابن وليه الإمام المذكور المشهور المتوكل على الله إسماعيل بن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم إذ الأمر هذا لا يليق بغيره ولا شك أن الله رَاضٍ بدعوته إليها قلوب الناس شاخصة ولم نشترط عليه في ذلك التسليم إلا ما شرطه الله عليه ما بقي أيده الله على حالة مرضيّة سائراً على الطاعة داخلاً تحت جمعته والجماعة وإن ما تقدم مني من مقتضيات النّظر الذي اعتقدت فيه المطابقة لمراد الملك العلام فإن كنت في ذلك موافقاً لمراد الله فقد مضى بما فيه من الأجر وإلاّ فأنا استغفر الله وأسأله حسن العاقبة وإليه مرجع الأمر ، والإنسان محمل الخطأ والنسيان والكريم

---

(١) البيت ورد شطره الأول في مطبوعة الطبق .

(٢) وهجوا أشعلوا.

(٣) الكلام من تعبير المؤرخ عبد الله بن علي الوزير صاحب طبق الحلوى ص ١١٦ .

(٤) مطبوعة الطبق « دأبت » .

(٥) في (ر) جميلة .

محل المسامحة والغفران وقد التزمت النفس له طريقة الاقتصاد والتمسك بالوفاق وأوقفتها في حلبة على قصبة المصلين ومن قد سلف منه إساءة إليَّ وظن اني بها قمين فقد سألت الله أن يغفرها له وهو أرحم الراحمين وجل من لا عيب فيه وعلا عن كل قول ذميم وقل ما سلم من الخدش أديم :

ألا لا أبالي من زماني بريبة إذا كنت عند اللّه غير مريب

ولا شك أن هذا الأمر لمثلي في هذا الزمان لا يدخل فيه إلاَّ من جذبته لبس الاغترار ولمعت له بروق الأماني فعلمت ما كنت جهلته عند الدّخول فيه وأيْقنت عند الخروج منه أن الله قد خفف عنّي الأمر ﴿ **ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصَّالحين** ﴾[1] وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، حرر هذا في العشر الأواخر من شهر جمادي الأولى سنة ١٠٥٦[2] .

ولما قضىٰ مولانا أحمد بن الحسن من هذا الوجه أمله وختم على أحسن الوجوه عمله ارتحل من بوصان في صبح يوم الخميس سابع عشر شهر جمادي الآخرة فصار إلى صعدة في أبهة ظاهرة واجتمع بعمّه أحمد بن القاسم وجعل مخيّمه في رحبان[3] عند دار الفتح وفي عزٍّ وتمكين وأقام بصعدة أيّاماً وقد أوسعه عمّه تأهيلاً وإكراماً، وأدرك من الأجناد الذين معه بعض ملل وتقاصرت أمداد الإمام بعد تمام العمل فارتحل من صعدة نحو شهارة وبها الامام ، وكان خروجه منها يوم الأحد تاسع وعشرين شهر رجب من هذا العام واستناب بعض أصحابه يتأخر بعده في تخليص آداب على أهل نجران ومن يليهم

---

(١) الآية ١٩ سورة النمل .

(٢) في الطبق ورد تاريخ هذه الرسالة بيوم الجمعة من شهر جمادى الأولى ولم يذكر تاريخ اليوم .

(٣) رحبان: واد عظيم في الجنوب من صعدة بمسافة ٣ ك.م كان قائماً به سد الخانق وهو اليوم خراب .

من البدوان بأسبَاب[1] اجترموها وأمور تخالف الشرع ما احترموها وعوَّل على عمّه أحمد بن الإمام القاسم في التَّشديد وأخذ من امتنع من التَّسليم بالحبس العديد فتخلَّصها مولانا أحمد بن أمير المؤمنين على أحسن الوجوه وأتمّها وجعل اثخان الوطأة عليهم من أوجب الأمور وأهمها ولما وصل مولانا أحمد بن الحسن شهارة أقام بها يسيراً حتى أعطىٰ الإمام كافة الجند الذين معه جامكية[2] شهرين وكانت كثيراً[3] ثم أذن للأجناد بالعزم فسارعوا إليه ، ولم يستبق غير خواصه ومن يعول عليه ، ثم أن مولانا أحمد بن الحسن استأذن الإمام في الارتحال إلى صنعاء فأذن له بالانتهاج لذلك المسعى فجاءت طريقه على عُصْمان[4]، ثم عرج بخمر في طمأنينة وأمان، ودخل صنعاء حائزاً بالمراد آخذاً بالحظ الأوفر من الجهاد وكان دخوله صنعاء في سابع عشر شهر شعبان من السَّنة المذكورة وأقام إلى شهر شوال في سعادة موفورة ثم همَّ بالحج إلى بيت الله الحرام فعزم من صنعاء ثاني وعشرين شهر شوال من هذا العام فوصل شهارة وفيها الإمام فعرَّف الإمام بالمقصد واستأذنه في الحج واستمد الرأي الأسد فأشار إليه الإمام بتأخير الحج . ذلك العام وعرفه أن في التأخير فوائد كثيرة ، ومصالح عائدة على الإسلام غزيرة وذكر له انزعاج أهل مكة مع دخوله إلى بوصان وتوّهموا سريان الحال إليهم بما يوجب لديهم النقصان وانهم اجتهدوا في الأخذ بالحزم والحذر ، ورتّبوا جدة وغيرها عن إعمال نظر وذلك منهم مع الواهمة في الشريف زيد بن محسن أنه المستدعى للدخول مع ميله إلى جانب الإمام كما هو المأمول وكان هذا الشريف يرعى أهل اليمن الرعاية التامة بسالف الأيادي ، وما قوبل به هو ووالده في البداية والفضل للبادي وإنما كان يداجي

---

(١) في (ر) أصلحها إلى البدو .

(٢) الجامكية لفظة فارسية بمعنى رواتب الجند وخدام الدولة .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) عصمان : واد في السودة من بلاد حاشد .

السلطنة[1] من أجل الضّر المقرَّر وهو من أشد الناس بغضاً لهم مع الحذر .

وفيها نزل الإمام من شهارة إلى السودة فدخلها وأقام بها أيّاماً حتى دخلت السَّنة التي بعد هذه وارتحل منها لأمور اقتضت ومِمَّا هنىء[2] به مولانا أحمد بن الحسن بعد عوده من الشام وموالاة إبراهيم بن محمد بن حورية بعد ما زلت به الأقدام هذه القصيدة:

لا زلت معتضداً بالنصر والظفر ... مسلَّما من يد الأحداث والغير
مؤيداً من إلٰه العرش مقتدراً ... على الأعادي وميموناً مدى العمر
ماضي العزيمة في شامٍ وفي يمن ... موفق الرأي في بدو وفي حضر
ذكرت فتحك للشام الذي انغلقت ... فيه الأمور على ذي اللّب والخطر
حتى ذكرت الذي ضاهيت سيرته ... فقلت مثل فتوح الشام من عمر
دوّخته لأمير المؤمنين وما ... تركت فخراً لمن يتلوك في السِّير
خططت في جندك الغراء مدرعاً ... بالحزم في سَفْح حيدان وفي الزّمر
بلغت بالحزم والرأي السديد علاً ... ما نالها أحد في منتهى العمر
جمعت شملاً لآل المصطفى فغدا ... يَخْتال في حلل الديباج والحبر
وافاك صارم أهل البيت منتضباً ... فاضرب به وهو بالإجلال منك حرى
وسلَّم الأمر في بوصان معتمداً ... بحسن رأيك يا بن الطهر من مضر
ولم يكن شارطاً شيئاً لتعطيه ... من الولايات أو شيئاً من البدر
سوى الأمان له أو ما يلم به ... مدى الزّمان ودفع الجور والضَّرر
وأنت أهل لما يرجوك من منن ... من الإمام أمام البدو والحضر

وفيها رجع الامير الناصر بن عبد الربّ إلى وطنه من مكة المشرفة بعد أدائه واجب الحج المفروض على أحسن صفة .

---

(١) يعني الدولة العثمانية .

(٢) لم يذكر اسم الشاعر .

وفي سنة ١٠٥٧ أرسل الإمام إلى السلطان ناصر[1] بن عمر الكثيري صاحب حضرموت يطلبه للطاعة وإجابة الصوت وأخذ عليه الخطبة هنالك فانخرط إلى جميع ما أمر به من هذه المسالك فنازعه أقاربه فيما فعل ولم يكد يتم له بسببهم في الموالاة عمل ثم إنهم هجموا عليه ليلاً في زيّ النساء وأوثقوه رباطاً وقالوا اساء بما فعل ثم أسا وحتموا عليه بخلع نفسه من السلطنة ويقلدها بدر بن عبد الله أو تنزل به المحنة ثم أنهم سلّوا عليه السيوف وانكروه سالف الإحسان إليهم والمعروف فلم يربدا من اجابته لهم فأثقلوه بالحديد عندها مسلوباً ثم صيروا إلى سجنهم مضيقاً عليه ونسبوا كل فاقرة إليه فلما بلغ الإمام قعد وقام واهتم بحال فكه وارجاعه إلى ملكه فلم يكن منهم إلى ذلك التفات فسكت الإمام على مضض وغفل عنهم حتى ينهض وهيأ الله تعالى له الرحلة من شهارة والسودة وظفار وكان عَوَّد نفسه التنقل فيها أول خلافته على الاستمرار ولما تكاملت الأسباب كان ما سيأتي من خبرهم بموضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وفي يوم الثلوث سابع عشر جمادي الأولى من هذه السنة وصل مولانا محمد بن الحسن من اليمن إلى صنعاء في أحسن زيّ واجمل صورة وتلقاه أصناه الكرام آل القاسم والشيعة وغيرهم إلى ريمة ابن حميد[2] ولم يكن صحبته من الجند إلا نحو خمسمائة راجل وثلثمائة فارس من أهل القوّة والأيد ، ودخل صنعاء في موكب عظيم وملك جسيم ، واستخرج في هذه السنة الغيل المعروف به في شعوب[3] **وجَرَّه إلى** الجراف[4] بمقصد غير مشوب وهكذا سائر آل الإمام استخرجوا الغيول إلى الروضة على أجمل

---

(١) لم يعرف أحد في سلاطين آل كثير بهذا الاسم وإنما صوابه بدر بن عمر فلعله تصحف عليه انظر أخبار المذكور في تاريخ الدولة الكثيرية ص ٧٠ .

(٢) ريمة ابن حميد من قرى سنحان على مقربة من صنعاء من الناحية الجنوبية .

(٣) شعوب : ضاحية صنعاء الشمالية تنسب إلى شعوب بن جشم بن عبد شمس .

(٤) الجراف : قرية ملاصقة لصنعاء من ناحية الشمال .

المقاصد وأتم النظام وتكاملت إلى سبعة أنهار ، نعم وبعد وصول مولانا محمد بن الحسن تَوَجّه مع اخوته إلى زيارة الإمام بدرب الأمير على اكمل أبّهة واحسن سنن وكان خروجهم من صنعاء يوم الإثنين خامس شهر ذي القعدة فلقيهم الإمام وكان هذا أول اتفاق حصل بينهم في جهات شهارة بعد الدعوة الميمونة ووقع الأنس الكامل بين الجميع وطيب الألفة المصونة وقضوا في هذا الاجتماع مآرب جمّة وترجح عند مولانا أحمد بن الحسن وصنوه الحسين العودة إلى صنعاء للعيد وجاءت طريقه على ذيْبين[1] في غاية الإسراع والهمة فصار إلى الخارد[2] وأقام فيه أياماً لافتقاد الأموال وشد الوطأة على أهل تلك المحال وأما صنوه محمد بن الحسن فصار إلى أهله إلى حبور[3] وظليمة[4] وكان أهلهما قد اجتمعوا للقائه في السلاح الحسن اعارهم اياه بعض السادة لقصد التجمل فوقع بين أهل حبور وظليمة مشاجرات ومكالمات من أجل التقدم والتأخّر بين أهل البيارق مع أحن متقدمات فاحتربوا ساعة وقتل بينهم جماعة وجماعة مصابون نحو العشرين الرجل فاصلح بينهم مولانا محمد وسكن ثورة العسكر وأنهى الأمر إلى الإمام ووكل إليه النظر فأمره بتأديب الجميع على الإقدام والخصام واستدعى عسكراً نحو الف رجل وجعلهم عليهم أياماً وقبض منهم مالاً على حسب الأمر .

وفي سنة ١٠٥٨ نهض مولانا أحمد بن الحسن عن أمر الإمام قاصداً إلى الجوف فسار من الروضة إلى الجرة[5] ثم إلى قرية بنهم يقال لها مشورة ثم إلى القرضة أعلا الجوف ثم إلى براقش[6] وقد حلّ بأهلها

---

(١) ذي بين : مدينة بالشمال الغربي من صنعاء بمسافة ٩٤ ك.م بها مركز ناحية ذي بين التابع لقضاء عمران .

(٢) الخارد : نهر مشهور يسقي أرض الجوف .

(٣) حبور : قرية من بلاد حجة فيها مركز ناحية ظليمة الآتي .

(٤) ظليمة : من قضاء شهارة بالشمال الغربي من حجة .

(٥) هو ما يعرف بمخلاف سنحان وبلاد الروس واليمانيتين من خولان العالية بالجنوب من صنعاء .

(٦) براقش من المدن الأثرية بالجوف .

الخوف ، وكان في خمسمائة رجل ومائة فارس لأنه نهض معاجلاً وكان الأمير عبد الله بن منيف في صحبته والواهمة متعلقة به أنه سبب هذه الحركة إلى جهته ، ولما وصل مولانا أحمد إلى براقش وصل إليه الاشراف آل شكر والأشراف الحمزيون من غير نكير فطلب منهم تولية الحصون ورفع ولايتهم عنها فاجابوه إلى ذلك فولّى فيها من يركن عليه في هذه المسالك ، ثم أنه نفذ إلى معين[1] والزاهر[2] ففعَل كفعله الأول وصار لهم قاهر ، ثم رجع إلى معين مرجّح غزو بدوان من المفسدين فظفر بهم واكتسح نحو مائتين وخمسين من الإبل ونجع له البدوان بالطاعة فجاد لهم بالعفو وقبل ثم اغراه جماعة بأن يغزو الجدعان[3] وهم وراء جبل يقال له اللوذ[4] أسفل الجوف فتوكل على الله وبه استعان فتقدم بالمحطة من معين إلى قريب الخلو فعرَّفه الأشراف أن المحل لا يقصد بغير استعداد حتى يتحقق فاتهمهم بالمصانعة وظن بهم إرادة الممانعة فتوجّه في عصر يومه ذلك حتى افجر[5] عليه مقابل اللوذ الذين قيل لهم انهم فيه فلم يجدهم به ولعلهم انذروا فلم ير الرجوع على الصفة فنفذ في الخيل مسرعاً إلى محل يقال له القرط ولا خبرة له ولا معرفة وهذا المحل يسكنه الجُدْعان ودهمة ولا يوجد فيه الماء وإنما هو رمال فلما توسّط القوم بالغيل نفروا واتصلوا بالبدوان الذين أصيبوا وقهقروا واحتشد الجميع في جانب الشرق ، وضربت الأصوات وضعف العسكر من شدة الظمأ واجتمع عليهم القوم للمراس غفلوا عن الليل بالاستعداد للقاء والمراس فنفرت الإبل وتفرقت في الأودية فما أمكن استرجَاعهَا وحصل بعض قتال استمر ساعة وقتل منهم ستة أنفار وأسر من مشايخهم جماعة في ذلك الحال وفر الباقون فعرفهم المشائخ الذين اسروا بالماء ، وقد كادت

---

(١) معين : بلدة في الجنوب الشرقي من مدينة الحزم بمسافة ٥ ك.م أعلا وادي الجوف .

(٢) قرية مشهورة في بلاد الجوف جنوبي المطمة بها آثار حميرية .

(٣) الجدعان : من قبائل نهم جنوبي الجوف .

(٤) اللوذ بالذال جبل شرقي برط به آثار حميرية .

(٥) كذا في الأصل .

تهلك المحطة من شدة الظَّمأ وادركوا بتلك الدّلالة ماء يسيراً في أسفل الوادي ثم عادوا إلى اللوذ فطرقوه نصف الليل مع البدار ووجد ماء في الركايا شربت منها الخيل وارتحلوا في آخر الليل ، فلما صاروا بالرمل الذي أسفل جبل اللوذ غلبهم الحر والعطش وأمن الناس بعض أمان فتفرقوا واختل النظام واجهدهم العطش فشربوا ماء الحنظل والأبوال ولقوا من الشدائد ما لم يكن يخطر ببال ثم انهم وصلوا الحلق[١] عَصْر ذلك اليوم بعد جهد جهيد وسعى ما عليه من مزيد ثم أفتقد الناس بعضهم بعضاً ففقد من القوم ثلاثة عشر رجلاً ذهب بهم العطش والقتل والرمضاء وفات من الخيل قريباً من الرّبع لشدة العطش والإجهاد ، وكان من أروى فرسه هلك إذا شرب المعتاد ولحق النَّاس مشقة عظيمة ، وبقي مولانا أحمد بالحلق نحو ستة أيام حتى رجعت إليه المحطة من براقش فعاد من ذلك الوجه بعد أن ثبتت أحوال الحصون وأزال معاملات الربا وبعد أن ثبتت الحصون ، وأزال ما كانوا فيه من أحكام الطاغوت أسرع العود إلى الروضة وقد عمل ما قدر عليه من [إزالة][٢] المنكرات في هذه النهضة فلما وصل إلى الروضة في آخر شهر رجب ، وجد في نفسه على الذين دَلّوه من ذو حسين في هذا المذهب وبعد أيام سَلّمت الجدعان دية الذين قتلوا خوف العواقب .

وفيها حج مولانا صفي الدِّين احمد بن الحسن إلى بيت الله الحرام وهذا هو الحج الثالث لأنه كان حج أيام المؤيد بالله حجتين بعد تلك الحوادث وافاض في هذا الحج إحسانه ، وعرف الناس بمكة مكانه[٣] وإمكانه واجتمع بالشريف زيد بن محسن[٤] وذكر له أن مراده الزيارة فأشار

---

(١) موضع هناك .

(٢) ساقط من (ر).

(٣) في (ر) بزيادة علة .

(٤) هو زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي أمير مكة من سنة ١٠٤١ حتى وفاته سنة ١٠٧٧ هـ.

عليه بالتأخير لمصلحة وأسعد إلى المرام وتوجه راجعاً إلى دياره ورجع الإمام من السَّودة إلى شهارة وكان أهلها ضاقت بهم الأحوال من قلة الماء وكاد الضعيف يهلك من الظمأ فصلَّى بهم الإمام الجمعة واستسقى فانزل الله تعالى الغيث الهني بيوم السبت وكفى الله سبحانه ووقى .

وفيها ارسل الإمام عسكراً إلى بلاد أبي زيد غربي رازح[١] فوضع العسكر أيديهم بالنهب في مواشي البدوان فشكا البدوان ذلك إلى الإمام فحكم أن من أظهر شاهداً بتسليم الزكاة من سنة خمس وأربعين عند ارتفاع يد الأرْوام فقد برئت ذمته وما أخذ عليه فهو رد عليه ومن لم يظهر فقد استهلك ماله بعدم تسليمه للواجبات لديه فكان حكم زال به الخلاف ومشى بقارعة الإنصاف وكانت هذه السنة سنة سكون وطمأنينة مع آل الإمام .

وفي سنة ١٠٥٩ عزم مولانا أحمد بن الحسن من صنعاء ، إلى شهارة حضرة الإمام وتأهل بابنته وحصَّل السرور التَّام .

وفيها تزوج الإمام بنت السيِّد الحسن بن الحسين[٢] جحاف بحبور ، وهكذا مولانا محمد بن حسن بذمار تزوج بكريمة زوجته النوفاه بنت الإمام المؤيد وكانت هذه الأيام مع الآل أفراح وأعراس وسكون الجوارح .

وفيها توفي السيد محمد بن الإمام الحسن بن علي وكان من ذخائر الجهاد .

وفيها جهَّز الإمام مولانا الحسين بن المؤيد إلى قبَّة[٣] خيار وأمره بخراب بيوت بتلك الدِّيار لذنوب تكاثرت ومنكرات ظهرت فكمل بما أمره الإمام واستأصل بيوتهم إلى القرار عن اهتمام وتركها خاوية على عروشها كأن لم تغن بالأمس ورجع إلى شهارة .

---

(١) رازح : أحد أقضية لواء صعدة معروف .

(٢) هو خال الامام المتوكل على الله وفاته سنة ١٠٥٥ .

(٣) قبة خيار : بلدة من خيار وخيار تسيع من بني صريم من حاشد .

وفيهـا كان دور زحـل ببرج السـرطـان والأمـر لله الـذي يقـول للشيء كن فيكون .

وفي سنـة ١٠٦٠ في ثـاني عشـر من شهـر جمـادي الأولى تـوفي بقيـة الأعـلام القاضي صـارم الدين والخيـرة من الشيعة الميـامين ابراهيم بن يحيى السحـولي الشجري[١] وهو ممن ثبت على بيعة مـولانا أحمـد بن القـاسم وبـه استفـاد جمّاً غفيراً من الـطلبـة ولـه تـواليف منهـا الـطراز المـذهب في إسنـاد المذهب وتعليقه على الأزهار وممن قرأ عليه مولانا أحمد بن الحسن[٢] وصنوه محمـد بن الحسن ملك اليمن وكانت إليـه وظافة الخـطابة في جـامـع صنعـاء وجرى من بعده ولده محمد بن إبراهيم في ذلك السعي وقبر القاضي إبراهيم بمقبرة صنعـاء واستجيب عند قبـره الـدّعـاء ثم بعـد شهـور بـدىء لأهله في نقله إلى قريب داره بالسعدى[٣] فوجـد على حالتـه لـم تتغير منـه إلا شعرات من لحيتـه للموضع الندي[٤] ، وسبب ذلك رؤيـا رآها من يـوثق بأمـره فعمل بـذلك أهله ونقلوه إلى محلة وعمـرت عليه قبـة عظيمـة وبازائهـا المسجد المنسـوب إليهم وبنو السحول هؤلاء أهـل بيت لم يخل عنهم الفضـل بحال وحب أهـل البيت فيهم غريزة .

وفيهـا توفي الأميـر رجب بن مصطفى الـرومي الـذي بعثـه سلطان الـروم مدداً لحيدر باشا[٥] .

وفي سنـة ١٠٦١ رجـع السيـد إبـراهيم بن محمـد المؤيـدي إلى ادعـاء

---

(١) من أفاضل العلماء انظر ترجمته في كتابنا الفكر الاسلامي مع ذكر مؤلفاته ص ١٢٧ و ٢١٨ .

(٢) هو الملقب بأبي طالب جد المؤلف .

(٣) من ضواحي صنعاء خارج المدينة من الجهة الجنوبية تنسب إلى مسجدها قـال القاضي محمـد الحجـري والعامـر لمسجد السعـدي القاضي العـلامة ابـراهيم بن يحيى السحـولي المـذكـور « مساجد صنعاء ص ٥٣ » .

(٤) توسع في ذكر وفاته صاحب طبق الحلوى ص ١٢٣ .

(٥) الطبق من ١٢٣ وفيه زيادة طريفه.

الإمامة وثـار في نواحي خـولان وعلَّل بأن الحـامل لـه على ذلك مـا صدر عن الفقيـه محمد بن علي جميـل والعسكر من العسف بخـولان الشام ، فقـام معه بنو بحر الـذين هم آل روكان فقتلوا من أصحـاب الفقيه محمـد المذكـور نحو خمسـة وعشرين قتيـلاً فجهز عليـه مولانـا أحمـد بن القـاسم ، فلم يؤثـر كـل التـأثير مـع اتقاد ذلـك الجمر ، فـوجه الإمـام عسكراً من عنده وبـادر بـالنقيب سرور شلبي في ستمائة نفر عن اقتـدار ومكنه فلمـا أحس بهـم القبائـل ارتفعوا عن قتـال الفقيه محمـد واخلوا بلادهم وتـأخر السيـد إبراهيم إلى بني جمـاعة وعـظم أمره وتفـاقم وجاءت الأخبـار إلى الإمام وهـو بـدرب[1] الأميـر فـوجَّـه محـطة أخرى قـائدهـا علي بن صلاح الجملولي ، ثم عـزَّز محطة ثـالثة فلمـا تكـاملت المحاط هنـاك وجه الإمـام مولانـا الحسين بن المؤيد في محـطة إلى صعدة فلما دخلها طلب سائر المشايخ وأحسن إلى كثير منهم وأوثق من يتهم منهم بـالفساد وارتبط الكثيـر منهم لـديـه بعـد الانقيـاد وتجهـزت المحـاط من صعـدة على السيد إبـراهيم بن محمـد إلى قـراض ، فـطمعت تلك الجهـات وشردوا أهل القلوب المراض ، فلما علم السيـد إبراهيم بـالغلب خاطب فيمـا يكف عنـه الفتن وتـظاهـر بـالـرجـوع إلى الـطاعـة واعلن ، وطلب اللقـاء إلى ضحيان[2] فلقيه مولانا الحسين بن المؤيد بنجدة عنها أبان فـاعتذر إليـه السيد المذكور بمـا أنكر دعـواه من الأمور وأنـه لما تقـاصرت عنـه الخطا واتضـح له من نفسـه الخطا أظهـر التوبـة والإنابـة وأقر على نفسـه بعدم الإصـابـة ورجـع مولانا الحسين إلى صعدة ولحق به السيد المذكـور في أسرع مـدة وتوجـه إلى الإمام تائباً مستغفراً فوافاه في شهارة وأقام لـديه أيـاماً أوسعـه إحسانـاً وإكرامـاً ثم أذن لـه في العـود إلى وطنـه وأفـاض عليـه من مننـه وأمَّـا الشيـخ يحيى بن روكان فوصـل إلى باب الإمـام بضوران[3] فحكم عليـه بالسكـون في الحضرة

---

(١) من قرى صعدة هناك .

(٢) ضحيان : قرية مشهورة في الشمال الغربي من صعدة .

(٣) ضوران : هو جبل آنس وفي منتصفه من الشمال تقع مدينة ضوران .

ورعى جانبه غاية الرعاية بعد القدرة وعوضه ما فات عليه في قيامه مع السيد إبراهيم وأعانه على عمارة بيوته بعد الخراب العظيم وأعفىٰ أصحابه ثلاث سنين عن التّسليم وما زال الشيخ المذكور بضوران حتى توفي فيه .

وفي هذه السنة حصل انتشار في النجوم وارتاع من رآه وذلك من الليل في الثلث الأخير والأمر لله وهو على كل شيء قدير .

وفي ربيع الأول منها توفي قاضي صعدة وعالمها وناظر أوقافها وحاكمها العلامة أحمد بن يحيى حابس(١) وكان بهجة المحافل وزينة المجالس والمدارس من الحكام المعتبرين والزهاد والمبرزين ويلحق بأكابر المجتهدين ومن رجال الدنيا والدين له شرح على الكافل لابن بهران في أصول الفقه وله المقصد الحسن فيه عدة من النقول في الحديث المقبول وشرح الثلاثين المسألة شرحاً مفيداً وشرح تكملة الاحكام للإمام المهدي أحمد بن يحيى وله التكميل في الفقه على شرح الأزهار في غاية المناسبة والاستظهار بالأدلة والانظار وكان لا يرتزق من بيت المال ويأكل من تجارة له قائمة بالحال وخلفه من بعده أخوه الحسين بن يحيى مشى على منهاجه في الاشياء واستمر على النظر فيما هو إليهم من التّولي على أوقاف صعدة وأقام على ذلك بعد وفاة صنوه مدة ولما ولاه الامام قضاء صنعاء جعل ما كان إليه من نظر الوقف بصعده إلى الفقيه على الطبري الملقب بالوحش ولما صار القاضي المذكور بصنعاء وتعلق بكثير من التكاليف وكل إليه مولانا محمد بن الحسن الاطلاع على املاكه بالجهة الصنعانية وعامله مولانا أحمد بن الحسن في البزور لأنه كان يتّجر وفي المصرفات أيضاً وهو مع ذلك المرجع وخلف ما لا لا يظن مثله جمعه ولا يدري من اين أصله وفرعه .

وفي رجب منها توفي الفقيه العالم الأديب عبد الحميد بن يحيى

---

(١) ترجمته ومصادرها في كتابنا مصادر الفكر الاسلامي ص ٢١٩ .

المعافا(١) صاحب السودة(٢) وهو في متأخريهم الفرد النجيب وكان ذا نظر وعرفان ويد قوية في النحو والمعاني والبيان ورعاه الإمام المؤيد غاية الرعاية وبنى له داره التي قبلي حصن السوده وأذن له في أحجار خراب الحصن كونها بيت مال ولما تم له عمارتها قضى الله عليه .

وفيها نجم خلاف السيد محمد بن علي الحيداني المعروف بالفوطي فقصد إلى برط ثم إلى الجوف ثم إلى بلاد خولان العالية وقصد إلى قائفة(٣) في أيام متوالية فجمع له مولانا أحمد بن الحسن الاجناد . وقصده إلى رداع(٤) العرش بعزمه المعتاد فحزَم مادته ولو وقف للجيوش لهادته .

وفيها قتل الباشا مصطفى في بندر جدة بتدبير الشريف زيد بن محسن الحامي تلك الشدّة وكان قد أباد الملاهي واصدر عن انتمائه إلى الإمام الأوامر والنواهي ، وكان قتل الباشا المذكور بالطائف ورجعت جدة بعده إلى الأمير قيطاس من جهة الأروام بجدّة(٥) الوضايف فجرىٰ بينه وبين الشريف زيد بن محسن حروب ، وعاد الأمر بينهما إلى السَّداد لا غالب ولا مغلوب .

وفيها مات الشيخ محمد بن علي(٦) البكري نسباً بمكة المشرفة وكان من أوعية العلم وله مؤلفات وجمع كتباً يخرج حدّ حصرها عن الصفة .

وفيها توفي الشيخ عبد الله بن عامر بقَرْية حوث(٧) وكان دعا إلى نفسه فلم تتم له إرادة .

---

(١) ترجمته وذكر مصادرها في كتابنا مصادر الفكر الاسلامي ص ١١٩ .

(٢) السودة مدينة بالشمال الغربي من عمران تعرف بسودة شظب.

(٣) قائفة : وتعرف أيضاً بقيفة من قبائل رداع شرقا وشمالا .

(٤) رداع : مدينة بالشرق من ذمار بمسافة ٥٣ ك.م .

(٥) كذا في الأصل .

(٦) هو المعروف بابن علان من أشهر مؤلفاته دليل الفالحين شرح رياض الصالحين وغيره.

(٧) حوث : هجرة مشهورة بالعلم من بلاد حاشد (٣) من الغريب أن صاحب طبق الحلوى قال في هذه السنة ودخلت سنة ١٠٦٢ لم يحدث فيها ما يوجب رقمه .

وفيها توفي القاضي يحيى بن أحمد المخلافي .

وفيها وفد مولانا أحمد بن القاسم إلى شهارة وتقدم إلى ديار صنعاء فوجد الأحوال بها غير ما يعهد أي منهارة ، فرجع إلى صعدة سريعاً وأوسع البلاد والأهل تَوديعاً .

وفي سنة ١٠٦٢[١] حج مولانا أحمد بن الحسن إلى بيت الله الحرام وفاز في هذه الخطرة بزيارة سيّدة الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام واستصحب من الجند معه نحو ثلثمائة انسان ، وكان انفصاله من الروضة يوم الخميس سلخ شوال وانفق في طريقه ما يجل من الأموال وزار جده القاسم بن إبراهيم[٢] بجبل الرس واحبَّه أهل مكة والمدينة حبّاً زائداً وتطلعت الأعناق إلى رؤيته ، والتمس منه أهل تلك الجهات الموضوعات وجوزوا تملكه جهاتهم لما رأوا من همته والثبات ، واتفق له بدخوله هذا كرامة عظيمة ومنقبة جسيمة وذلك انه لما وصل إلى أبيار[٣] علي وبلغ أهل المدينة أنه سيدخل الشريف أحمد صاحب اليمن ومعه من الجند ما لا يؤمن وخلص لهم من الرأي إعمال[٤] الجهد في عدم دخوله والمنع بكل ممكن في صدّه عن وصوله وذلك منهم رعاية في ناموس السلطان وخيفة من واليها أن ينسب إليه التفريط والامكان فاتفق أن حصلت رجفة هائلة في صفر فظن أهل المدينة أن ذلك لمنعهم له الدخول للزيارة فلم يسعهم إلّا إدخاله في أبهة الملك العظيم وقابلوه بالإجلال والتكريم ولابن مضيان الراية البيضاء في مضية مشهورة، ولما دخل مولانا أحمد المدينة المشرّفة وضرب بعرصاتها الخيام لبث بها أيّاماً وانفتحت له القبّة المشرفة برداً وسلاماً وعدّت هذه من

(١) هو القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن المثنى مولده سنة ١٦٩ ودعوته بمصر سنة ١٩٩ توفي بحبل الرسن ٢٤٦ « اتحاف المهتدين ص ٤١ » .

(٢) موضع على مشارف المدينة على طريق الآتي من مكة .

(٣) في (ر) اعمل .

(٤) كذا في الأصول .

الكرامات وتملّىٰ بلثم الضريح النبوي، وشاهد نوراً صادعاً يتصل بالمقام العلوي، وهم هنالك ولم يتم له لموانع كثيرة في زيارة القبر الشريف بالجناب الغروي[1] ومرض ممن حج معه عالم ومات منهم من مات.

وفيها ظهر نجم من مطلع سهيل مدور الشكل على صفة الفانوس وضوءه المعتاد، وكان يبدو من مطلع [سهيل][2] كما ذكرنا ويسير فيجاوز نصف السماء في أسرع وقت وكان ينتهي سيره إلى ناحية الشمال ويقطع في الليل والنهار نحو اثني عشر درجة عرضاً وبقي على ذلك أياماً ثم اضمحل وبيد الله ازمة الأمور، وهذا نجم من ذوات الأذناب ولها أحكام عند المنجمين وأهل الحساب، والغالب يكون بعدها القحط والغلاء والتبديل والتحويل.

و فيها هبّت بذمار ريح عظيمة فاخربت جانباً من دائر [3] القصر والعمائر المستقيمة وحملت جملة من الكلاب في الهواء وأكب الناس في ذلك الحال على الابتهال إلى الله تعالى بالدعاء والنجوّى.

وفيها مات الفقيه المحدث عبد الواحد النزيلي بالمحويت[5] وهو شيخ السيد محمد بن إبراهيم بن المفضل[6] في صحيح البخاري مع التثبيت[7].

وفيها توفي القاضي أحمد بن سعيد الهبل،[8] وكان في تقرير قواعد

---

(١) مقام الامام علي كرم الله وجهه وهو بناء كالصومعتين كان بظهر الكوفة.

(٢) ساقط من (ر).

(٣) السور المحيط به.

(٤) وفاته في طبق الحلوى في السنة التي قبلها.

(٥) المحويت: مدينة بالغرب الشمالي من صنعاء بمسافة ١٠٠ ك.م.

(٦) سيأتي.

(٧) كذا في الأصل.

(٨) ترجم له في ملحق البدر الطالع ص ٣٣.

الفقه على المذهب من الطراز الأول وكان لا يفتي في الأوراق وإنما يفوه بالفتوى تكلماً بلسانه على الاطلاق .

وفي سنة ١٠٦٣ رجع مولانا أحمد بن الحسن إلى دياره عن حجه المبرور ، بعد أن زار النبي صلى الله عليه وسلم وصلحت الأمور وانفق في هذه الحجة مائة ألف حرف[١] ولما رجع إلى وطنه بروضة حاتم كان في صحبته رجل يقول أنه من ولد عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن المطهر[٢] فأنكره آل عبد الرحيم واخرج أيضاً معه السيد أحمد بن محمد الآنسي المعروف[٣] بالقهدة وكان عاصياً على الامام وقصد الشريف زيد بن محسن وامتدحه بمدائح من شعره ، وهو يشبه بطحن القرون ونحت الصروف فحصل منه على عطيات بلغ مرافق الغنى إلى الغايات ولما قدمَ حضرة الإمام قابله بالإكرام وبلغ من احسانه إلى كل مرام .

وفيها تمنع أهل شعيب[٤] عن تسليم الحق الواجب ولم يعطوا المعونة التي تؤخذ منهم ويرد على رؤسائهم قسطاً منها واعلنوا التظاهر بالملاهي واغمضوا عن توريث النساء كل طرف ، فتقدم عليهم السيد علي بن الهادي المحرابي من مدينة تعز لأن قعطبة[٥] من توابع ولايتها ، فلما خرج العامل فرٌ منه المخالف واسلم تليده وطارفه فخرب بها السيد المذكور كثيراً من الدوّر واستأصل الجمهور ، ووصل السيد شرف الدين بن مطهر والسيد صلاح بن محمد القاسم جماعة مولانا أحمد بن الحسن فمهدا قواعد الدولة

---

(١) من العملة في ذلك الوقت .

(٢) هو أحد أولاد المطهر شرف الدين الّذين نفاهم إلى تركيا الباشا جعفر سنة ١٠١٨ (انظر غاية الأماني ص ٧٩٥).

(٣) هو والد الشاعر أحمد بن أحمد المعروف بالزنمة انظر ما كتبناه عنه في الأدب اليمني عصر خروج العثمانيين ص ٥٠٣ ـ ١٧ .

(٤) هي المعروفة بالشعيب ناحية بالقرب من الضالع .

(٥) قعطبة : مدينة بالشرق الجنوبي من مدينة إب على مسافة ٦٢ ك. م .

واستمر أيدي العمال ، ورجع أهل شعيب إلى الطاعة بعد الإهمال وكانوا قد انخرطوا في سلك يافع وجهة ابن شعفل فلما نزلت بهم هذه القضية لم يعضدهم عاضد ، وعاد السيد المحرابي إلى تعز في كمال الاستظهار والعز فاستمر فيها على النيابة عن مولانا محمد بن الحسن حتى ركت[1] تصرفاته واستنكرت حركاته وذلك بعقب قضية اتفقت منه وهو أنه اجتذب إمام محراب تعز صلّى بالضعفاء صلاة العيد وأخرجه من المحراب وأهانه وجرده عن ثيابه وانتهبه ، فما تعقَّب ذلك إلَّا اضطراب بدنه وحصول رعشة القيام معها لا يمكنه وكان تحته زوجة بنت الأمير رجب بن مصطفى الوارد من الروم إلى اليمن في الدولة المؤيية وأقامت الزوجة المذكورة البينة باختلال عقل هذا السيد المجاوز الحد فنازعته بالفسخ لما ادعت زوال عقله فلم تمض عليه أياماً حتى اختار الله له إليه نقله ولم يبق من ذوية الامير رجب إلا هذه الزوجة المذكورة فإن الأمير رجب فنى وخربت داره بالمخادر[2] وتوفي السيد المذكور بصنعاء .

وفيها مات القاضي محمد السلامي بذمار وكان يفتى بها مع الاقتصار على الأزهار ، وهكذا[3] توفي القاضي يحيى الشبيبي فهو أحد الحكام بذمار ومن أجله عزل الإمام صنوه الفخري عنها لما بلغ به حد الإكثار .[4]

وفيها توفي سلطان الروم إبراهيم بن أحمد خان وقام بعده ولده محمد بن إبراهيم خان ، واقتعد المكان وجرت بينه وبين إخوته حروب وخطوب فاستظهر عليهم وقتل منهم وشردهم على ضروب .

وفيها توفي السيد محمد بن أحمد بن الإمام الحسن بالمخا وحمل إلى

---

(١) من الركة الضعف .

(٢) المخادر : بلدة بالشمال من إب على ٢٠ ك.م بها آثار حميرية .

(٣) كذا والذي في الطبق « وفيها توفي » .

(٤) عبارة الطبق : وكان السبب في عزل عبد الله بن القاسم لاستنكاره الأشياء من أحواله .

حيس وقبره فيها معروف ويقال انه مات مسموماً من بعض من يصطفيه وله جهاد مع آل الإمام وولي لهم العدين (١) والمخاء على اكمل نظام .

وفيها حولت المجزرة بصنعاء من موضعها الأصلي إلى باب اليمن ، وكان موضعها الأصلي سوق الحطب لأجل التوّسط في المدينة لمن طلب .

وفي سنة ١٠٦٤ ارتحل الإمام من السودة إلى عمران وكان اكثر سكونه فيها فيما قبلها بشهارة وجهاتها أغلب الأزمان ، وكانت هذه السنة سنة قحط وغلاء قاساها أهل اليمن من الابتلاء وعلت الإعْلاء عن كل حدّ وتعدمت القواتين(٢) وانقطع المدد ، وكان زحل حالاً ببرج العقرب وهو متى حلّ به كان إمارة القحط(٣) فيما جرت به العادة وكان ابتداء الغلاء من مكة وعم جميع اليمن وما زال يقطعها مراحل حتى دخل عدن ولما وصل الإمام إلى عمران أقام به بعض زمان وتلقاه أولاد اخوته جميعاً للتهنئة والاستبشار بوصوله بعد الغيبة ، وكان الذين اتصلوا به من آل القاسم مولانا محمد بن الحسن ومولانا أحمد بن الحسن وصنوهما الحسين على التلازم ، وممن تلقّاه إلى عمران مولانا محمد بن أحمد بن القاسم ومولانا محمد بن الحسين ، وهؤلاء هم الكبار من آل القاسم فأقام الجميع لدى الإمام الذي وصلّوا فيه ويوم الجمعة وثانيه ، ووافى الأمير النّاصر بن عبد الرب من كوكبان مسلماً على الإمام ومهنئاً بالقدوم السعيد بعد الغيبة بالجهات الشهاريّة وطلب من الإمام طيافة حصنه للتشرف بهم مع الاجتماع واستطابة نفس الإمام ممّا نقل عنه من وضع الأشياء في غير مواضعها والانقطاع ، وأسعد الإمام وكان له نيّة في ذلك ، وطلع الجميع إلى تلك الممالك فأقاموا جميعاً في الحصن المذكور على اكمل الإكرام وأتمّ الحبور ، وبذل الأمير النّاصر

---

(١) العدين مدينة بالغرب من إب بمسافة ٣٠ ك.م .

(٢) في (د) القوتين ولعله يعني الأقوات جمع قوت .

(٣) علق كاتب على قوله هذا في (د) ليس كذلك على الاطلاق فلكل حلول حكم يعرفه المنجمون وموقع من الاتصالات والتناظر .

مجهوده في إكرامهم الحاصل والمدد لآل شمس الدين وغيرهم مع الاقامة مع الإمام وقدم الامير اثني عشر حصاناً كراما من نجائب الخيل للإمام ومن يليه ، وجعل عليها العدد المحلاّة الفاخرة ، وانفق انفاقاً اتسع نظامه ودل على كرم نفسه وطيب اعراقه ثم ان بيت الإمام رجعوا إلى صنعاء والإمام حث الركاب إلى مدينة ثلا وأراد أن يسكن فيها أياماً فلم يجدها مناسبة ولا موافقة وتجرد في خواصه فما شعر الناس نصف النهار إلاّ وهو بباب صنعاء وانثال بعده الناس من ثلا كالجراد وتلقاه الناس فأقام في صنعاء والروضة اياماً وكان آل الإمام استوطنوا الروضة واتخذوها مقاماً لاسيما مولانا أحمد بن الحسن فإنه لذَّ له المقام فيها واستوطنها في أغلب الأيّام وعمر آل الإمام بها وبصنعاء القصور الفاخرة وجرّوا إلى الروضة الانهار الزَّاخرة وعملوا فيها للدنيا والآخرة، واتفق أن أنشد الفقيه مهدي بن محمد المهلا[1] في بعض الدَّعوات أو الضيّافات في الإمام قصيدة مدحه بها وزاده في الحث على الجهاد تحريضاً وتنبيهاً والقصيدة المشار إليها هي قوله : (فأعجب الإمام بها وأحبَّ ظهورها) شعراً:

لنا من اللَّه بالاحسان عادات	بيمن من حمدت منه السعادات
من قام للَّه ابلاغا لحجته	فصار للعدل في الأقطارايات
والحمد للَّه وعداً منه كان لنا	بقائم صلحت منه السريرات
هذا الإمام الذي امضى عزائمه	نصر من اللَّه فانهدَّت ضلالات
امام حق به تمت سعادتنا	ان الائمة في الدنيا سعادات
يحفهم من كرام الآل أسرعهم	إلى المعالي حماة الدين قادات
عمّ الأمان بهم والعدل سيرتهم	منهم إلى اللَّه في الظلماء مناجات
واظهروا الدين والتقوى بعدلهم	هذى الجوامع احسنها الافادات
قد كان في الناس حكام طواغيت	فمذ تولوا سمت للحقِّ رايات

(١) هو الأديب الشاعر المهدي بن محمد بن عبد الله المهلا النيسائي الشرفي وفاته سنة ١٠٧٠ .

ومن يكن بـآلـه العـرش معتصمـاً إليـه جـادت بمـا يـرضى الافـادات
يـا حجـة اللّه لا تنس الـدعـاء لنـا فبـالـوسيلة قـد تـرضى الشفـاعـات
ومن مصـالـح مـا قـد حـل سـاحتنـا رجـوى الإنـابـة ان صحّت انـابـات
مـا افضـل الصـدقـات اليـوم واصلة في حـالـة نسُبت فيهـا الصـداقـات
ليس المواساة في خصب ووقت رخا لكن في شـدة تـرجى المـواسـات
ان المسـاكين في الـدنيـا أضرّ بهم من البـلا كـاشف لـولا البيـوتـات
فـارحم إمام الهـدى وانـظر لفـاقتهم من لـطف ربـك تـأتيـك الاعـانـات
في كـل حين لكم من ربّـكم مـدد ما كاد يحسب كم تحصى الحسابات
فقـل لمن عنـده مـال بـه سعـة ومن بـه في الـورى شـطت ولايـات
ليس التنـافس في الـدنيـا بمكـرمـة مـاذي الريـاض وما هـذي العمارات
أتـأمـلـون خـلوداً فـي ديـاركـم وفي عمـارة من سـاروا كفـايـات
أيـن الذيـن بنوا هذى القصـور لهم بعـد العنايـات في تـأسيسهـا مـاتـوا
فلينفقـوا ولـيـواسـوا إن عنـدهـم حقـاً لمن ظهـرت منـه الـولايـات
واستغنمـوا الأجر في الانفـاق إن لـه مـواسمـاً تتـقضّى وهـي أوقـات
فبعد ذي العسر يأتي اليسر موعد من بـه بـذي الخلق الـطاف خفيـات
هـلاّ اقتدوا بـك في الانفـاق مبتغيـاً وجـه الآلـه لتلقـاك الكـرامـات
لقـد رغبت عن الـدنيـا وصـرت لهـا مـقـسـمّـاً وكـذا كـان الـنّبـوات
مـا زال بـابـك للوفـاد مـزدحمـاً جمـع يـروح وجمـع بعـدهم يـاتـوا
هـذي المكارم والخلق الـرضى ومـا بـه التّـواصي وراعتـه الامـامـات
فـالحمـد للّه حمـداً لاكـفـاء لـه مـا عـز بـالآل احكـام وطـاعـات

ولمـا أنشد هـذي القصيدة التي حث بهـا على الصدقـة عـرض لـه بعض عمـال المخا وكـان شاد القصـور ووسع النفقـة ، فظن انـه عـرض بهم وقـدح ذلك كل القدح في خواطـرهم وحمل على السـلامة ووجّـه إليْه من بحضـرتهم من الشّعـراء ألسن الملامـة لا سيّمـا السيـد أحمـد القهـدة والفقيـه المـذكـور عمّارمي به بري وكيف وقد مـدحه في أوائلهـا فكيف يهدم مـا بنى ويعود على

ما صدَّره في صدرها من المدح بالانثناء وإنما رماه به من حسده ممن نافسه وكذلك السيد يحيى[1] العباسي عارضه بقصيدة أوّلها :

للحق في صفحات الصدق آيات ... مادونها لرجال السبق آيات
من خاف عند التباس الحق من زلل ... فالصدق من زلل الأفهام منجاة
فيم اقتحام الفتى من ميله لججا ... موجاتها لحياة العسر آفات

وعرضت هذه القصيدة في المقام وطالت وهي من الشعر الذي سلافته ما استحالت فلا نشغل القرطاس بإثباتها .

ولما تم هذا الاجتماع بصنعاء والروضة للإمام ، نهض الإمام من صنعاء إلى ضوران وكان الإمام قدّم مقدمات الجهاد أيام الاجتماع بكوكبان كما تقدم ذكره ، وكان الموجب للجهاد الآتي ذكره زفرات البغيض على صاحب حضرموت المتقدم ذكره في سنة ١٠٥٧ . وما صنع بعمه السُّلطان الذي لبَّى النداء وأجاب الصوت ، فأثار من الآل الكرام الحفائظ ، وصارت كل عين منهم لما يأمرهم به الإمام تلاحظ وألزمهم الجميع التأهبّ لباديه والإسراع على الفور عند مناديه ، فلما كان بعد نفوذه إلى ضوران بنحو ثلاثة أشهر أشار إلى الآل بالتقدُّم عليه ولم يبد المراد لغيرهم، فقوضوا عن الرَّوضة الأطناب ، ومالوا إلى صنعاء عنها بالاجتناب ، ونقلوا جميع ما في الروضة إلى صنعاء ودخل الجميع في أسبوع منها معا حتى أرجف النَّاس بأن ثم خارجة من الروم ، أو هناك أمر عظيم مكتوم ولما استقرت بهم الأحوال بصنعاء مضوا إلى الإمام جميعاً بذلك الدعاء .

وفي سنة ١٠٦٥ نهض مولانا محمد بن الحسن ومولانا أحمد بن الحسن إلى ضوران ، وتبع النَّاس إثرهما من كل مكان ، فأقاما بحضرة

---

(١) هو يحيى بن أحمد العباسي كان من الأدباء من مؤلفاته نفخ الصدور في التاريخ وفاته بعد سنة ١١١٠ « مصادر الفكر الاسلامي ص ٤٤٤ » .

الإمـام أيّامـاً وتلاحق النـاس بهمـا أفـراداً وأزواجـاً ولم يـزل الإمـام ينتقـل من الحُصَين[1] إلى معبـر[2] حتى مضى العيـد وعبـر فـارتحـل مـولانـا محمـد ، ومولانا أحمـد ابنا الحسن إلى ذمـار واستدعيـا الأجناد من صنعـاء وغيرهـا من حاشد وبكيل على البدار ، فاجتمع جنـد عظيم يجـل عن الحصر ومن الخيـل ما يقطع معها على النّصر ، ولم يزل الوفـد في كل يـوم ومن كل نـاحية قـوم[3] في إثر قوم وكـان مولانـا محمد بن الحسن من رأيـه تأخيـر الشرق وانهـا تقدم الكتب إليهم والدّعاء إلى الاجابة لعـل اغصان الـطاعة منهم تمتـد وتورق لمـا يعلم أن التجهيز يستدعي كثرة الاموال والـرجال ، وانـه إذا تمَّ الاستيلاء عليـه افتقر إلى المحافـظين ومع ذلـك فلا بـدّ من اعطاء أهله اكثـر من محصولـه ، وبـذلك أشـار مولانـا أحمد بن القـاسم على أخيه الإمـام عنـد وصـولـه ، فلم يعضـد رأيهما أحـد وصمَّم الإمام على التخـريـج وأوجبـه واستعـد، فلمـا رأىٰ مـولانا محمـد بن الحسن عدم رجـوع الإمام عن مقصـده ، شرط عليـه أن لا يشـارك هو وصنـوه أحمد بن الحسن من أحـد في إقـدام ولا إحجـام ، وأن لا يفد عليهما من بيت الإمـام إلاَّ من عرف بـالقطع التـام[4]، ولا يصل إليهمـا إلاّ عنـد الصـدام والالتحـام وكـان من الشــرط أن عمـال اليمن جميعــاً تسـوق الـطَّعـامـات إلى رداع ، فـأجـاب الإمـام إلى هــذه المـطالب من غيــر تـراخ وتكـاثرت المحـاط بالعـرش[5] حتى بلغ حسيـك[6] الخيـل خمسـة وعشـرين زبدياً[7] صنعانياً في كل يوم وكان نهوض السيـدين من ذمار إلى رداع في يـوم

---

(١) الحصين بالتصغير من قرى ضوران .

(٢) معبر : مدينة بالجنوب من صنعاء بمسافة ٦٨ ك.م .

(٣) في (ر) كوم في أثر كوم بالكاف .

(٤) من مصطلحات المنطقيين وهو بمعنى فصل الجسم بنفوذ جسم آخر فيه . وسنجـد المؤلف هنا يستعمل كثيرا من هذه المصطلحات من باب الجناس الأدبي والتوجيه لا بمدلولها العلمي .

(٥) من قرى رداع وإليها تنسب .

(٦) في (ر) حسك والحسيك هو ما تقضمه الدابة من حب ونحوه .

(٧) الزبدي : من المكاييل هناك عرف منذ العصر الرسولي .

السَّبت ثـاني شهر ربيـع الأوَّل في أجناد مـلأت الوهـاد والبقاع واستقـر مولانـا محمـد بن الحسن هنالـك ، وتقدَّم مـولانـا أحمـد بن الحسن وهـو سـردال[1] القوم في المسالك فصار إلى الـزَّهرا [2] ثم إلى البيضـاء[3] وملأ بـالأجناد من ساحاتهـا الفضاء وأنفـذ مولانـا محمـد بن الحسن ولـده يحيى بن محمـد إلى قعـطبة ردءاً للمجاهـدين ودفعـاً لـرؤوس المعتـدين المفسـدين وضم إليـه من الأعيـان محمد بن نـاصر المحبشي العـامـل على زبيـد والقـاضي صـالـح بن محمد بن أبي الرجـال ، والشيخ أحمـد بن عامـر الجماعي صـاحـب نجد أيب والشيـخ داود بن شمسان وكـذلـك المشـائـخ بنـو الحيقي وغيـرهم من أعيـان اليمن ، فتاغوا لعماد ومن معه بقعطبة من أجـل ابن شعفل وكـانت طويتـه غير صالحة من الزمن الأول ولما استقر العماد بقعطبة ومحـطته نحـو ألفين ، وكان مـولانـا محمـد بن الحسن رتَّب جبن[4] دفعـاً لمـظان الخلل من الجهتين ، وكـانت الرتبـة فيه القـاضي حسن بن أحمد المخـلافي مـع جـوهـر كـاشف ، وانضم إليـه بنو ضبيـان وشيخهم عليٍ بن عامـر في جمع متكـاثر وبنـو ضبيـان هم أهـل الحـد للحلقـة[5] وهي مجتمـع أهـل يـافـع عنـد النـوائب والمشقـة وما زال العماد يحيى بن محمـد ومن معه ردءاً هنـاك حتى حقت الهزيمـة على الرصاص في نجـد السلف[6] وعندهـا رتب بنو ضبيـان على الحلقة واطـرافها وكـان أهـل يـافـع احتـرزوا على أنفسهم يجـانب الـوادي المحيط عليهم والحضارم من جميع اكنافها ورجع بنو ضبيان إلى مركـزهم بجبن[7] بعد نفـوذ

---

(١) سردال وقد يقال سردار بالراء من ألفاظ التراكمة وهي بالفارسية اسفهسلارومعناهارئيس الجيش « شفاء العليل ص ١٥٦ » .

(٢) لعلها المعروفة بالزاهر عزلة من ناحية آل الحميقاتي من لواء البيضاء .

(٣) البيضاء : مدينة كبيرة في الجنوب من صنعاء على بعد ٢٧٢ ك.م على مقربة من مكيراس .

(٤) جبن : مدينة من قضاء رداع بالجنوب منها وهي بضم الجيم وفتح الباء .

(٥) بلدة من يافع العلياء .

(٦) نجد السلف : موضع بالقرب من رداع « غاية الأماني ص ٧٧٦ ».

(٧) سـاقط من (ر).

المحطة من الصلالة إلى الحلقة حيث لم يبق شجن ، وأما الأمير أحمد بن شعفل فغطى أموره بالسكون في حرفه ولم يتظاهر بعضد يافع ، وان كان باطنه معهم ، فاستفاد بذلك الإغضاء عنه بالتجاوز ، ولم يبد منه في الطريق ما يؤمي بالعصيان وتعلّل من عدم الوصول إلى قعطبة باعذار قبلت في الحال منه ، فلم يعرج عليه وكان سبب التخّوف منه ما أسلفه من سوء الظن أيام مولانا الحسن بتلك المواطن ، ولما كانت هزيمة الرصاص ويافع كما سيأتي أرسل ولده إلى مولانا العماد نائباً عنه في المثول فأقدمه مولانا العماد على والده برداع ، فبعث به إلى الإمام كسائر رؤساء المشرق من غير امتناع وأقام الإمام بالحصين ، لم يتزحزح عنه ولم يبرح ، وطلب إليه الرؤساء وأهل البيوتات تكثيراً للسواد ورداءً على جهة المطرح وكتب إلى جميع قبائل اليمن كالأهنوم وظليمة وشظب وثلا وحاشد وبكيل وبلاد حجة ووادعة والشرفين وانحاء اليمن فلم يزل الوافد إلى حضرته واجتمع ببابه عالم لا يحصى ولا يحصيه غير خالقه من كثرته وكادت الأرض تميد بهم من وطء الأقدام وامتلأ الوهد والبقاع بالرجال وكتب الإمام إلى الأمير الناصر صاحب كوكبان يهيء المحطة المعتادة عليهم بقائدها وكفايتها وهي عادة مستمرة من أيام الدولة العثمانية ، فأرسل الأمير زوج ابنته السيد يحيى بن أحمد في خمسمائة رجل وكان التجهيز هذا مع ارتفاع الأسعار ، وغزارة المطر ، فلم تكد الأحوال تفي بالنفقات ، وانفق أهل الحيمة وحراز وأشباههم على نفوسهم من أكياسهم[1] في أغلب الأحيان ولما توفرت الجموع بحضرة الإمام ، كان أوّل عسكر توجه من مقامه بعد التبريز من ذمار مع مولانا الحسين بن الحسن كرجل الجراد وقطع الغمام ، وفي صحبته الفقيه محمد بن علي جميل وأهل كوكبان وخيلهم قليل ، ثم توجه في اثره مولانا محمد بن أحمد بن القاسم بحاشد وبكيل وهم نحو ألف وخمسمائة رجل ، فصار الجميع إلى مولانا محمد بن الحسين إلى رداع ، وكان إليه كما تقدم

(١) جمع كيس وهو الجيب أي انفقوا على أنفسهم من جيوبهم .

التفـويض والنظر في هـذا المخرج الـطويل العـريض وكان أميـر القتال مـولانا أحمـد بن الحسن وإليه التقـديم والتـأخيـر والحـلّ والابـرام فـاستعمـل حسين الرصاص صنوه بنجد السلف بحـطة قدر ألفين وأمـرهم بالغـزو إلى ذي كريش موضع شرقي الزهراء ، وكان مـولانا أحمـد بن الحسن جعل فيـه رتبة ومقـدمة له إلى أن تحصّل الوثبة فمـا شعرت الـرتبة إلاَّ بمحـطة الرّصـاص فثبتوا لهم ، وأطلقـوا إليهم الـرصـاص فقتـل من أصحـاب الـرَّصـاص الكثيـر ، وقتـل من المجـاهدين نحـو أربعة أنفـار وانهزم أصحـاب الـرصـاص ، وكـان أوّل قتيـل منهم حـامل رايتهم المعتقـد فيه أنـه عقـدهـا لهم حبيبهم ، وكـان مـوّه عليهم بـانها لا تـرجع ولا يقتـل حاملهـا كما زعمـوا ، وممـا غـرهم هـذا الحبيب أن الرصاص لا تعمل فيهم ، وحامل رايتهم لا يقتل فكان حامـل الرايـة أول قتيل منهم أصيب بسبع رصاصات وغرهم بالله الغـرور ، وخرجت غـارة من الـزهـرا مـدداً لرتبـة الدولـة المذكـورة، وكان آل الـطَّاهري استمـدّوا رجالاً من مـولانا أحمد بن الحسن تحميهم من الرصـاص ، مع هـذه الحركـة المنصورة فجعـل عندهم السيد صـلاح بن أحمد القـاسمي في رجال ، وهـو الذي أمـد إلى ذي كريش في الحال وكانت هذه النصرة أول فتح وظفرت هذه الغـارة الممدة بمـا حمل قوم الـرَّصاص من طعـام على الجمال وأخـذته وعن المكـان لم تبرح ، وكان المتفق بذي كريش في اليوم الذي وصل فيـه مولانـا الحسين بن الحسن إلى رداع وتعقبـه بـالـوصـول أيضـاً مـولانـا محمـد بن الحسين بعـد مـولانـا محمـد بن أحمد بن القـاسم وذلك يـوم الخميس سابـع شهـر ربيـع الأول من السنة المذكورة ، فكان لقدومهم موقع بعد انهـزام اصحاب الـرصاص من ذي كـريش ، وكـان مـولانـا سيف الاسـلام أحمـد بن الحسن نهض من رداع إلى الزهرا بالجيوش وخيَّم فيها بموضع رحيب كان الباشا سنان أقام بـه أيام ثـل(١) بـالمشرق العـروس واتفق أن الخيرات بهـذه المحلات متـوافرة بخـلاف البلاد والعلوفات(٢) في غاية الكثرة من كمـال الإسعاد ، ولمـا صار مـولانا أحمـد بن

(١) كذا بالأصل .

(٢) جمع علف معروف .

الحسن بالمحاط في الزهرا وتلاحق به جميع الاجناد والأمراء ما زال يكرر الدعاء إلى الطاعة لحسين الرصاص ويطلب منه أن يدين بالاخلاص ، وشرط له الولاية ببلاده وأجراه في جميع أموره على معتاده ولم يلتفت على الشرط المذكور ، وأصرَّ واستكبر وليس بأوّل سار غرّة القمر :

ما كل ما يتمنّى المرء يدركه   تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وكان المطلوب منه مع الطاعة ترك المحاط تنفذ إلى حضرموت إذ هو المراد بالتجهيز لما قبض السلطان بدرعمة عن انتمائه إلى الإمام المتوكل كما سبق ذكر ذلك، ومن جملة من أرسل إليه للمراودة بذلك السّيد شرف الدين بن مطهر الوالي على رداع والشيخ زين بن مصعب والشيخ زاهر الهمداني وكانا حلفاء له ولابنه من أيّام الأتراك، فما زاد إلّا عتواً ونفوراً، وغلب على المرسلين إليه فاستعين بالله عليه فقدم الجيش العرمرم إليه وكان قدوم أحمد بن الحسن عليه في يوم الإثنين ثاني شهر ربيع الآخر من الزهرا إلى قاع[1] الزجاج ، وسكن الجيش فيه يوماً ثم كان المحط بقاع الرماة لأنه يوجد فيه الماء ، وكانت الطريق التي ينفذ فيها إلى نجد السلف لا يوجد الماء بها البتة من أمام وخلف فعدلت المحاط من بطن الوادي ظهر الطريق إلى وادي الرماة ، وكان المخيم به والمضايقة للرّصاص وجمعه وهو بالنجد قد سوّره وحماه ، وكان قبل ذلك قطع بالنجد الطرق وسدَّ مواضع الخلل وعمر مواضع يخشى عليه الدّخول منها ان تم العمل ، فقصده الخميس المنصور بيومه خامس شهر ربيع الآخر ورتب مولانا سيف الاسلام أحمد بن الحسن الأجناد أحسن ترتيب ، فجعل مولانا محمد بن الحسين جناحاً أيمناً ومولانا محمد بن أحمد الجناح الأيسر المحكم البناء ، وصار هو بنفسه ومن عنده من الجند والخيل في القلب وهو مجتمع آل علي والسلطان وهم خيرة القوم التي لا تجوز الغلب فلما عاينت المحاط المنصورة العدوّ لم يملكوا

---

(١) يحقق هذا الموضع . وفي (د) تقري الزّماج.

أنفسهم من الانحطاط عليهم وقد اجتهدوا وانهزم السلطان حسين الرصاص وأصحابه عن مركزهم لشدّة الهول ، وحفَّ به قومه يدفعون عنه بالفعل والقول ، فكثر القتل من الجانبين وأصيب الرصاص برصاصتين ، وأثخن بثالثة والخدور منصوبة وكانت نحو الف خدر[1] بشراقي النجد في الاصطفاف اعجوبة وتبعه مولانا الصفى أحمد ، والجيش لا ينفك عنه بحال والسيف يعمل في اصحابه ذات اليمين وذات الشمال ، فاسلمه قومه للعطب وقتل منهم الجمُّ الغفير ، وضاق بهم المذهب ، واحتز رأس الرصَّاص بعض القوم بتلك الصروم ، وجاء به إلى مولانا أحمد وهو غير معروف ولا معلوم فعرف به أسيراً من أصحابه وتيقن الناس أنه هو لما رأوا من تلهفّه عليه وانتحابه، ولما تحقّق أنه رأسه احتفظ به ,وأوصىٰ ومضىٰ به، والذي جاء به رجل من سفيان اسمه داؤد معروف منعوت ، فقال من حضر في ذلك الحال : قتل داؤد جالوت واكثر مولانا الصفي من الحمد لله والثناء عليه وكرره في المواقف ، لما ساق من النصر والفتح على يديه ، وعندها أمر القوم بالاجتماع والرجوع من قاع الصلالة ، وأخذ عليهم عدم اتباع من فر لا تساع المجال مع الجمالة ، وأقبل الناس إليه بالرؤوس والاسرى من اصحاب الرصاص إلى المخيم المنصور بقاع الرّماة وحمل المجاهدون المصابون والشهداء فدفنوا بذلك المرماة، وكان جملة الشهداء نحو الخمسين رجلاً من خيار العسكر منهم أبو راوية ، من ظليمة وغيره من اخلاط القبائل التي لا تنكر وأصيب الفقيه محمد بن علي جميل مع الحملة ، وهو يحرض الناس فكتم ما به خوف الفشل من أصحابه ، وهذا الكتم من كماله الذي يذكر ، فانه لو أظهر ذلك اشتغل به جيشه وفشل غيرهم من العسكر وقتل من أصحاب ابن خليل صاحب همدان جماعة وأصيب منهم نحو العشرين من الرجال النفاعة وبات مولانا الصفي تلك الليلة بخيمة المنصور بقاع الرماة وغنم المجاهدون ما وجدوه من الاثاث الواسع والاماء التي صرعت

---

(١) الخدر : خشبات تنصب فوق قتب البعير وغيره مستورة بثوب .

دونها الحماة واختلطت منهن الحرائر بالإماء وأمر مولانـا الصفي بالصـائح أن من غنم امـرأة أمة كـانت أو حرّة فـلا تبيت إلاّ في خبايـة صيـانـة لهن ثم وكـل بهن الحفظة ولما كان غد ذلـك اليوم . فصـل الحرائـر وقومت الاماء فأعطى كـل غانم القيمـة ولم تـوطأ امـرأة لشـدة العـزيمـة والحـرايـر أمر بردهن إلى أهليهن، ثم ان أحمـد بن الحسن ارتحـل من قـاع الـرمـاة في يـوم الجمعـة وكـانت الصلاة في الصـلالة وهي بلد شـرقي السلف لها ذكـر هنـاك وسمعه ، وكان تقدم إليها السيد شـرف الدين في بني الحـارث[1] وبني حشيش[2] وبني الخياط[3] ويـاتـوا فيها راتبين آخـذين بالحـزم والاحتياط وظهـر بايـدي العسكر من الغنـائم شيء كثيـر لا سيما أهـل قايفـة فحملوا من الانعـام والـطعـامـات جملة واسعة لقربهم من بلادهم وبلغ سعر القـدح الطعـام الصَّنعاني إلى كبيـر واحد وحمل ألفاف النَّاس مالا تطيقه الأقلام :

مصـائب قـوم عنـد قـوم فـوائـد

واما سراة الناس فإنما كان مغنمهم القتال وانتزاع ارواح الكماة والأبطال[4] :

ان الأسـود أسـود الغـاب همتهـا　　　يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

وكـان أحمد بن حسن قـدم إلى الخيالـة أن المترجـل عن ظهـر حصـانـه لقطع رأس لومه على نفسه وليس لـه جمالـه وكل حـامل بنـدق ويقطع الـرأس فكذلك ، ومن اشتغـل بالـطمع أوقـع نفسه في المهـالك وذلـك حَزْمـاً منه أن يشتغلوا عن القتـال ويؤدي إلى طمع العـدو فيهم فعمل النـاس بهذا الأمـر في المبـادىء ولمـا هبَّ ريـح النصـر انحـطوا على الاطمـاع وقـطع الـرؤوس ، واضـربـوا عن ذلـك المنـادي ورأوا أن ذلـك الأولى واجب الفـرد منهم الفـوز

---

(١) بنو الحارث : قبيلة من ولد الحارث بن كعب من مذحج تقـع ديارها شمالي صنعـاء بمسافـة ٥ ك.م .

(٢) قبائل تلحق بخولان الطيال وهي الآن ناحية تابعة للواء صنعاء .

(٣) من أهل الطويلة بالغرب الشمالي من صنعاء .

(٤) من أبيات لأبي تمام.

بالجمالة ، وأما القوم الذين كانوا مع الشيخ حسين الرصاص وثبتوا معه بنجد السلف فهم كثيراً واضراس منهم آل علي وهم عترته الذين ثبتوا في اللقاء وتردَّوا مع الانكسار للمحاماة والاتقاء ، ومنهم بنو ارض بطون كثيرة ومنهم بنو غيلان نحو أربعمائة رجل ومنهم أصحاب ناصر الدّرع ومنهم أصحاب غراب نحو ستمائة مقاتل ومنهم المساغبة ومنهم أهل مظفر والظفير وأهل حصين ومنهم آل هشام ، وآل سعادة وعليهم عهدة الطريق إلى البيضاء لا غير ومنهم أهل هصيص شيخهم ناصر معوضة آل عمر ومنهم الملاحم الذين تقدَّموا إلى بيت كريش في الزهرا كما مرَّ ومنهم العوالقة خيل ورجل ومنهم الهيائمة أصحاب الهيثمي المجاور لدثينة(١) من بعد ومن قبل ، وغالب هؤلاء لما أحسّوا بالحرب يوم الخميس ونظروا من المجاهدين صدق الطعن والضرب نكصوا على الاعقاب واسلموا قومهم للعذاب ، وفروا فرار الآبق وما دعوا للرصَّاص عهده السَّابق وكان من لم يحضر الحرب من أصحاب الرصاص إذا سألهم أحد عن رجوعه ، قالوا اصطلح السلطان والإمام ومالهم أرب في غير السلامة مع شدة السعي اليها والاهتمام :

يقولون السلامة خير غنم   وان الذل في ذل المقام

ووقع القتل الذريع في آل علي كونهم أخص قبائل الرصاص وقتل منهم نحو مائتي قتيل، من المعروفين علي بن مزاحم الجرهمي ، وأبو بكر بن ناصر وغيرهم من مواليهم ممن عرف بالبسالة ، ولم يعروه طيش ولقد ثبت الرصاص الثبات الهائل ، ولم يسمع لهم صوت مفزع عند التصاول ولا رجع مجرب منهم عند القتال بغير طائل :

وما قصدت تعظيمي عداك سوى   تعظيم شانك فاعذرني ولا تلم
ولم يكونوا عدوّاً ذل جانبه   وانما غرقوا في سيلك العرم

---

(١) دثينة بلدة تبعد عن عدن بحوالي ١٣٠ ميلا يحدها من الشمال بلاد العوذلي والعوالق العلياء ومن الجنوب والغرب بلاد الفضلى ومن الشرق العوالق السفلى .

ولما انجلت المعركة وعمت الاسلام بالفتح المبين بركة أقام مولانا أحمد بن الحسن بالصلالة خمسة أيام وعدَّ للاجناد بها معلومهم العام وجملة العدد لمن حواه المعسكر المنصور أربعون ألفاً يزيد قليلاً أو تنقص عن التقدير المذكور ، وارتحل وصلى الجمعة الثانية بالبيضاء فتراكم المحاط بها وامتلأ الفضاء ولقد شرقت لهوات فتحها بالغنائم وصار النَّاس بها ما بين قاعد وقائم ، وانفذ مولانا صفي الدّين رأس حسين الرصاص إلى صنوه محمد برداع فشهده الناس وأقر بقتله من انكره وزال النزاع فإن المرضى قلوبهم لم يصدقوا بقتله وظنوا أن التمكين منه ممتنع من أصله لعظم المذكور في صدورهم ، ثم بعث به محمد بن الحسن إلى حضرة الإمام ، ووصل به إلى ضوران يوم الاثنين ثامن شهور ربيع الآخر وفي أنفه الخزام[1] فكان لوصول الرأس موقع عظيم وخطب على أهل الشّنآن عظيم وحمد الإمام ، والناس هذه الفضيلة والنصرة الجليلة العريضة الطويلة ، وكان الإمام قبل ذلك أمر بدراسة القرآن في كل محل بالنَّصر المعجل ، فنصر الله عبده وصدق وعده وهزم الأحزاب وحده ، وعلق الرأس ، بضوران وترك مصلوباً يشهده المطيع والخوان ، وبعد أيام استؤذن الإمام في دفنه فدفن ، وكان حسين الرصاص فيه صباحة وجه وشعره المنشر[2] ولا عرف مثله وإنه كان في التنعم العجيب خالٍ عن التكاليف الدينية والدنيوية للجهل الذي ليس له فيه ضريب يظن أن لا تكليف عليه ولا خطاب واجب يتوجه إليه ، إنما غاية اشتغاله بالملاهي ولا آمر عليه ولا ناهي ، ولقد حاول الإمام ومولانا الصفي أحمد دخوله في سلك الطاعة ونزع يده من البطالة والرقاعة بكل وجه يمكن فلم يرد لنفسه الخير ولم يحسن فاركبة البغي في الارتكاس وآل الأمر بعصابته إلى التشريد وقطع الرأس ولما أقام مولانا الصفي أحمد بالبيضاء وبذل لمن وصل إليه الأمان في نفسه وماله ومن أبى كان السيف من ورائه فأتوا إليه أفواجاً

---

(١) هي الخزامة توضع على أنف البعير (معروف).

(٢) كذا في الأصل .

وانثالوا أفراداً وأزواجاً ، فمن مشايخهم العظام أهل الرتب المكينة منصر بْن صالح العولقي صاحب دثينة وصل في قومه وابهته ، وقدم من الخيل ما أبان عن نعمته ، فاكرم مولانا الصفي نزله وأفاض عليه الإحسان واخذ عليه العهد بصدق الموالاة والمظاهرة ، وبلدة دثينة هذه من أخصب البلاد وفيها الثمرة وأنواع الفواكه التي لا يوتى حقَّها يوم حصادها ، ويقال ان الشاة تلد فيها التوأم مثنى وثلاث ورباع وقلّ أن تلد الواحدة وهذا مستفيض بالاجماع ، ثم أن مولانا صفي الدين أذن للعولقي بالعود إلى وطنه ووصل إلى مولانا أحمد السلطان سالم بن حيدر الفضلي ، وكان يدَّعي الموالاة من سنة ١٠٥٥ وعطاياه تجري عليه من ذلك الحين ولم يبد منه محق في الظَّاهر ولا نقص عليه حق في الأول والآخر ، وكذلك السلطان صالح بن عبد الواحد الواحدي وصل إلى المخيَّم بالمنصور الأحمدي ، فقوبل بالقبول وبلغ من الإحسان زيادةعلى المأمول ومثله الشيخ عبد الرَّحمن بن عبد الله العمودي وبلاده محاذية حضرموت[1] وله يسلف شيئاً من التعدي وأنفذ مولانا الصفي أولاد هؤلاء المذكورين إلى حضرة صنوه عز الإسلام ثم أنفذهم العزى إلى حضرة الإمام فنابوا عن آبائهم في الاهتمام واكرموا بالمقام الشَّريف غاية الإكرام وقرر الجميع على ولايتهم ، وأخذ عليهم ما يؤخذ على العمال من الرفق في بدايتهم ونهايتهم ، وانقلبوا إلى أوطانهم شاكرين وفازوا بالانخراط بحظ الدنيا والدين ، وأمَّا السُّلطان صالح بن أحمد الرصاص فشرد بأهله من بين يدي الفتنة ، فوضع له مولانا الصفي الأمان واستدعاه إليه فحذر من شدة الخوف كل الحذر ، ولم يركن عليه فكثر عليه قومه في الانعمال[2] خوفاً على أنفسهم وعرفوا أنه إذا استمرَّ به العصيْان يكون السبب في ركسهم ، فعند ذلك طلب المواثيق الاكيدة على يد مولانا الحسين بن

---

(١) قلت : هي من حضرموت .

(٢) كذا في الأصل .

الحسن وسقط في يده ممّلكا لـه رقة بـلا ثمن فتألـك[1] له عنـد مولانـا الصفي فـأسعف له بـامانـه ورعايتـه ، وهو الجـدير أن يفي ولمـا استوثق لنفسـه ونـدم على مـا كان منـه بأمسـه جـاء إلى مقـام مـولانـا الحسين فبلغـه إلى الصفي ، وصفق ببيعته على اليدين فجادله مـولانا الصفي بـالأمان ، وخـوله الاحسـان ، وأذاقـه حلاوة العفـو وأبان لـه بعد الكـدر عن الصفو ولمـا أحب الـرجـوع إلى بلاده اعطاه العطاء الجزيل واجراه على معتاده وأوقر لـه الجمال من العـطايا ، وجعله هو وقومه علماً بين البرايا ، ولـم يشـرط عليه غيـر الطاعـة ، والاستمرار على العمـل الموافق للشـرع حسب الاسـتطاعـة ، وأقـام في جبـل يقـاف من أعمال البيضاء ، ثم ان أهـل يافـع خرجـوا من الحلقة إلى جبـالهم وما بـرحوا بها متحزبين ومجتمعين ، على أن الجبل يعصمهم من المجاهـدين ، وشرعـوا في عمارة المتارس واثخـان المراتب والمحـارس ، والسيد شـرف الدين وبنـو الحـارث ، وعسكرهم وعسكـر همدان مـع علي خليل مقيمـون بالحلقـة على جهـة الرتبـة لا يؤذن لهم بالقتـال لكونهم القليـل ، ولم تزل يـافع إلى تكـاثـر حتى مليء بهم جبل حياة وجبـل العر واجتمعـوا إلى نحو ثـلاثين الفاً فيمـا قيل وبلدانهم بـالقرب منهم تجلب إليهم من كـل جيل ، ولمـا رأوا الاجتماع وإن الـرتبة بـالحلقة مـع القل لا تقـدر على الايقاع همّـوا بغزوهم لقـربهم إليهم ، وبعـدهم عن البيضاء ، فـلا يجوزوا الغـارة عليهم فلمـا نمـا مـا همّـوا بـه إلى مسـامع مـولانا أحمـد بن الحسن وجه مـولانا محمـد بن الحسين إلى الحلقـة حـال بلغ الخبـر عن اهتمـام ، وأمـره ومن في الحلقـة أن لا يحـربـوا ولـو قصـدهم أهل يـافع ، ويسكنـوا حتى يأتيهم رأيـه المعمول بـه النافـع فاستمـر بقـاؤهم من يوم الخـروج من البيضاء وهـو يـوم الخميس ثـامن شهـر جمـادي الآخـرة إلى يوم الاثنين تـاسع عشـر الشّهـر المـذكـور ، وبلغ مـولانـا الصَّفي أحمد أن حبيبهـم سالم بن أحمد قصد الخـروج من عينات[2] وطنـه إلى يافـع

---

(١) تألك : ترسل أي بعث رسالة يشفع فيها لنفسه .

(٢) في الأصول من غيبات بالغين المعجمة والباء والاصلاح من عندنا وعينـات بلدة من حضرمـوت=

لحفظ نفسه ومدداً لهم والتحريض لهم على قتال الدولة بما لهم فيه من المعتقد ، وخَشي مولانا الصّفي أنه إذا وصل إليهم شَدّ من أزرهم ومد بحر غية لحربهم فقدم مولانا محمد بن أحمد بن الامام ، في قبائل كثيرة ملأت السَّهل والأوطام[1] وأمر الجميع بالتزود لثلاث وقطع الطريق على الحبيب المذكور قبل الأحداث فمضى مولانا محمد إلى دثينة وأقام أياماً على حالة مكينة ، وقدم أعيان المحطة المركون عليهم والمنظور عند المهمات إليهم وأمرهم بقصد الحبيب إلى أحور[2] ساحل حضرموت ، وكان انتظم معه خمسمائة ممّن يرى دونه الموت، فنفذ الجند الامامي حتى بلغوا جانب الطريق ولم يظهر له نبأ ولا جاء عنه تحقيق ، وكان الجيش جاوزوا مضان الطريق التي يجوز السلوك ويعهد ، وفتشوا وقعدوا له كل مرصد فكأنما غمس في الماء أو ساخ بين الأرض والسماء واشتد بالجند الظمأ والحر ، ولم يكن معهم من الميرة ما يرتفق به العسكر ، واستطلعوا رأي مولانا محمد بن أحمد وهو بدثينة في البقاء أو الرجوع فاشار بالانقلاب إليه ، والجميع قريب والمقصود قد حصل والانتظار لا فائدة فيه لمن لم يصل ، وشدَّد مولانا محمد علي أهل الطّرقات وضمنهم إذا مضى من أي جانب ورتب مظان مروره وضَيَّق المذاهب ، وفي خلال هذا انفتح الحرب بين الذين بالحلقة وأهل يافع وكان ابتداؤه من يوم عشرين في جمادي الآخرة وانتشار الوقائع فإن الجند الإمامي يمشون على معتاد ذلك في جوانب الحلقة ، فهاجت نزار[3] وامتدت سحبها الغدقة ولما تواصل الحرب بين الفئتين ، ولم يجد المجاهدون منه بدّاً في الحالتين وكانوا أمروا بالسكون في انتظار ما يكون فلما تراءت الفئتان والتقى الجمعان خشي الجند الإمامي

= على قرب من مدينة تريم .

(١) في (ر) الأوطان وما أثبتناه في (د) والصواب في ذلك « الآطام » جمع اطم وهو كل بناء مرتفع .

(٢) واد شرقي ابين .

(٣) أظنه من ألقاب الحرب. وفي القاموس: يُقال نفحت الحرب عن نزر أي عن كراهة.

أنهم إذا تأخروا وتأنوا طمع العدو فيهم بالانهزام ، وقد يؤدي إلى الأخذ والالتزام ، فحرّروا النيات على الثبات ولزموا موضعاً كأنهم له من النبات وهاجت بينهم زيم(١) وثار العجاج كالدِّيم فأيد الله الجند الإمامي بنصره وتسنموا جبل العر على وعره فقوّضت متارس يافع ، ولحقهم عارها إلى الولد السابع ، وما زال السَّيف فيهم يعمل ويقتل منهم الآخر والأول وهم في الإجفال كالنَّعام وجند الإمام في أثرهم كقطع الغمام ، والسلك في الانتظام ، فقتل الشيخ عبد الله بن علي هرهرة وهوريش المحل ، وجامع كلمتهم على الغي والخطل ، وكان عامل في قتل رسول مولانا الصفي الذي أرسله إلى مشائخ يافع والرسول آمن في جميع الملل والشّرائع ، وأخبر أهل البلاد أن قبر هذا الرسول صار يسرج في الليل أبداً والحق ما شهدت به الأعداء ، وهذا أيسر ما يكون من كرامات الشُّهداء وأهل الجهاد مع أهل البيت بالانتهاء والابتداء، وما زال الجند الإمامي في آثار يافع حتى طلعوا رأس العر ، وَرَدَفهم مولانا محمد بن الحسين من ورائهم واتصلت بهم الهزيمة إلى خارج قرى مرفد(٢) ، وصاح بهم غراب الشوم الأبقع الأنكد ، وبعث مولانا محمد بن الحسين رسولاً إلى مولانا أحمد وهو بالبيضاء يستحثه بالوصول ويعلمه أن الحرب ثائر بالعرا موصول ، وانتهض مولانا الصفي من البيضاء بكرة ذلك اليوم ، يوم الثلاثاء حادي وعشرين ، ووافاهم بالعر عصر ذلك اليوم وكان أهل يافع اجتمعوا في قرى مرفد واطرافهم كانوا في لقاء ولد حبيبهم علي بن سالم وكادوا يقهرون ويستظهرون على الجند الإمامي آخر يوم الثلاثاء بالاجتماع في المعالم ، فما راعهم إلاّ أشراف الاعلام الصفيّة والاجناد الامامية الزيدية ، وقد تسنم الصفي الخيل والرجل رأس جبل العر ، وهو اعني الجبل مشرف على مرفد وإلى جميع تلك البلاد ينظر ،

---

(١) زيم اسم الغارة والحرب .

(٢) من البلاد هناك بكسر الميم وسكون الراء وينسب إليها آل المرفدي انظر تاريخ القبائل لحمزة على لقمان ص ٢١ .

فعنـد ذلك علـم يـافـع أن لا طـاقـة لهم بـالقتـال ، ولم يكن لهم غيـر النجـا بـالنفـوس والعيـال واستخلف أصحـاب الصفي منهم تلك العشيـة سبعـة رؤوس ، وأمسى مـولانا أحمـد ومولانـا محمد بن الحسين بن الحسن ومـولانا الحسين بن الحسن في مـرفد على حـال مـأنـوس ، وأمـا مـولانـا محمـد بن أحمـد ، فعند انفصـال مولانـا الصَّفي من البيضـاء أشعـره مـولانـا محمـد بن الحسين بـرسول إلى دثينـه وأشـار إليـه بـالـوصـول إليهم حيث لم يبق فـائـدة للوقوف ، فقدم إليهم مولانا محمد بن أحمد راجعـاً بمن معه في يـوم الجمعة ثالث وعشرين من شهر جمادي الآخـرة ، ومع وصـولهم واجتماع الأجنـاد عزم مولانا الصّفي على جبل يافـع قَسْراً فسقط أهله في يـده الكريمـة وخاطبـوا في أمـان أنفسهم وأولادهم لمـا رأوا من تكـاثف الجيـوش ، وصـدق العـزيمـة ، فعطف مولانا عواطف الكرام إلى الاجابة وقبل منهم الـطاعة والإنـابة ، وأخـذ عليهم أكيد الإيمان وأمـر أن يصاح لهم بـالأمان ، ومـا زال وفد شيـوخهم إليه كالطي[1] والمفلحـي وأهـل كلد وما يقـربها من النـواحي ، وكذلـك أهل ذي ناخب وأهل الموسطة وبنو القرمـطي ، وليسوا من القـرامطة في شيء وكـذلك مشايخ وادي[2] خطيب الحضارم ومن يشبههم في الثلوّن قبـل هذا والمكـر ، ومن الـوافدين إليـه آل داؤد ومشائـخ الحلقة ورعى لهم مـولانا الصفي حـرمـة التـاميل[3] لسكـونهم بينهم أيام الامـام المؤيّد في القضـايـا المتفقـة[4] وفعـل معهم فعل الكرام وادرك فضيلتي الـوقائـع في غايـة حرمـة الاسلام ، والشيـخ عبـد الله بن علي بن هرهـرة طلب أشد الـوثائق ، واكلفتـه شـدة الخـوف فبلغ التـأكيد امـراً غير لائق ، ووصـل بعد ذلـك إلى مقـام مـولانـا الصّفي فـألبسـه الأمـان مـع الـرّضـا وحق لمثله أن يفي وبعـد أن كسـاه وكَسَىٰ أصحـابـه

---

(١) كذا في الأصل وصوابه الظبي بالظاء والضاد والباء والياء وهم من قبائل المعروفة .

(٢) في (ر) بني .

(٣) كذا ولعله التاهيل .

(٤) وذلك أثناء فرار الصفى إليهم بعد خلافه مع عمه المؤيد كما هو مذكور في التاريخ .

وعَهَّـدهم[1] واستكمـل وصـول مشـايخهم أقـربهم وأبعـدهم ، أعـادهم إلى بـلادهم في أكمل رعـايـة وأتم عنـايـة وبلغ بهم من الاحسـان إلى الغـاية ، وهكـذا فعل من الـوفاء في البيضـاء فإنـه في سنة إحـدى وخمسين وألف لمـا فارق أبين مغاضباً لصاحبها وصار إلى يافع وقـد شرَحْنـا ذلك فيمـا تقدَّم ذكـره في هـذا الكشكول من الـوقـائـع فـرجـح مـولانـا الصفي إرسـال جمـاعـة من أصحـابه وبعض الخيـل إلى البيضاء للعـلافة بهـا والتخفيف فقـابلهم شيخهـا سالم بن عبد الله بالقبول التام ، وأدرَّ عليهم شآبيب الـرحمة والإحسـان ، وهو مـع ذلك غيـر مجوز للجـزاء محتمل من سلطانهـا الرَّصـاص بسبب قبولهم مـا ذكرنا لشدة بغض أهل البيت الذين جبلوا عليه ، وكراهة دولـة الزَّيـدية ، فـإن الرصاص بسبب ذلك رفع يد الشيخ المذكور عن التصـرّفات وأخـذ ما بيـده ، وتلوَّنَ له بجميع الصّفات ، فلما تمت هـذه الكرَّة عليهم وملك مـولانا الصفي مـا بأيـديهم وسنوا على أمـوالهم الطَّارف والتَّـالـد وصـارت خيلهم في أعنـاق قـلاعهم كالقـلائد ، ولم يكن لـه هم إلاّ مكافـأة الشيخ المـذكور ، وغمـرانـه بـالاحسان ، ورفـع له بين ذويـه الشنـار ، ورضـخ لـه بمـا أغنـاه من الـدرهم والـدينار ، وقرريده ، على المشيخـة السَّابقـة واثبت له المقـرَّرات النـافعـة ، وخلع عليـه الخلع الفائقـة وعدة من أهـل الاختصاص والمـرافقـة وكـان اكثـر غضبـه على بني الرَّصـاص من اجله ، وما احسن الإحسـان إلى أهله من أهله ولما رجع مولانا الصفي إلى البيضـاء ، بعد فتـح يافـع امتدحـه بعض شعرائـه بهذه القصيدة الآتية ، وكان إنشادها في المحفل الجامع وهي :

الملك بـالنصـر والتـوفيق منتـظم	والـدهر أضحى بثغـر العـدل مبتسم
وطـالـع السعـد مـا زالت مـطالعـه	في الأفق مشـرقـة وانجـابت الـظلم
والـحق يـعلو ولا يـعلى وعـصبتـه	منصـورة ومـزيـد البغي منـهـزم
أمـا تـرى كيف كـان الأمـر عـاقبـة	للمتقين وعقـبى الأشـقيـاء الـنَّـدم

---

(١) أي أخذ عليهم العهد بالطاعة .

وكيف حاق بأهل البغي مكرهم — وشردوا بالنّواحي بعدما انهزموا
وكيف كان بنجد السلف منْظرهم — صرعى تزورهم العقبان والرخم
حتى صفت بصفي الدين أرضهم — بأحمد خير محمود به الأمم
وأصبحت قلعة البيضاء طلعته — بيضاء لا يعتريها البؤس والنقم
ما كان ضربني الرصاص طاعتهم — لابن الإمام فهم لو سالموا سلموا
لكن مكرهم أودى بهم فلقد — عموا وصموا فلم تثبت لهم قدم
فالحرب مهلكة والسلم مسلمة — فهم بصاعقة الرأي الخبيث رموا
فلو رأوا منهج الحق المبين ولم — يعصوا لفازوا ولكن اللئام عموا
فعوقبوا بلباس الذّل واحترقوا — بعارض من سعير الحرب يضطرم
ساقتهم المثلات السالفات إلى — مصارع ساء مشواها فما رحموا
وبدّدتهم يد الهيجاء عن كثب — لا يستقربهم سهل ولا أكم
بالعاديات التي فرسَانها أسد — لها العوالي وأطراف القنا اجم
يا أحمد المنتقى وابن الوصي حسن — أنت الملاذ المعاذ السيد العلم
أنت الذي وجهك الميمون طلعته — لك العلا والنّدى والسيف والقلم
لم يبق في رتب الأعلام مرتبة — إلّا وأنت لها راق ومستنم
لك التقى ولبس الحلم منقبة — والخلق والخلق المحمود والكرم
وكم لمجدك من طول ومن همم — قَعْسا وربك لا تحصى له نعم
فليهنك النصر والفتح المبين فقد — نلنا المراد وقد برت لك القسم
فاسلم بقيت لبلدان ستفتحها — في الشرق عن همة تسمو بها الهمم
ثم الصلاة على خير البرية من — يرجو شفاعته في المحشر الأمم
محمد المصطفى الهادي الذي شهدت — بفضله العرب العرباء والعجم
ما فاح نشر خزامي واستنار سناً — برق برعد وسحب غيثها الديم

ولما منّ مولانا الصفي على شيوخ يافع بالأمان وارجعهم إلى بلادهم بعد أن أخذ عليهم تأكيد العهد والايمان أن لا ينقض ما فعل وأمرهم بزيارة الإمام إلى محروس ضوران ، وأوجب عليهم في التعريج بصنوه العزي

زرافات ووحدانا فتوجه كل واحد منهم مصحوباً برجل من العسكر من أجل التّأمين في الطرقات فظفروا من مولانا العزّي محمد بن الحسن بالقبول ، وبلغوا من احسانه بالمأمول وانفذهم إلى الإمام فتلقّاهم بالجميل وبذل فيهم من الإحسان الجزيل على التّعجيل ، وعرفهم بما يجب عليهم من الإئتمام ، وأخذ عليهم الحكم بشرائع الإسلام واعطاء الواجبات ونفوذ الأحكام ، وعهدهم في المجلس العام ، وضاعف لهم الإحسان فالانعام وأرجعهم إلى بلادهم وقد أدركوا فضيلتين وفازوا بنعمتين ووعظهم وحذّرهم ، وأعذرهم وأنذرهم وجعل العامل عليهم السيد شرف الدين بن مطهر بن عبد الرحمن ، وقرّرت فيهم قواعد العدل وانتشر بأرضهم الإيمان وانتظموا في سلك الدولة الاماميّة وحذف الدعاء في الخطبة للدولة العثمانية من بلادهم ، وكان آل المنصور أقاموا بمرفد تسعة عشر يوماً فضاق المحل بالخيل العتاق فتحتّم الانتقال إلى الحقن ، موضع ببلاد الحدى إذ هو أخصب محل بتلك الجهة وأسلم عن الكدر وكان الإرتحال من مرفد في تاسع شهر رجب واللبث في الحصن المذكور إلى تاسع عشر من الشهر المذكور ، وقوضت عنه الاطناب إلى البيضاء ثم إلى الصلالة وصلى بها الجمعة على أكمل وصف وأتم حالة ، ثم ارتحل بيوم السبت ثاني وعشرين منها إلى الزهرا ، وأقام بها يوماً واحداً وقد قدح الزّناد وأورى ، وكان أكثر الجند والأمراض تقدّموا منها بناء على تمام الأمور وصلاح الجمهور وإسداد الثغور ، وكان حصل معهم بعض الملل وتكاثرت فيهم الأمراض والعلل ، لوخم البلاد واستمرار الجلاد ، وكان مولانا أحمد هو الذي أذن للأمراض(١) في التّقدم أمام المحطة ، فكان سبباً لغيرهم في عدم الترتّب(٢) والارتباط ، فما شعر إلاّ بكتاب الإمام وهو بالزهرا يحثه على التأنّي حتى تستقر الأمور تخوفاً من مثل ما جرى وعلّل الإمام بأن صاحب الشحر بدر بن عبد الله

---

(١) الأمراض من العامي أي المرضى .

(٢) من الترتب وهو المرابطة للجهاد .

الكثيـري ، لم يدر مـا هو عليـه من طاعـة أو عصيان ، وأن الـرسول لـديه لم يبد منه باد لبعد المكان وأنّه في الأصل هو المقصـود بالتجهيـز والتّبريـز ، وأن التّاني هو الأولى حتى يـأتي نبأ الأميـر صالـح بن حسن الشويـع بأحـد الأمرين فلزم من هذا بقاء مولانا الصّفي بـالـزّهـرا ، بعد انفصـال اكثر الأجنـاد وراجع الامام أن لا فائدة في البقاء بعـد تقضّي أمور الجهـاد وصلاح البـلاد والعباد ، وتـراخى عن العزم حتى يتجـدّد رأي يحمد منـه العواقب ، وكـان النـاس ملّوا البقـاء لمـا لحقهم من النـوائب فيهـا والمـرض الـذي عَمَّ وخصَّ ، وارتفـاع السعـر وهو أشـدّ البغض والإجحاف بـرعـايـا اليمن في طلب الـواجبات مـع الشدّة التي معها الصبر والثبات ، ومجيء جواب صاحب الشحـر ببذل الـطّاعة الكلية والدعاء بمنابر بلاده للدّولة المتوكليـة وبذل الخـروج متى أريد وإخـراج عمّه من السجن وتوليته ظفار بأمر الإمام ، والاتفاق بينهمـا بعد البعـد الشّديـد وأرسلت الكتب إلى الإمام بذلك واتفق وصولها مع استرجاع الإمـام بالـوصول إليه ، فلم ير مـولانا الصَّفي الانفصـال من الـزَّهـرا حتى يتحققّ وصول الأميـر صـالح الشـويع إليـه ، فلما بلغـه أنه صـار بحـدود دثينـة ومعه بَعْثُ صـاحب الشحـر يؤدي عنـه البيعـة والهـدايـا الثمينـة ، وكـان تقـدَّم ذلـك بقليـل كتب السلطان عمـرو بن سعيد المهـري بقرب مـوالاته الصحيحـة والـدّخـول تحت الطاعة الإمـامية ببـذل النصيحة وأنـه أقام شعـار الإمامـة ببلاده واجـرى أحكام الشّـريعة كمـا أمر الإمـام باستنـاده ، وأن صـاحب حضـرمـوت إذا لم يـدخـل الطاعة الامـامية ويقـابل أوامـرها بـالامتثال في السّـر والعلانيـة كان أول عـون عليه ، وزحف بالجيش من خلفه إليه فأمر مـولانا الصفي ببنـاء الحلقة وجعـل آل العلفي مستقيماً عليها ويـده في أعمالهـا مطلقـة ، وكان الـرصاص أخـربها وأخلى ديارهـا بالحـرب السَّالف بينـه وبين يافـع وعندهـا قوض مـولانا الصِّفي أحمـد من الـزَّهـرا الأطناب وانفصـل عنها وسـد كـل بـاب ، وبقيـة المحـاط نفذت إلى رداع في يوم الجمعة نصف شهر شَعْبان وفارقهـا يوم الثـلاثاء تـاسع عشـر الشهر المـذكور إلى ذمـار في موكب مـلأ الصدور واستقـر بذمـار ثلاثـة

أيام ، وانفصل عنها إلى حضرة الإمام ولبث الجميع بالحضرة إلى أول يوم من رمضان ، فارتحل إلى صنعاء مشكوراً بكل لسان ، ولم يعط الإمام الاجناد سوى عدد شهر لمجيئهم قبل مولانا أحمد بغير استئذان وكان الإمام يحبّ بقاء مولانا الصفي ومن معه بالمشرق إلى أن تتمهد القواعد ، فلما جاء هذا المجيء الذي ما كان للإمام فيه إرادة ، كان في نفسه شيء لم يبده لهم ، حتى كان التجهيز الآخر فذكره لهم على سبيل الإفادة وأما مولانا محمد بن الحسن فوصل من رداع إلى ذمار وصام بها حتى حل الافطار ولما دخل شوال تقدم إلى ضوران لتجديد الزيارة والمعاهدة ثم أمر الجيش بلقائه إلى المقيل وانفصل من ضوران إلى صنعاء على الوجه الجميل .

وفيها أمر مولانا محمد بن الحسين باحتفار بركة وعمارة سمسرة[1] بجنب المسجد الذي فعله على الإمام الديلمي[2] بالقاع المنسوب إليه بردمان من أعمال ذمار وأمر أيضاً بعمارة ما بجنبه من القرى والمساكن حفظاً للطريق فتّم المقصد على أكمل الأحوال وأمن للحل الذي لا تمر به الريح إلاّ على أخطار وأهوال ، وأمر أيضاً بعمارة الزيادة التي في جامع ذمار ، واصلاح منارته المعوجة به وكان النّاس من وقوعها عليهم في أخطار ، وبعد تقرير أمور المشرق وخروج الأجناد منها جعل السيد شرف الدين بن مطهر بن عبد الرحمن بن مطهر بن الإمام شرف الدين عاملاً بيافع ، وخلف عنده نحو مائة رجل من العسكر لا يقوم بذلك القطر الواسع ومع هذا لم يكن للعسكر رغبة في التخلف معهم وقصارى هم كل واحد منهم مَرْجعه .

واستكتب السيِّد شرف الدين المذكور نحو ثلثمائة رجل من ألفاف البلاد يستخلص بهم الواجبات ومع ذلك فما كان وقتها قد آن إلاَّ عوارض من

---

(١) نزل للمسافرين .

(٢) هو الامام الشهيد الناصر لدين الله أبو الفتح الناصر بن الحسين بن محمد الديلمي كان خروجه إلى اليمن سنة ٤٣٠ ثم قتله الصلحي سنة ٤٤٦ ومسهد بنجد الجاح بين رداع وذمار من بلاد عنس « اتحاف المهتدين ٥١ » .

الآداب ، فثقل مكان السّيد المذكور على أهل يافع ، وانضاف إلى ذلك أنه حكم عليهم بتسليم ديات تقادم عهدهَا منهم في عدّة من الوقائع ، فربَّما شدَّد فيها بعض التَّشديد وقذف بهم من حالق الهواء إلى مكان بعيد ، فثار عليه ابن العفيف وتغلَّب وجمع قومه لحربه وألَّب فصالت معه عليه القبائل ما بين مقاتل له وخاذل ، ثم هاج بينه وبينهم القتال وبدت عليه أمور لا تخطر له ببال فانحاز في جبل آل نفاج[1] من أعمالهم وقتل منهم هو وقومه نحو خمسة وعشرين قتيلاً من خيار رجالهم ، واستشهد من انفارة نحو ستة أنفار وأسْلمه القوم الذين استكتب وأبدوا له الشَّنآن والنّفار ، فتوسط بينه وبين آل عفيف الشيخ مقبل بن عامر الغساني ، وجعل ذمّة في خروجه عن بلادهمْ وخير السيد في العزم حيث شاء ، واقترح الخروج على طريق أبين وصحبه محمد بن معوضة إلى خَنْفَر ،[2] ورجع إلى بلاده بمن سايره فبلغ إلى الأمير الحسين بن عبد القادر فاكرم نزله ، وزلجَّه[3] وأعطاه حصاناً وارتحل من عنده ولم يكن لديه من أصحابه إلاَّ نحو ستّين رجلاً وبقيتهم تفرَّقوا في البلاد ، وذهب اكثر خزانة السيد والأثاث وما احتوى عليه مخيّمه بمسجد النور[4] أخذته يافع من غير اكتراث .

وبلغ الخبر بعد أربعة أيام إلى الإمام فأقعده ذلك وأقام وظهر صواب رأيه في تأنّي الأجناد ، والصّفي أحمد في بلاد يافع ، وكان قبل هذا لما بلغه تشعّب أهل يافع وتحدَّث أهل المشرق جميعهم بالوثوب على عمَّال الدولة في المجامع ، أجمع رأيه ورأى مولانا محمد بن الحسن على اختيار رئيس عظيم همام يجمع له ولاية الجهتين ويدفع يافع من بني أرض باليدين ، فوقع النظر الكريم والرأي القويم بتوجيه مولانا الحسين بن

---

(١) من الأودية اشتهر هنالك بالخصب يزرع فيه البن والفاكهة وهو بالنون والفاء والألف والجيم .

(٢) خنفر : هي أكبر قرية في ابين شرقي عدن « معجم البلدان للحجري ٢١٠ » .

(٣) زلجه : بفتح الزاي وتشديد اللام المفتوحة وفتح الجيم بعدها هاء : جهزه للسير .

(٤) مسجد النور : هي عاصمة قبيلة الموسطة من يافع .

الحسن ، ويقيم بـالحلقة حتى تشتـد الوطـأة ، وتمكن وكان مـولانـا الحسين غيـر راغب في ذلك ، فـاستدعـاه الإمام إليـه وأوجب في الأمرين عليـه ، فلم يجد بدّاً من الإجابة، وعرف أن الإمام رمى عين الإصـابة ورجـع من حضرتـه إلى صنعاء يتأهب للمسير ويصلح من أموره على التَّيسيـر ، فثار قبـل انفصالـه خـلاف ابن العفيف ، وإخراج شـرف الدين على ذلـك التكييف ، فبادر الإمام بارسال ولده النَّاسك محمد بن أميـر المؤمنين إلى قتالهم والمؤاخـذة لهم بقبح أعمـالهم ، وكان ولـده المـذكـور حينئـذ في سن التكليف لكنّـه من الـرسـوخ والظهور كالشمس عند البـزوغ واستحثه بـالمسير لئـلا ينضاف إلى خـلاف ابن العفيف أصحـاب الـرَّصـاص فتتـوســع دائـرة العصيـان ، ويؤدّي الأمـر إلى الانتكـاص ، وكـان أصحـاب الـرَّصـاص مـدوا إلى قـافلة بنجـد السلف فـانتهبوهـا ، ووطئوا قبـائلهم ، فسـار محمـد بن الإمـام بمن معـه حتى دخـل البيضاء وتابع الإمام الأجناد إليه وإلى الموسطة[1] بلاد ابن هرهـرة أيضاً وكـان ابن هرهرة لم يتظاهر بخلاف وان كان باطنه مـع أصـحابـه بلا خـلاف ، وكان بالبيضاء الفقيه محمد بن علي جميـل نائبـاً عليها ، ولمـا أحـس من بني أرض النـزوة ماشـاهم[2] وأوهمهم أنه على الـطَّاعة المشـار إليها ، وكـان في صحبة مـولانا محمـد ابن أمير المؤمنين السيـد أحمـد بن هـادي بن هـارون من ذمـار وتقـدم الجميع إلى الـزَّهـرا على البـدار ، وكان الشيـخ زين بن مصعب تقدَّم إليها قبله ونفذ الجميـع إلى البيضاء على كمـال السرعـة فأطلوا عليهـا والتفت الإمـام إلى استنجاد آل الإمـام ، وأزعجهم من صنعاء والـروضـة لسَـدّ الخلل المـذكور ، وطلب سـائر الاجنـاد حيث كانـوا من حاشـد وبكيل وكـل جيل ، وأوجب على جميع الناس النهوض إلى هذا الخطب الجليل .

وفيها مات بصنعاء الشيخ أحمـد القيرواني[3] المـالكي ، وكان وفـد إليها

---

(١) الموسطة : قسم من يافع العليا يسكنون عدة مناطق .

(٢) كذا في الأصل .

(٣) ترجمته في طبق الحلوى وكلهم عن بهجة الزمن ليحيى بن الحسين وفي الـطبق من الزيـادة عن =

في دولة المؤيد بالله محمد .

وفيها : توفي السيد يحيى بن إبراهيم جحاف[١] حاكم حبور ، وكان له اليد الطولى في الحديث ، واختيارات في الفروع كضم اليدين في الصلاة والرفع عند تكْبيرة الإحرام وقرأ على ابن مطير[٢] وسنده عال ، وكان له شعر أقرب إلى الإفادة .

وفي سنة ١٠٦٦ في يوم الخميس ثاني شهر محرم منها نهض مولانا محمد بن الحسن وصنوه[٣] أحمد بن الحسن ومولانا محمد بن أحمد بن القاسم إلى حضرة الإمام واتّصل القوم في اثرهم كأنها البحر[٤] في الالتطام واستقر الجميع بحضيرة البستان ، وكان البقاء فيه خمسة عشر ليلة ، وارتحل الجميع إلى ذمار لتكميل أسباب الرّحلة وتقدّم مولانا صفي الدين أحمد إلى رداع لوصل الجناح لمن بالبيضاء ولصنوه الحسين بن الحسن فإن الإمام قدّمه على الفور إلى الحلقة كما ذكرناه قريباً فيما مضى ، ورجع مولانا محمد بن أحمد بن القاسم في هذه النَّهضة من ذمار إلى ضوران ، استدعاه الإمام لما بلغه وفاة صنوه مولانا أحمد[٥] بن القاسم والد مولانا محمد بصعدة ومصيره إلى رضوان الله فاستبقى الإمام مولانا محمد بن أحمد لديه ، وولي البلاد الصعدّية مولانا علي بن أحمد بن القاسم ، وركن فيها عليه وكانت وفاة مولانا أحمد بن القاسم في السنة المذكورة ، وهو من العلم والعمل وحبّ الصَّدقات على الصّفَات المشهورة .

= أصله قوله « معه كتبه لا يفارقها فقبض بصنعاء للتاريخ وقبض كتبه القاضي الحسين بن يحيى السحولي إلى أن يظهر وارثه».

(١) الطبق ص ١٤١ ومطلع البدور خ وملحق البدر الطالع ص ١٣ وكتابنا مصادر الفكر الاسلامي ص ٢٦٥ ».

(٢) هو احمد بن علي بن مطير وفاته سنة ١٠٦٨ (انظر كتابنا مصادر الفكر الاسلامي ص ١٤١) .

(٣) ساقط من (ر) .

(٤) البستان هنا قريتان من ضوران آنس فيفهم .

(٥) وهو الملقب بأبي طالب جد المؤلف وكان المذكور يتحاشى عن ذكر هذا اللقب والله أعلم .

ومن ماثرة جامع الروضة الذي حصل الإجْماع انه لم يعمر مثله قبله ولا بعده[1] ، لأنه جمع من طبقات المحاسن ما لا تغبطه الأقلام ومن مآثره سمسرة في الأزرقين وسمسرة ريدة والغولة والقبة العظيمة على والده الامام القاسم الماهولة وعمر السَّمسرة العظيمة بسوق العنب بصنعاء ووقفها على الجامع المذكورة وقد قدمنا ذكر دعوته وانها لم تساعفه الأيّام وخلصت إلى أخيه الإمام المتوكل على الله إسماعيل ثم إن مولانا الحسين بن الحسن ، لما كان باقياً بالحلقة وجنده الذين توجه بهم إليها على الفور نحو ثمانمائة رجل اجتمعوا بعد أعظم مشقة فامتنع أهل يافع من الوصول إليه وأضمروا النكث واجمع رأيهم عليه ولم يزل مولانا الصّفي أحمد بن الحسن وهو بـرداع يحذرهم نكثة غيّ العواقب ويحثهم على تسليم الواجبات وحل عقد المنابذة الداعي إلى النكبات فارتطموا في هوة الأضرار وجنحوا إلى العثار والدّمار ، وقال بعضهم : أنا لا نسلم الواجبات إلاّ إلى مولانا أحمد بن الحسن ، ولكنه قول بلا عمل فاسعدهم إلى ما قالوا وكال لهم بالصَّاع الذي كالوا فقدم السيد صلاح بن محمد القاسمي في قبض الواجبات من جهته في محطة إلى ذي السّفال من بلادهم ، وحاول في وفادة محمد بن معوضة وأهل ذي ناحية[2] إلى مولانا الصفي أحمد ليكشف له عن انقيادهم فيزيل عليهم من الجور ما ادعوه وينظر بعين العطف عليهم ، فما كان منهم غير التَّباطىء ، وكان يتحرب بالليل من يظاهر بالطاعة منهم ومن أعلن بالعصْيان فتناوشوا [3] أصحاب الدولة الذّين بمسجد النور بالحرب العوان فقتلوا السيَّد محمد بن ناصر صبح رمياً بالليل ، وكان الإمام جعله نائباً عليهم من تحت يد مولانا الحسين بن الحسين في رجل وخيل ، فأثار قتله الحفيظة وحرك

---

(١) وفيه يقول صاحب أقراط الذهب :

لا تحسب الجامع في روضة   وإنما الروضة في الجامع

(٢) كذا في الأصل .

(٣) كذا على لغة أكلوني البراغيث .

السخائم الغليظة ، وتقدَّم مولانـا محمد بن المتـوكل إلى الحلقـة في أول شهر ربيـع الأوّل ومعـه الفقيـه محمـد بن علي جميـل والسيـد أحمـد بن هـادي بن هـارون والمحاط تَـنْـشَـال إلى المحل ونهض مـولانا صفي الإسـلام من رداع ، يـوم السبت حـادي عشـر شهـر ربيـع الأول فصار إلى المعسـال[1] ثم إلى الـزهـرا ، ثم إلى قـاع الرمـاة ووصل إلى الحلقـة يوم الخميس سـادس عشـر شهـر ربيع الأول وصلّى الجمعـة فيها وقـد اجتمـع الجيش العرمرم وانتشـر ثم نهض منها يوم السَّبت ، فبـات ببني بكر ونهض من بني بكـر إلى جربـة غالب وأقـام بهـا الاثنين لمـأرب وتقـدم يـوم الثلوث إلى مسجـد النـور ، وأقـام بـه الأربعـاء حتى تكامـل الجيش ، فدبَّـرِ منه مـواضـع القتـال ، ورتّب الـرجّـال بـالمحـال فجعـل رئيسـاً ، ومحـطتـه في جـانب وأكـدّ في المحـارس عين المحـارب ، وألـزمهم الحـرب في يـوم الخميس ثـالث وعشـرين شهـر ربيـع الأول ، وأذن في استئصـال شأفتهم بحيّ على خيـر العمـل ، وبـرز بمن معـه في طريق المدرج الذي عمره سنان[2] باشا وشرع الحـرب من كل جهـة على مـا يشـا واشتـد بينهم القتال سـاعـة فلكيـة ، ثم انهـزمت يـافـع شـر هـزيمـة عليهم ، وأخبث قضيـة و كثـر القتـل فيهم والأسـر ومن الله النصـر لـلأجنـاد الـمتـوكـليـة ، وهـرب ابن الـعفـيف نـاجٍ بـنفسـه لا يلوي عـلى أحـد واسـتـولى مـولانـا الـصـفـي أحـمـد عـلى آل فـرج وكـافـة بـلاد ابـن العـفيـف الـذي جـاوز الحـدّ وغـنم الـجنـد الـغـنـائم الـواسـعـة

واستبيحت البلاد خمسة أيـام ، وطـار أهلهـا إلى الأقـطار الشـاسعـة ، وصلى مـولانا الصفي الـظهر بجبـل نفاج الـذي حصلت فيه القتلة ورجـع إلى مسجد النـور ، وهـو لا يؤتي من قلة ، وصلَّى بهـا العصـر من سـاعتـه ، ونصب الرؤوس وفرق الاسرى في جماعتـه وكان فيهم نحـو أربعين امرأة منهن زوجـة

---

(١) قرية أثرية في أرض ردمان شرقي رداع وتسمى أيضاً وعلان .
(٢) انظر خبر دخول سنان باشا في كتاب الإحسان للموزعي ص ٦٧ بتحقيقنا .

محمد بن معوضة فأمر بردّهن إلى بلادهن وتفرَّقت المحاط للإقامة في بلاد يافع لأن المحل لم يتسع لذلك الجمع الواسع ، فإن المحاط بلغت خمسة عشر الفاً ومن الخيل جملة واسعة ، ينهدّ من وقع حوافرها الصفا ، ولما استقر ركابه المنصور وتجاملت تلك الأمور ، طلب أهل يافع لنفوسهم منه الأمان ، ونزلوا على حكم الإمام فيهم بضوران ، وكان من جملة من طلب ذلك محمد بن معوضة ، فبذل لهم مولانا الصفي أحمد ما سألوه على كمال الهوان لهم ، وأنفذ محمَّدَ بن معوضة إلى صنوه محمد بن الحسن برداع ، فبعث به إلى الإمام إمَّا للقتل أو الاصطناع ، وكان والده معوضة شيخا كبيراً يستطلع منه الرأي القويم ، ولم يُبعث به ، ولا يريم ، وكان هو أحد الأسباب في التحريض لأولاده والتقويم ، وقتل ولده عبد الله بن معوضة بن عفيف وهرب علي بن معوضة وهو الوافد إلى مرفد في الفتح الأول بعد العهد والكيل إلى التطفيف ، وأكثر القتلى كانوا في كلد[1] وأهل ذي ناخب[2] ومن بني قاسط[3] نحو مائة وخمسين قتيلاً ، لأن الجند الإمامية اشتغلوا بالنَّهب عن القتل بينا[4] هربوا جيلا فجيلا ، ثم ان مولانا الصّفي أحمد كتب إلى الأمير أحمد بن شعفل يحذره عواقب البغي وكان جميع أصحابه وقبائل الأجعود في رأس حجيل ، وأوهم أنه قصد تأمين السبيل ، ومولانا أحمد يعلم بما هو عليه من المنابذة الشديدة ونكثه الأيمان والعهود الأكيدة ، فحثّه على بذل الطاعة الخالصة عن الشوائب ، والاّ فما بعد الكتاب غير الكتائب ، فلم يلتفت إلى طاعة واستمر على الخداع والقطاعة واعتل أن لا قدرة له في تلقي جند الإمام ولذلك تحول من خرفة إلى حيث

(١) كلد : بالتحريك إحدى قبائل يافع السفلىٰ وتتفرّع إلى عدة فروع انظر تاريخ القبائل اليمنية ص ١٨٦ .

(٢) من قبائل يافع السفلى وهي في الجهة الشمالية ليافع السفلى « انظر المصدر السابق ص ١٩٠ » .

(٣) من يافع السفلى انظر « السابق ص ١٨٥ » .

(٤) علق في (د) أصل هذه العبارة أينما هربوا إلخ وأظنه هكذا .

يـأمن وما زال يـدس المكائـد ويستجلب كل معـانـد ويحث القبـائـل الضـالـة عقـولهم على عدم الـطاعة ويحـالفهم ويواطئهم ، وأشـار عليهم بعـدم تسليم الـواجبـات الشـرعيـة ، وكتب إلى أهـل يـافـع في أوائـل فتنتهم يهجِّن عليهم الانخـراط والـدخـول في التبعيـة لـلإمـام ، ولمـا وصلت كتبه إليهم حـركتهم للخـلاف وطـردوا الخــراص ،[١] وأكــدوا بينهم الأحــلاف ، وأرســل إلى الحواشب بجانب خنفـر وإلى أهل صهيب[٢] وأمثـالهم وحشدهم على الـدولة وحثهم على الاقدام والصولـة وذكر لهم انهم إن استمـروا على الطاعـة ، كان لهم أوّل محـرب ولجمـع القبـائـل عليهم يؤلب، فسمعـوا مقـالـه وشنـوا نــار الخـلاف ، وعملوا في قطع الـطرقات ونهب الأطـراف وضيقوا على الضعفـاء المسالك ، ومنعوا طريق صهيب النافذة إلى قعطبة بالقتل والتخـطّف وما أشبـه ذلك وقتلوا رجلاً من برط في بئر الشريف ، وآخر معـه ، وقطعـوا طريق لحـج وغـزوا إلى الحمراء وقتلوا أربعـة أنفار وفعلوا القبيـح اجمعه ، وكـان اعتراهم مـع حثّ ابن شعفـل إلى سـالم بن أحمـد بن الحبيب ، ومـا زال ابن الحبيب يحثّهم ويحث أهل يافع على نكاية الزيدية ، وأهل يافـع جميعاً لهـذا الحبيب أطـوع من النعال ولـه بالتّمـويه عليهم بـالمحال ، وقـد لمحنـا فيمـا سبق إلى شيء من ضـلالته بمـا يغني عن الاعادة ، وذلـك ديدنـاً له ولآبـائـه جـرت بـه فيهم العادة ، ولكنها كـانت صواعقـه لهم محرقـة ، فأرداهم الجميـع بتغريـره وأكاذيبه المتحققـة . وجهالاتـه المؤبقة وعنـدها أمـر مولانـا أحمد عـامله على عـدن الفقيه أميـر الديّن بن أحمـد العلفي يستقر في لحـج لإصلاح الـطُّرقـات وقتال هذه الفئات إلى أن تفيء فهدأت بقدومه البـلاد وجرت الامـور من الحزم والعـزم على السَّـداد، وفي بقـاء الفقيـه أميــر الـدين المــذكـور بلحــج اتفق من الصُّبِّيحة[٣] نهب في الطريق واعمـال لا تليق فطلبهم الفقيـه المذكـور إليه

---

(١) هم الذين يقومون بالخرص وهو تقدير الأموال وحزرها .

(٢) صهيب : بلد في الجنوب الشرقي من الضالع .

(٣) الصبيحة قبيلة متعددة الفخائذ والفروع والبطون تعيش في البقعة الممتدة على طول ساحل باب =

وقـرَّر من قور من مشـائخهم لـديـه ، فـأرادوا بـه الغـدر فحمـاه من عنـده من العسكر بعد هائعة شديدة ، وجـراحات في أصحـابه عـديدة ، ولم يخلص إلاَّ بشدة الدفاع وثبات العسكر والأتباع ، وقتل من الصبيحة نحو ستة وعشرين رجلاً من المنثـالين عليـه ، ولـولا الـصـدق لم يـسلم هــو ولا مــن لــديــه وهــرب مــن بقــي مــن الـصـبـيـحـة إلــى بــلادهــم ولــم يــقــم لــهــا مــن بعــد قـائمــة ومن أجـل ذلـك أرسـل الإمـام القـاضي محمـد بن صــلاح الفلكي[1] للنـظر بينهم وبين العـامـل في القضيـة فـأوجب عليهم التعـدي ، وخلص عنها الحاكم العامل بحكم الشريعة المـرضية ، وهكـذا حكم بتعديهم واهـدار دمائهم ، أهـل مذهبهم الشـافعي لمـا نصب ميـزان العـدل والتحـاكم بينهم وبين العامل ، وقـام المدعى عليـه والمدعي ، وبعـد ذلك أدبهم مـولانا الصفي وحـوسبوا على مـا منعوا عليـه من الواجبـات حتى استهلكت الكثير من أموالهم ولم تف .

ولمـا ازدحمت الأجناد المنصـورة بيافـع وصارت كـالبحار المتـلاطمة في التدافع ضـاقت احوال تلك الجهـة المذكـورة واستحوذ عليهم الشيـطان حتى أركسهم في هـذه الثـورة فصالحوا بعـد التـوبيـخ ، وهـدَّ السهـول من أرضهم والشمـاريخ[2] وأقـروا أن ذلك بجـرم سبق منهم ، واجتذبـه الخذلان إليهم ، فلم يـروا لنفـوسهم النجـاة في غيـر بـذل السـلاح وتسليم المـال في مفـادات الأرواح ، فــأمـر مــولانـا الصّفي أحمــد ومن معــه من الآل الكــرام بقبض اسلحتهم من البنـادق وغيرهـا اقتـداء بمـا فعـل بغيـرهم من البغـاة ، فسلمت البنـادق فبلغت إلى أكثر من ألفي قصبـة من غير مـا أخـذ العسكـر وصـار بيـد المنتهب ، ولقـد كان يـطلب من أحدهم عـدداً من البنادق معـروفـاً فيقـول :

= المندب حتى رأس كمران وفقم ومن الشمال قبائل المقطرى والشرجبي والأثوري « قبائل اليمن ص ٣٣ » .

(١) من العلماء وفاته سنة ١٠٧٣ انظر طبق الحلوى ص ١٨٩ .

(٢) رؤوس الجبال .

عندي أزيد من ذلك خوف أن يظهر عليه فيسلم من الأدب الوفا ، ثم أمرهم مولانا الصفي أحمد بحملها إلى حضرة الإمام على ظهورهم ، وأصيبوا من الإهانة بما حطّ من قدرهم ، وكفى قدورهم والحبوب التي معهم أخذ منها النصف بيت المال ورد عليهم النصف الآخر لرأي رآه الإمام في ذلك الحال وأخربت حصونهم والمصانع وكانوا هم الذين يخربونها بأيديهم بلا تلكىء ولا مانع ، وكان مولانا الصفي أحمد أرسل بالشيخ محمد بن معوضة إلى مقام الإمام ، ولما وصل أقر بما سبق من الجرائم العظام وارتكاب كل الآثام ، وأخذه أموال المسلمين بالقهر والغلبة في تلك الأيام ، واظهر توبة نصوحاً وأعلن بها تصريحاً وتلويحاً، فقبل ذلك منه الإمام وتجافىٰ له عما أثار من الصدام وبقي بالحضرة يسيراً، ولم تطل به الأيام وتجهّز إلى ثغر الحمام، وصلّىٰ عليه الخليفة في محفل عام، وقابل ظاهر توبته ووكل باطن أمره إلى الملك العلّام.

ولما تكامل النظر في نفوذ هذا المخرج ودخل جبل يافع تحت الطاعة واندرج ، كرر ابن شعفل في طلب الأمان وأقر بما سبق منه من العصيان وذلك حين علم أنه لا طاقة له بالجنود وأن بلاده وطارفه وتالده تحت الضرب و اعتذر من الوصول إلى الحضرة فاعتل بعدم الامكان والمضرة فلم يجب إلى الأمان بغير وصوله ووعد بالإجراء على مقرراته ومعتاده والتكريم له عند وصوله ، فلم يرَ النجاة في غير الوصول ، ونظر في الأمر وحكم المعقول فسارع الوفادة إلى مولانا الصفي وهو بمسجد النور ، ووصل ومعه من أولاده ثلاثة انفار كل واحد منهم بالثبات مشهور ، وكان الذي جاء به سفير مولانا الصفي إليه والتكرر بالأعذار والاعذار والتخيير عليه السيد علي بن عبد الله بن حيدره الغرباني وهو الذي قرر له الأحوال عند الصفي وشيد من اركانه المباني فقابله مولانا الصفي بالقبول وافاض عليه سجال الإحسان عند الوصول ، فسكنت عند ذلك وحشته وروعته وانسدت خلته ، ولم يصل حتى تيقن الغلبة ، ولم يجد له غير الطاعة الحاصلة في الظاهر إلى النجاة

ما كل من يتَسَمَّىٰ بالعزيز لها أهل ولا كل برق سحبه غدقه[1]

ولكن دفع ما احتج به السيد في كثير من المواضيع والعمل وبالراجح والمرجوح ولا إلتزام بالمقدمات والنتائج مع الأحاديث الصحيحة قد توجب التخريج على يافع نعم ، ولما تمَّ انفصال مولانا الصّفي من يافع كما ذكرنا صار إلى ذي مرمر خلفه صنوه الحسين بن الحسن والياً على يافع والبيضاء والحلقة وخزل قطعة من العسكر الذين تتسع لهم النفقة فأقام فيها شهوراً وعاد إلى رداع فصام فيها شهر رمضان وزار الإمام في شوال متجرداً عن الأجْناد والأتباع لأنه خلف الجند عن العمال بالمشرق ، ولما قضى من الزيارة المأرب وشافه الإمام من المهمات بما وجب ثم انفصل إلى صنعاء في يوم الأربعاء ثالث وعشرين من شهر ذي القعدة ، وكان المستناب عنه بالبيضاء الفقيه علي بن صالح الجملولي في عدد من الجند وعدة ، وبيافع القاضي حسين بن يحيى المخلافي ، ولديه من الجند أيضاً أي نصاب وافي ، فسار فيهم السيرة الحسنة ، وسكنت الشقاشق وهَدَأت المحنة .

وفيها توجّه السُّلطان بدر بن عمر الكثيري والياً على ظفار[2] حضرموت من جهة الامام ، وذلك بعد ما أطلقه ابن أخيه بدر بن عبد الله مع الاستظهار على يافع خوف الوصول إليه بالجيش اللهام ، فتلافى أموره باظهار الطاعة وتولية عمه بعد القطاعة وصلّى ثم أذن مستقبلاً وقبل صلاته وجب الأذان .

---

(١) هذا البيت قاله ابن عنين لما دخل مصر عائداً من اليمن بعد ما أكرمه فيها الملك العزيز طغتكين صاحب اليمن وقد طلبوا منه في مصر زكاة ما ورد به معه فقال هذا البيت يهجو العزيز عثمان بن صلاح صاحب مصر انظر ديوان ابن عنين ص ٢٢٣ .

(٢) ظفار مقاطعة غرب عمان قاعدتها ظفار المؤلفة من ثلاثة مدن صلالة وحفة والحصن انظر المنجد في الأعلام ٤٤٢ .

وفيها تضرّر أهل صنعاء من البانيان[1] المقيمين بها وادعوا انهم زاحموهم في تجاراتهم ، واحتالوا عليهم في بهتها[2] وأن منهم من صار يفسد[3] على جهة الخفا ولم يرع اكثرهم الذمة وانهم يعلقون في أمكنتهم في السماسر[4] الأصنام ، ويتظاهرون بعبادتها من غير احتشام ووضعت لهم فتاوى في ذلك عليها علامة العلماء[5] وأوجبوا إخراجهم من اليمن بعد استيفائهم قبض أموالهم حتماً وأنهى أهل صنعاء هذه الفتاوى إلى الإمام ونفذ ما أوجبه الأعلام ، ثم ان بعض العلماء رجع عن فتواه ، ووضع بأيدي البانيان ما ينقض الأول على حسب هواه ، وشرط عليهم التكفي بأيسر ربح والبيع على جهة الصّلح، وعلل بصبرهم على المستدين [6] والبيع بدون[7] المسلمين ، وأن في معاملتهم رفق بالضّعيف وأنواع من التّسامح والتّخفيف ، فقررّ الإمام الوجه الأخير وسكن البانيان عن التّسفير ، واجتمع اكثر أهل صنعاء إلى الجامع وأوهموا القاضي وغيره أن ثم أمر جامع وخرج إليهم القاضي وهو لا يعلم بالقصد فاعلموه بالفتاوى الاخيرة وأن فيها وهن على الإسلام ثم انهم ضجُّوا ضجة واحدة وصعد منهم رجال إلى المنارة ونادوا بأعلا أصواتهم : عَظَّم الله الأجر في الإسلام وخراب القاعدة ، وعندها

---

(١) البانيان يقول الأب انستاس ماري الكرملي « هم التجار الهنادكة اسم أطلقه الانكليز على هؤلاء التجار لما رأوهم للمرة الأولى وجدوهم مجتمعين في ظل شجرة اسمها البنيان فأطلقوا عليهم اسم هذه الشجرة». كذا عنده وفي كتاب البحر الأحمر ١٦٢ . البانيان كلمة هندية معناها التاجر.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) في (ر) بعد.

(٤) جمع سمسرة معروف.

(٥) من أشهر من ألّف في الموضوع العلامة الحسن بن أحمد الجلال المتوفي سنة ١٠٨٤ له رسالة في تقرير البايناان في اليمن منها نسخة مخطوطة بجامع صنعاء المكتبة الغربية والعلامة محمد بن إسماعيل الأمير المتوفي سنة ١١٨٢ له رسالة في وجوب إخراج البانيان من اليمن مخطوطة بالمكتبة السابقة.

(٦) في (ر) المتدين.

(٧) أي بأقلّ من أسعار المسلمين.

هـدرت شقائق[1] السفهـاء وأرباب الخـطأ وكاد الحـال يتخطَّى ، فنمـا الخبـر إلى الإمـام فأقعـده وأقام ، ولام فيـه من لام واستدعى إليه النَّفـر الذين أثـاروا القيـل والقـال ، ووضعت في رقـابهم الأغـلال ، فلمـا وصلوا إليـه ومثلوا بين يديه وبخهم على الفعـل الشنيع وتنـاولهم بانـواع من التقريـع ، ثم فرقهم في الحصـون وتركهم مـدة على كمال الهـوان ، ثم اطلقهم بعد استكمـال الأدب والامتثـال لما أوْجَب ، وقـدر بجميع اليمن شيئـاً من المال يؤخـذ من البانيـان في كل عام على سبيل الجزية ورأىٰ في ذلك صلاحاً عامًّا بلا شك ولا مرية فشق ذلـك على البانيـان ورجع بسببـه منهم من رجع إلى الهنـد بعـد التسكين والأمان ، واختص بهذا المـال المقبوض الإمـام بنفسه وبنى أمـوره عن اجتهاد على أسه .

وفي سنـة : ١٠٦٧ فيها أحس الإمـام اضطرابـاً من يافـع من التفاوت بين الإمـام ومولانـا الصفي ، وله أصـل خفيف في الواقـع فـاستقـدم إليـه مـولانـا الحسين بن الحسن وأمـره بالمسيـر إلى يافـع على الفـور ان أمكن ، وأضـاف إليـه ولايـة رداع فتـوجّـه غـرة المحـرم على طـريقهـا ليعـرف أحـوالهـا وأخـذ الارتفاع[2] .

وفيهـا بـرز أمـر مـولانـا الصفي إلى بني حشيش وبني الحـارث وهمـدان بسيـاق واجباتهم إلى حصن ذي مـرمـر ، أو يـوضـع عليهم زيـادة الـربـع إلى مقابل الإيصال[3] كما وضعه الإمام في سائر البـلاد واستمر ، فـأبى أهل هـذه الجهـات من السياق إلى الحصـن المـذكورة وانكـروا زيادة الـربّع وبنـوا عليـه أموراً وطال الشجـار بينهم وبين مولانـا الصفي في ذلك وانفصـل على سياقهم

(١) كذا يتكرر في الأصل صوابه شقاشق بالشين جمع شقشقة وهي شيء كالـرئة يخـرجه البعيـر إذا هدر .

(٢) أي المتحصل من الواجبات الحكومية .

(٣) أي أجرة النقل إلى الحصن المذكور .

إلى الحصن المذكور بلا زيادة فيما هنالك ، ولما ساقوا امتلأت المخازين والمدافن وتوفر المقصود .

وفيها طاف مولانا محمد بن الحسن إلى حصن ذي مرمر وكان انحطاطه إليه من جبل اللوز لأنه عرج به في هذا الممر فقابله مولانا أحمد بالاكرام وحصل الأنس الكامل والسرور الشامل ، وكان في أصحابه مولانا اسماعيل ويحيى وابناه محمد بن الحسن وأقام هناك خمسة ايام .

وفيها أمر مولانا محمد بن الحسن بعماره السمسرة العظيمة بسوق صنعاء المنسوبة إليه فجاءت في أحسن وضع كما هي الآن وانتفع بها التجار ولا سيما الأعراب ومن شرط مولانا محمد عدم سكون البانيان بها والحضارم ، وأولاده على الشرط إلا في الحضارم بلا ارتياب .

وفيها ارسل الإمام القاضي حسن بن أحمد الحيمي إلى الكثيري بحضرموت وأمره بتفقّد أحواله واعذاره وانذاره عن التخلّفات المؤدِّية ، إلى الفوت .

وفيها في عصر يوم الجمعة ثامن شوال ، من السنة المذكورة توفي مولانا محمد بن الحسين بن الإمام من قولنج ثار عليه ودفن في صنعاء بمسجد البستان[1] وضاق الناس لفراقه واتصلت الأحزان وكان من العلم بمحل عظيم ومن شيوخه القاضي عبد الرحمن بن محمد الحيمي والقاضي أحمد بن صالح العنسي وغيرهم من أهل العلم والتعليم والتفت آخر المدة إلى الفقه وإتقانه وكان بالأحاديث النبويّة له اعتناء وله مؤلّف جمع فيه أحاديث في صفة الجنّة جرىٰ فيه على ترتيب أهل السنة وله بلوغ المرام شرح آيات الأحكام[2] وغير ذلك من العلوم والمنطوق والمفهوم .

---

(١) هو المعروف بمسجد حجر كان من المساجد العامرة في باب السبحة وموضع البنك اليمني الآن وقد عمر بدله مسجد آخر عمل اسمه يعود الحجري عمر الحسين بن القاسم في القرن الحادي عشر (مساجد صنعاء ص ٤٣) . وانظر «الوجيز» للمروني ٤٨ .

(٢) طبع في صنعاء سنة ١٣٤٢ هـ بعنوان منتهى المرام وهو من الكتب المقبولة في اليمن .

وفيهـا رجـع القـاضي حسن بن أحمـد الحيمي من بعثتـه إلى بـدر بن عبد الله الكثيري ومعه هدية عظيمة ونفائس لها قيمة .

وفيها تحولت ولاية البيضاء إلى الفقيـه محمد بن علي جميـل فصار وجـه العدل به بهالة غرر وتحجيل والسبب أن أهل البلاد رغبوا عن الفقيه علي بن صـلاح الجملولي وكرهـوا مقامـه بينهم والتـولي وشكـوا منـه ضعف العـزيمـة ونسبوا إليه من الجـور عليهم ما لم يكن لـه بشيمـه والجميـع تـواب من تحت يد مولانا الحسين بن الحسن وله التقديم والتأخير عن رأي الإمام فهومؤتمن .

وفي سنـة ١٠٦٨ ارتحل مـولانـا محمـد بن الحسن من صنعـاء المحمية إلى جهات اليمن ومعه ولده يحيى فوافى بمـدينة اب في اسعـاد ، وكان غـاب عن اليمن مدة ونال الرعية من العمـال بسبب البعد بعض شـدة ، وشق عليهم سيما الحجرية الطلوع إلى صنعـاء المحمية فـأحب القرب منهم والتـوسط في بلادهم ليتم له الاطلاع على كل قضية وصادف وصوله حصـول الثمار وغـزارة الامطار ورخاصة[١] الأسعار بعد الاشتداد الذي حصل .

وتـزوج في هذه المـدة بابنـة السيـد محمـد بن أحمـد بن الإمـام الحسن فاتصلت المسرة واطلعت إليه من العدين في أبهـة عظيمـة ونعمة جسيمـة نعم بها باله وبلغ آماله .

وفيها أخذ الإمام على مولانا أحمد بن الحسن الاطـلاع على أمور صنعـاء وتفقـد اعمالهـا والنظر في أحكـام بلادهـا وصـلاح أحـوالهـا فتقـدم إليهـا من الغـراس وأقام بهـا أيامـاً هي الأعراس ، وزوج ولـده الكبير محمـد بن أحمـد الذي انتقلت إليه الخلافة بعد المؤيد الصغيـر كما سيـأتي بابنـة عمه يحيى بن الحسين بن القـاسم ،[٢] وهي أم ولده إسمـاعيل المستشهـد بالعيـون وسيـأتي

---

(١) كذا في الأصل صوابه رخص والرخاصة في اللغة النعومة واللين والله أعلم .

(٢) هو المؤرخ الكبير صاحب المؤلفات الكثيرة أشهرها أنباء الزمن وغيره .

ذلـك إن شاء الله تعـالى وشـرع مـولانـا الصفي في سمـاع « شفـاء الأوام »[1] للأمير الحسين بدار الجامع[2] وحضر القراءة عليه فيـه عدد من الأعْيـان واسع وحصلت بـه مذاكـرات ومراجعـات وأبحاث نـافعة ، على حسب المقتضيـات وبلغ فيـه بصَنْعاء إلى كتـاب الحـج وتم عليـه بـالغـراس على الأسلوب الأول والنهج .

وفيها توفي علامة اليمن وحـافظ السنن عبد الـرحمن بن محمد الحيمي ، وكـان ظفـر بعلم الحـديث والعـربيـة والمعـاني والبيـان والتفسيـر ورجـع عن مـذهب الهدويـة إلى مذهب الشـافعي وقـرر أصـولـه على « منهـاج » النـووي والرافعي وحصل بينـه وبين الإمام المؤيـد بالله وحشـة بأسبـاب وأمر بقيـده من صَـوْح[3] جامـع صنعاء ولبث مـدة لاطاقـة لأحـد يفتـح على الامـام من أجله البـاب . ولـه تعليق على بلوغ المـرام لابن حجـر في الأحـاديث الحـلال والحرام ، وحرض الإمام على كتبه بعد وفاتـه ، وكان اشتغـل في ضبطهـا في جلّ أوقاته وطلبها الإمـام إليه واختص بهـا لنفسه واصـطفاهـا وقد أطلعت على كتـاب بخـطه فيـه من التَّصحيف والنقص مـالا يـظن بمثله فعجبت من التَّقليـد واطلاق القول في غير محله ومن شعره المنسوب إليه .

صنعـاء إذا كنت مشغـوفـاً بمسكنهـا فـاعدد لهـا من ذوات الحاء مـارسما
(حَبٌّ) و(حِبٌّ) و(حمام) مع (حطب) (حضيرة) و(حمار) (حرفة) و(وحمى)

وقال بعضهم لما اطلع على هذا المقطوع: نسي (الحلبة) [4] فإنها شرط

---

(١) من الكتب الشهيرة عند أهـل اليمن في علم الحديث مؤلفـه العلامـة الحسين بن بـدر الـدين المتوفى سنة ٦٦٢ ومنه عدة مخطوطات انظر كتابنا مصادر الفكر الاسلامي ص ٤٢ .

(٢) دار الجامع هي البيوت المحيطة بجامع صنعاء .

(٣) الصوح باحة المسجد من الداخل .

(٤) يقول الأب أنستاس الكرملي « يتخذ اليمانيون الحلبة طعاما وطنيا خاصا دون غيرهم ويدخلونه في جميع أكلاتهم وأطعمتهم ووجباتهم » . انظر بلوغ المرام ص ٤٢٣ .

أهل صنعاء في كل طعام مصنوع ورثاه تلميذه السيد أحمد بن الحسن بن حميد الدين صاحب (ترويح المشوق) فقال من أبيات طويلة على هذا النهج المنسوق فقال :

أن وجيه الدين حـ ـر عصره عالي السَّنَد[1]
خير ثقات قام بالـ ـعلوم دهراً وقعد
وحث فيها عزمه حين انتقاها وانتقد
بحر الكلام البرقا موس الصحاح المعتمد
عاش سعيداً ومضى على السداد مفتقد
فأرخوا ميلاده بقل هو اللَّه أحد
وجاء عدّ عمره اللَّه ذو الطول الصمد
هذا وتاريخ الوفا ة جاء مجموع العدد
بشارة إشارة
عنوان فضل ومدد

وهي طويلة اقتصرت منها على هذا القدر .

وفيها قدم السيد زيد جحاف العامل على المخا إلى صنعاء اليمن واحبَّ استيطانها ونقل أهله إليها وبها المولى أحمد بن الحسن فاكرم مشواه ، وخوله نعماه وتوسَّع السيد المذكور بها وبالرَّوضة وأخذ بوادي ظهر مالاً ما بلغ قيمته خمسين ألفاً من فوضه[2] ، وعمر بالروضة الدار المعروفة وهي بكمال الصّناعة موصوفة ، فداخل بعض الأدباء له الحسد فنظم فيها تاريخاً عظم موقعه على السيد زيد واشتد ووهب[3] الدار من أجله للإمام

---

(١) في الأصل :
إن وجيه الدين خيرة عصره على السند . والاصلاح من طبق الحلوى ص ١٥٠ .
(٢) كذا وفي النور المشرق (من فرضة المخاء).
(٣) في الأصل وذهب والاصلاح من عندنا .

والتاريخ الذي أقعده وأقام هو :

دار لـهـا أن تـشـمـخـا	عـرضت وطـالـت فـرسـخـا
قـد أحـكـمـت آيـاتـهـا	ولـعـلـهـا أن تـنـسـخـا
عـمـرت بـمـال الـمـسـلـمـين	سـخـا بـه مـن قـد سـخـا

أو ما ترى تاريخها

هي دار محصول المخا

قلت والتاريخ ألف وست وستين ومن عجيب الاتفاق ويحسن التفاؤل على الإطلاق أن الدار المذكورة خربت بعقب ذلك وانهدت الأركان منها ومضت عليها خمس سنين لم يسكنها ساكن وخلت عن أهلها المساكن والمنازل ، وحج هذه السنة من ضوران الحاج سرور المعتاد أميرا على الحاج ومات بمكة بعد أداء فريضة الحج واستيفاء المناسك .

وفيها وفد الأمير الناصر صاحب كوكبان[1] إلى الإمام فقابله بالقبول التام وشكا إلى الإمام ما إلى وجهه من التكاليف والدين اللازم في قوام الجند وغيرهم وكان معروفاً بالكرم واثابة الوفد ، ولو من عدم فجبر الإمام منه الخاطر وأقرَّ له النَّاظر ، ورجَع وقد حمد الموارد والمصادر .

وفيها عقد مولانا العزي محمد بن الحسن ولاية لولده يحيى بن محمد على تعز والحجرية من أعمال أسفل اليمن ، فلما سار إليها وسقط سقوط النَّدى عليها تأثل له بها السّلطان وامتدت إليه الآمال والرجال من كل مكان ، وكان يعرف بالكرم الخارق ونيل العطا الواسع فعمر بالمعروف بيته ، وسار في الاقطار صيته ، وكان بكل لسان مشكور مذكور .

---

(١) كوكبان : حصن ومعقل شهير يطل من الشمال الشرقي على مدينة شبام ويرتفع عن سطح البحر بنحو ٣٠٠٠ متر « المقحفي ص ٣٥٢ » .

وفيها توفي بصنعاء الفقيه عبد الهادي العولقي[1] الحضرمي الأصل الشافعي وكان من أهل التجريد والصَّلاح المفيد وهو أحد من شهد بسماع الهاتف باسم الامام القاسم وتكلم به بلفظ الشهادة في المواسم .

وفيها ظهر بقبة الامام يحيى بن حمزة بذمار لهبة كالمصباح واطفئت للاختبار فعادت في الحال . . . والعيون ترمقها فلم تزل حتى الصَّباح .

وفيها توفي السيد محمد بن علي الحيداني الفوطي الذي سعى ودعا بدولة المؤيد والمتوكل ذلك السَّعي وكان في أيام المؤيد ثار[2] بصعدة وقتل بسببه من الناس عدة وامسك واودع السجن بصعدة ثم اطلق منه وارتحل إلى مكة وادعى أنه المهدي المنتظر وهاجت هناك بسببه فتنة فقبض عليه الشريف زيد بن المحسن واودعه السّجن ثم أنه أخرجه من مكة فرجع إلى اليمن وثار بدولة المتوكل في آل مصعب كما تقدم .

وفيها توفي الفقيه العالم أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم مطير الشافعي الحكمي صاحب جبل تيس[3] وحواز ملحان[4] وكان من أميل الناس إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام بالقلب واللسان وله منظومة على الازهار في فقه الائمة الأطهار وشرح غاية السؤل وقرر الأنظار ، وكان يخالف مذهب الشافعي في أشياء زيدت في الحديث فرية ، وثار بينه وبين أهل مذهبه أذية والحامل لهم على ذلك ميله إلى مذهب أهل البيت لشدة العصبية[5] .

وفيها ثار جعفر بن عبد الله الكثيري على عمه بدر بن عمر الذي خطب

---

(١) مطبوعة الطبق القويعي .

(٢) انظر أخبار ثورة المذكور في طبق الحلوىٰ ص ١٢٦ .

(٣) هو مايعرف بجبل بني حبش بكسر الحاء والبا من أعمال الطويلة « الحجري ص ٢٢٧ » .

(٤) ملحان : جبل منيع حصين في بلاد المحويت يشرف على تهامة « المقحفي ص ٤٠٧ » .

(٥) انظر ترجمة المذكور في مطلع البدور (خ) وخلاصة الأثر ج ١ ص ٢٥٢ وملحق البدر الطالع ٤١ وكتابنا مصادر الفكر الاسلامي ص ١٦٣ .

لـلإمام وقبض عليه ابن أخيه بـدر بن عبد الله وسجنـه كما مـرَّ ، ولما تمت له الـولاية بـظفار وأطلقـه عن رأي الإمام وعقـد له الـولاية والاستـظهـار لم يـزل الحقد عليه كامناً في تاموره[1] ، وانمـا كان إطـلاقه والتـولية لمكـان[2] مولانـا الصفي أحمـد ، بيافـع ، وما كـان من ظهـوره فعلم أن مثـل أمـورهم تجـري أمـوره فحـرك صنوه جعفـر المـذكـور بـالاغـراء عليـه ، فقصـده جعفـر من حضرموت في جمع كثير إلى ظفار ، وأخرجه عنها بيد الأقسـار واستظهـر عليه كـل الاستظهـار ، وقتل ولـده بعد حـروب عديـدة ، فخلص السّلطان بـدر بن عمـر مطروداً عنهـا بعد أهـوال ، وأم إلى سـوح الإمـام قلق الخـاطـر مشغـول البـال ووافى حضرة الإمـام عن رأسه هـارباً من ابن أخيـه بعد مـراميـه ، فشقَّ على الإمام ما ناله وما أعجبه غدر جعفر واختياله ، فأمر بدر عمر بـالبقاء لـديه بضوران ، وأناله الإحسان وحصـل الخوض هـل يستدعي جعفـر بن عبد الله ، لأن الانتمـاء في الـظَّاهـر من الجميـع إلى الإمـام والمـوالاة ، أم يجهِّـز عليـه صنـوه بدر لمـا يظهـر من الطاعـة وتبـريِّـه من فعـل صنـوه، وإظهـار الشنـاعـة وحرض الإمام على أخذ الثَّأر لبدر بن عمر جماعة من الشعراء بحضرته وذكروا لـه قبيح فعل جعفر[3] .

وفيها توفي الامير حسين عبد القادر صاحب خنفر :

وفي سنـة ١٠٦٩ فيها جَـزَمَ الإمـام بـالتجهيـز إلى حضـرمـوت ، وقـال : نصرت يا بـدر بن عمر ، وأجيب الصَّـوت وأمر بنصب الـوطاق[4] بـالمنشية[5] للتبـريز واشعـاراً بالنفـوذ بالتَّجهيـز وقدم إليـه في أول جمادي الآخـرة مـولانـا محمـد بن الحسن وكان يـومئذ بصنعـاء اليمن ، فخاض مـع الإمام فيمـا عـزم عليه، وابرما الأمر على ذلك المقصد، وما يحتاج إليه ولما أحكما عقده

(١) تاموره : قلبه .

(٢) كذا في الأصول لعل صوابه لما كان .

(٣) الوطاق : الخيمة واللفظة تركية .

(٤) قرية من قرى جهران جنوبي صنعاء.

واشعلا وقده تقدَّم مولانا العزي إلى ذمار وقد أعد مولانا الصَّفي أحمد لفتح حضرموت وظفار .

وفيها توفي في شهير جمادي الآخرة مولانا عبد الله ابن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم محمد بمدينة ذمار وقبر بجنب صنوه الحسين ابن الإمام للتبرك وتشريك الفواتح[1] من الزوار ، وكان إليه أعمال هذه المدينة من أيام المؤيّد بالله فلما كان التّشاجر الحاصل بموت الامام ، وقيام مولانا أحمد جنح مع أخيه أحمد بن القاسم ، فرفع الإمام المتوكل يده عن البلاد وذريته بذمار إلى الآن باقية . وقد قلّوا وكاد يخلو عنهم المكان .

وفيها تحرك الإمام في إنفاد مولانا أحمد بالجيوش إلى قتال الكثيري في خامس عشر شهر شوال برز مولانا أحمد بن الحسن للمسير وانفصل من الغراس إلى السِّر[2] في جمع كثير ثم منه إلى قحوان[3] ثم إلى رغوان[3] واستقرَّ به إلى ذي الحجة ، وسار إلى مأرب وبقي به وبيحان أياماً لمأرب وثبت بمحل يقال له الحمائم ، ثم دخل إلى أطراف بلاد العولقي ، وبلده أوسط ، وهو في قوة ونماء ، ثم ، نفذ إلى وادي حجر ولحقت المشاق هذه الطّرق ذلك العسكر لتوعّر المسالك وخوض المهالك ، وما أشبه ذلك من انقطاع المدد حتى أكلت القوم لحوم الحمر ، وحال الأشرار بين مولانا أحمد وبين القوافل أن تمر ، وكان مولانا محمد بن الحسن تقدَّم من ذمار إلى رداع لوصل جناح أخيه وردءاً له على أهل المشرق من إجابة الحضرمي والإتباع له .

وفيها توفِّي شريف الجن السيد أحمد الشرفي وكان يدعي أن له معرفة بأحوال الجان والاختلاط بهم ، وجمعهم وتفريقهم ، والحكم عليهم

---

(١) جمع فاتحة وهو ما يقرأ على روح الميت .

(٢) السر : واد مشهور بالشمال الشرقي من صنعاء بمسافة ٢٣ ك.م .

(٣) بلد شرقي الجوف على بعد مرحلة من ناحية الجوف .

وإرسـالهم وتطويفهم ، ويقـول ان شيخه في معـرفة ذلـك الإمام القـاسم عليه السلام ، وشاع عنه هذا الأمر وتحدث به في المواسم .

وفي سنة ١٠٧٠ لما قـدم مـولانـا أحمـد من أحـور[١] قـدم جمـاعـة من العسكـر الأبـطال من أجـل إصـلاح الـطريق ، ورئيسهم الفقيـه محمـد بن قـاسم بن أبي الرجـال فطلب من أحـور الجمال لإنفـاذ بعض الميـرة والأثقـال وذلـك بخلال الشـدائد التي اتفقت بحجـر من الانقطاع وتصـابر أكثـر الجيش من المتـاع فمنـع أهـل أحـور عن تحصيـل الجمـال وطمعوا في التعويق والاستيصـال فأقـدم أولئك العسكـر على أهـل الجمـال الـذين منعـوا وهـم من أحـور فقتلوهم عن آخـرهم ، وهـم نحـو العشـرين النفـر فلمـا بلغ رئيسهم المتفق انحط عليهم بنفسـه ، وهو من سكـرة الغيظ لا يفرق فثبت لـه العسكـر الإمامي والحقوه بأصحابه وانحاز بقية أصحابـه بجانب من البلد ، وحفـظوا به أرواحهم عن الخصم الألـد ، فمـا كـان اسـرع من هجـوم أهـل البلد عليهم وإرسال الرِّصـاص من العسكر إليهم ، ولم يصب منهم أحـد ، ولما طـال بقاء مولانا الصـفي بحجر وتعذّرت الجمـال مع قـرب فعلة أحور ولم يسفـر عن ليل النجـاح فجـر ، كـادت قلوب الأجنـاد تـرك لـطول المقـام ومـا أصـابهم من الضّعف بـانقطاع القـوافل عنهم وتعـذّر الـطعـام ، وكـان الإمـام أرسـل أهـل الحيمة إلى البيضاء لشـد أزر مولانـا أحمد ويـرزم على أهل الـطرقات ، ولمـا طال الأمر على مولانا أحمـد أعمل عـزائمه وانتضى قلبه وصـارمه انفصـل عن حجر ، فطلع العقبة وكان قدم إليها مقـدمه قبله لتعـرف الطريق ، فلمـا بلغت الخدمة اعلاها انهزم من بها من الحضـارم ، واستولت المقـدمة الإمـامية على ما كان لهم بـأعلى العقبة من الأزواد والـذخائر التي أعـدّها سلطانهم بهـا لهم لخاصة الأجناد ، وهذا المحـل هو الـذي يقال لـه ريدة أبـا مدرس[٣] وعنـدها

---

(١) في الأصل حور وأحور واد فيه قرى شرقي أبين « الحجري ٦١ » .

(٢) حجر : واد من بلاد حضرموت « الحجري ص ٢٣٠» وتقع شمال ميفع يشقها نهر كبير وهي من أخصب البقع في حضرموت « تاريخ حضرموت السياسي ج ٢ ص ٢٠ » .

(٣) كذا صوابه بامسدوس وهي من بلدان حضرموت .

تلألأت أنوار القبول لمولانا أحمد وتيقن بالظّهور واشرقت النفوس وانثالت عليه قبائل تلك الجهات وعلموا أنّ القيام في وجهه من المستحيلات ثم أن مولانا أحمد تقدّم إلى المحجرين ولم يبق بينه وبين السُّلطان غير يومين وكان السلطان إذ ذاك بهنين[١] يستطلع الأخبار وينظر في الأحوال ولما تحقَّق الإقبال واستشم رائحة النكال والوبال تلقَّى مولانا أحمد للقتال ، والحضارم معه كل صعب وذلول وقال قائلهم :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جرّ الذيول[٢]

فمطرت عليهم سحابة مجد مولانا أحمد صواعق الرصاص وهبَّت بهم ريح الحتوف فخر جماعة منهم على الأذقان صرعى كأعجاز النخل الكبار وانهزم اكثرهم إلى الأوْدية وانتهى الانهزام بسلطان حضرموت من هنين إلى شبام وعصفت به الدبور وغازلته عيون الانتقام ، ولم يبق له أمل ولا عقد ولا حل ، وذهب عنه ما كان يدعى من الثبات وبطل العمل ، وعندها دخل مولانا بالجيش الأجش إلى هنين وأخذ بيعة أهلها للإمام على أتم حال وامكن ، وأخذ جميع ما للسلطان من الذّخائر مما يضرب بكثرتها وعظمها المثل السائر ثم توجه مولانا أحمد شباما واستولى عليه وهو من عيون مدائن اليمن بتلك الجهات يشار إليه ، واحتوى على ما للسلطان به من طريف وتالد ومنَّ على أهلها بالأمان بعد التّجالد ، وفرق في حينه الأموال والتحف ، فانساهم ما كان بحجر من الإقلال فيما سلف ، ولما سقط في يده السلطان وفارق لا عن رغبة الأوطان نجع بالطاعة وتوسل إلى مولانا أحمد بالشَّفاعة واعلن بانابته ، وأقر بذنبه وعدم إصابته .

وفيها جهَّزَ الإمام ولده محمدا وولد صنوه محمد بن أحمد في عساكر جمَّة إلى البيضاء من أجل إصلاح الطرقات خلف مولانا أحمد وألزم على

---

(١) كذا صوابه هينن بلده من حضرموت .

(٢) من أبيات لعمر بن أبي ربيعة .

أهل تلك الجهات تخوّفاً من مثل ما مضىٰ فما زالا بها حتى انقضت الأمور ورجع مولانا أحمد عن ذلك العبور وغزيا في خلالها إلى بلاد الشيخ علي الهيثمي واستوليا عليها وأخذا ما ظفرا به من الأموال والابغال وقتل نحو اثني عشر نفراً من الفريقين وفَرَّ عنهما الهيثمي يصفق من الحسرة باليدين وذلك لمعاضدته صاحب حضرموت ولقطعه الطريق النافذة من جهته إلى مولانا أحمد ولأمور من السعي في إشادة البغي لا تختفي .

وفيها : انتهب عسكر الحيمة قبل توجههم الحصين وجرأهم على ذلك حاجتهم للجهاد بهم ، وليتهم احسنوا في الحالتين ، فرأى الإمام التغافل عن هفوتهم وعدم المؤاخذة لهم بزلتهم مع الحاجة إلى تقديمهم إلا أنه حبس عقالهم ولم ير استئصالهم .

وفيها : أمر الإمام بضرب الخمس الكبار وتضجَّر الناس منها وأكثروا غاية الاكثار وارتفع بسببها الصوت وغلت الأسعار ، وضرب مولانا أحمد البقشة[1] الأحمدية فحمدها الناس .

وفيها أرسل مولانا أحمد بسلطان حضرموت بدر بن عبد الله الكثيري إلى مقام الإمام فترك بالحضرة أياماً واعيد إلى ولايته بعد التوب والائتمام .

وفيها جهز الإمام ولده الجمالي إلى بيت الله الحرام لاداء فريضة الحج والتمّلي بالكعبة الغرّاء والركن والمقام ولما فاز من الواجب بما يشتهيه رجع في أوائل العام الداخل إلى حضرة ابيه .

وفيها وصل الفرعة[2] والفضلي والهيثمي إلى حضرة الإمام فقابلهم

---

(١) البقشة : يقول الأب انستاس الكرملي : أساس العملة عند اليمانيين وتقسم إلى نصف بقشة وربع بقشة وثمن بقشة وكل عشر بقشات تساوي ربع ريال نمساوي أو امامي أو عمادي واللفظة من التركي من باقجة أو بقجة أي صرة أو خرقة لا سيما تلك الخرقة التي تلف بها الدراهم « النقود العربية ص ١٦٨ » وبلوغ المرام ص ٤٢١ .

(٢) كذا في الأصل الفرعة بالفاء والراء والعين والهاء ولا يخلو الأمر من تصحيف .

بـالاكرام وعـاملهم بما يليق بـالحال والمقـام وأعـادهم إلى بـلادهم واجـراهم على معتادهم .

وفيهـا حصل بين أولاد سلطان حضـرموت اختـلاف وعدم اتفـاق وائتلاف لشيخوخة والـدهم وتباين أهويتهـم ومقاصـدهم ، وكانت بـلاد عمان متـوسطة بين العولقي والواحدي ومع التخريج إلى حضـرموت قـطعوا الـطريق واستمروا في التَّعـدي فجـاء بـالجميـع الفقيـه علي الجملولي في الحـديـد إلى الإمـام فأدبهم الأدب الذي كان به لمادة البغي الانحسام .

وفيها رجع مولانا أحمـد من حضرمـوت في أبهة عـظيمة ومملكـة جسيمة ودولة ظاهرة وانعمالات باهرة وقـد فاز بخيـري الدنيـا والآخرة ، فتلقـاه الإمام بـالقبول وبلغ من اكـرامه المـأمول وأنـزلـه من التعـظيم بحله المـاهـول وبعـد انفصـاله من حَضْـرموت تـلاحقت حمائـل وقوافـل وأشياء عـظيمة من البـزّ(١) والحاصل فانتهيت في الطريق وقتـل أهلها وأعـظمها الإمـام وأجلَّهـا ولم يكن في الحال استدراك خللها .

وفيهـا خطب القـاضي أحمد بن سعـد الدين(٢) على أعـواد منبر الجـامـع بصنعاء وحذف أشياء كانت الخطباء تعتمدها وأثبت غيـرها في الـدعاء ، وهـو أول من ذكـر الإمام الـولي زيد بن علي والإمـام الهـادي واستمـر بعـده عليهـا الخطباء والفضل للبادي(٣) .

وفيهـا اعترض السيـد العـالم أحمـد بن علي الشـامي في اهـدار الـدمـاء الذَّاهبة في أيـام الأروام ، وعدم سمـاع الدَّعـوى فيها عنـد التَّشاجـر والخصام

---

(١) البز بفتح الباء وتشد الزاي الأقمشة على مختلف أنواعها « بلوغ المرام ٤٢٠».
(٢) هو من علماء عصره الأفاضل سيأتي ذكره حين وفاته .
(٣) في (ر) الهادي .

واستـدل بأدلـة كثيرة من الاصـول واستشكل التكفيـر بالإلـزام[1] والشـرح فيـه يطول[2] .

وفيها اشتهر شريف من بني الجلال اشتهـر بالشعبـذة والتعمية ونسب إليـه استخـطاف أموال من صنعـاء المحمية ، فحبسـه الإمـام بكمـران[3] فـأرسـل حصيـرة ووثب إليها فنجـا سـالماً عليهـا والعيـون تـراه ولم يروا لـه خبـر إلى الآن .

وفيهـا سار الإمـام إلى شهـارة وبـانتشـاره انتشـرت الجـراد على الثِّمـار ، فارتفعت اثمان الطعام وكادت تهلك من تقليل لعلوفة الأنعام .

وفيهـا جاءت الأخبـار باستيـلاء العماني على ظفـار وكان البـاعث له على ذلك استدعاء جعفر بن عبد الله لبعده عن الحق واستمراره على الاصرار .

وفيهـا وصل مشـائخ المشـرق إلى الإمـام صحبـة الفقيـه علي بن صـلاح الجملولي في الأغلال بلا احترام ومن جملتهم الهيثمي وافرده الإمـام بالهـوان لتكـرير العصيـان فأمـر به إلى حصن كـوكبـان وأخـذ العهـد على الآخـرين ، وأرجعهم إلى بلادهم .

وفيهـا برز من الإمـام الأمـر بمنـع اليهـود حيث كـانـوا من عصيـر الخمـر

---

(١) في (ر) الارلام خطا . وهنا بحث نفيس وهو هل يكفر المخالف للحق من أهل القبلة قال العضد في المـواقف ص ٣٩٢ « جمهور المتكلمين والفقهـاء على أنـه لا يكفـر أحـد من أهـل القبلة والمعتزلة الذين قبل أبي الحسين تحامقوا فكفروا الأصحاب فعارضه بعضنـا ـ يعني الأشاعـرة ـ بالمثل وقد كفر المجسمة فخالفوهم قلنا ـ يعني العضد نفسه ـ إن المسائل التي اختلف فيها أهل القبلة من كون الله تعالى عالما بعلم أو موجد بفعل العبد أو غير متحيز ولا في جهة ونحوها لم يبحـث النبي صلى الله عليه وسلم عن اعتقاد من حكم باسلامه ولا الصحابة ولا التابعون فعلم أن الخطأ ليس قادحا في حقيقة الاسلام » الخ .

(٢) قلت هذه المباحث الفكرية مما عنى به صاحب الأصل الأول المؤرخ يحيى بن الحسين .

(٣) كمران : جزيرة مشهورة في البحر أمام الصليف « معجم المدن لأبراهيم المقحفي ص ٣٥٠ ط أولى » .

وأوجب كسر أوانيهم وأخذ على العمال بالتشديد في ذلك قاصيهم ودانيهم .

وفيها وقع بطريق عدن قتل وقتل ببلاد الفضلي جماعة من العسكر المتردّدين الى أعماق اليمن فأرسل مولانا أحمد من كشف عن القضية وعين أدباً بالغاً من أجل ذلك على الرّعية وعمَّ طوفانه إلى بلاد الهيثمي فجرد مولانا أحمد من أجل ذلك عزمه المشهور وانفصل مسرعاً بالخيل التي كالصقور فطرق بنفسه تلك المحال وأصلح فاسدها وسدَّد الأحوال وهرب الفَضْلي منه وتوغّل في القفار .

وفيها خرجت بنت سلطان الهند إلى **المخا ومنحت** عاملها السيد زيد بن جحاف من التّحف ما دل عن سخاء ، وقصدها الحج إلى بيت الله الحرام ومعها من الأتباع والأموال ما لا تضبطه الأقلام .

وفيها اتحد الحال بين السلطان بدر بن عمر وولد أخيه جعفر وطلب منه التَّوسط بينه وبين الإمام في أخذ الأمان والمثول ببابه بعد ذلك المفر .

وفيها توفّي السيد العلامة أحمد بن علي الشامي وكان عارفاً بعلوم الزيدية وجعله الباشا في ابتداء ايامه إماماً لمسجد الشهيدين[١] فاستمر على ذلك دهراً حتى حصل بينه وبين الأفندي تنافس خشي منه يصير أثراً بعد عين ففر إلى الحيمتين[٢] وأحبّه أهلها وبلغ الإمام القاسم ذلك فولّاه أحد الجهتين ، ولازم آخر أيامه مولانا الحسين بن القاسم واعتمده في العظايم ، فكان على تغيير المنكر شديد العزيمة ماضي الشكيمة لا يأخذه في الله لومة لائم وله انظار مليحة وحواش على شرح الازهار مفيدة صحيحة وترجيحات واختيارات وانفراد مسائل قررها من العلميات .

---

(١) مسجد الشهيدين هو من المساجد العامرة في الغرب الشمالي من سوق صنعاء « انظر مساجد صنعاء ص ٥٩ » .

(٢) هما داخلية وخارجية تقعان بالجنوب من صنعاء على مسافة ٣٧ ك.م.

وفيها نزل بصنعاء ثلج عظيم وهو غير معهود الوقوع . وذكر بعض المؤرخين وقوعه في أيام الإمام شرف الدين ورأيت في غيره ذكر نزوله في أيام الصليحي وأيام الرشيد العباسي وغيرها على تراخ من السنين وسيأتي ذكر نزوله بصنعاء وغيرها في عصرنا سنة ١١٤١ عند الوصول إليه من هذه التاريخ إن شاء الله تعالى .

وفيها طلب الإمام ولده محمد إلى ضوران[١] وكان بصنعاء حينئذ ولما وصل ناط بعاتقه حمالة الولاية بضوران وبلادها وأمره بنشر العدل والعمل فيه باجتهاده فسار به السيرة التي تحمد ، واشاد مباني العدل وجد واجتهد .

وفيها توفي الشّيخ عبد الرحيم اللاهوري الحنفي بشهارة ، وعرفنا أولاد ولده في أيام المواهب[٢] على حالة منهارة وكان أمكنهم الشيخ محمد بن نعمة الله بن عبد الرحيم له إنشاء قويم ، وكان ممن يتقي لسانه ، ويراعي من أجل أذيته مكانه، ونكب والده في أيام الدولة المهدوية الواهبية[٣] وطرد عن الباب واركب البحر العباب وهدمت داره بتعز بسعاية الفقيه محسن الحبيشي لتوهمّه أنه سيكون محله في الوزارة ، وكان عبد الرحيم المذكور له بعض عرفان وتحلى بالديانه ، وهي أنفق ما كان في هذا الزَّمان واستكتب بحضرة الإمام « احكام الهادي » « وأمالي أحمد بن عيسى » فخف بذلك على قلب الإمام .

وفيها أمر عماد الدين يحيى بن محمد بن الحسن باعادة النوبة[٤] وأسبابها وكانت تركت من أيام مولانا الحسن بن القاسم عند الفراغ من قتال الأروام وذهابها وتركها سائر بيت الإمام القاسم وجروا كلهم على ما جرى عليه .

---

(١) ضوران سبق ذكره .
(٢) المواهب : مدينة بالشرق من ذمار بمسافة ١٠ ك.م وتتبع عزلة منقذة .
(٣) دولة المهدي حمد بن حي صاحب المواهب سيأتي .
(٤) موسيقى العسكر .

وفيها توفي القاضي العارف الحسن بن أحمد الحيمي الجمالي الدَّاخل إلى الحبشة رسولاً من الإمام إلى سلطانها وكان له قدرة على الحلِّ والارتحال والجري مع الملوك في ميدانها ولديه معرفة في العلوم وكل فن وله شعر مليح دون ولده الفصيح(١) .

وفي آخر هذه السنة وصل مولانا أحمد بن الحسن إلى الغراس بعد أخذه حضرموت فقرت به النواظر وفرح بمقدمه البادي والحاضر .

وفي سنة ١٠٧٢ فيها توفي السيد ناصر صبح الذي ادعى بدولة محمد باشا الإمامة وعارض الإمام القاسم، وقد ذكر ذلك فيما تَقدّم في انباء الزمن(٢) وقبر بشهارة .

وفيها سار مولانا أحمد إلى غيل الخارد وقطع باعماله شجرة كان يعتقدها العوام وتذبح لها الذبائح ويستسقى بها الغمام ، ورجع إلى الغراس وعمل في الخارد حماماً ربانياً(٣) عمره وهو إلى الآن يقصد .

وفيها طرقت الفرنج البرد قال(٤) ساحل عدن وحطت به لهم ثلاثة اغربة لقصد الانتهاب ، ومنعوا التجار من النفوذ إلى المخا والعامل به السيد زيد جحاف عاملهم في العام الماضي بشدّة فمضوا والنفوس بينهم وبينه غير طيبة مع كلام رفع إليهم عنه طار منه الشرار ، فوجه السيد إلى اغربتهم المدافع واطلق بالتيار عسكراً في قتالهم فعلم البر دقال أنه لا طاقة لهم بالقتال ، فعدلوا إلى الحيلة في ذلك الحال وتفرسوا من مركب المسلمين لمكان جبخانة(٥) البارود، وأطلقوا إليها النار بهندستهم فحرق بالجبخانة

---

(١) لعله يعني ولده محمد بن حسن الحيمي شاعر وكذا حفيده أشهر أدباء اليمن .

(٢) انظر غاية الأماني ص ٨١٣ وهذا التنبيه يفهم أن المؤلف أراد بكتابه تكملة أنباء الزمن أو أنه كلام صاحب بهجة الزمن مؤلف الأنباء نفسه والله أعلم .

(٣) أي حماما من فعل القدرة الآلهية وهو ما يسمى عند المتأخرين بالحمامات الطبيعية .

(٤) هم البرتغال وقد كان لهم قوة بحرية في ذلك الوقت .

(٥) مخزن البارود .

مـركب المسلمين وهلك من بـه بـالغـرق والحـرق وانحـطوا على من سلم واوثقـوهم بالأسـر وراحوا بهم إلى كـوة[1] بيد الاقتـدار ، وأخـذوا الأتّـاوة من جميع مراكب الإسلام بباب المندب وعاثوا في البحر بـالقتل والسلب واخـذوا سفن الحضـارم ثم ان نـائب كـوه بعث بـأسـراء المسلمين إلى سلطانهم بـل شيطانهم فخاضوا بهم البحر سبعـة أشهر وبـالبر ثـلاثة عشـر شهراً حتى بلغـوا إلى أوطـانهم ومَقر سلطانهم هـذا الغـرب الجـوّان وفيـه تخت ملكهم العـظيم والايـوان فلبثوا بتلك الـدّيـار إلى أن فـكَّ الله أسـرهم ووقـاهم شـرهم فـاطلق سلطانهم من تـأخـر أجله منهم بعـد سنين وعـادوا إلى اليمن على حـال مهين وكـان مـولانـا أحمـد عنـد اتصـال الخبـر إليـه بهـذا الحـادث والإمـام حينئـذ بعمـران ، فلم يتوقَّف حتى يحصـل الاستئذان لتضييق البـادرة واقتضى الحـال المبادرة فطوى إلى عدن المراحـل ، وترك مـا كان حـرَّر من النية على معـاودة البيت الحـرام ورأى أن الذَّب عن المسلمين أولى بـالاهتمام ، فـوصـل عـدن وقد طارت بهم الغربان وكتب لـه أجر المجـاهد ، وأثنى على اهتمامـه الغائب والشاهد ، وجهز من عدن إلى ملك الهند هديـة سنية من العتـاق الأعوجـة[2] والتحف الثمينـة ، فكان لهـا موقـع عظيم وقـوبل حـاملها بـالتكـريم ، ورجـع الرسول بعد زمان بمكافأة ذلك وثبت له الوداد بقلب اورنقزيب[3] وعمال تلك الممـالك والإمـام ارتحل من عمـران إلى صنعاء ولبث بهـا بعض زمان وتقـدّم منها إلى ضوران .

وفيهـا توفي الأميـر الناصـر بن عبد الـرَّب صاحب كـوكبان وكـان من كرم

---

(١) كوه أوجوا اقليم على ساحل بومباي بالهند أسسه الفونسو البوكرك كانت عاصمة الهند البرتغـالية التي ضمت دموأوديو انظر الموسوعة العربية الميسرة ج ١ ص ٦٥٤ .

(٢) الاعوجيات قال الملك المجاهد في الأقوال الكافية ص ١٠٦ نسبة إلى أعوج فرس لباهلة وقيل لبني هلال وقيل لكندة .

(٣) من ملوك المغول مولده سنة ١٦١٨ م ووفاته سنة ١٧٠٧ م تولى الحكم سنة ١٦٥٨ إلى وفاته وهو أصغر أبناء أربعة أنجبهم شاه جيهان وأظهر منذ حداثته براعة حربية وكان محبا للاطلاع والعلم متقشفا في معيشته والتمسك بالاسلام « الموسوعة العربية الميسرة ج ١ ص ١٢٤ » .

الشيم بمكان وقعد في دست ولاية تلك المملكة ولده الفاضل عبد القادر باليمن والبركة وهو يتلو أباه في المكارم .

وفيها كان ابتداء شعار يوم الغدير ، واظهار الزينة والتباشير والساعي فيه مولانا أحمد بن الحسن بمشاورة الإمام واستحسانه الرأي وتلقّيه بالإعْظام وكان ابتداء هذا الشعور[1] بحبور فعم الشيعة بفعله السّرور والحبور فقيد به الجيش اللهّام وسلت السّيوف على متون الصافنات الجياد ونشرت الأعلام وأصلت كل فارس سيفه وافيضت الخلع على الكبراء والشعراء ، وقال المجيدون في مدح الوصي كل بديعة غراء وقام بذلك للشيعة الشنار واتقدت النواصب بسلال النار ، وأول من سن نشر الأعلام ووضعها بهذا اليوم في أعالي الدور والاطام معز الدولة بن بويه وقد ذكر[2] الذهبي ذلك في تاريخه وأشار إليه .

وفي سنة ١٠٧٣ كان القران بين المشتري وزحل ببرج القوس وهو الدور الخامس عشر والقران الأول وفيه يكون بإذن الله تقلب الدول وانتقالها من محل إلى محل ولهذا القران عند المناجمة أمور كثيرة و لله التصرف والأمر والحكم له لا لزيد وعمرو.

وفيها احتال الهيشمي المتقدم ذكره فهرب من السجن بكوكبان وبلغ الاهجر[3] فشعر به أهله فارجعوه على هوان وعومل من التاديب بما يليق .

وفيها توفي القاضي العلامة الحسين بن يحيى السحولي ودفن إلى جنب أخيه بقية السعدي والنص على علمه جلي .

---

(١) كذا على غير قاعدة لغوية وإنما إذا أردنا ان نجمع شعار قلنا أشعره وشعر وفي التوحيد شعاره وشعيرة ولم نجد في صيغها شعور والله أعلم قلت لعله وهم في (ر) وقد جاء في (د) شعار وهو الصواب .

(٢) في (ر) كرر .

(٣) الأهجر : واد خصيب في الشمال الغربي من صنعاء بمسافة ٣٥ ك.م .

وفي هذا العام لم يدخل المخاغير اليسير من البز[1] بسبب فتنة الفرنج المتقدمة فارتفع سعره وعز .

وفيها قبض مولانا محمد بن الحسن أكثر البلاد التي وجه أعمالها بنظر ولده يحيى بن محمد وأبعد أهل النوبة عن بابه فقصد أهلها حضرة مولانا أحمد بن الحسن ولاذوا بجنابه وامرهم بالاستمرار بالخدمة على بابه ولهج العوام بها لبعد العهد بها من الزمن القديم وعمل فيهم ترجيعها[2] مالا تعمل المدام بالنديم ولما تم لمولانا محمد بن الحسن منعها من باب ولده وكان ذلك جل المقصود من قصده لكثرة ما كان ينفق عليها ولده يحيى وعلى أربابها حتى اتسع نطاق الإنفاق وأخذ بالاجناد الذي لديه ولما أضرب العماد[3] عنها ومال نظره منها أمر بها مولانا محمد بن الحسن تضرب بين يديه وضوعفت أسبابها لديه وهي مما لا بأس به للارهاب ولسماعها عند الابطال تحريك في يوم الضراب وقد ضربت بين يدي كثير من الأئمة ولم يلتفتوا فيها إلى قدح قادح [4] من البغضة .

وفيها كتب الإمام إلى سلطان العجم شاه عباس ابن صفي شاه[5] مكتوباً يشتمل على المعاهدة وجلب الألفة فأجاب الشاه بما يدعو إلى كمال الألفة والتّحبب البالغ فوق الصفة .

وفي سنة ١٠٧٤ هاج بين قبائل عيال سريج شرّ انقطع به الجبل وذهبت به نفوس بسبب ضرب الطبل والقبائل تأنف من مثل هذا إذا اتفق ببلدهم

---

(١) في طبق الحلوى : البن .

(٢) أي ألحانها ، ألحان النوبة المذكورة .

(٣) يعني عماد الدين يحيى بن محمد بن حسن السابق ذكره .

(٤) قلت لما أنكر على الإمام علي بن صلاح الدين في استعمال هذه النوبة ألف كتابه الحسام المشهور في الذب عن سيرة الإمام المنصر، منه مخطوطة بحوزتي.

(٥) هو عباس الثاني ابن صفي الأول حكمه من سنة ١٠٥٢ إلى سنة ١٠٧٧ أنظر الدول الاسلامية لستانلي بول ص ٥٧٦ .

من بعضهم البعض ، ولما يرون المنع عندها من أوجب الفرض ، ففرق بينهم مولانا محمد بن أحمد بن الإمام القاسم وحزم بالحد ذلك الخصام .

وفيها سار الإمام من ضوران إلى صنعاء فتلقاه النّاس وحمد منه ذلك المسعىٰ .

وفيها فرض الإمام بصنعاء مجبا يؤخذ من أهل البيع والشراء ورأى في ذلك مصلحة خفى وجهها والخير فيما رأى ووضع ناظر الوقف على كل واحد من الجزارين شيئاً معلوماً ، واستمر ذلك زمَاناً وبعد سنين تضررًّ الناس وشكوا إلى الإمام فرفع عنهم ذلك التكليف وسلك بهم جادة التخفيف ، وأما ناظر الوقف فأبقى ما وضع على حاله لتسهله عليهم وعدم السعي في إبطاله .

وفيها أمر الإمام بإحراق كتاب « الفصوص » لابن عربي وفيه من الكفر الصَّريح ما يخالف شرع النبّي صلى الله عليه وآله وسلم وقد أطلق التكفير بصاحبه كثير من العلماء وقرَّر عليه القول بالوحدة والحلول والانسلاخ عن الدِّين ومنهم من تولاه وللأمور نظائر وأشباه والأمر فيه من بين موجب وسالب وللناس فيما يعشقون مذاهب[١] .

وفيها استولى الباشا حسين بالبصرة على مملكة الحسا والقطيف فطرد عنها عيسى باشا واخرجه منها إخراجاً عنيفاً وصار الباشا عيسى إلى البيت الحرام ومعه من دستور مملكته الأعطال[٢] ولما بلغ السلطان جهّز على الباشا حسين وسيأتي تحقيق ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى .

---

(١) قلت مسألة ابن عربي من المباحث المشكلة وقد انقسم العلماء فيما بينهم إلى قسمين منهم المكفر له ، فمن أهل اليمن العلامة الحسين بن عبد الرحمن الأهدل في كتابه كشف الغطاء وابن المقرى والمقبلي في كتابه العلم الشامخ وغيرهم وقد اوردنا مسألة ابن عربي وانقسام العلماء فيه في كتابنا الصوفية والفقهاء في اليمن فانظره .

(٢) أي العاطلون عن العمل أو الفارغون .

وفيهـا هبت ريح بجهـة لحـج ريـح عقيم وفـوج من حميم فـاحتملت في الجـو حيوانـاً كثيراً وقيـل إنها حملت ثـلاث نسوة وكـان لها في قلوب الـطغام تأثيراً .

وفيهــا سقط جبــل بمــدوم[1] من جهــات الشــرف واستهلك جملة من الاطيان تحته ولم تظهر بعد ولم تعرف .

وفيهـا سار الإمـام من الروضـة إلى الخارد في ضيـافـة مـولانـا أحمـد بن الحسن مع ما انضاف إلى ذلك من المقـاصد ثم ارتحـل عنه الإمـام إلى ناعط ثم انحط عنه إلى السودة ثم طلع منها إلى شهارة .

وفيهـا ثـارت فتنـة بين أهـل خيـوان وصبـارة[2] من سفيـان راحت فيهـا قتول ، فأدبهم الإمام .

وفيهـا أمر الإمـام الشيخ عـامر الصـايدي بنـزول تعـز في افتقـاد الشجـار الحـاصل بين السيـد الحسين المحرابي عـامل مـولانا محمـد بن الحسن وبين الشيـخ راجح الكينعي عـامل الإمـام بعد أن طـاح بينهما قتيـل فالتـا[3] بسعيه وآل الأمر إلى حال جميل .

وفيها : أمر الإمـام بعمارة قصـر عيان واعـادته إلى مـا كان عليـه في دولة الأروام آل عثمـان فلما تكـاملت عمارة ركنـه المشاد ثقلت عمـرانـه على أهـل البلاد لميلهم إلى الفساد وبعد كمالـه أمر الإمـام السيد صـالح عقبـات المتولي للعمارة بالاستقرار فيه وان تجمـع إليه زكـوات خيوان ومـايليه وعنـد ذلك غلظ مكـانه على أهـل سفيان ولم يكن عنـد السيد نصـاب يحـرس نفسـه والمكـان

---

(١) في (ر) غيدوم ومدوم بلد من الشرف في حجة .

(٢) صبارة قبيلة ووطن في نهم من سفيان .

(٣) كذا في الأصل ولعله فالتأم .

(٤) كأنه من المباينة المفارقة أهل ماشية من قبائل متفرقة يتنقلون ما بين الجوف ونجران على أطراف الرملة « مجموع الحجري ص ٧١٣ » .

فاستعفى الإمام عن البقاء بعيان واوضح له أمر أهله بالبيان فطلبه الإمام لديه وكان ذلك في الحال أحسن ما يعول عليه .

وفي سنة ١٠٧٥ وصل السلطان بدر بن عبد الله الكثيري على طريق الجوف إلى الإمام وكان معه له هدية سنية انتهبتها المعَضّة بحدّ الحسام واستأذن السلطان المذكور في الحج المبرور فأذن له الإمام فتوجه إليه فقضى بالطريق عليه قبل البلوغ إليه ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله فرجح الإمام تولية الفقيه أمير الدين العلفي على الشحر واعماله وقرر يد ولد السلطان بدر المذكور على حضرموت وسدد من أحواله .

وفيها ظهر في صمع صوت رجل ينادي بالليل ولا يعرف له صورة تتميز للناس وسمى نفسه عبد الله وادعى أنه شريف وأنه المهدي المنتظر وما زال يستجلب النذور بهذا التمويه والغرور وعمر قصراً في الاجمة[1] وجعل حوله اماكن الخيل واخفى شخصه عن كل ناظر فلا يسمع به إلا في الليل وكان له اتباع جاز عليهم تمويهه وتدليسه وأعمل فيهم من مكره إدلاجه وتغريبه وحقيقة الحال أنه رجل من بني سود وله في التصوف قدم وتظاهر بغرائب التمويه ومن اوائلهم أبو حربة[2] المشهور وكان هذا الرجل المذكور أولًا يتخفّى في القصر الذي عمره بالنّهار ويوهم من وفد عليه بأنه نائب[3] عبد الله في الزوار وإذا جاء الليل لبس هيئة المتصوفة وقد يلبس الملابس الفاخرة المتناهية ثم يخرج إلى شواهق الجبال وتظهر منه أصوات تعْمل في خاطر من يسمعها مع تأكّد الخيال ، وأصحابه تراعي أحواله من مكان قريب لقصد حفظه والتشكيك على المستريب ومن رام يوافقه أو يشاهده فلا سبيل

(١) الأجمة في مطبوعة الطبق دخل هيجة لاحمة .

(٢) هو الصوفي الكبير أبو عبد الله محمد بن يعقوب ابن حربه صاحب دعاء ختم القرآن وفاته سنة ٧٢٤ انظر ترجمته في طبقات الخواص ص ٢٧٤ ط الدار اليمنية .

(٣) ساقط في الأصول والزيادة من طبق الحلوى ص ١٩٦ .

إليـه في الظّاهـر وإنما يكلمـه بالليـل من مكان بعيـد بتغليظ الصوت والتسـاتر والمخـاطبة بـألفاظ عـامية تقضي بـان لا علم له ولا دريـة . ومـا بـرح هكـذا حتى غلظ أمـره ، وجمع النذور وشاع ذكـره ولـم يزل حتى خفيت أخبـاره بعد حين ومضت عليـه عدة من السنين إلى أيـام المهـدي بـالمـواهب وظهـر سنـة احـدى عشرة بعـد مائـة والف واتفقت بسببه عجـائب وغرائب ومقـاتل مـا كان يحسبهـا الحاسب ، وكـان السيـد إبـراهيم المـدومي الآتي خبـره في الابتـداء يدعو إليه وستأتي أخباره في موضعها إن شاء الله تعالى فهي تدل عليه .

وفيهـا سـار مـولانـا أحمـد بن حسن إلى معين وجـهـز من جنـده إلى عزومة[1] المعضّة الذين انتهبوا هدية السلطان بدر بن عبـد الله فاستـاقت الغارة بعض مـواشيهم ثم تتبعتهم المعضة عنـد الرجـوع ففـاتهم استـدراك الـذود[2] وقتلوا أربعة أنفار من جند مولانا أحمد بن الحسن .

وفيها انسل من صنعاء السيد محمد بن علي الغرباني إلى برط وقدح في أحكام الامام وذكـر أنه تعين عليـه القيام وعلى أهـل برط الاجـابة والانضمـام ومـا زال حتى آل أمره إلى الـرجوع صـنعـاء ولـم يتم لـه مـرام ، وكـان مـولانـا أحمد بن الحسن استقر بالجوف أياماً ووجد هناك من الأبنيـة ، اهرامـاً[3] فلما بلغ إليـه بالجيش دبّ عليهم نمـل أزعجهم وكدر العيش، وهـذه آثار مجهـولـة واطلال غير مأهولة .

وفيهـا وجـه الإمـام اميـراً على الحـاج وزيـره السيـد محمـد بن صـلاح الجحافي .

وفيهـا كمـا تقـدم ، عـرض عيسى بـاشـا شكواه، على السلطان وذكر أن

---

(١) كذا في الأصل ولعله يعني المعضه فخانه التعبير .

(٢) الذود : الإبل لا يتجاوز عددها الثلاثين .

(٣) عبارة صاحب الطبق ص ٢٠١ « وجد هناك مآثر أشبه بأهرام مصر محفوفة بنهر مراد » .

حسين باشا صاحب البصرة استظهر على الحسا والقطيف ، فغضب السلطان من اقدام حسين باشا بغير امره ، فجهز عليه بعد أن عرف انه مائل إلى العصيان ، ووجه الصناجق[1] اليه وبلغ حسين باشا ما عزم عليه السلطان فتلافى القضية بالرجوع والاذعان واستدعى عيسى باشا للرجوع إلى ولايته بلا تخريج واسترسل في المسكنة والانعطاف فاشار على عيسى باشا بعض خواصه بعدم القبول وعرفه أن تذلل هذا الجبار لأمر ما تنكره العقول فلا تأمن مكره أهونه السمّ له ، وكان طبعاً عرف به وجبل عليه ، فقد سلف منه مثل هذا حتى صار له عادة فأعمل في الرأي ولا تخالف الارادة فرجح عيسى باشا المسير إليه وذلك بعد استخارة الله عز وجل والتوكل عليه وأجابه بالإسعاف وتوجه إليه مع التحرز على طعامه ، ولما مثل بمقامه ارجعه إلى ولايته ملحوظاً بعين عنايته ولم يلبث حسين باشا إن أقبل إليه الجيش العثماني والصنجق السّلطاني فهابه **الأقرب والأبعد،** ولما عرف حسين باشا ذلك حدث نفسه بالعِصْيان لسلطانه وقسم عسكره على أطراف البصرة وحكم له المنجمون بالغلبة والنصرة ، ثم لما احكم امره خادع امراء السلطان ولاطفهم ، وذكر لهم انه غلامه وعرفهم ان الباشا عيسى قد طابت نفسه وصار في ملكه وأسه ودس مع ذلك المال لكبرائهم ، ومع ذلك خوفهم الصدام وقال لهم إن ترجعوا بهذا الوجه الجميل وإلا فاستعدوا للحرب الطويل وانواع التنكيل فلا بد اشفي الغليل ولا ابالي على أي جنب أقع فرجعوا عنه بالارجاف عليهم بهذه الأقاويل وعصوا أمر السلطان عما امروا به من القتال له المستطيل وهم مع ذلك أقْدر منه ، وكانوا في جمع وافر قدرت بأربعين الفاً غير من أنضاف إليهم من بغداد وكثير من البلاد ، فلما رجعوا إلى السلطان برز للكبرى في الصيوان وقال لهم أمرتكم بأن لم تأتوا بحسين باشا في الحديد فجنحتم إلى مالم تؤمروا به من عدم التُشدْيد ثم أقراهم الصارم البتار وقال اخترتم البقيا عليه وانا هكذا اختار ، وثبت سلطان حسين باشا

---

(١) جمع صنجق وهو اللواء والدائرة تحت لواء واحد واللفظة فارسية .

على البصرة إلى سنة ثمان وسبعين وسيأتي هناك تحقيق خبره إن شاء الله تعالى .

وفيها توفي السيد العلامة عز الدين بن دريب بالطويلة وهو الذي ثبت مع مولانا أحمد بن القاسم في تلك الخطوب الجليلة وكان صاحب عرفان بالحديث والمعاني والبيان إلى غير ذلك من العلوم وكان إليه بأيام الإمام المؤيد بالله ولاية الطويلة ولما عزله الإمام المتوكل على الله ولاه منصب القضاء وكانت احواله فيها جميلة .

وفي سنة ١٠٧٦ رجع مولانا الصفي من الجوف وكان أراد النفوذ إلى برط من أجل قبض الواجبات وتقرير الأحوال وما أشبه هذا النمط فخشي قضاة تلك الجهات قبضه الواجبات وهي لهم معتادة فدسوا رسائلهم إلى الإمام وإلى مولانا محمد بن الحسن وعرفاهما ان الأمور جارية على الارادة وإن ما ثم هناك خلل ، ودخول مولانا الصفي برط مع ضعف النّاس يشق بهم ويؤدي إلى ثوران العلل ، والواجبات قد صادفت المصرف من غير واسطة ولا تكلفه فرجح مولانا الإمام عدم نفوذ مولانا الصفي أحمد وأمره بالعود إلى محله والعود أحمد .

وفيها قدم مولانا أحمد من الخارد وكان الإمام استدعاه يفاوضه في أمور فيها الجواب على الشاة فيما طلب من النصرة على عمان ، وإنه على المنابذة لهم ، فلما وقع الخوض في ذلك تولى بعض الجواب بعض الكملاء هنالك ، وقال : الرأي سدّ هذا الباب وأنتم أحوج إلى افتقاد غيره من اطراف مملكتكم وهو الصواب فصادف كلامه ما في نفس الإمام والصفي وأجيب على الشاة بانا إذا رأينا التّوجه على صاحب عمان ، فنحن عن اعانتكم لا نكتفي[1] والبادي منا إليكم والحظ لنا في التنبيه عليكم ، وكان

---

(١) كذا وفي عبارته بعض غموض وفي الطبق ٢٠٧ « انا اذا رأينا نهضة قصدنا عمان وتقاضى الحال استعداد عون منكم مال أو رجال يممناكم على ذلك » .

من أسباب ترك التجهيز على صاحب عمان فتنة حسين باشا بالبصرة وإضراب مولانا محمد بن الحسن إلى الالتفات إلى هذا الشأن وهي من لا يقطع الامن دونه .

وفيها استدعى مولانا أحمد قبيلة همدان للتسويد[1] في العيد لديه فاجتمعوا له جميعاً وبلغ بني الحارث ان ارادتهم المرور على بلادهم بالطبل والريح وهو عليهم اشد من الاجهاز على الجريح وعليهم فيه بين القبائل وصمة ، ويعد ذلك عندهم من المصائب الملمة فتحزبوا للدفع وتنصبوا وعزموا على قتالهم لو ذهبوا واشعروا همدان دون المرور خرط القتاد وخروج الدم من الاكباد ، وأن مرورهم بالريح[2] فيه عليهم العيب والعار الظاهر فقدح ذلك في خواطر هَمدان وعزموا على المرور وسط بلادهم بريحهم لو كان ما كان ورأوا المنع لهم استخفافاً بالجانب فلما بلغ الإمام وهو بصنعاء هذه المحاتمات واتساع نطاق المكالمات حجز بينهم بأن استدعى مولانا أحمد إلى حضرته فسكنت القبيلتان ببقاء كل منهما مكانه .

وفيها توفي السيد المطهَّر بن محمد الجرموزي بعتمة بلد ولايته وكان له جهاد آخر أيام الإمام القاسم وفي أيام المؤيد وإن كان في آخرها اعياد له ومواسم وجمع سيرة الإمام القاسم وولده المؤيد وبعض سيرة المتوكل .

وفيها مات محمد بن لطف الله الخواجا الشيرازي وخرج جدة من شيراز إلى اليمن فاستطيبها وسكن بها واستوطنها وكان هو وأهله في نعومة من العيش وسلامة عن افراط الغلو[3] والطيش واتخذوا بالجراف من أعمال صنعاء الحدائق والمساكن وكان لهم اتصال بالأدباء ، وقضى محمد المذكور اكثر أوقاته في طلب العلم الشريف وادرك المعاني والبيان والنحو والمنطق

---

(١) أي للتكثير أو الاشعار .
(٢) كذا في الأصول ولم يتضح لنا المعنى .
(٣) أي الغلو في محبة أهل البيت .

وعلم الأصول وعلم اللطيف[1] وكان له إلمام بالحديث وسمع فيه على الفقيه عبد الرحمن الحيمي مع علم المواريث ورزق في نظمه السعادة وكان له اتصال بالقاضي محمد بن إبراهيم السحولي .

وفيها انهدت جبال باليمن كثيرة وساخت وعلى أطيان كثيرة استولت فمنها بالأهجر حتى كبس الطريق ومنها ببلاد عفار[2] كحلان وهلك بها كثير من الديار .

وفيها وفد الأمير عبد القادر بن الناصر صاحب كوكبان إلى الإمام فأدى ما يجب من حق الزيادة والإلمام وأشار على الإمام بسعة التكليف وعدم قيام البلاد بالجند الكثيف والتلطف في السؤال واحسن العبارة والمقال فوصله الامام بقلب مجبور واسعاف إلى كثير من الأمور .

وفي سنة ١٠٧٧ حج مولانا علي بن أحمد ابن الامام القاسم وسلك على الطريق الشرقية وجهات بيشة حتى خلص إلى البيت الحرام .

وفيها اتفق باليمن شدة لتأخر المطر واستمرار الجراد الذي دام ودمَّر فإنه امتد إلى الروم والصين واستولى على اكثر الارض من جهة الشمال واليمين ورخصت من بعد الاسعار .

وفيها وضع الإمام على أهل الحيمة المجبا[3] والضمانة وكانت واجباتهم تساق بالأمانة ، والسبب لذلك أنه اتفق منهم أمور أفضت في تساهل الاداء وأخذوا الحل من واجباتهم بيد الاعتداء فأوجب هذا ومن الموجبات كثرة التهالك ولما وقع الأمر وعم به زيد وعمرو انثالوا إلى الإمام شاكين فلم يشكهم ولا أذن لهم بعد بتمكين ، وقررهم على ما وضعه عليهم .

---

(١) علم اللطيف يطلق عند أهل اليمن على التصوف .

(٢) عفار : جبل في بلاد كحلان بالشمال الشرقي من حجة .

(٣) المجبا هو الجباية وهي ما تجمعه الدولة من ذمم الرعايا من الزكاة والجزية والخراج ونحوه (معروف) .

وفيها توفي الشريف زيد بن محسن صاحب مكة وترك بيد الاقسار[1] تحت المملكة وكان هماماً هصوراً وسيداً مذكوراً وكان إليه من السلطان ولاية الحجاز والمدينة والصَّفراء[2] وبدر وحنين وغيرها من البلدان التي حاز ، وكان ملكها على الحقيقة[3] وسواه المجاز ، ورثاه، الشيخ إبراهيم الهندي[4] اليمني فأجاد ، وقال من قصيدة فريدة ، ونذكر منها أطرافاً للاختصار والاقتصار وهي[5] شعراً :

بأبي المجد عزّ[6] أم القراء ... وابك زيداً يا عمرو أي بكاء
وأجر حمراء دمعتيك لوجه ... وسّدوه بالراحة البيضاء
مات من قدحه المعلَّا وأضحى ... ثاوياً في ضرائح المعلاء
يالناع اصم لما نعاه ... إذن المكرمات والعلياء
قرح القلب بالمقال لفيه ... الترب كم قد اثار من برحاء
يا خليلي سائلا كل ركب ... اصحيح ممات زيد العلاء
واسألا عن مشاعر البيت ... فالطائف فالمنحنى فشعب مناء
واسألا عن أبي قبيس أباق ... هو أم قد هوى إلى البطحاء
لا عجيب[7] لطيبة إن نعته ... وبكته بعينها الزرقاء[8]
وقليل إن يحزن الحجر الأسود ... فالحزن عادة السوداء

---

(١) كذا في الأصل .

(٢) الصفراء : واد من ناحية المدينة وهو واد كثير الزرع في طريق الحاج بينه وبين بدر مرحلة وماؤه عيون كله يجري إلى ينبع ورضوى عربيها « مراصد الاطلاع ٨٤٤ » .

(٣) الحقيقة والمجاز عند أهل البيان هو أن المجاز يطلق على اللفظ المستعمل لغير ما وضع ولهم فيه بحث طويل انظره .

(٤) من أدباء اليمن وفاته سنة ١١٠١ وسيأتي ذكره في الكتاب .

(٥) أوردها صاحب طبق الحلوى ص .

(٦) في الأصل « أبي المجد عن » والاصلاح من الطبق .

(٧) (ز) مجيب .

(٨) من عيون المدينة كان يشرب منها الناس .

وتـرى الكعبـة الشـريفـة لاحت ... فـي حـداد الـرزيـة الـدأداء[1]
وحجيـج الـشـام لـمـا نـعـاه ... ذكـر الـملتقى عـلى الـصـفـراء
وشجـا يـوم مـوتـه ركب مصـر ... فـبكـاء بـدمـعـة حـمـراء

ومنهـا يخـاطب أحمـدبن حسن :

عـظم اللّه يـا صفي الـمعـالـي ... لـك أجـراً في سيـد الـنبـلاء
فـي أخـيـك الـشـريـف زيـد ... ومحض الود في البعد مؤذن بـالاخاء
كيف والجـامـع السـلالـة فيكم ... نـسـب يـعـتـزى إلـى الـزهـراء
انـتـم يـا بـنـي الإمـام وزيـد ... وبـنـوه كـأنـجـم الـجـوزاء
عـز مـنـهـم مـحـمـداً أو أخـاه ... أحـمـد الجعـد واضـح الأنـبـاء
ثـم عـز الامـام سـعـداً فـسعـد ... هـو قـال الخـلافـة الـقـعـسـاء
عزّ قلباً في صدره الـرحب شهماً ... فـزوال الأسـى بـالـتـأسـاء
وبخيـر الـورى التـأسي وبـالمـا ... ضيـن والـتـابـعـيـن والـخـلفـاء

وبعد وفاته اضطربت الأشراف وأحوالها وتقررت الولاية لـولده سعـد وكان الشـريف حمـود أراد الاستبـداد وطمـع في التسنّم على تخت الـولايـة وأخـذ البـلاد وكان خليقـاً بالـولاية لثبـات جـأشـه وتقـدمـه في الغـارة لكن الشـريف زيـد بن محسن أنجب أولاده كان الميـل إليه وكـان أخو سعـد وهو محمـد بن زيد وهو الأسن غير حاضـر وفاة والـده كان بـالمدينـة المشرفـة لبعض مقاصـد والـده ، فاغتنم الأمـر الذي بمكـة غفلة محمد المـذكور وعقـدوا الأمر لسعـد بالليل ولما بلغ محمد نـادى بالـويل والثبـور فتلت به لسـان البيان قضي الأمـر الذي فيه تستفتيـان وقام وقعـد ورام النِّضال واستعـد لكنها حـظوظ وقسم وهذا يـرزق وهـذا يحـرم وقـال محمـد كيف امـارة الأحـداث وأنـا أحق من سعـد بـالتراث[2] ومـا زال يتوجـع ويعمل الـرأي يتقدَّم أو يـرجع وكـان العقد لسعـد مـوكول إلى نـظر السلطان ومن نصبه وارتضـاه حاز المكـان ، ومـع ذلـك دس

(١) الليلة الشديدة الظلمة .
(٢) ساقط من «ر».

سعد بن زيد مراهم المال وما بغيرها حل المشكلات وتقرير الأعمال ، ورفع نائب جدة وأعيان مكة الخبر إلى السلطان فورد الجواب بولاية سعد واطلقت يده بالتفويض وكتب له دستور .

وفيها رفع الامام المجابي[1] والقبالات[2] واقتصر على أخذ ما كان يؤخذ من قبل في السنين الماضيات .

وفيها توفي الشاه عباس ملك العجم وقعد على كرسيه أحد أولاده فنجم عليه ما نجم وقتله صنوه سليمان واستبد بالملك على العجم وابدل خيفتهم بالأمان وغير كثيراً من أحكام والده وهمَّ بإبطال المتعة فقامت عليه علماء الامامية وتشدّد فأفرط وفي الجهل البسيط توطد وتورط ، فإنه أفرغ الرصاص المذاب في حلق من شرب الخمر ، وهذا خروج عن قانون الشرع ولم يأت به أمر ، فحدّ الشارب معروف والله بعباده رؤوف .

وفيها وصل الإمام رسول السلطان محمد بن إبراهيم[3] صاحب الروم ومعه هدية يسيرة وأكثر الرسول هذا بالارعاد والابراق وإن لصاحبه السلطان ملك القسطنطينية والمغرب والشام والعراق وإنه جهّز على الفرنج عشرة لكوك ، وقاد في الاغلال سلاطينها والملوك وأكثر المغالاة في صاحبه وأضاف المستحيلات إلى جانبه فوكل في ذلك إلى الاهمال وحمل قوله على كاهل الاحتمال وكوفىء عما أتىٰ به بإضعافه ولم يجازى عندها بشيء عند انحرافه وقيل له هاتيك الطريق وإن أردت التّغريب أو التشريق فصار إلى مولانا محمد بن الحسن فرأى ما هاله مما لا يكون له في الظن فقال إن كان ولا بد من ملك فهذا ملك اليمن ، وأثابه مولانا محمد بن الحسن بالمال الجزيل

(١) جمع مجبأ وهو الجباية سبق .

(٢) القبالات جمع قبالة وهو التزام إداء عمل معين على علاته مقابل أجر محدد .

(٣) هو السلطان محمد خان الرابع بن ابراهيم بن أحمد ولد سنة ١٠٥١ وتولى الحكم سنة ١٠٥٨ وهو ابن سبع سنين فكانت جدته تدير أمور المملكة وأخباره كثيرة توفي سنة ١١٠٤ « تاريخ سلاطين آل عثمان ص ١٠٩ » .

وانفصل إلى المخا ، فركب البحر العباب فلم يدر له بخبر وانسد الباب .

وفيها استحكم الخيال على اليهود فسلكوا من طريق غير معهود وجاوزوا الحدود وحاكوا في ضعف العقل اخوانهم القرود فتأهبوا للرّحلة عن الديار وتحدّثوا بمسيرهم إلى القدس بالاختيار ، وزعموا أن ملكهم المسيح بن داود برز من الغيبة إلى الوجود وانهابه دولة اليهود فباعوا أمتعتهم بأبخس الأثمان واجمع رأيهم على الرحلة عن الأوطان ومنهم من تحدَّث أنه سيأتي ما يحملهم إليه بلا تعب ولا نصب ولا تكلف عليه فحرر القاضي أحمد بن سعد الدين رسولا إلى الإمام واستفتاه، هل هذا منهم خرم ذمام ، وما يكون الحكم في هذه الخيالات التي استحكمت عليهم وما الشان في أمرهم وما هو الذي يتوجه فوقع في أثناء جواب الإمام ان فعلهم يقتضي خرم الذمة ومعاملتهم على ذلك من الأمور المهمة ولم يؤمر فيهم بشيء مع ذلك ، فشاع بين الناس أن الإمام أهدرهم وإلى موارد الهلاك أصدرهم واتصل الخبر بجهات كوكبان وشبام فبادر أهلها إلى هتك حرم اليهود عندهم غيرة على الاسلام وأخذوا آثارهم وخيلهم والنقود ونادى المنادي بشبام إن الإمام أهدر اليهود فثار عند استماع النداء أهل حاز[1] والعره[2] من بلاد همدان وغيرهم كأهل العروس[3] وحضور وبلاد البستان فنهبوا من عندهم من اليهود وأراد مثل ذلك أهل صنعاء وما حولها فمنعهم أميرها علي بن الإمام المؤيد ، ولما بلغ الإمام نهبهم وايجاب سلبهم ، انكر ذلك وذكر أنه لم يأمر بالانتهاج في هذه المسالك ، ووجه الآداب على الفاعلين وشَدَّد عليهم ولم يأخذ باللين ، ولما كاد أمر اليهود يخفى ونيران سخفهم تطفأ زينوا رجلاً منهم يقال له النوش بالثياب الفاخرة وأترعُوا له كؤوس السلافة الزّاخرة ولما تمشت

---

(١) حاز قرية أثرية مشهورة من همدان على طرف قاع المنقب .

(٢) في مطبوعة الطبق ٢٢٣ الغرزة قلت العرة بضم العين وإسكان الراء قرية من عزلة وادعه ناحية همدان شمال غرب صنعاء .

(٣) حص وبلدة في حضور بالجنوب الغربي من صنعاء وهو مقابل لكوكبان من الجنوب .

الجريال[1] في مفاصله وسحّت من روحة بوابله صعد إلى قصر سام وأمّ على كرسي المملكة بغير احتشام ، وكلّم مولانا علي ابن الإمام وقال بتلك اللسان ولم يقل باحسان : أن ملك الاسلام انهدت منه المباني وأن الملك رجع إليهم في الدّور الثاني ، فقوض عن القصر الخيام وسلم الأمر إلى اصحاب موسى عليه السلام ، فتبادر من حضر مقام مولانا علي إنزاله وعوَّل الكل منهم على صفعه بنعاله فافرغ عليه سجلاً من الصفع الفظيع وجر إلى حبس البستان وجرد عمَّا عليه من فاخر الشباب ، وقيل له اقعد أيها المصّاب الكذّاب ، وأنهي ما فعل إلا الإمام فعاد جوابه بعرضه على الحسام ، فأخرج إلى الحلقة بسوق صنعاء وتولى قتله رجل كبسْي[2] احتساباً وجزاء بما ادّعى . وعلقت جثته بباب شعوب وبقي زماناً على هيئة المصلوب وكان طلع معه من اليهود إلى القصر الجمّ الغفير وعاهدوه على التقرير ولما حصحص الحق انسل عنه الصغير مع الكبير ووضع الإمام الآداب على اليهود وأمر بإسقاط العمايم عنهم فهم إلى الآن على ذلك الأسلوب وألزم كبارهم الحبوس فأحلّ بهم فاقرة وبوس.

وفيها توفي القاضي العلامة عبد القادر المحيرسي[3] نسبة إلى بلدة محيرس وبها توفي وهي من أعمال الشاحذية[4] وكان إليه النظر في الاحكام الشرعية ولا يرد امره في أمر من الأمور وله اقدام ومراعاة جناب من الأمير والمأمور وكان راسخ القدم في العلوم ومن مذهبه عدم التقليد وله انظار على

---

(١) الجريال : الخمر أو لون الخمر .

(٢) في (ر) قدسي والاصلاح من (د) والكبسي نسبه إلى هجرة الكبس المتوسطة بين اليمانية السفلى والعليا من خولان العالية وجميعهم ينتسبون إلى علي بن معتق بن الهيجان بن القاسم بن يحيى ابن حمزة أخو الامام عبدالله بن حمزة انظر نيل الحسنيين ص ١٤٠ ط اليمن الكبرى .

(٣) من أفاضل العلماء انظر ترجمته أيضا في مطلع البدور (خ) والبدر الطالع ١ ك ٣٧٠ وطبق الحلوى ص ٢١٨ وكتابنا مصادر الفكر الاسلامي ص ٢٢٠ .

(٤) شاحذ : عزلة من ناحية الرجم وأعمال الطويلة بالغرب الجنوبي من كوكبان .

طريقة السيد العالم محمد بن إبراهيم المرتضى ،(١) وكلام في الوعد والوعيد ، ومن مؤلفاته الحاشية على الأزهار صرح فيها بطهارة رطوبة الكافر وهو الموافق للدَّليل ، وشرح الثلاثين مسألة شرحاً مفيداً واوضح الادلة بالأقوال المختارة المفصلة ، وله غير ذلك من الاجوبات(٢) والاختيارات والمسائل العلميات وعلى الجملة فلم يكن في طبقته مثله ومحله في الزهّد والورع محله .

وفيها وجد ببلاد بيحان(٣) صنم حديد طوله ذراع وله عنق ورقبة ورأس وأضلاع وفي وجهه فَصَّان يلمعان فإذا هبت الريح وداخلت عنقه سمع له خوار كالثيران ولعله من بقايا ما أخرجه السَّامري وعبده الجاهل الجري .

وفيها تجهز بهذا العام أميراً على الحاج يحيى بن الإمام ومعه الفقيه محمد بن علي بن جميل والحاج فرحان المتردد إلى البيت الحرام في كل عام وانتهب الحرامية من ادركوا من الحجاج ويحيى هذا ابن الإمام لم يكن له عقب ، وفي عد أولاد الإمام بعدما حسب ولم يظهر من خبره غير حجّه إلى البيت الحرام ، وانطوى ذكره كما طوي أمس في الأيام .

وفيها منع مولانا أحمد بن الحسن بصنعاء الرَّمي من العسكر إلى دائرها فخرج من صلاة العيد وبعضهم يرمي إليه الرمي الجائر فضربه ضرباً مبرحاً فحمل إلى محله من هناك ولم يبرح ان مات بعقب ذلك .

وفيها ولد مولود عينه بجبهته ومات في اليوم الثاني، وحدث لبعض اليهود ببيت عذاقه(٤) مولود له أذنان كآذان الحمار وعين بجبهته ، وقيل إنه تكلم

---

(١) هو المعروف بابن الوزير المتوفى سنة ٨٤٠ عالم مشهور معروف .

(٢) كذا عند المؤلف صوابه الأجوبة أو جوابات ، وقال سيبويه : الجواب لا يجمع والله أعلم .

(٣) بيحان : في الجهة الجنوبية من البيضا وهي ناحية متسعة .

(٤) بيت عذاقة بضم العين وكسرها مدينة عامرة في جبل مسور وهو مركز قضاء مسور التابع للواء صنعاء .

في المهد ولله الأمر [من قبل ومن بعد].

وفيها جَهّز الإمام زيد بن خليل إلى حضرموت والحاج عثمان بن زيد في قدر مائتي نفر من العسكر ، فلبثا أياماً حتى صرفا عن ذلك المكر ، وارتفعت الأسعار بطريق مكة في هذا العام ورجع الحجاج من بعض الطريق بسبب فتنة بيشة واتصل القحط ببلاد العجم وفارس حتى اكل النّاس بعضهم بعضاً وتفرق أهلها في البلاد طولاً وعرضاً وامتدت الأزمة إلى ما وراء النهر والصين وتبت ودارين وشملت اكثر البلاد من الكفار والمسلمين .

وفي سنة ١٠٧٨ سار أهل البصرة إلى سلطان الروم يشكون تحسين باشا وإنه خالف الشرع فيهم فاجرى الأحكام بالجور على ما شاء وأنه تاه في التيه وجار على من يليه فرماه السلطان من شجعانه بأربعين ألفاً فلما حصل المصاف قهر وانكف بعد حرب شديد هلك فيه من هلك وطاحت عدة من الرؤوس لا تحصى من الفريقين بذلك المعترك ولما رأى حسين باشا أن لا قدرة له على حرب السلطان مع الانحراف عنه من قلوب الرعايا وانكار أهل البصرة منه السجايا والمزايا وكان اذاقهم الوبال وشاركهم في النفوس والأموال ، فحينئذ جمع حشمه وأمواله ، وانتخب كماته وابطاله وشق بهم سوق البصرة لما عرف الغلب وعدم النصرة لكنه وادع السوق بالنهب الغليظ الفظيع واستهلك به الأموال جميع ثم خلص من لهوات الأسد فقصد بلاد الشاه[(١)] عباس . فلم يقابله صاحبها بالإيناس ولا حمده على ذلك المراس وتقاعد عنه مع الاحتراس، وكان أعيان السلطنة إليه كتبوا وعن شروط الصلح بينه وبين سلطانهم أعربوا ، أنه لا يأوي له طريداً ولا يقبل من خان سلطانه واعتدى فالواجب عليك اخراج حسين باشا عن بلادك الينا فامره

(١) علق في (د) وهو من العلماء هكذا في الأصل ههنا الشاه عبّاس بلاد الشاه عباس أجاب الشاه عباس والظاهر أن هذا هو الباشا عيسى صاحب مملكة الحسا المحادد لبلاد البصرة وبلاد العجم أبعد عنها بمراحل وأيضا فان الشاه عباس قد توفى وإنما في مملكة العجم في هذا التاريخ سليمان شاه بن عباس فيتدبر .

بالانتزاح عن مملكته والذّهاب وقال بيني وبين سلطانـك شروط يغلق بهـا باب القتال فلا تفتـح لوماً علينا ولا عليـك وامره بالانتزاح ، وأجـاب الشاه عبـاس على البـوش: بـأنـا قـد طـردنـاه عن بـلادنـا ولامهم على تفـريـطهم، وقـال: انـا على ما وضعنـاه من الشروط والمؤمنـون عند شـروطهم وراح حسين باشـا من فـوره إلى الهند وخفي خبـره بعد ذلـك ، ومن ثبت معه من الجنـد وخلف يحيى بن علـي من أقاربـه فاستحسن الأمـراء نصبه في مقـامه ، فـولّوه مـرتبتـه وناطوابه باشويته لما رأوا من حسن سيرته وصفا سـريرتـه وما عـرفوا ان العصـا من العصيـة ، وأن الحيـة لا تلد إلاّ حيـة ، ولمـا رجعوا إلى حضـرة السلطان حمـد منهم ما كـان من مضـايقـة حسين بـاشـا إلا أنـه لامهم في تـوليـة هـذا القريب وسيأتي خبر التجهيز عليه إن شاء الله تعالى وما آل أمره إليه .

وفيها انتقل عن الجـوار وفارق الـدِّيار مـولانا السيـد الأوحد جمـال الدين علي بن المؤيّـد فبـان منــه الـروح بعلة القــروح وكـان قبلهـا علق بـه ألم المفـاصل واستغـرق به شـطراً من عمـره الحـاصـل ، وولي صنعـاء المحمية والحيمـة من أيام والـده المؤيد . بـالله واستمر بهـا نحو أربعين عـاماً أو أزيـد وقصم آخر المدّة على ولاية صنعاء فقط وتقوسم ما كـان تحت يده سـواها من الخطط ، وكان من السيـاسة بمحـل عظيم ولـه فيها أخبـار على النهج القـويم وأوصَى إلى صنــوه الحسين بن الإمـام ، فنفـذ وصيتـه ، ولفـ شمــل أولاده وقضى عنه الدين وعمر عليه بمسجد الوشلي[1] قبـة عظيمـة وأجرى أمـور من بعده على المناهج القويمة ، وبعد وفاته رجـح مولانـا أحمد بن الحسن اقـامة ولد صنوه يحيى بن الحسين بن المؤيد وانتقل العمـاد يحيى من دار حريـر إلى القصر ولم يستقر على ذلـك بل وصـل من ضوران محمـد بن الإمام المتـوكل بـولاية الأحكـام والنظر من صنعـاء وجهـاتهـا في خـاص وعـام مـع التفـويض المـطلق في البلاد والتي بهـا تعلق كـالحيمـة ونهم وخـولان وحـراز وسنحـان

(١) الوشلى من المساجد العامـرة بقبلى الطريق النـافذة من السـائلة إلى جهة مسجـد جمال الـدين وطلحة « مساجد صنعاء ص ١٢٧ » .

وبعض همدان ونيط به النظر في المظالم ورفعها ووضع الأشياء موضعها فأجرىٰ الأمور على رسومِ العدل وسلك الناس ذلك النهج السَّهل وحمدوا رأي الإمام.

وفيها أنفذ الشريف حمود من أشراف مكّة أميراً مستقلا بنفسه وولده إلى السّلطان يلتمس الولاية على البيت الحرام فحبس ولده الباشا بمصر لديه، وعاقه عمَّا قصد إليه، ولما بلغ حمود تعويق ولده أقلقه ذلك وعاث في البلاد السلطانية، فجهز عليه باشا مصر أحد الصَّناجق وضَمّ إليه نحو أربعة آلاف مقاتل معهم المرافق، وكان حمود المذكور بينبع في جيش أجش، ومعه محمد يحيى بن زيد بن محسن، فحط الجيش السلطاني في أطراف بلاد حمود وأفرغ في التأهب للقتال المجهود، وكان ابتداء التقدّم للحرب من حمود ومحمد يحيى فما شعر الأتراك إلّا بإطلال جيش عليهم ملأ الدنيا وصك دونه مسامع الأحيا فثار بينهم حرب التهب، وخفيت بالعجاج شموسه وأقماره فصال حمود صولة الأسد وطعن أصحابه الطعن الذي لا يلتئم جراحه ولا ينسد فاحتوى على ذلك الجيش العثماني ولم ينج منهم غير من سعد بخته بالوجه الثاني، ولما هزم الشريف حمود أصحاب الباشا وتفرق ذلك الجمع وتلاشى استولى على الذّخائر والأموال ووقع حمود على نفائس ما كانت تخطر له في بال فرضح منها للأشراف وادخر الباقي لمثلها إذا أقبل الأتراك.

وفيها ظهر وقت المغرب نور مستطيل مثل المنارة في التخييل وهو نجم من النيازك المعروفة، وعلامات على غلاء الاسعار، وقل الأمطار، وابتداؤه من برج الثور وأول برج الحمل ولها عند المنجمين أحكام، وتعقبه ارتفاع الأسعار باليمن وثوران كثير من الفتن واشتد القحط والفناء بمكة ونواحي منى وكان يخرج من مكة في اليوم نحو مائة جنازة وهلك من الأنعام ما أبقى في قلوب ملاكها الحزازة وأصيب أهل صنعاء من هذا الحادث وانفتح بالموت الكبير باب شعوب حتى إن رجلاً كفن بعد أن ظهرت امارات موته ولم يبق

عنـد أهله شك في موتـه فحمل على الآلـة الحدبـاء ونـاح عليـه ذوو القــربي فلمـا بلغ إلى شفير القبـر تحرك وافصـح بـالكـلام وتحـدث وتَمـطىَّ واستقـام ودعـا بالطعام فجيء له به ، وتحدث ان ذلك الحادث من شدة الجوع .

وفيهـا ارتفـع الإمــام من بيت القـابعي[١] إلى الســودة ولبث بهـا أيـامـاً معدودة .

وفيها توفي القاضي المفتي عبد العزيز بن محمـد الضَّمدي[٢] وهـو شارح المعيـار للإمـام المهدي[٣] ولـه حاشيـة على الموشـح للخبيصي[٤] وشرع في تخريج أحاديث الشفا للأمير الحسين ولم يستقص[٥] .

وفيها منع الإمام بيع الشيء بـاكثر من سعـر يومـه لأجل النسـا[٦] وكذلـك صرف القروش بالدراهم لعدم المساواة فسر ذلك بعضاً وساء بعضاً .

وفيهــا اتفق بـالجــراف خصــام بين بني عــرهب وبني النسيم بحضــرة القــاضي حسن بن يحيى حـابس على مجــاري مـا فيهــا حكم فثـارت عنهم الحفائظ بموضـع الشجار ، وعـدى بعضهم على بعض حتى ذهب منهم ثلاثـة أنفـار وجـرح منهم من جــرح ومنهم من لحق بـالمقتــولين ، وكـانت قضيــة تحـدث بهـا النـاس ، وأمـور جـرت على غيـر القيـاس ، ولأجـل هـذا ينبغي

---

(١) في (ر) وبيت القبعي وبيت القابعي قرية من ناحية شهارة من حجة « طبق الحلوى ١٨٠ » .

(٢) ترجمته في مطلع البدور م(خ) وطبق الحلوى ص ٢٣٢ والبدر الطالـع ص ٣٥٧ وكتابنـا مصادر الفكر الاسلامي في اليمن ص ٥٦ .

(٣) في الطبق بعنوان « السلم شرح معيار الامام المهدي » .

(٤) يقـول ابن الوزيـر هذه الحـاشية معـروفة متـداولة في قـدر حجم المـوشـح انـظر طبق الحلوى ص ٢٣٢ .

(٥) من هذا التخريج عدة مخطوطات في جامع صنعاء انظر كتابنا مصادر الفكر ص ٥٦ .

(٦) النسأ من الربـويات وهـو كل زيـادة مشروطـة أو في حكم المشروطـة يتقاضـاها المقـرض من المستقرض مقابل تأخير الوفاء قلت وللعلامة محمد بن اسماعيل الأمير رسالة في هذا الموضوع (مخطوطة) .

كتبه ما تقرَّر عليه ذلك من الأقوال الردية .

وفيها هبت ريح بالقذف من أعمال حضور فاحتملت من بعض أهلها بالهواء وبددت في البيادر منها المبذور ، وذلك لتواليهم على صرم زرائعهم بالليل لئلا يدخلها عليهم مسكين من الشح الذي داخلهم ، مع القحط الذّي عمَّ فكان حالهم حال أهل ضروان[1] « إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ » .

وفي ربيع الأوّل من السنة المذكورة كانت وفاة ملك اليمن مولانا عز الدين محمد بن الحسن[2] وذلك بعقب وصوله من ذمار وكان رام أمْراً فحالت دونه الأقدار[3] :

ما كل ما يتمنّى المرء يدركه   تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وقبر بروضة حاتم وعمر عليه قبّة عظيمة الأركان والقوائم وكان موته رزءاً على الإسلام ، وفادحة أصيب بها الخاص والعام فقد كان ملكاً جليلاً وسيداً نبيلاً سديد الرأي عظيم الشأن حاو لخصال الكمال يعد في أعيان العلماء والملوك الحكماء الكرماء ، ولا كتاب له إلا وقد مرّ عليه قلمه[4] وشغله بالتّصحيح وانتظمه مع سعتها وكثرتها واشتغاله بأمور الرياسة ، وكان مهاب الجانب شديد الوطأة على المحارب ، أخذ العلم على القاضي أحمد بن يحيى حابس أيام إقامته بصعدة ، وعلى غيره من الشيوخ عدة وكان نافذ الأمر إلى تحت سرير الخلافة ولا تقطع دون مفاوضته الأمور ، لما عرف به من الإصابة والعرافة ، وصلّى عليه الإمام المتوكل على الله ، وحضر قبره

(١) ضروان : بلدة من ناحية همدان هي من مخلاف بني مكرم سميت باسم واد على طرفها والقول بأن ضروان هي المعنية في الآية الكريمة قول لبعض المفسرين (انظر حاشية الجمل في تفسير الآية المذكورة) .

(٢) يعد من أكابر العلماء والرؤساء انظر ترجمته في البدر الطالع ج ٢ ص ١٦٠ وكتابنا مصادر الفكر ص ١٢٨ .

(٣) بيت مشهور للمتنبي (ديوانه ٥٠٩).

(٤) انظر نماذج من خطة العديد من مخطوطات جامع صنعاء المكتبة الشرقية .

الشاهد من الخاص والعام ، وله شرح « مرقاة »[1] للإمام القاسم وجواب علي بن مطير[2] سارت به الركبان في المواسم ، ورثاه الشيخ إبراهيم بن صالح الهندي بقصيدة فاخرة أثبت منها بعضاً وهي هذه[3] .

قضى الفخار فلا عين ولا أثر ... واحلولك الأفق لا شمس ولا قمر
أمهبط الأمر ما هذا الذي صنعت ... يد القضاء وماذا احدث القدر
وما الذي مادت الدّنيا لصدمته ... تفجعّاً وتوارى النجم والشجر
يا ناعي الجود والمجد الأصيل صهٍ ... ماذا زعمت لفيك الترب والحجر
مهلاً رويدك فيما قد صدعت به ... دَهياء يذهب منها السّمع والبصر
أفق فإن جناح الجيش منخفض ... مما ذكرت وقلب الملك منكسر
مات الهمام أبو يحيى وحسبك من ... رزءٍ به يتحامى حرها سقر
مات المليك الذي كانت موارده ... للواردين غياثاً ما بها كدر
وغاض بحر علوم منه قد حفظت ... مسائل وهي في جيد العلا درر
وكان في صدره حلم يحقر ما ... يجنى المسيء به الزلات تغتفر
لهفي لأقلامه ما كان أنفذها ... حكما يكاد له المريخ يأتمر
لم أنس نعشاً له اضحت تشيعها ... الأفلاك والشهب والأملاك والبشر
ومن دعاء أمير المؤمنين له ... وسيلة وهي الزلفاء والظّفر
لقد بكته حداء الحر ناحية ... حتى لقد سال من أوجانها الحور
يا عين لا تدخري دَمْعاً ليوم غدٍ ... فليس إلاّ لهذا اليوم يدّخر
قالوا دموعك بالدر الثمين همت ... فقلت والقلب في اثرائه شرر
تلك اللآلي التي قد كنت انظمها ... في مدحه هي من عيني تنتشر[4]

وتفرق أصحاب مولانا محمد بن حسن تحت كل كوكب وانقطع عنهم

---

(١) منه مخطوطة بقلم المصنف بمكتبة جامع صنعاء الغربية برقم ١٤ أصول فقه.

(٢) في (ر) مطهر وهذا الجواب في استشكال المذكور حول حديث افتراق الأمة منه مخطوطة بمكتبة جامع صنعاء الشرقية وهو بعنوان « حل الاشكال » .

(٣) أوردها بنصها صاحب طبق الحلوى ص ١٣٨ .

(٤) أخذه من قول الزَّمخشري في رثاء شيخه أبي مضر.

ما ألفوه من الحال وضاق بهم المذهب ومنهم من لزم حضرة مولانا أحمد بن حسن ، ومنهم من أضرب البتة عن خدمة الدولة ، ومنهم من ثبت مع ولديه يحيى وإسماعيل ومنهم من ذهب بالفناء العام [في العام][1] المشار إليه وحصرت موتى الروضة إلى قدر ألفين وموتى ضوران إلى نحو ثمانية آلاف ، وفوض الإمام مولانا أحمد بن الحسين في بلاد أخيه محمد بن حسن بعد أن خاض بينه وبينهم على أمر فصل فيه ومع إسعاد مولانا أحمد إلى النظر في البلاد اقتضى رأيه ترك ذلك فتنصَّل عنه واعتذر ومع اشتداد القحط بهذا العام تراكضت خيل الفناء بحلبة الاجتياح للعام والخاص .

وفيها توفيّ بصنعاء اليمن يحيى بن محمد بن الحسن فحمل على الأعواد بأمر عمِّه مولانا أحمد بن الحسن إلى الروضة الغناء فدفن بجانب أبيه في القبة وكان المذكور سيداً كريم الكف طلق المحيا وتقاصر الحال عليه بعد موت أبيه فكان يحتجب عن عافية في أغلب أوقاته ولم تألف يده الإمساك ولم يخلف غير السلاح وشيء قليل من الحلي المباح وإلى الآن يضرب المثل بجوده .

وفيها توفي القاضي حسن بن حابس بذمار وكان بعثه الإمام من أجل تركة مولانا محمد بن الحسن للقسمة بين أولاده وبين بيت المال حكم ما أوصى به وكان هذا القاضي له إلمام بالعلوم وفاز بحظ من جانب الدولة وكان له مال يتجر فيه واسع وطلح[2] عليه أهل زمانه في هذا الاتجار وخلف مالاً عظيماً لكن الرجال لا يترك للصحة أديما[3] .

وفيها مات الشيخ علي بن ناصر راجح الذي خالف على الإمام المؤيد وقد شرحنا أخباره على التفصيل في هذا المسند .

---

(١) ساقط من (ر) .
(٢) طلح عليه : عاب .
(٣) ساقط من (ر) .

وفيها توفي الفقيه الكاتب محمد بن حسن افندي[1] كاتب إنشاء مولانا محمد بن حسن ونال منه حظاً عظيماً وتمكن وبلاغته وشعره من أوسط الأمور وخدم الإمام يسيراً بعد وفاة مخدومه ودفن بضوران .

وفيها سير الإمام الشيخ زيد بن خليل للتولِّي على ظفار فلما بلغ الشحر أرسل ولده نائباً عنه في تلك الدِّيار وبه ارتفع الحاج عثمان زيد مولى الإمام وكان ولَّاه ذلك القطر منذ أعوام .

وفيها تعرَّض العماني بساحل عدن للانتهاب وأخذ بالمرسى على الفرنج ثلاث جلبات[2] وحصل بينهم وبينه قتال ذهب فيه جماعة وانفصلوا إلى المخا في سبع براش[3] فلم يكن للعامل بدفعها استطاعة فاستجلب الغارة من زبيد ، وبعث في الإعانة إلى القريب والبعيد وطلب من الإمام زيادة عسكر مختارة فبعث الإمام ولده مولانا علياً فوصل إلى المخا وقد انقضت الأمور وذهب الفرنج عن المحل المذكور .

وفي سنة ١٠٨٠ قد تقدم أن سلطان الروم لم يستصلح تولية يحيى قريب حسين باشا البصرة وأنه خطّأ في ذلك من جهَّزهم فعندها رجحّ السلطان التجهيز على هذا القريب ، وأمر جميع أهل ولايته عليه بالتأليب فجاء ما لا طاقة له به من الجنود واتفقت معارك بين الطائفتين يشيب لها المولود وكان حال الآخر كالأول ، وطرد يحيى باشا عن البصرة وتم العمل .

وفيها بعث سلطان الروم الباشا حسن بولاية الحجاز فتشوش من ذلك الشريف سعد بن زيد ، وكان في تامور الباشا للشريف سعد بن زيد الكيد

---

(١) ترجمته في طبق الحلوى ص ٢٤٩ وطيب السمر للحيمي (خ) .

(٢) في (ر) جليات صوابه حلبات بالباء جمع حلبة وهو نوع من السفن .

(٣) جمع برشة نوع من السفن أيضاً معروف عندهم .

واستعدَّ الباشا لشرّه باظهار العدّة والأيد ، وحَلّ بأهل مكة من هذا الباشا الوجل ، ولما دخل الباشا مكة صاح لأهلها بالأمان ، وأمر باسقاط المكوس والضمان ، ثم انتقل إلى جدة وأراد بها جمع الأمداد للعدّة وأضمر عزل الشريف وكان الحسن بن الإمام بهذا العام حاجاً ففزع إليه الشّريف في المقام لديه والتجأ فاعتذر إليه باعذار خالف الرجاء فقبل منه الشَّريف الاعتذار ولما رجع الحسن بن الإمام إلى حضرة والده الإمام لامه في ذلك وكان يجب الانتهاج في تلك المسالك .

وفيها رجع مولانا علي بن الإمام المتوكل من المخا باستدعاء والده الإمام وكان بعثه إليها من أجل الفرنج الذين تقدم ذكرهم قريباً .

وفيها أذن الإمام لولدي مولانا محمد بن الحسن إسماعيل وأحمد بالنفوذ إلى بلد ولايتهما العدين مع قرب الأمد فمات بها أحمد بن محمد وقبر بمذيخره[1] وانفرد اسماعيل بالولاية مع مشارفة السيد جعفر بن مطهر الجرموزي العامل عليه في المدة المتأخرة .

وفيها قتل السيد صالح بن حسين **المحنكي** بصنعاء على يد ولد ريحان وعبد دلّال ورجل من أهل الشام كان يخدمه في المكان ، وذلك طمعاً منهم في ماله ، فضبطهم مولانا محمد بن الإمام المتوكل وهو حينئذ الحاكم في صنعاء ، وكان انفلت الخادم فردّ من الطريق وقررت عليه هذه الفعلة الشنعاء ، فتهدّد بالضرب فأقرّ بالفعل من الثلاثة وسئل عن الموجب ، فقال : ليس إلاَّ الطمع في ماله والحداثة ، ولما تبين دم المقتول في ذمة الذين تواطأوا عليه وصل أولياء الدم ، وكان المباشر للقتل قبل أصحابه ابن ريحان فلم يره الأولياء كفؤاً للقصاص مع الامكان فأطلق الجميع بعد استيفاء الأدب واستخراج ماله الذي كان السبب وصير إلى أهله .

---

(١) مذيخرة : مدينة أعلى جبل ثومان بالعدين .

وفيها توفي مولانا إسماعيل بن محمد بن الحسن بعد شهر من وفاة أخيه أحمد ودفن بالمذيخرة من أعمال العدين إلى جانب أخيه وكان مولانا إسماعيل بن محمد عيناً من الأعيان ورأساً في أبناء الزمان ومن العلم والفصاحة بمكان ، وكان أصحاب والده بعد وفاته يجتمعون إليه وعوَّلوا في أمورهم عليه فلمَّا استؤثر به سقط في ايديهم وتفرقوا شذراً مذراً واسلمهم إلى مثل حال الناس صرف القدر ورجح الإمام بمكانة ولاية السيد جعفر بن مطهر الجرموزي وهو في هذه الولاية إلى الإمام بلا واسطة .

وفيها تحرَّك للدعوة السيد إبراهيم بن محمد بن علي على تلك الحالة وظنَّ المتوفى هو الإمام بجامع الاسم لا محالة :

وفيها توفي السيد حسين بن علي العبالي وكان من غلاة الجارودية بلا عرفان هناك ولا دربة بل على جهة السَّماع والتقَّليد ومع ذلك يضلّل كثيراً من الأئمة الهادية المهدية ويقدح في جناب الإمام المهدي أحمد بن يحيى لقوله : «وحكم أبي بكر في فدك صحيح» وفي الإمام يحيىٰ بن حمزة في هذه القضية ويكثر الطعن على المعتزلة وينكر ظهور الدّجال ، مع بلوغ حدّ التواتر في أحاديث خروجه عن الثقات الأجلّة وينسب إليه اعتقاد الحسينية[1] في الإمام المقبور بريدة ، وقد انقرض هذا المذهب بسعي الإمام يحيى بن حمزة منذ مدة ، وأن الدّابة ليست على الحقيقة ،[2] وإنما هي إلى المهدي اشارة معنوية .

وفيها رفع الإمام الأصر عن الذميين بعد أن أسلم بعضهم ومات بالجوع

---

(١) الحسينية : طائفة من الزيدية كانوا يقولون بحياة الحسين بن القاسم المتوفى سنة ٤٠٤ وإنه حي لم يقتل وإنه المهدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم يقول المؤرخ المطاع ثم انقرض أهل هذا الاعتقاد وكانوا خلقا كثيرا في مغارب صنعاء انظر تاريخ اليمن الاسلامي ص ٢١٦ .

(٢) انظر اقوال العلماء حول هذه الدابة في تفسير القرطبي ج ١٣ ص ٢٣٥ .

منهم بأبين وأسلم الكثير منهم بهذا السبب ومشوا بقارعة الذِّمة لما سكت عن موسى الغضب .

وفيها عرض الإمام على ابن أخيه . القاسم بن أحمد بن الإمام القاسم الدّخول في ولاية البلاد التي تحت يد صنوه مولانا محمد بن أحمد فلم يرض ذلك احتشاماً لصنوه واكباراً لنفسه عن الخوض في هذا الثمد[1] فعظم بذلك عند الإمام والناس ورضى من العيش بالكفاف .

وفيها أمر الإمام باطلاق المدفعين التي خلفها خلف بظفار بعد أن وصل من العماني كتاباً ، فيه من سحر الألفاظ ما بهر أهل الصّناعة[2] مع الاختصار وأجاب عنه من لا يحسن الصّناعة ورأس ماله حقير في هذه البضاعة ولولا ملاحظة الاختصار ذكرت كتاب العماني وما اشتمل[3] عليه من جزالة اللفظ والمعاني[4] . .

وفيها اصطلح الشّريف حمود والشريف سعد بن زيد وما دخل حمود مكة خوفاً من جند الأروام أويتم عليه كيد وبالحجاز استقر بمن بقي معه من الأجناد ، وكان قد ضعف حاله وقل ما بيده من الامداد .

وفيها توفي حسين بن أحمد الوادي[5] وكان يتعاطى التنجيم ، وله في النظم شروح تستمطر به الأيادي ثم بدا له السفر إلى قعار[6] من أعمال ريمة

---

(١) الثمد بالتحريك الماء القليل .

(٢) يعني صناعة الكتابة « الانشاء » .

(٣) في (د) اشتملت وكذا يرد التعبير في بعض الأحيان مضطربا عند المؤلف .

(٤) انظر نص الكتاب المذكور في بهجة للمؤرخ يحيى بن الحسين (خ) وطبق الحلوى ص ٢٥٥ ـ ٢٥٧ .

(٥) من أفاضل الأدباء انظر ترجمته في طيب السمر للحيمي (خ) ونسمة السحر (خ) وخلاصة الاثر ج ٢ ص ٩٩ ونفحة الريحانة ٣/٥٢٤ وكتابنا الأدب اليمني ص ٢٦٣ .

(٦) هي الآن عزلة من ناحية الجبى أعمال ريمة .

فاختار وقتاً خرج فيه من صنعاء وأمسى بوهب[1] على حالة مستقيمة فحال وصل إلى قعار في محل دعاه الأجل ، وصار إلى الله عزّ وجل ، فكان ما هرب منه إليه .

وفيها احترق مزاج السيد محمد بن عبد الله العياني بسبب شجار نشأ بينه وبين ناظر الوقف ، وكان مولانا محمد بن المتوكل أدب جماعة ممن يسلم إليه لعدم اقتضاء رأيه الصرف فلبس الغرارة ونكف[2] في أسواق القبائل في طلب الغارة فلم يلتفت إلى أحواله المنهارة ولا أطفئت له بذلك الفعل حرارة .

وفيها طلب مولانا أحمد بن الحسن ولاية العدين وأرادها لولده محمد بن أحمد الذي ملك اليمن أجمعه وصار صيته في الخافقين فاقتضى نظر الإمام إثبات السيد جعفر بن مطهر الجرموزي على الولاية وصرف عن هذا المذهب وجه العناية .

وفيها وصلت إلى الإمام هدايا من الباشا عيسى المقدم ذكره ، وفيها البعض إلى جناب مولانا أحمد بن الحسن وكان الباشا عيسى بالحسا[3] .

وفيها جاء الخبر باستفتاح سلطان الروم قلعة مالطة وهي لبعض البلاد التي تحت يده مخالطه وكان أفنى أموالاً جمة على استفتاحها واستمر على محاصرتها نحو سبع وعشرين سنة .

وفيها عصى أهل ظفار حضرموت على الإمام وعدوا من أصحابه على

---

(١) نسبة إلى مسجد وهب خارج صنعاء في الجهة الجنوبية داخل العرضي الشرقي عمره وهب بن منبة انظر مساجد صنعاء للحجري ص ١٢٩ .

(٢) نكف بتشديد الكاف من العامي بمعنى تحزب وتأهب للحرب ونحوه .

(٣) يعني الأحسا مقاطعة شرقي المملكة العربية السعودية تعرف بالمنطقة الشرقية تشرف على الخليج العربي في الشرق وتلتقي بالربع الخالي في الجنوب وتمتد إلى نجد في الغرب انظر الموسوعة العربية ج ١ ص ٥٩ .

سبعة وعشرين نفراً بعد العهد والذّمار وانحصر عامل الإمام ابن الشيخ زيد خليل فأرسل الإمام مولاه عثمان زيد بولاية ذلك الجبل وطلب الشيخ زيد ولده إلى الشحر من ظفار وصارا كلاهما إلى حضرة الإمام وتغلب الكثيري على ظفار ، واستند إلى الإمام بالاظهار وكان الإمام عرض ولاية حضرموت وما يتعلق بها من الجهات على ابن أخيه الحسين بن الحسن فلم يكن منه التفات وأرسل أحد مقادمته فلم يتم أمر وامتنع حضرموت عن زيد وعمرو ، وأخرجت عنه عمّال الإمام ولم يمكن في ذلك الحال غير تصْديق المقالة بالإيهام فجعل الإمام الولاية لبعض بني الكثيري .

وفيها توفي النقيب سعد بن ريحان فجأة بيريم [1] وكان ولي المخا برهة في القديم .

وفيها عزل الإمام والى المخا السيد زيد بن علي جحاف ، وجعل عوضة السيد حسن بن مطهر الجرموزي بسبب موجبه غير خاف ، وربما أنه غيَّر القواعد .

وفي سنة ١٠٨١ وصل الفرنج البردقال[2] إلى باب المخا في سبعة مراكب واعتلّوا على السيد حسن بن المطهر الجرموزي أن بقلوبهم من التغيّظ عليه مالا غفران معه لتائب ، وذلك لما أوقع بجماعتهم العماني كان بالتخلية بينهم في حسابهم اعظم من الجاني وأذنوه بالحرب وأحبوا أن يكون بينهم في التّيار الطعن والضرب ، وأن يتظاهروا بالهرب ثم ينعطفوا على جماعته بالحرب فيهلكوا بزعمهم ومن معه بالتيار ويدخلوا بعد ذلك البندر من غير شجار ففهم السَّيد اللطيفة ، وأوجس في نفسه منهم خيفة ، وما زالوا بالمرسا وقد أعدوا الأهبة ، واستعَدّوا للوَثبة ، فخادعهم السَّيد الحسن بالاصلاح واستَمدَّ الغارات للكفاح فلما اتصلت به الرجال ووافت الغوائر

---

(١) يريم : مدينة بالجنوب من صنعاء بمسافة ١٠٥ ك.م .

(٢) هم البرتغال (معروف).

استعجاله ، وكانت مدة الصلح ثمانية أيام وأجفل أهل المخا عنه تخوفاً على الأموال والأرحام ، وكان الفرنج انتهبوا ثلاثة أغربة بالبحر قبل الوصول ، منها غراب لمولانا أحمد بن الحسن وغرابين غيره ، خرجاً من عدن ، وهما لبعض التجار من غير اليمن فخرقوا بعض هذه الأغربة ، وصارت بكفرهم ملتهبة ، وبادر إلى المخا رتبة زبيد غارة وموزع[1] وجحاف[2] ، واجتمع من الجند الإمامي آلاف ، فسكنت الخواطر بعض سكون ، وعرف الفرنج الاجتماع المصون ، فبادر منهم قدر ثلثمائة نفر إلى قلعة فضلي ، وكان بها طائفة من المسلمين تحمي فنصب الفرنج إلى القلعة السلاليم ونالوا من بها بالاثخان والتأليم وأذاقوهم العذاب الأليم ، وكان هرب من القلعة من لم يخف الفضيحة ، ولا له في قتال الكفار نية صحيحة والذين ثبتوا هلك منهم من هلك ، ودافع من سلم واتصلت بهم غارة المخا في عجل ، ورموا بالبنادق إلى ظهور الافرنج من غير وجل ، وأمدهم الله بالنّصر عز وجل فقتلوا من الفرنج نحو العشرين ، واحتزّوا رؤوسهم ، وطار ببقيتهم اجنحة الغربان ، وصاروا إلى اخوانهم بالمرسا وقد حل بهم الفزع وشملهم الأسى فاجتمعوا في اليوم الثاني قضهم بقضيضهم ، وعزموا على دخول البندر بشدة نهوضهم ، ورموا إليه بالمدافع وطمعوا في تحريقه من محل غير مانع ، فعرف قصدهم الحراس من المسلمين ، ولم يظفروا بغير تحريق جانب من قصر الامارة والأبطال في الدفاع لهم معلمين وقتل شخص واحد من السيارة ولم يستحسن الأجناد خوض البحر إليهم حثّ الغارة ، ولما تعذر على الإفرنج ما طلبوه واحتقروا ما فعلوه ونهبوه طارت غربانهم في العباب على الخيبة وما ظفروا بغير القتل الذريع منهم والمصيبة وما برحوا بين الماء نحو أربعة أشهر يمنعون المارّين بين الموج أن يمرّوا وهم مع ذلك ينتهبون ،

---

(١) موزع : مدينة بالجنوب الغربي من تعز بمسافة ٨٠ ك.م وهي مركز الناحية الملحقة بقضاء المخاء .

(٢) جحاف بضم الجيم وفتح الحاء المهملة جبل مشهور بالجنوب من مدينة قعطبة .

ولما أيسوا من أخذ البندر وانقطع البحر من خوفهم وتعذّر ، فعندها أسبل عليهم غيم الإياس بمطر الخيبة فقوّضوا شراعاتهم وحملوا طليعة للنّهب لهم جنيبة والذين تصدروا منهم لقلعة فضلى أزعجهم الجند الإمامي فأسلموا لواءهم مع التولي فحمله العامل إلى صنعاء وبها الإمام فأمر بنصبه في خان خليل يراه الخاص والعام ، وكان الإمام أرسل ولده علي ابن أمير المؤمنين غارة إلى المخا في عجل ، وتوجه إليهم مولانا أحمد بن الحسن ، ومعه ولده محمد بن أحمد فلم يصل الجمع إلى المخا وإلى عدن إلاّ وقد خمد الاشتعال، ومضت على رسلها إلى بلادها الفرنج البردقال، ومع ذهاب الفرنج من مرسا المخا وافقوا في مرسا بروم وهو ما بين الشحر وأحور، تجاراً من الحسا وفيهم من عسكر العماني أبطال لهم صبر على القتال، فناوشوهم الحرب وصدق بينهم الطعن والضرب فألجأوهم إلى المرسا وانكسر بقدرة الله تعالىٰ المركب الذي فيه الحسا ولم يتمكن الفرنج من غير إحراق المركب لأن العماني رمىٰ عليه وضاربهم تحت كل كوكب.

وفيها طمع حسن باشا بأخذ مكة وكان استشعر من سعد بن زيد ركة وكان ذلك وقت الحج وطمع بصاحب المحمل اليماني بالنجدة معه فأرسل إليه طمعاً منه بذلك فلم يحرك النقيب فرحان وهو أمير المحمل لكلامه رأساً ولا رأى في مخالفته بأساً وأجابه أن الشريف سعداً هو الحاكم بالبلد وما أمر به كان عليه المعتمد ولما لم يتم لحسن باشا ما أراد رجع إلى جدة بعدما قضى حجه .

وفيها سار مولانا محمد بن أحمد بن القاسم إلى عيان ، وطالب برط بما أخذوه العام الماضي من الأعيان وضمنهم مال صعدة فسلموا إليه الأعواض عما انتهبوه لما رأوا من النجدة .

وفيها ظهر نور عظيم عجيب بمسجد السائلة بصنعاء المعروف بمسجد

النهرين[1] وتواتب العوام للاكتحال منه فهو دواء للعين بزعمهم ، وهذا المسجد يقال أن به قبر سام بن نوح ولا تزال أسارير الأنوار عليه تلوح .

وفيها وصل شيخ ذو محمد وقاضيها العنسي إلى الإمام يستعفيان من دخول مولانا محمد بن أحمد بن القاسم إلى بلادهم فلم يسعدهما إلى المرام وأنعم عليهما بالكسوة والإمْداد ، وقال لا بد من دخوله إلى البلاد فتحمّل مولانا محمد إلى المراشحة[2] واضطرب أهل برط لدخوله وهموا بمنعه فردفه مولانا أحمد بن الحسن بنفسه ، وكانت ذو حسين قتلت شريفاً من حوث بالجبل الأسود ، ولما استشعر مولانا أحمد منهم الخلاف جاء عن أمر الإمام إلى الجوف ، وخلص منه إلى بني نوف فاستاق من مواشيهم ، ثم صار إلى أطراف برط ورزم على عنانهم[3] ومراشيهم[4] ، ثم أقام هناك قدر شهر واحد ونال أصحابه بعض شقّة لتعذّر الوافد ، ثم طلع إلى برط وبدى ببلاد ذو حسين فدخلها بالقهر عليهم في اقتضاء ذلك الدين ولبث بحويرة[5] أياماً واعترى من معه أمراض وأسقام ، ومات بعض حرمه هناك ، وهلك جملة من الخيل والدّواب لتعذر العلوفة وتعسر المسالك ، وشرع الحال في الفساد وسار من جماعته وجماعة مولانا محمد بن أحمد بعض الأجناد ، ولم يبق عند مولانا أحمد غير الخواص وصبر الصّبر الذي لا وراءه حتى منّ الله بالخلاص ، وأخرب مولانا محمد بن أحمد بيتاً هنالك كان

---

(١) هو من المساجد العامرة غربي السائلة أسفل صنعاء وهو منسوب إلى الناحية التي عمر فيها إذ هي مشهورة بهذا الاسم من صدر الاسلام « مساجد الحجري ص ١٢٥ » .

(٢) كذا في الأصل لعل صوابه المراشي جبل معاند برط من جهة الشرق « معجم البلدان للمقحفي ص ٢٧٦ » .

(٣) يعني العنان : بلد برط مركز الناحية .

(٤) يعني المراشي السابق ذكرها قبل قليل .

(٥) كذا في (ر) وفي (د) بحوره والصواب (رجوزة » كما جاء في طبق الحلوى ص ٢٧٢ وهي من قرى برط .

مجمع الفساد وهو من عمارة قرا جمعة[1] أيام سنان باشا لما أخذ هذه البلاد ، ومات في هذه الخَطْرة ببرط محمد كاشف الذي تقدمت أخباره ، وكان من أعيان أصحاب مولانا أحمد بن الحسن الدَّالة عليه آثاره وهو الذي عمل بوصاب أيام المؤيّد ونصر مولانا أحمد بالحوادث وانجد ولما عزم مولانا أحمد بن الحسن ومولانا محمد بن أحمد على الرجوع من برط خاطباً أهلها بتسليم الداعي السيد محمد بن علي الغرباني فامتنع أهل برط عن تسليمه وإخراجه ، وانشأ هذا السيد عقيب ذلك أبياتاً أرسلها إلى والده بصنعاء تتضمن موجبات دخوله والتنصّل عمَّا ادعى وقد أوردنا منها طائفة وهي قوله منها :[2]

وعج ببني القاسم الأكرمين ... ومن لهم في العلا أوَجُ
واتحفهم بشريف السلام ... وعاتبهم أن هم عرَّجوا[3]
وقل مالكم يا بحور الحجا ... أتيتم بشيء لكم يسمج
جنودكم كلّها أقبلت[4] ... على رجل واحد يزعج
وليس له ثروة لا ولا ... له ثم أوس ولا خزرج
ولم يأتكم منه ما تكرهون ... سوى أنه قال ذا المدرج
وما قال إني إمام ولا (م) ... الامامة عنكم لها مخرج
ولكّنه قال أن كان ما ... ذكرت هو المنهج الأبهج[6]
فهبوا إليه[7] إذا شئتم ... وإلا فما شئتم فانهجوا
وردوا على إذا شئتم ... مقالي ان كان يستسمج

---

(١) هو أحد قواد الأتراك مذكور في حوادث سنة ١٠٠٦ قال صاحب غاية الأماني ص ٧٨٦ « أحد مماليك الأروام » .

(٢) أوردها المؤرخ زبارة في نشر العرف ج ٢ ص ٦٩٧ .

(٣) نشر العرف حرجوا .

(٤) في النشر : جنودكم من جميع القرى .

(٥) المذهب والمسلك .

(٦) في النشر والطبق « الأوهج » .

(٧) في النشر فحيو إليه .

وفيهـا قتـل من أصحـاب مـولانـا الحسين بن الحسن بحضـرمـوت أنفـار ارسلهم ، واستبد الكثيري بالبلاد ، وقال : البلاد بـلادي ومحلي وغزا الشيـخ الجيد إلى دثينة فقتل من أصحاب مولانا الحسين نفرين وخلع ربقة الطاعة .

وفيهـا استولى على بعض البيـوت بزقـاق الغول من صنعـاء شيـطان رجيم فـآذى أهله وأحـل بهم العـذاب الأليم وكـان يمحق طعـامهم وشـرابهم حتى انتهى إلى ملبوسهم فجعله شماطيط في البير .

وفيهـا أمر مـولانـا محمـد بن المتـوكـل في أسـواق صنعـاء بـالتّسعيـر إلا القـوتين[1] فعمل فيهـا بالحـديث المشهور[2] ورأى في ذلـك مصلحـة عـامـة للمسلمين ،[3] وقـد روى أن الهادي عليـه السـلام سعـر حتى القـوتين عمـلاً بالاجتهاد .

وفيها أرسل العماني إلى عامل المخا بألفي رطل رصاص وقال هـو إعانـة منه في دفع الفرنج بالاختصاص .

وفي سنة ١٠٨٢ جاء الخبر أن حسن باشا رمي بجمرة العقبـة والرامي لـه رجل من هذيل وآخر من جند الشريف بمعاملته لمَّا أحسّ بالغلبة فخرَّ الباشا صريعاً على التـراب ونفذت الـرصاصـة إلى جواده فـاحاط بـه الحاضـرون من أصحابه واحتملوه إلى التخت واصلتوا سيوفهم فقتلوا من حـوله ثـلاثين نفراً لا ذنب لهم في ذلك الوقت ، واضطرب عندها الحجيج وكثـر الصراخ والعجيـج وصار الناس في فزع من أصحاب البـاشا تعمـل سيوفهـا فيمن وجد ، واتصلوا بأمير حـاج اليمن فحفظ نفسه بـالحدّ وصف لهم الأجنـاد اليمانيـة ، وتوعَّـدوه فقال ومن عندي الثانية ، فتركوه عجـزاً ولكل شـرط جزاء وركب الشـريف من

---

(١) لعله يعني بالقوتبين البر والذرة .

(٢) يعني قوله صلى الله عليه وسلم « ان الله هو القابض والباسط والرازق والمسعر » أخرجه أبو داؤد عن أبي هريرة والترمذي وأبو داود أيضا عن أنس .

(٣) أشار إليه صاحب قانون صنعاء ص ١٨ .

حينه مستعدّاً للكفاح والمحَاكمة إلى أطراف السيـوف ورؤوس الرمـاح ، وكان رام استفصال القضية ، والتّنصل عنها بـالكلية فـدبر أمره عـلى النظر ، وعلم أن في ذلك من الايهام مـا يؤدي إلى الخطر فـرجع للفـور إلى المخيم واستعَّد للقتال إذا هاجت زيم ، وتقـدم أصحاب البـاشا بـه إلى مكة بـالتختروان[1] ، وبنـوا أمـرهم على الحـرب العـوان ، ودخـل الشـريف بعقبهم وحـده ، وأذن بـالتحرز من الأروام جنـده ، وعند ذلـك اضطربت أحـوال مكة ، وبـطل البيع والشراء وخمدت الحركة ، وانقـطع ما بينهـا وجدة ، وتـأخر عن البحـر ركابـه بعض مـدة ، وتضرَّر إلى الشـريف أمير حـاج اليمن من البقا للمشقّـة واتسـاع التكليف والنفقة فوعده الجواب إلى اليـوم الثاني ، واستـدعى إليه أميـر الحاج الشامي ، وخلا به وبنى هو وإياه على مباني ، وسار بعد ذلـك إلى بيت الباشـا حسن ومـا تعقّبـه غيـر الاذن بـالانصـراف لأهـل اليمن ، وصحبهـم من قبـل الشريف صنوه ومن قبل الباشـا اغا فارفقـهم إلى جـدة ، واستقرَّبهـا نائبـاً عن البـاشا ، واستجـد عدة ، وأظهـر الباشـا قدومـه إلى حضرة السلطان ، وتقـدّم معـه أميـر المحمـل الشَّـامي في التختـروان ولمـا وصـل المـدينـة استقـربهـا واستـدعى زيـادة من مصـر ودفـع المتفق إلى السلطان وانتـظر الجـواب عمـا يكـون وكان وحمـل عليه الصـوب[2] فهلك منه قبـل الانجاد مـع مبـالغتـه في الأخـذ بثاره بجـد واجتهـاد ، وسَبَب المتفق أنـه صـح للشـريف إرادة البـاشا حسن في القبض عليـه وانه بـذلك مـأمور من مصـر ومن اسطنبـول وأن دستور الـولاية على أعمـال الشريف معـه ويتوخّى فيـه فرصـة الإمكان ويتـوقعه وكتم الأمر الباشا المذكـور عجزاً منـه عن مقاومـة الشَّريف وتخـوفاً من استنـاده إلى نفسه وإلى صاحب اليمن كمـا فعل من بعـد لما ارتفـع التكليف ، ووصل إلى

---

(١) التختروان هودج يركب فيه فارس ، مركب من تخت وهو المقعد وروان ومعناه الذهاب والمجيء أو السفر انظر « محيط المحيط ص ٦٨ » .

(٢) الصوب هو الجرح .

الإمام الشريف عبد الكريم بن باز من عتود[1] وكان الشريف سعد ولاه عليها فلما ثار الشرّ بين الشريف سعد والأروام ، عصت قبائل هذا المحل على عبد الكريم وأذنوه بالتحام ، فطلب من الإمام الامداد بالمال والسلاح يستعين بالجميع على قتال أهل البلاد ولبث عند الإمام نحو خمسة أشهر فأمده الإمام بما سأل وسار إلى قتالهم ، وجاءت الأخبار بخروج محمد شاوش بيك من مصر بجيوش لا تحد ، وأصل هذا الشاوش من اليمن ، لكن سار مع الأروام ودخل مكة في نحو ثلاثة آلاف مقاتل ، وحط بالعمرة فارسل إليه الشريف سعد في تسليم الخلعة وما يوجب له التعظيم والرفعة فكتم ما عنده وسلمها إليه لما ظن أنه يقدر عليه .

وفيها ولى الإمام ولده أحمد نصف بلاد عذر[2] فتجاوز منه إلى غيرها ونهى وأمر فضعفت باحكام مولانا الحسين بن المؤيد واختلجت بصدره الأوهام من جهة الإمام مع مدّ اليد إلى بلاده ، ولما وفد القيد خرج من شهارة ، وأقام الصلاة[3] في قرية الصَّايه[4] وكتب إلى الإمام يستعفيه عن الولاية ، وظن في ذلك عقباه تعود إلى الرعاية والعناية ، فلم يعد الجواب إلاّ بالأمر لولده احمد ابن الإمام، وأمره أن يعرض أهل العهد[5] على الدفتر المنقول .

وفيها وفدت الأخبار بتجهيز حسين باشا على الشريف سعد وإن قصده اليمن فيما ارجف به الجيش من بعد وكان الإمام جهز الآغا مرجان في إمارة الحاج على المعتاد ، فلما وصل السعدية[6] جاءت كتب الشريف سعد

---

(١) في الأصول عنوه والاصلاح من طبق الحلوى ص ٢٧٩ وعتود اسم موضع بالحجاز « مراصد الاطلاع/٢١٨ » .

(٢) عذر : بطن من حاشد « الحجري : مجموع بلدان اليمن وقبائلها ص ٥٩٥ » .

(٣) يعني صلاة العيد .

(٤) قرية من أعمال الجبر من مخلاف الشرف .

(٥) العهد بضم العين وفتح الهاء جمع عهدة (معروف) .

(٦) السعدية : هو المعروف بيليلم ميقات أهل اليمن بالغرب من الليث .

مرجفة بالإبراق والارعاد وحثه على الرجوع إلى اليمن وأن حسين باشا واصل بجيوش لا يقدر على دفعها ولا يتمكن ولعل ذلك منه الصَّحيح والرأي المليح وذكر له أن محمد شاوش قد تقدمه بالجنود وأن الخيل الداخلة مكة قدر الالفين أو تزيد ، وأن ركاب المطايا قدر عشرة آلاف وأن معهم من البنادق بِعَدَدِهم بلا خلاف ، وأن معهم من الدبابات[1] وهي من القديم آلة للحرب فرجع الآغا مرجان ومن معه إلى السعدية وكان قدم بعض ما معه من الصَّر[2] إلى الشريف على جهة التعجل والهدية فقبضها الشريف واستَعان بها على التكليف ولما بلغ الآغا في رجوعه إلى الهضب ، أغار جماعة من قبائل البلاد على آخر القافلة فمنع عنها أهلها وتراجموا بالحجارة ، وكانت قضية هائلة رمى فيها الآغا بالبنادق فقتل منهم أربعة ، فهرب منهم الدعا ولم يخف منهم تبعة ولحق بالآغا مرجان وزير الشريف هارباً ومعه بعض الحشم والمماليك غالباً فبلَّغ مع الآغا حضرة الإمام ولما تألبت الجموع على سعد ، وشح عليه صوب ذلك الرعد، عمل في الأخذ بالحذر ، واعظم الأمر واكبر ، ووصل إلى عرفات ونزل بمنى ، ثم عزم في يوم النفر إلى الطائف وأعرض حزما عن ملاقاة الطوائف ، وانتهبت هذيل من تعقَّب بعده وأخذت بعضاً مما أعده واستطرده انتهاب حجاج اليمن من ذلك المكان ، وقتل من لم يسلم السلب واستقر الشريف سعد بالطائف ، ودبر أمره وهو مع ذلك من الأروام خائف .

وفيها وصل من الفرنج أحد عشر مركباً إلى الساحل وضيقوا بالمخا على الخارج والداخل ، فطلب السيد حسن الجرموزي عامل المخا أخاه ، جعفر من العدين فأسرع إليه في اربعمائة مقاتل تقرّبهم العين ، واستدعى أيضاً من

---

(١) الدبابات جمع دبابة آلة تستخدم في الحصار يدخل في جوفها الرجال ثم تدفع إلى أصل الحصن .

(٢) الصر هو ما يصر من الدراهم والدنانير فيرسل إلى الجهات .

عسكر ربيد فوافاه نحو مائة مقاتل من الصّناديد ، وأعد مولانا محمد بن أحمد بن الحسن جيشاً نافعاً من الحجرية[1] ، وسار بنفسه للانغماس في هذه القضية ، ورتّب السيد الحسن الجرموزي داير المخا[2] بشجعان العسكر ، وأحكم أمر قلعة فضلى تخوفاً عليها من مثل ما مر واستمر حطاط الفرنج على المخا قرب شهر ثم وقعت المراسلة بين السيد والافرنج في الصلح على العوائد واسقط عنهم ما كان أحدثه عليهم السيد زيد بن جحاف ودخل تجارهم المخا بعد ذلك وجرت الأمور على السداد .

وفي سنة ١٠٨٣ طلب الشريف سعد بن زيد من الإمام النجدة ، وكانت الأخبار جاءت بتوجه الأتراك إلى اليمن من جده فأشار من أشار على الإمام بتقوية الشريف وإعداد الأهبة للأتراك مع الإرعاد والتخويف ، فاستمد الإمام رأي مولانا أحمد بن الحسن وولده محمد في هذا الأمر المهم فأجمعا أن الرأي الغفلة عن هذا الامر الذي أشار به المشير أولاً فاستحسن الإمام رأيهما السديد ، وظهر له « أن ترك الترك ما تركوا »[3] هو الرأي الحميد، ولما رجع أهل اليمن من السَّعدية ولم يتم لهم بهذا الأمر حج هذا العام ، ورجع حسين باشا عن مكة وقد نهب الأشياء وارتجفت من صولته الدنيا ، واخبر الحاج أن سعداً تَوجَّه من الطائف إلى بجيله وأن العسكر السلطاني تعمل في ملاقاته الحيلة ، وكانت الأخبار سارت إلى حلب وغيرها أن صاحب اليمن استولى على الحرمين ، وأن سعداً ساعده بلامين، وأن الخطبة بهما أثبتت للإمام ونفذت الاحكام والمراسيم ، وأن مؤذنه أعلن بحيَّ على خير

---

(١) الحجرية : بلاد و سعة شمال عدن وجنوبي تعز وهي في الأصل من بلاد المعافر « الحجري ص ٢٣٢ » .

(٢) السور المحيط بالمدينة .

(٣) اشارة إلى حديث اتركوا الترك ما تركوكم قال الزرقاني حسن وقال السخاوي رواه أبو داؤد عن رجل من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم رواه النسائي بأطول من هذا وكذا الطبراني في الكبير والأوسط عن ابن مسعود رفعه . انظر كشف الخفاء والالباس ج ١ ص ٣٨ .

العمل فأنفذ حسين باشا كتاباً إلى حلب ، ثم إلى السلطان ، بأن صاحب اليمن بمعزل عما رفع من الاستيلاء والأذان ، وأن سعداً قد بان ، من الحرمين ، وسيصدر بزعمه أثراً بعد عين ، وأنه باقٍ بالمدينة المشرفة حتى يعود له المعتمد من الأمر على الصفة .

وفيها كان مولانا علي بن أحمد بن القاسم حضرة الإمام فوفد إلى الإمام بعض شيوخ الشام ، وكأنه حصل التَّقصير في جانبه ، ولم يبالغ مولانا علي في رفع مطالبه ، فرجع الشيخ إلى سحار[١] وإلى عمار[٢] وانتهب قافلة خرجت من صعدة فيها أموال التجار ، فلما رجع مولانا علي بن أحمد إلى صعدة حسم القضية واسترجع المال الذاهب إلاّ بقية ، وما زال التخويف في هذه الطَّريق وجرى على منواله أهل دهمة[٣] فاسترسلوا في التعويق واحتاج مولانا أحمد بن المؤيد بأن يصحب القوافل العسكر من عيان إلى صعدة ، ومولانا علي بن أحمد كذلك واستمر الحال مدة .

وفيها نَوّر[٤] أهل برط النار للسيد محمد بن علي الغرباني بسبب أن الإمام أمر بجمع زكاتهم إلى عيان ويكال منها للقضاة معتادهم من المخزان ، فصعب الأمر على القضاة بني العنسي فحركوا السَّيد للقيام ، وصارت سيوفهم منتضاة، ولم يتم أمر من السِّياق[٥] وسكت الإمام لا مَنْع ولا إطلاق ، فلما اتصل القضاة بالزكاة ضعفت عزائمهم مع السيد فيما نواه واضرب عما أدّعى ، وسكن ببيته وخاب ذلك المسعى .

وفيها وصل إلى الإمام أهل جبل صَبِر[٦] شاكين بالشيخ راجح فأعرض

---

(١) سحار : من قبائل خولان وهي من صعدة .
(٢) آل عمار : من قبائل دهمة في بلاد صعدة .
(٣) دهمة : من قبائلها آل سالم والعمالسة وآل عمار في صعدة (الحجري ص ٣٣٦) .
(٤) أشعل النار للاعلان ونحوه .
(٥) السياق من قولهم ساق المال أي أحضره .
(٦) جبل صبر : جبل مطل على تعز وهو من أشهر جبال اليمن .

الإمـام عن شكـواهم لضـرب من المصـالـح ، فـرجـوع وتَحـزَّبـوا للخـلاف وسـاعـدهم أهـلِ الحجـريـة كـونهم الجميـع أحـلاف فتغلبـوا على واجبـاتهم وحذفوا الأذان بحيَّ على خير العمل ، وقتلوا ثلاثة نفـر من العسكر واستعـانوا بـالمطالب على مـا بأيـديهم من المناكـر ، فجهَّز الإمـام عليهم السيد صـالـح عقبات ، واعتنى مولانـا محمد بن أحمـد بن الحسن في تسكين تلك الجهات من تلك الحـركـات وأوثق من أشـرارهم الكثيـر ، وأخــذهم أسـرى إليــه في الـزناجيـر(١) وعمر حينئـذ المنصورة(٢) وحصنهـا بكليـة التحصين للضّـرورة ، وكـان عنـده شيء من المـلاحم وأن من عمـرهـا ملك اليمن ، وكـذلـك كـان الأمـر من بعـد فـإنـه ملك اليمن من أقصـاه إلى أدنـاه وستـأتي اخبـاره مفصلة وأسانيدها الصحيحة غير مرسلة ويقال ان المتوكـل على الله لما بلغـه عمارتهـا قـطع بوقـوعها أعني ملكـه لليمن ولما تم لمـولانا محمـد بن أحمـد عمـارتهـا حصنها بالمدافع وديَّرها بالعمل النافع وهي من قـديمة الحصـون ونقطه بيكـار في اليمن الميمـون وأول من عمرّ بهـا طغتكين بن أيـوب واتخـذهـا ملوك بني رسول معقلاً لهم فيما ينوب .

وفيهـا خلع القفطان على الشـريف بركـات بـولايـة الحـرمين الشريفين ، وكـان الشـريف سعد بن زيـد فيمـا تقـدم رحــل من الـطائف إلى بجيلة دامي الفؤاد قريح العين .

وفيها تواترت الكتب من الإمام إلى مـولانا أحمـد بن الحسن بالقـدوم إليه إلى ضـوران ، من أجل مـا استـدعـاه الشـريف سعـد من العسكـر يـأخـذ بـه الحـرمين الشريفين لـلإمام ، ويخلع السلطان فلمـا وصـل مـولانـا أحمـد بقي على شوره الأول من الإضراب عن هذا بالكليـة ، والاشتغال بمـا هو ألـزم في القضيـة ، وفي خلال ذلـك وصل كتـاب من محمد شـاوش الذي تقـدّم ذكـره

(١) جمع زنجير وهو القيد .

(٢) المنصورة : من قرى الصلو بالمعافر في الغرب الشمالي من حصن الدملوة .

واشتهر امره وفيه أنه بلغه رجوع حج اليمن فساءه ذلك وأن التخوف كان من قبل حسين باشا وفي أعطافه[1] أن الشريف سعد إذا أراد الخروج اليكم وعوّل في التجهيز معه عليكم فلا فائدة لكم في المساعدة ، والرأي عدم الالتفات إليه والمباعدة فإن خروجه اليمن مما يغيّر خاطر السلطان ويؤدّي إلى التجهيز والحرب العوان ، والرجل مرفوع خبره متبوع أثره وعليه عدة عيون ، والجناب فيما بينكم وبين السلطان مصون ، فكان الكتاب مؤيداً لما أشار به مولانا أحمد .

وفيها توفي السيد إبراهيم بن محمد المؤيّدي بن حورية إلى مرقده بالأجداث ، وهو الذي نازع الإمام بالدعوات الثلاث وقبر بالعشّة[2] خارج صعدة وكان له من العلم حصة وافرة وله شرح على هداية السيد إبراهيم بن الوزير[3] وشرح على الكافل وله مؤلفات في الأنساب وغير ذلك مما لا يتسّع له الكتاب .

وفيها وصل الآغا شعبان وزير الشريف سعد بن زيد منذ أبان هارباً إلى الإمام من مخدومه المذكور ، ومعه قدر أربعين نفراً من العسكر ، وكان الحرامية[4] سلبتهم أسلحتهم في الطريق فأحسن إليهم الإمام وقابلهم بالإنعام والاكرام .

وفيها استقر محمد شاوش بيك بالطائف ووصل محمد حبشي إلى جده في ثلثمائة ، من العسكر وصحبته الجوامك والوظائف ، وكان محمد شاوش

---

(١) يعني اعطاف الكتاب ـ أي خلاله .

(٢) العشة : بلدة آهلة بالسكان من عزلة الأبقور من ناحية سحار بصعدة .

(٣) هداية الأفكار في الفقه من أشهر كتب الفقه الزيدي ومنه عدة مخطوطات بجامع صنعاء انظر كتابنا مصادر الفكر الاسلامي ص ٢٠٧ ومؤلفه هو العلامة ابراهيم بن محمد الوزير المتوفى سنة ٩١٤ .

(٤) الحرامية : نسبة إلى بني حرام قبائل متفرقة من عدنان وقحطان .

بيك جمع مشائخ هذيل[1] وغيرهم إلى الحبس وارتهن منهم فيما يحصل من التخطّفات فإذا فعلوا قتل الرَّهائن ثم رجع في رجب من الطَّائف إلى مكة بعد أن رَتّبه وقوّاه ورتب القنفذة[2] أيضاً وجعل نظرهم إلى الشريف بركات واستقر بركات وثنيت له الوسادة وركّ الشرّيف سعد لكثرة الانفاق وانقطاع المادة وكان الشَّريف بركات من أخصّ خواص الشريف سعد وأهل سره وندمته وتنكر له من بعد فكانت أذيتّه ، على يديه « وكفاك الله شر من احسنت إليه » .

وفيها قبض مولانا محمد بن المتوكل مالاً أوصى به الآغا سعيد بن ريحان إلى بيت المال وصرفه في مصرفه وعمل فيه بمقتضى الشرع .

وفيها حصل اختلاف بين مولانا علي بن أحمد ومولانا الحسن بن الإمام ، وسبب ذلك أن بعض أصحاب مولانا علي رمي في العراضة[3] فحصل بسبب ذلك جناية وظن مولانا الحسن أن ذلك عن تواط فانكر ذلك مولانا علي وكان العسكر من الجانبين يحربون للافتراق وكادت تشتعل بينهم نار الفتنة فحسمت المادة بحبس الرامي والتغافل عن القصة والتعامي[4] ولما ثنيت الوسادة[5] لمولانا الحسن بن الإمام بصعدة وداخ أقطارها باثخان العدة طالب عمار وسحار بما ذهب من القافلة على التجار فأجابوا أن أكثر الفاعلين تغربوا ولم يبق إلا الاثار وهذه بيوتهم بين يديك ، وما ألهمك الله فيها فلا اعتراض عليك فأمر بهدم ديار الفاعلين وطالبهم بالآداب التي

(١) هذيل سبق ذكرهم وهم : أبناء هذيل بن مدركة بن الياس وهما ابنا خندف من مضر انظر نهاية الأرب للقلقشندي ص ٤٣٥ .

(٢) القنفذة : ميناء صغير على البحر الأحمر على بعد ١٦٠ ك.م من جدة « الموسوعة العربية ١٤٠٣/٢ » .

(٣) العراضة جمع العسكر ونحوهم .

(٤) من الكتابات العامية أي أظهر العمى دون حقيقة .

(٥) كذلك من كنايات العوام وهو بمعنى ترادفت عليه الأمور والله أعلم .

فرضها الإمام والده عليهم وعلى الهاربين فسلموا الآداب كما اقترح وتحكموا له بما أراد في هذا المطرح ، وكان قبض سبعة أنفار من الهاربين ، فأمر بضرب المرافع على اكتافهم(١) في السوق ، ليكونوا عبرة لغيرهم من الجاهلين ولما خرج من صعدة أمر بضرب أعناق ثلاثة منهم وأوثق الباقين الأغلال وأرسل بهم إلى حضرة والده الإمام ولم يعف عنهم ، فكان من أهل الشام اكبار هذه القضية وتانفت القبائل عن احتمالها بالكلية .

وفيها ارسل الإمام بصدقة الهند إلى الشريف سعد واستصحب الحال وكان الواصل بها السيد عثمان بن علي ولما عُرف ادعى أنه اقترض من الشريف سعد في العام الأول فقبل منه المقال ولما وصلت إلى الشريف سعد انتفع بها غاية الانتفاع .

وفيها وصلت القفاطين والنوبة لمحمد شاوش بيك وللشريف بركات على قرب المزار وعزيمة صادقة من مصر يعول عليها بأشخاص قضاة مكة عنها إليها .

وفيها استقر الشريف سعد بن زيد ببيشة لنفاذ ما بيده وضيق المعيشة وبعداً من مكايد الأروام وانتزاحاً من غائلة ذلك الباشا الذي لا يطاق وهو مع ذلك يتجمع للوثوب والميل إليه بتلك **الجهات** من جميع القلوب وقد أشار إلى امتحانه أبو مخرمة :(٢) الصوفي وامتحان أبيه وجده قبل وجوده بزمان طائل بطريقة الكشف التي لا تخفى فقال :

سعدكم سعدكم يا زيد قد صار مفتن
بايذوق سعدكم يا زيد ما ذاق محسن

---

(١) في الطبق ٢٩٣ فأمر أن تضرب الريح على أكتافهم .

(٢) هو الصوفي الكبير عمر بن عبد الله با مخرمة ولد بمدينة الهجرين من حضرموت سنة ٨٨٤ وعرف بالعبادة والتصوف توفى سنة ٩٥٣ انظر كتابنا مصادر الفكر الاسلامي ص ٢٣١ .

من أبيات طويلة ، وله في هذا النمط اخبار مهيلة ، فإن سعداً أفضى عن ولاية الحرمين وذاق ماذاق جدّه المحسن بن الحسين[1] .

وفيها اتفق حرب بين الشريف أحمد بن زيد بن محسن والشريف حمود ذهب فيه تخاريج مَكَّة من الطائفتين كثير من الجند المعدود .

وفيها خرج مولانا الحسن بن المتوكل من صعدة إلى رازح[2] ورأى في البعد عن المزاحمة ضرباً من المصالح .

وفي سنة ١٠٨٤ رجع محمد شاوش إلى مكة بعد ارتحاله عنها بنيابة المحمل الشامي ومعه قدر ألفين من الجند وخمسمائة عنان كالبحار الطوامي ، وضرب خيامه ببركة ماجد ، ودخل بعده المحمل المصري بقوة عجيبة ، وكان الناس من التخوف في أمر مريج وذلك بسبب بعد الشريف عن البيت الحرام ، وضعف بركات عن ذلك الاقدام والحل والابرام ، فعمل الباشا في التسكين وحفظ الأطراف عن القبائل بذلك التمكين وقال للحاج بلسان عربي مبين أدخلوها بسلام آمنين واعانه الخصب الحاصل والهيبة التي حصلت له في قلوب القبائل وما زالت عساكر السلطان تحفى السؤال عن الإمام وعن ملك اليمن أحمد بن الحسن، فنما إليهم من الأخبار ما هالهم وانقطعت عند ذلك من اليمن آمالهم ، وجدَّ الباشا محمد شاوش في إخراج من بقي بمكة من أصحاب الشريف سعد ، وأرسل البعض منهم إلى حضرة السلطان ، ثم أمر باسقاط المكوس من أسواق مكة ، وكان [شريف][2] جازان حج بهذه السنة وبلغ ما معه من الصَّدقات على الوجوه المستحسنة ، ولما رجع وبلغ إلى ذكوان[3] لحق به الشريف حسين بن زيد يريد اليمن ، أنفة منه أن يقيم مع

---

(١) هو محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نمي الثاني تولى مكة سنة ١٠٣٤ واستمر إلى سنة ١٠٣٧ حيث وثب عليه ابن عمه وساعدته عساكر الأتراك فاقتتلا بمكة وخرج محسن إلى اليمن فمات سنة ١٠٣٨ (خلاصة الأثر ٣/ ٣٠٩).

(٢) ساقط من (ر)

(٣) بنو ذكوان بطن من بهثة من سليم العدنانية « نهاية الأرب ٢٥٥ » .

بـركات على هـوان ، فعندمـا وصل الليث[1] وانتهى بـه إليه الحـديث قـابلتـه قبائله بالحرب وأصدقوا في اصحابه الطَّعن والضـرب ، وأصابـه سهم كان فيـه حتفـه وهلاكـه ، فقبر هنـالك وتبـدَّدت املاكـه ويقال أن قتله كـان بتـدبيـر من بركات ، والعلم لله فالظنون مهلكات .

وفيهـا رجع سلطان الـرازبوت[2] بـالصولـة على اورنقزيب فشغـل خاطـر الاسلام بالتخريب والفتك العجيب وانجلى الأمر عن فتنة عـظيمة وأعمـال غير قويمة .

وفيها وصل إلى الإمـام جماعـة من أهل الشـام بمولانـا علي بن أحمد بن القـاسم ، فولَّى عليهم الإمـام السيد علي بن مـطهر النّـوعة ، وأطفـأ ثـائـرتهم وسكَّن الروعة ، وأقام وأقعد .

وفيهـا أطلق الإمام لليهـود أموالهم ورفـع عنهم الزائـد على الجزيـة وقرَّر أحوالهم .

وفيهـا أعلن الإمام التـوَّجع من بـرط بسبب أحداثهم الجـاريـة على وجـه الغلط وأنكر عدم امتثـالهم لما أمـر من مصير نصف واجبـاتهم إلى نظر مـولانا أحمـد بن المؤيـد والنصف الآخـر إلى القـاضي علي بن محمـد العنسي وقرابته ، وكان القاضي استـولى على الجميع واحتـج أن البلاد غيـر داخلة في حكم الإمام ولا له فيها من مطيع فوجّـه الإمام المـلامة على صنـوه الحسن بن محمد العنسي ، وكان بحضرته منـذ زمن ، فحصل الإصـلاح على ارجاع مـا بقي في أيدي القضاة ، بعـد أن همّ الإمام بـالتقدم إلى ظفـار وشهر لـه سيف عزمه وانتضاه ، ووصل جماعة من بـرط باذلين مجهـود الطاعـة ومتحكمين لما يـدخل تحت الـوسع والاستـطاعـة فـأضـرب الإمـام عمـا همَّ بـه لاسيمـا مـع اضطراب أحوال مكة والأمر المشتبه .

---

(١) الليث : بلد وميناء من تهامة انظر بلوغ المرام ص ١١٩ .

(٢) رازبوت : هو ما يعرف الآن بالرجبوت اقليم بالهند (انظر الموسوعة العربية ج ١ ص ٨٥٠) .

وفيها ارسل السلطان وزيره الأعظم إلى مصر وأمره برفع يد الباشا فيه والفتك به إن أمكن ونفذ الوزير هذا بعض أعيانه إلى ينبع[1] وأمرهم بالفحص عن أحوال بركات ومحاصرة ابن مضيان .

وفيها جهز صاحب عمان مراكبه إلى المخا فشغل الإمام بذلك وأعياه جانبه ، ثم تخلّل فتنة حدثت بين آل عمار ودهمة واضطراب أحوال العولقي وتشرّعه إلى الخلاف .

وفيها جزم الإمام بتولية ولده أحمد بلاد مولانا الحسين بن المؤيد وكان أهل تلك الجهات أميل إلى ولد يحيى بن الحسين أو صنوه القاسم بن المؤيد لكونهما أخبر بالأمور .

وفي سنة ١٠٨٥ رجع الشريف بركات من بدر إلى مكة ومعه ابن مضيان بعد أن بذل له وحلفه الايمان ولم يتم غير ذلك في هذه الحركة .

وفيها سار الشريف سعد وصنوه أحمد إلى بلاد نجد العليا فحصل المقيم المقعد مع بركات منهما ، وضاقت به الدنيا .

وفيها استطرق العماني أهل سقطرى[2] فعاث فيها وقتل منهم صَبْراً ، ثم مد شراعه وبادر في البحر أسراعه وقصد بنادر اليمن ، وجاوزت مراكبه عدن ، وهو مع ذلك يتبع البانيان فنهب بعضهم بباب المخا ثم صار إلى عدن فرماه أهل صيرة[3] بالبنادق والمدافع فقتل من أصحابه نحو العشرين نفراً كان به انهزامه، وسكون الرواتع وانهزم شر هزيمة واجتمعت إليه مراكبه فصار إلى باب المندب ومنع بالبحر الوارد والصادر ، ومدّ يده إلى جميع البنادر فتأهب لقتاله العمال ، ولما بلغ مولانا أحمد بن الحسن وولده

---

(١) ينبع مدينة في الحجاز المملكة العربية السعودية ميناء المدينة المنورة يربطها بالمدينة طريق معبد طوله ٢١٠ كم إلى الشرق منها وادي ينبع « الموسوعة العربية ص ١٩٨٤ » .

(٢) سقطرى : جزيرة في المحيط الهندي إلى الشرق من عدن . .

(٣) صيرة : جبل في الجنوب من عدن أعلاه قلعة حصينة يقع شرق مدينة عدن وكريتر وترتبط معها بواسطة جسر حجري يمتد وسط مياه خليج حقات (معجم المقحفي ص ٢٥٥ وتعاليق عبد الرحيم حازم على طبق الحلوى ص ٣٠٦) .

محمد صاحب المنصورة جهَّز إلى ذلك الضراب الأجناد واعملا دونه السيوف الحداد ، ولم تزل البنادر محفوظة بالعساكر والاستعداد لجلاد هذا العدو الماكر حتى اضحل أمر الخوارج وانطفت شرارة ذلك المارد فقطع دابرهم ، وانكف عن البحر عابرهم .

وفيها جهزّ سلطان الروم على الإمام باليمن وندب له وزيره الأعظم وصرح به واعلن ، وساق معه الجيوش التي لا تحصر فلما بلغت أجناده إلى حدود مصر وأطراف البلاد وافى بهم البريد بالإضراب عمَّا أراد السلطان واستحثهم في الرجوع إليه وموجبه أن البردقال باجمعها قامت عليه ، وذكر لهم أن نار الفرنج في اضطرام وجهادهم أوجب من جهاد الإسلام ، وأن أمرهم لا يطاق ولا يرام بغير عون ، وذكر لهم أن الاختلاف بينه وبين امام المسلمين في مسائل الأصول لا في أصل الدين ، وعندها عمد محمد شاوش بيك والشريف بركات إلى باب الكعبة واجتمع النَّاس فضجوا بالدعاء والابتهال إلى الله تعالى ، في دفع هذه الكربة وتَضرعوا إلى الله تعالى في نصرة الإسلام والقهر للمعدم[1] والغلبة .

وفيها جهز الإمام مولاه عثمان زيد إلى الشحر في ثلثمائة من العسكر الأعيان وأخذ عليه في حفظ البندر والتيقظ للعماني إذا ورد أو صدر .

وفيها اعتزل القاضي أحمد بن جابر العيزري[2] صلاة الجمعة بجامع صنعاء لما ابطل الإمام أحكامه وأمر العمال بعدم العمل بها بسعي من سعى ، وكان بعض علماء وقته نسب إليه الحكم بغير المذهب ، وعدم أخذه الولاية من الإمام ، وكثر القول فيه وكان هذا القاضي لا يبارى في الفروع ، وله طريق انفرد بها في الزهد والخشوع ، وينسب إليه أنه كان يحكم على الروحانية وتظهر على يده الكنوز الفانية ولما سئل عن هذا أنكره واستعظم أمر من نسبه إليه .

---

(١) كذا في الأصل .

(٢) من العلماء ينسب إلى آل العيزري المنسوبين إلى العيازرة بلد من الأهنوم .

وفيها انكسرت برشه[1] عمانية بساحل أحور فغرق أكثر أهلها وشحنتها وهلك مال صاحبها وأخرج السالم منهم إلى الساحل فانتهبهم أهل أحور وقتلوا بعضهم للبغض الحاصل .

وفيها مرض الإمام وأشفق عليه بالقطر اليماني الخاص والعام ، واتسع عنده نطاق الأراجيف فأعمل اهله في طريق التأهب عند هذا الأمر الكاذب ، فمنهم ولده أحمد ومولانا القاسم بن المؤيد ، ومولانا يحيى بن الحسين وشريف برط السيد محمد بن علي الغرباني رفع رأسه إلى الخلافة ومدّ باليدين وبادر مولانا أحمد بن الحسن بكتاب إلى مولانا أحمد بن المتوكل يستطلع ما لديه ، وجدَّ مولانا أحمد في تأليف قلوب الخاص والعام وقبض مفاتيح خزائن بيت المال من خازن الامام ، ومولانا علي بن أحمد أخذ في الأهبة وتجمع للوثوب إلى الرتبة وحفظ اطراف بلاده وجعل إلى نفسه استناده وتطلّع السيد أحمد بن إبراهيم المؤيدي إلى هذا الأمر كوالده واستسهل الوصول إليه على تباعده ومنَّ الله بالعافية على مولانا الإمام من ذلك العارض وخمدت نار الفتن .

وفيها توفّي الشريف حمود بالطائف بعد اطراحه الرئاسة واقلاعه عن تلك الوظائف وتاب عما سَلف وندم غاية النّدم وأوصىٰ أن لا يدفن بين مقابر المسلمين لألاَّ يتأذّوا به ويتفجّعوا من تعذيبه، وهذا غاية التوبة واستجلاب المثوبة والله اشفق وارحم وشأنه الفضل والكرم.

وفيها وصل من العماني كتاب إلى الإمام عاتبه لما جرى في أصحابه بساحل عدن من القتل وعدم الاحترام فوكل الإمام جوابه إلى الاهمال.

وفيها إتفق بضوران خاصة أكثر من ثلاثين رجفة وارتاع لها الناس فوق الصّفة وظنَّ مولانا محمد بن المتوكل ان سببها ما يؤخذ من أهل اليمن

---

(١) نوع من السفن .

الأسفل زائد على الزكاة، ومثل مطلب الصلاة، ومطلب السياق والرياح، ومطلب الرصاص والبارود من كل بلاد، ومثل سفرة الوالي، وضيفة العيدين، وغير ذلك مما هو مستمر إلى الآن، مثل جبلة والعدين، وللإمام في أخذ مثل هذا أوجاه، وهو أعلم بالاجتهاديات وأسباب النّجاة والحمل على السلامة لا سيما بمثل المتوكل.

وفيها خالف أهل الحجرية على مولانا محمد بن أحمد بن الحسن وقتلوا بعض مماليكه وثارت الفتن.

وفيها توفّي السيد العلاّمة محمد بن إبراهيم بن المفضل وكان من أوعية العلم والعمل، وهو الذي لخّص سيرة جدّه الإمام شرف الدين ونظم الورقات لإمام الحرمين وكان من أجل السادة وأهل العرفان والإفادة وله نظم رقيق وأسلوب رشيق وتحقيق دقيق.

وفيها تحرّك العماني للخروج إلى سواحل اليمن فضاعف الإمام ومولانا أحمد بن الحسن العساكر قبل أن يصل ويتمكن.

وفيها رجع مولانا الحسن بن المتوكل إلى صعدة وأشار إلى مولانا علي بن أحمد بجمع العساكر تخوّفاً من مثل ما اتّفق بينهم في تلك المدّة.

وفيها عزل محمد شاوس بيك عن جدّة وولىٰ عليها يوسف آغا وهو عندهم من أهل النجدة ووجّه محمد شاوس والأجناد عوضاً عن الرتبة الأولىٰ في بغداد وكان الجند الذي معه نحو اثني عشر ألف إنسان من غير البوش والصناجق والأغوات والأعيان.

وفيها هوت من السماء بغضران(٢) من أعمال السر صخرة عظيمة سمع ضجيجها من بصنعاء وبينهم مسافة مستديمة وتعقّبها من الخراب وغور المياه أمور جسيمة .

---

(١) غضران : من قرى بني حشيش بالشمال الشرقي من صنعاء .

وفيها اتفقت كرامة للشيخ أحمد بن علوان[1] بل الله ثراه بوابل الرضوان ، وهو درَّة تاج الزمان والكرامة أن رجلاً نزل إلى اليمن الأسفل واضطره طلب المعاش إلى الجَنَد ولبث فيه أياماً يسأل فقصد في بعض الأيام بيتاً يظن فيه حلال فقرع الباب وأحفى في السؤال ، وكان في البيت رجال من أهل الشام ومعهم أسحلتهم والإطعام فأدخل أحدهم ذلك الرجل الطالب للمعاش على أنه يعطيه ويطعمه فلما بلغ صحن البيت أمروه بحمل شيء في غرارة[2] ، فلما انتهوا به إلى البر انكشف المحمول مقتولاً وعندها خشيوا منه هتك أعراضهم وافشاء أمرهم فعزموا على قتله ودفنه مع المقتول في محله فألهمه الله تعالى أن يستغيث[3] بابن علوان فما شعر إلا بإنسان بيده حربة قد أشرع منها إلى نحورهم السّنان فبهتوا لما غشيهم من الهول وشغلهم ما خالطهم من الرعب ، عن الفعل والقول فانفلت الرجل من بينهم ، ومثل هذه القضية والكرامة اتفقت لمولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم رضوان الله عليهما ، وهو أنَّ شيخاً من بلاد الحدا[4] قتلت بنته في حدّ زراجة ولم يعرف القاتل لها حتى أن أباها ترجح له الدخول بجماعة من عقال المحل إلى حضرة المولى المتوكل إلى محروس الدّامغ[5] فوصلوا ووصفوا له تلك القضية ويذكر الشيخ انه منزه ومبرىء لأهل المحل من القتل فأجاب عليه المولى أنك تدعي بقتل الحرمة[6] فقاتلها معروف ، ثم أشار بيده إلى رجل ابن عمّ الشيخ المذكور أنه القاتل لها ثم قال الإمام أحضر يا شيخ انت واياه عند القاضي صالح ، وهو في الديوان فتداعوا فطلب القاضي الشّهادة من الشيخ بقتل الحرمة فرجع الشيخ إلى عند

(١) هو صوفي اليمن الكبير وفاته سنة ٦٦٥ هـ .
(٢) الغراره بالكسر الجوالق قال الجوهري وأظنه معربا .
(٣) كذا والاستغاثة في مثل هذه الحالة لا تكون إلا بالله والله أعلم .
(٤) الحدا : قبيلة مشهورة موطنها في الشمال الشرقي من ذمار بمسافة ٣١ ك.م .
(٥) جبل مشهور من أعمال آنس صنعاء بمسافة ٧٨ ك. م .
(٦) الحرمة : المرأة .

الإمام ، وقال : طلب القاضي الشهادة وأنا مطالب لأمير المؤمنين أعاد الله من بركاته أكتب يا قاضي صالح شهادتي أن فلاناً قتل بنت فلان في يوم فلان فأسعد القاضي صالح ، ثم كتب بالقلم ثم رجع إلى الشيخ ، فقال : هات شهادتك يا شيخ فرجع الشيخ إلى عند الإمام فقال بمثل ذلك يا قاضي صالح اكتب شهادتي ثم عاد الثالثة كذلك فتحامق القاضي ، ثم طرح بالبياض من يده وقام إلى عند الإمام بحماسة قال: كيف هذه الشهادة من ضوران إلى زراجة فضحك أمير المؤمنين ثم طلب القاتل فسأله حتى أقر إقراراً صحيحاً وأنه السبب بقتل الحرمة مكافأة في قتل أخيه ، فقال الإمام : ما قالت الحرمة في آخر كلامها ؟ قال القاتل : قالت يا متوكلاه يا متوكلاه ، ثم مضى عندي شخص مثلك خيال فقال لي اطلعها من السائلة إلى الطريق ، ثم أمر الإمام بحبسه ، بقي سنة وخارجه من القَوَد من ولي الدم ، وهذه الرواية مروية على القاضي صالح بن الهادي رواها الفقيه الفاضل هادي بن محمد الآنسي الملقب الجرادي .

وفيها انكسرت جلبة[1] بساحل جازان فيها من أهل صنعاء نحو سبعين إنساناً إلاَّ خمسة عشر نفر منهم نجوا على ألواح وما آبوا مما معهم إلاَّ بسلامة الأرواح .

وفيها خطب القاضي محمد بن إبراهيم السحولي[2] يوم الموكب بغدير خم وكان أوّل من سنَّ ذلك واسمع الصم والبكم ولم تستمر الخطبة بعده في يوم الموكب وما أدري ما هو السبّب الموجب لترك ذلك .

وفي سنة ١٠٨٦ نقل الإمام بعض الخزانة[3] إلى صنعاء من ضوران وأخذ بالحزم لما بلغه من الروم حركة السلطان .

---

(١) نوع من السفن .
(٢) من أفاضل العلماء سيأتي ذكره .
(٣) هي من أموال الدولة .

وفيها قتل أهـل الحجريـة رسول الإمـام وشنوا نـار الخلاف على الأعـلام فهَّم مولانا محمـد بن أحمد بن الحسن بـالنّزول من المنصـورة والاثخان فيهم حتى تمحى رسم هـذه الثورة فسبقـه والـده أحمـد بن الحسن إلى إطفـاء تلك النـار وجهَّز عليهم العسكـر المختار وعضـده عسكر الإمـام فأقعـد وأقام وشـرَّد بهم من خلف وأمام .

وفيهـا توجـه الشريف سعـد بن زيد إلى أبـواب السلطان بـالـرُّوم بعـد أن ختم الكلام بينه وبين محمل الشام واستقر الأمر على معلوم .

وفيهـا توفي وزيـر الإمام السيـد محمد بن صـلاح الجحـافي والإمـام ابن خالته وهو أحد موجبات التقريب والتصافي وكان هذا السيد أولاً من أصحاب مولانا الحسن بن القـاسم ، ولما أدَّعى مـولانا أحمـد بن الإمام القـاسم بايعـه وتابعه وناصره وحضر جماعته ومجامعـه ، ولما تم الأمـر للإمـام المتوكـل صار إليه وعوّل في جميع الوزارة عليه .

وفيهـا انتقل البـاشا حسين بن مكـة إلى جدة وكـان وصـل من الـروم في أبهة عظيمة وقدر الخيل الذي معه ثلاث آلاف وخمسمـائة عنـان وما رجـع من الـروم إلاَّ بعـد زمـان لأنـه قـرر أحـوال الجهـات الحـرميـة ونفـذ أمــره على الملوك ، ولم يـدع بابـاً من النظر فيمـا دق وجل متـروكاً ، وكـان في حسبانـه اليمن لو امكنت الفرصة ولكن لم يبق لهم فيه حصة .

وفيهـا اتفق بين سيد من ذريّـة السيـد عـامـر[٢] بن علي اسمـه حسين بن علي بن محمد بن عامر ، وبين علي بن محمد بن أحمد بن الحسن بن الإمام القـاسم رضوان الله عليهمـا مزاح أفضى إلى غيـر لائق بالسَّـداد عند المـأمـور والآمر ، وهو أن هذا السيد كان بباب مولانا أحمـد بن الحسن ملازمـاً ويخالط

(١) هو المعروف بعامر الشهيد ابن عم الامام القاسم وهو عامر بن علي بن محمد بن علي الرشيد المقتول سنة ١٠٠٨ انظر خبر قبله من قبل سنان باشا في النبذة المشيرة ص ١٢٠ .

أولاده وأولاد أولاده للقـرابة والانتمـاء ، فـرغب في حصـان طلبـه من مـولانـا أحمد بن الحسن ، وكان ابن ابنـه يقول لـه أن مولانـا لا يعطيـه اياه فلم يقنـع ولم يكتف ولما أكثر على مولانا أحمد بالسؤال سمح له بـه لكرمـه المشهور ، وجعـل له فيـه خطًّا إلى أميـر الخيل وقبضـه الدستـور في السيد المـذكور إلى ابن ابن مـولانا أحمـد المذكـور أولا وقال لـه انظر وهب لي مـولانـا الحصـان الـذي قلت لا يهبه ولا أراه قـدامي ولا خلفي فقـال لـه أرني الخط انـظر إليـه فلمـا صار بيـده مزَّقـه عليه فخـرج السيـد عن قـانـون عقله وران الحمق على قلبه وزاد في جهله فأخذ الجنبية وأغمدها في ظهـر ابن مولانـا أحمد فمـا لبث أن خرج روحه وفارق أهله وسوحه ، وكان الفقيـه هادي بن علي النهمي ينـظر إليه من حيث لا يراه فعرف مولانـا أحمد حقيقـة الواقـع فاعتقـل مولانـا أحمد السيد المذكـور ، وشفع فيـه إلى ولده محمـد وهو بـالمنصورة فـاشفعه لكـرمه المشهـور ، ثم ان السيد نـدم غايـة الندم فحمـل نفسـه وصـار إلى المنصـورة حضرة مولانا محمد بن أحمد فلما مثـل بين يديـه عرفـه بنفسه واستسلم للقـود واعترف أنه قتـل ولده عَمـداً وأنه يـريد التخلص من هـذه القضية حين أمكنـه الأداء فقـال مـولانـا محمـد قـد سبق منّـا العفـو عليـك وخـذ هـذه الكسـوة والمصروف ولا أنظر بعدها إليك .

وفيها توفي عامل جـده يوسف اغـا ، فجعل بمكـانه إبـراهيم بيك ، وهـو عندهم من رجال الوغا .

وفيهـا وصـل إلى الحضـرة الإمـاميـة خـواجـا[1] من الهنـد يحمـل على الفـالكي[2] ومنح الإمـام بهديـة ما جـاء بمثلها حنفي ولا مـالكي ، ولمـولانـا أحمد بن الحسن جانباً منها فقوبل بالقبول وكوفي بالأضعاف عنها .

---

(١) الخواجا والخواجه كلمة تجمل يلقب بها التجار ونظائرهم (أعجمية بمعنى معلم) .

(٢) الفالكي : سرير يحمل على الأكتـاف (من تعاليق الأستـاذ محمد جـازم عبد الـرحيم على طبق الحلوى ص ٣١٧) .

وفيهـا تجهـزَّ سلطان الـروم بنفسـه على بـلاد البـردقـال ، وكـان أمـرهم استـطال ، فجمـع الجنـود من جميـع الأقـطار واستـدعى البـوش من جميـع المحال وتقدم على الفرنج باذلاً نفسه في جهادهم قاصـداً لهم إلى بلادهم ، فطرقهم باجنـاد ملأت الهضـاب والوهـاد والبقاع ، وضـاق بها البـر والبحر في الاندفاع ولمـا اتصل بمحلهم وافـاهم في زحلهم[1] انحصروا في قلعـة تسمى عماريه قـد سامت السمـاء لا تقدر الأقـلام وصفها بكيف ، ولا يكـاد يمرُّ بهـا الـطيف لا يخشى من اعتصم بها من طـارق ، متسعة الأكنـاف ظاهـرة الاثريـة مانعة الارتباط والأطراف قد حصنها الفرنج بالشجعان والأبـطال ، وانحاز إليهـا كماة البرد قال وشحنوها بالميرة والمدافع وادخروا فيهـا جملة المنافـع فزحفت عليهم الأجناد السلطانية على بعد الشقة واتصال المشقة

شعر

صـارت تهامـة لا يسري النسيم بهـا   من شدة الخوف إلا وهو في حـذر

ولما صار بين السلطان وبين هذه القلعة قدر ثلاث مراحل حطّ هناك من خواصه وقدم على القلعة الأجناد والعساكر والوزراء والاكـابر وأهـل العزائم في الجهاد والبصائر ، ومن عرف في الحروب أنه مصابر ، فعند ما شـاهد عسكره القلعة ورأوا ما بهـا من الارتفاع والمنعـة والابطال المتشـرعة وقـد جمعوا فيهـا أهـل الصبـر في دينهم والمنفعـة ، رأوا أن فتحهـا بـالسيف لا يمكن لـذلـك الامتنـاع والارتفاع ، فتشـاوروا بينهم أنـه لا يكـون فتحهـا إلاَّ بـالحيلة وحصـل على ذلـك الاجمـاع فحفـروا حـولهـا السـراديب وملئت بـالبـارود عن احكـام عجيب ، واقتحمـوا الأهـوال المهيلة فـأقـدمـوا إقـدام من لـم يمت حتى تمت الحيلة ، ولمـا خلصت لهم الـرتب التي حفـظوا بهـا أبـواب القلعـة ، صـاروا عليهـا كالسـوار بسرعـة ودانوا مـع حفظ الأبواب في عمـل الحفـائـر وشحنهـا

---

(١) نسبـة إلى زحل وهـو من الكواكب التي يتشـاءم بها أهـل النجوم ومفهـوم العبـارة « وافـاهم في نحسهم » .

بالبارود المتكاثر ، ولما فرغوا من العمل وهذا التدبير مع حفظ الأبواب لا يخطر للفرنج أمل فاطلق أجناد السلطان النار في أول سرداب فانهدم جانب من القلعة وانفتحت الأبواب فحمل الجيش العثماني على الفرنج حملة رجل واحد ، وأصدقوا ضرب السيف فيهم على العوائد ، واستولوا على القلعة سلاماً بسلام وانقادت القلعة ومن فيها بالزمام ، وكان أهلها في غفلة عن هذا التَّدبير واستولى السلطان على الرقاب والسكن وأخذهم أخذة رابية ، وتركهم فيها أعجاز نخل خاوية ولما تمّ له القصد وأسر من أسر وحصد من حصد ولىَّ ستة من البوش على تلك البلاد ورجع إلى استنبول سالماً ظافراً وقد أرضى ربّ العباد وحاز فضيلة الجهاد .

وفيها جاءت الأخبار باستقرار الشريف سعد بن زيد بحضرة السلطان في اصطنبول عند السلطان محمد فألزمه قتل حسن باشا فتنصل عنه وابعد ودافع عن نفسه باظهار الدخول في المذهب الحنفي تقرباً إلى خاطر السلطان وطمعاً في أن تلك الحرارة تنطفي فاقبلت إليه من أجل هذا قلوب الخواص ، ومهدوا له العذر حتى خلص من الأقفاص .

وفيها اتفق خصام بين أصحاب مولانا الحسن بن المتوكل وأهل جبل رازح انجلى عن قتل نفر من العسكر وخمسة أنفار من الرعية ، فعندها سالت الرعايا على العسكر وألجأهم إلى الاعتصام بالقلعة مع الحذر فاضطر مولانا الحسن إلى صلاح الرعية وانفصل عنهم إلى أبي عريش ورام طمس تلك على آل حبيب بالتجييش ، واستأذن الإمام وقصد بلاد بني حرام فمنعه الإمام عن التحدث بهذا المرام حتى يتبين خبر البيت الحرام ، وما يكون من الاروام ، من النقض والإبرام والمشير بهذا الرأي مولانا أحمد بن الحسن .

وفيها توجَّه مولانا علي بن أحمد إلى نجران وكان أهله منعوا عن الحقوق الواجبة وجنحوا إلى العصيان فأثخن فيهم الوطأة وعاملهم بعد الرأفة

السطوة ولم يرتفع عنهم حتى استوفى الحقوق .

وفيها أمر الإمام بأخذ العشر من أموال اليهود واجتمع من ذلك شيء كثير غير معهود .

وفيها تقدم الحسن بن المتوكل إلى بلاد فيفا[1] فأخذ منهم طعاماً كثيراً في مقابل الزكاة حتى استوفى ولما قَضَى فيهم عمله الصالح ، انفصل عنهم للمقام بجبل رازح .

وفيها تكاثرت الزِّلازل بجبل ضوران وهدمت البيوت وهَدَّت الجبل ودهدهت الصخور وانزلت ، فاختلط من شدة الهول عقول كثير من أهلها وذهل الذَّاهل من هولها .

وفيها بلغ مولانا الصفي احمد خروج العماني إلى باب المندب فبادر بالسيد حسن الحرة في جماعة من الكفاة في حفظ عدن ، وأرسل ابن مذيور إلى جبل فضلى لما بلغه أن قبائل المشرق رفعت رؤوسها لاسيما العولقي وجنحت إلى التخلي .

وفي سنة ١٠٨٧ أرسل السُّلطان أورنقزيب بصلة نافعة لأشراف اليمن بنظر الإمام فكان لها موقع عظيم استدل به على حسن المقام .

وفيها أرسل مولانا الحسن بن المتوكل من رازح إلى صعدة بجملة من أهله وأمر بانزالهم بدار مطهر وبها حشم مولانا علي بن أحمد بن القاسم ممر الأيام من قبله فتغيظ مولانا علي بن أحمد من ذلك واستدل على استضعاف جنابه ، وحصل معه حاصل كاد يخرجه من إهابه مع ما بينهما من الوحشة

---

(١) فيفا ياء مثناة ساكنة وآخرها ألف التأنيث الممدودة جبل معروف شرق جازان بعد لبنان المنطقة يقدر ارتفاعه عن البحر ستة آلاف قدم ويشتمل على عدد من الأرباض والحلل (انظر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ج ١ ص ١٨٢ » .

وأسبابها فأمر مولانا علي بن أحمد بارجاع أهل مولانا الحسن بن المتوكل من باب صعدة، ولم يمكنهم من الدخول وكتب إلى مولانا الحسن وهو بمجز أن أمد الصبر عليك قد انقضى ونجز فارجع من حيث جئت وإلاّ وصلت وجعلت معك من يؤمنك إلى حيث شئت إلى حضرة أبيك أو إلى أي محل يكافيك وإن أبيت أحد الأمرين فارض بما يتفق إلى جانبك من الاهتضام وعدم الاحتشام في الحالتين فسعى ساع بينهما بدخول أهل مولانا الحسن إلى دار مولانا محمد بن الحسن وبعد ذلك يخاض[1] في الصلح بينهما على الوجه المستحسن وتقدم مولانا الحسن من مجز[2] يريد ساقين[3] فلما وصل عر[4] ولم يرخص له أهله غير ليلته واجتمعوا على منعه باليدين ، وكان مولانا علي بن أحمد أمرهم بذلك وميلهم إليه لما نالهم من عسف أصحاب مولانا الحسن في أيامه هنالك ، ولما كثرت على مولانا الحسن الأراجيف اعمل إلى رازح الدميل والوجيف وتبعه مولانا علي بن أحمد إلى ساقين ، فوقع الحرب على خزانة مولانا الحسن وذهب خمسة أنفار من الفريقين ، وبعد ذلك استولى مولانا علي بن أحمد على الخزانة ومن عليها من أصحابه وأظهر سره المكتوم مع كمال شروطه وأسبابه فجمع أهل النجدة من آل سحار وعمار ، وذكرهم بحسن سيرته فيهم وأثار حفائظهم بما قاسوه من الشّدائد مع اضطراب الحال وتفرد مولانا الحسن فيهم بالأعمال ، وباح إليهم بما صار إليه الإمام من المرض المخوف والزمَانة التي حال صاحبها معروف ، وأخبرهم بعزيمته في الدَّعوة وطلبهم الإجابة والاعانة بقوة ، فأجابوه بالسّمع والطّاعة فعندها تلقب بالمنصور وبرح الخفا وظهر المستور ثم قدَّم جيشاً على مولانا الحسن إلى رازح وعطل بلاد الشام عن الآثار

---

(١) كذا صوابه يخوض .

(٢) مجز ناحية من قضاء جماعة في بلاد صعدة .

(٣) ساقين : مدينة من قضاء خولان في بلاد صعدة من جهة الغرب .

(٤) بلدة هناك .

المتوكلية ، ونفذت أوامره إلى حدود سفيان ، وتعالت أعناق الفتنة وأشعلت النيران ، وكتب مولانا أحمد بن الحسن يشعره بدعوته والأسباب الموجبة لنبوته وطلب المناظرة والمناصرة وأنه لا يصبر على الضيم غير ذي الهمة القاصرة ، وجعل طي الكتاب الحاقاً خاصاً حقق فيه واستقصى مضمونه أن الحال اقتضى ما صدر منّا واعمل فيه برأي الشرع ، ولا تلتفت على المحافظة على الملك من هنا أو هنا ، وإن لم يكن لك رغبة فأنت المقدم ، ونحن السيوف على من ناوأك كما تعلم ، فأجاب مولانا أحمد بجواب فيه تمريض وأيد كلام مولانا علي بن أحمد بن القاسم مولانا القاسم بن المؤيد بالتصريح لا التعريض ، وكذلك مولانا يحيى بن الحسين بن المؤيد خاض مع مولانا علي بن أحمد بعض الخوض في الدَّعوة لما وصل عنده إلى صعدة ، ورمى ، فأبعد وأراد استدعاء السيد محمد بن علي الغرباني والتجميل له جملة هذه المعاني ، وورد أمر الإمام إلى مولانا أحمد بن الحسن في التجهيز على مولانا علي بن أحمد بن القاسم وأن يبادره قبل اضطرام النار واشتجار العوالي ، فعمل مولانا أحمد في أخذ الأهبة ، وأمر بنصب الوطاق خارج الغراس ، علامة التبريز ونقله إلى الرَّحبة[1] .

فلما كان ليلة الجمعة خامس شهر جمادى الآخرة توفي الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم المنصور بجبل ضوران إلى رضوان الله تعالى من هذه السَّنة اعني سنة ١٠٨٧ وكان رضوان الله عليه من الأئمة الهادين والأعلام المبرزين ورجال الدنيا والدين رؤوفاً بالمؤمنين صادعاً بالحق المبين شفيقاً على العالمين مجاهداً في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين سالكاً مسلك آبائه الطيبين الطاهرين سلام الله عليه وعليهم أجمعين ومدّة عمره ستة وستين سنة لا زيادة ، وقبره بجبل ضوران لا تزال تظهر منه أنوار السعادة ومن مؤلفاته في أصول الدِّين « العقيدة الصحيحة »[1] ولها شروح

---

(١) الرحبة: هي رحبة صنعاء في الشمال الشرقي بمسافة خمسة كيلومترات.
(٢) منه عدة نسخ خطية انظرها في كتابنا مصادر الفكر الاسلامي ص ٦٢٢ .

من العدلية[1] والاشاعرة[2] كلها مستجادة فصيحة وله فوائد المسائل «المرتضاة فيما يعتمده القضاة »[4] وغير ذلك من المسائل والأجوبات والأنظار المدونة والاختيارات المدونّة ، وكان كثير التعظيم للعلماء شديد التحنن عليهم والاحتمال ومن رأيه في الأصول التكفير بالإلزام وبنى عليه أهل اليمن الأسفل كثيراً من الأحكام رحمه الله رحمة واسعة واسبغ عليه رضوانه ورضي عنه آمين م .

---

(١) المعتزلة وقد شرحها منهم صالح بن داود الآنسي المتوفى سنة ١١٠٠هـ من شرحه المذكور نسخة خطية بقلم المؤلف بمكتبة أحمد عبيد بدمشق .

(٢) منهم أحمد بن محمد الدجاني القشاشي المتوفى ١٠٧١ له شرح ومحمد الجعفري وأمين حجازي .

(٣) منه عدة نسخ خطية وشرحه صالح بن داؤد الآنسي السابق ذكره ومن شرحه مخطوطة بجامع صنعاء بعنوان «تفتيح أبصار القضاة» .

الشذور العسجديّة[1]
في الخلافة المهدوية الأحمدية

(١) ذكر الأستاذ أيمن فؤاد السيد أنه في تاريخ اليمن من سنة ١٠٥٦ إلى سنة ١١١٤ وهذا خطأ إذ خلافة المهدي من سنة ١٠٨٧ إلى سنة ١٠٩٢ ثم ذكر منه مخطوطة بجامعة ييل في ٨٠ ورقة .وفي نفسي شك من ذلك إلّا أن المؤلِّف اختصر كتابه ذاك في مؤلّفه هذا كما هي العادة عنده. ومن الشذور نسخة مصورة عن الأولىٰ بمكتبة الدكتور حسين عبد الله العمري بصنعاء.

بسم اللّٰه الرحمٰن الرحيم وبه نستعين

اعلم أن مولانا المهدي لدين الله أحمد بن الحسن هو الغرة الشادخة في وجه اليمن واندرجت أخْبـاره وآثاره في جهاده وأعماله وإعلانه وإسراره في ضمن أيام المتوكل على الله وبعض أيام المؤيد بالله قبله وقد وضعنا كلاً في موضعه ومحله فإنه كان سيف الإمام المتوكل على الله الذي ذلل به الصعاب وبدَّد الجموع والأحزاب يفزع إليه في جميع الأمور ويصول به ويجول على الجمهور ، وأمّا أيام خلافته من بعده فهي قصيرة لكنها في افق المعاني شمس منيرة .

ولما كان يوم الأحد ثالث موت الإمام المتوكل علي وسابع شهر جمادي الآخرة أستدعى مولانا الصفي أحمد بن الحسن إلى حضرته بالغراس الملوك الكرام من أهله وعلماء وقته البحور الزاخرة ممن يعقد به ويحل ويعرف بهم ، ولهم المحل ، مثل مولانا عزّ الاسلام محمد بن المتوكل ، وولد عمّه ليث الصدام محمد بن أحمد المعروف بالختام ، والامير المقدام الصموت في الكلام أحمد بن محمد بن الحسين بن الإمام ، ومولانا العلامة القاسم بن أحمد بن الإمام ، وغيرهم ممن يطول تعداده من آل القاسم الكرام ومن علماء صنعاء القاضي علي بن محمد العنسي[1] والقاضي علي بن محمد

---

(١) هو الشاعر المعروف صاحب ديوان وادي الدور وفاته سنة ١١٣٩ انظر ترجمته في مصادر الفكر ص ٣٤٣ .

قيس الثلائي لم يكن بمنسي والقاضي علي بن جابر الهبل، وسواهم من أهل الحلّ والعقد والعلم والعمل ، ولما أجتمع الجميع بحضرته خاض الجميع مع قاضيه وخطيبه عبد الواسع بن عبد الرحمن القرشي[1] في موجبات دعوته ، وكان ميل مولانا محمد بن المتوكل إلى جناب مولانا أحمد بن الحسن ظاهر لما يعرف من موجبات الإستحقاق والكمال الباهر وهو بذلك رام شاكلة الصَّواب جار فيه على وفق السنّة والكتاب لما عرف به مولانا أحمد بن الحسن من الجدارة والبرارة والسعادة التي لا تفي بوصفها العبارة وما أعطى من الهيبة في قلوب الأعداء ، وميل قلوب الناس إليه في الانتهاء والابتداء ، وكون أكثر العلماء والعظماء لا رأي لهم في غيره ولا يلتزموا في أعناقهم إلاّ بطيره خلا القاضي محمد بن علي بن قيس ، فهو كان مع مولانا القاسم بن المؤيد ، لما يسمع عنه من وفور الكيس واتفق بعد موقفين إتفاق الجميع على بيعة مولانا أحمد بن الحسن لكونه الأنهض في القيام بالأعباء ، فبويع في الساعة الرابعة من ليلة السابع من شهر جمادي الآخرة وطالعه الثور اثنان وعشرين درجة فيه ، كما أوضح الخبير ، ونادى والمريخ وزحل في طالع الدعوة بين الشمس يقدر خمس درج بقدر سني الخلافة والخطوة ، وعندها رقمت الولايات على بلاده ، ونفذت الكتب المعلنة بالقيام إلى أقرانه وأضداده فمنها إلى مولانا الحسين بن الحسن برداع ، وإلى مولانا علي بن أحمد بصعدة بما أتفق عليه الاجماع ، وإلى الأمير عبد القادر بن الناصر ، وكان أخذ الأهبة وجمع حشمه بكوكبان ورام ، ولم يعاسر وحصل مع أهل صنعاء ارتياع لظنهم أن مولانا محمد بن المتوكل لا ينطلق في البيعة فلما سبق إليها أطمأنت النفوس منهم ، وسكنت الروعة ، ولما نجع بها مولانا محمد بن المتوكل كتب إلى أهل الحيمتين وكانوا في توقف بما أجمع عليه العلماء وأنه أول من بايع وشايع ورأى

---

(١) هو العلامة عبد الواسع بن عبد الرحمن بن محمد العلفي له الوعظ النافع فيما أنشأه عبد الواسع توفي سنة ١١٠٨ انظر كتابنا المصادر ص ٢٩٢ .

الانخـراط في ذلـك السلك مغنماً ، ودخـل أهــل الحيمـة فيمـا دخـل فيـه النَّاس ، وإشتراط الاجتهاد في الإمام لا دليـل عليه[1] ، وحفظ بيضـة الاسلام هـو الذي يلتفت إليـه ، ولـم يعرف هـذا الشيء فيمن سبق من الأئمة من لـدن زيد بن علي[2] فأكثـرهم المقتصد والمحتسب والبـرهان في ذلـك جلي ، وأمَّا السيـد العلامـة علي بن الحسين الشـامي ، ففـارق صنعـاء إلى خـولان بهـذا السبَّب ودعـا إلى نفسه عمـلاً بالأخيـر من المذهب ، ومـا زال ينظر في الأمـر من غير تطويل لشيء أختلج في صدره مـع الحال الجميـل ، وفي خلال هـذا ظهـر سيد من أولاد الهـادي عليه السـلام ممن ران على قلبه طبـع البـوادي ، يقال له نـاصر الـدين ، كان في ذهنـه بعد عن عـرفان الحقـائق ولا عدة لـديه من العلم ، فـدعى أهـل جهتـه بـآنس إلى مـذهب خـاص ، وزعم أن الخـلّ وارسال الذوابتين وشرب قهوة البن من البـدع بالاختصـاص ، وقطع جملة من شجـر البن بجهته ، وأدبـه مولانـا الحسين بن المتوكـل بالحبس على فعلتـه ، ولـم يقلع عن هـذه الخيـالات واستمـر على الأمـر بمثـل هـذه المحـالات[3] والظاهر من حاله الغباوة الكلية ، وكـان له ولـد إسمه إسمـاعيل الأكبـر وله في التقوى وسلامـة الخاطـر مالا يتسـع لذكـره المخبر ونـزل بروضـة حاتم ، وبقي أعـواماً كثيـرة في طلب العلم الشريف ، وكـان في بدء أمـره علي مذهب أبيـه الـذي سبق إليـه التعـريف فكـدَّ في الـطلب حتى صـار ممن يُشـار إليـه ، ورجـع عن تلك التصـورات ، ولمـا تمت البيعـة لمـولانـا أحمـد بن الحسن وتلقَّب بـالمهـدي لـدين الله أميـر المؤمنين ، ودعـا بعقبـه مـولانـا القـاسم بن

---

(١) اشارة إلى أن المهدي كان أقل درجة في العلم عن الامام المتـوكل اسمـاعيل حيث بلغ درجة الاجتهاد وهذه الشروط في الإمامة انظرها في شرح الأزهار ج ٤ ص ٥١٩ والاجتهاد هـو الشرط السادس وقد ذكـر بعض أهل العلم جـواز إمامـة المقلّد لكنه لا بـد أن يكون مجتهـداً في أبواب السياسة وهذا قول جماعة وحجتهم تعذر الاجتهاد في آخر الزمان .

(٢) نعم ذكر في شرح الأزهار ج ٢ ص ٥٢٠ أن الإمام المطهر قال بإمامته من جوز امامه المقلد على هذا الاعتبار لأنه كان قاصرا عن درجة الاجتهاد .

(٣) في (ر) المحاولات .

المؤيد ، وتلقب بالمنصور واجتمع أهل الأهنوم وغيرهم على إجابته بحسب الظهور ، وامتنع مولانا أحمد بن المتوكل عن إجابته ومال إلى جهة مولانا المهدي أحمد بن الحسن ، وادعى برداع مولانا الحسين بن الحسن وتلقب بالواثق وأجابه من بحضرته من الأعيان ، وأوفد مولانا المهدي أحمد بن الحسن القاضي محمد بن علي قيس إلى مولانا القاسم بن المؤيد للخوص معه في مسألة الانهض ، فلما وصل القاضي المذكور إلى مولانا القاسم بايعه وشايعه على الفور وأجاب مولانا القاسم الكثير من علماء جهاته وشايعوه في حركاته وسكناته ، وادعى السيد أحمد بن إبراهيم بن محمد حورية المؤيدي وحذا حذو والده وقال به أقتدي وادعى ببرط السيد محمد عبد الله بن الإمام القاسم على قصر ذمار وانتهب أصحاب مولانا علي بن المتوكل سوق جبله، وتكاثرت الدعاة سيما بالقبلة، وانقطعت الطريق ما بين إب وجبلة إلى سُمارة[1] وأكثر كل من يتعاطىٰ الأمر بجهته الغارات وصار الناس من انشعال الفتن في حيرة وحدثت فتنة ما بين أصحاب السيّد حسن بن محمد المؤيدي وأصحاب السيد جعفر الجرموزي ، ذهبت فيها نفوس بيد التعدّي ، وبصعدة أيضاً بين أهل سوقها وسحار ، وانتهبت بعض الخانات[2] وذهب بها أموال التجار ، ولما بلغ مولانا علي بن المتوكل وفاة والده ، لم يكن له هم غير التشمير إلى تعز للإطلال على الشيخ راجح متولّيها وقبض طريفه وتالده ، وكتب مولانا القاسم بن المؤيد: إن دعوته إلى الرضى من الآل الكرام يخيّر بذلك الإمام وأنه اقتضى المبادرة لحفظ بيضة الإسلام ، فأجابه الإمام المهدي بأنّ الأولى الاجتماع ، ومن وقع عليه إختيار العلماء الجميع فلا نزاع وعللّ أنه السابق في الدِّعوة مع اجماع العلماء لديه بلا أجبار ولا سطوة ، وبادر مولانا الحسين ابن المتوكل بالانخراط وبذل في جند ضَوْران ما أرضاهم من

(١) سمارة : قلعة في رأس جبل صيد بين إب وبريم منتهى حقل قتاب واليها ينسب نقيل سمارة .
(٢) جمع خان : منزل التجار ، أو محل نزل المسافرين واللفظة فارسية .

الخزانة بلا تفريط ولا إفراط ، وصار إلى الإمام أول سابق فقرَّره الإمام على أعماله بالوجه المطابق ، وسارع إلى الإمام بالسبق عامل حجه ودخل فيما دخل فيه الناس واتصل الوفد إلى مولانا القاسم بن المؤيّد من نواحي شهارة ودانوا ببيعته وتباطأ مولانا الحسين بن الحسن بالإنخراط ولم ير النزول عن رتبته بالانحطاط فرجح مولانا محمد بن المتوكل المسير إليه وأمَّل أنه ينعمل بالدّخول فيما دخل به النَّاس فاجتمعا بذمار وخاطبه مولانا محمد بن المتوكل وذكر له المرجحات في المهدي بالإستظهار ، فلم يقرب ولم يبعده ، ولم يدخل في البيعة وسمح بوعد ورجع إلى رداع واستمر على دعوته ومولانا محمد سار من ذمار إلى ضوران ورجع منها إلى الإمام بالمتفق الذي كان ، ووجه الإمام المهدي الشيخ يحيى بن محمد الشاطبي إلى حضرة مولانا القاسم بن المؤيد يخوض معه في الاتفاق والوفاق ، واتصل الخبر بالإمام أن السيد يحيى بن إبراهيم بحبور بثّ القول بإمامة مولانا القاسم بين المؤيد وخطب له ، وكان في الجمعة الأولى توقف وناط الامر بالاجتماع واختلف ورجع الشيخ يحيى الشاطبي بجواب مولانا القاسم بطلب المناظرة، وذكر أن بينهما في العلوم مغايرة وامتنع السيد حسين بن صلاح والفقيه حسين بن يحيى حنش عن بيعة مولانا القاسم بن المؤيد ، وهما بحضرته ووصل إلى الإمام مكتوب مولانا أحمد بن المتوكل معلناً بنصرته وبيعته واتفق حال الخوض هذا حرب بين خيار[1] ذهب به منهم سبعة أنفار وخرج مولانا يحيى بن الحسين بن المؤيد من صعدة منافراً لمولانا علي بن أحمد بن القاسم بسبب أقتضاه الحال .

وفيها فارق مولانا الحسن بن المتوكل جبل رازح إلى أبي عريش فبادر بعض أصحاب مولانا علي بن أحمد الى رازح ، وانتهبوا ما بقي من الخزانة .

---

(١) من حاشد سبق .

وفيها وصل السيد حسن بن محمد بن أحمد المؤيدي إلى حضرة الإمام من العدين وكان الإمام المهدي رجح بقاء السيِّد جعفر الجرموزي على ولايته لوجهين مرجحين وبلغت اجابة دعوة مولانا القاسم بن المؤيد إلى عمران وذيبين ، وكان الإمام أرسل إليها خطيباً يستطلع به طاعتهم فامتنع أهل البلاد من حضور الجمعة ، وقالوا : في أعناقهم لمولانا القاسم بيعة .

وفيها صار مولانا أحمد بن محمد بن الحسين الى بيت ردم[1] كالمغاضب للإمام وكان تأخّر أذنه قليلاً ظن معه التهاون منه بالمقام ، فلما عرف الإمام ذلك اشتغل خاطره ، وأمر باستطابة نفسه ثم طلبه إليه واعتذر منه .

وفيها كتب مولانا الحسن بن المتوكل إلى الإمام يأذن له بالطلوع إلى حضرته وذلك بعد مصيره إلى أبي عريش[2] ، فلما بلغ في القصد إلى الإمام إلى الصلبة لقيه بها أولاد النقيب سعيد المجزبي بخط من الإمام في إرجاع مراكب والدهم المأخوذة بيد الغلبة فضاق صدره وتشوش من ذلك ولفت طريقه عن قصد الإمام وأمَّ إلى مولانا القاسم بن المؤيد . فبذل له البيعة وبعدها صار إلى حبور عن أمر مولانا القاسم وانتظر ما يجيئه ويعتمده في جميع الأمور، فأمره بالتّوجه إلى مبين [3] حجة فيكون ردءاً لمن في الصّلبة من أجناده ، وأجمع رأي الإمام المهدي ومولانا محمد بن أحمد بن القاسم توجيه الشّحنة والامداد إلى خمر يكون منه فتح الحرب على شهارة وتلك المعالم وجعل الإمام إلى مولانا محمد بن أحمد ولاية حفاش[4] وملحان، وأمره

---

(١) بيت ردم : قرية مشهورة من قرى مخلاف بني شهاب ناحية بني مطر .

(٢) أبو عريش : مدينة من أشهر مدن المخلاف السليماني تبعد عن جيزان شرقا بمسافة ٣٠ ك.م .

(٣) مبين : مدينة بالشمال من حجة بمسافة ٢٥ ك.م .

(٤) حفاش : جبل مشهور بالغرب من صنعاء بمسافة ١٤١ ك.م جوار جبل ملحان وهو ناحية تابعة لقضاء المحويت .

بأن يكون منهـا أرزاق الجند حتى يتضح البيان وأرسـل مولانـا علي بن أحمد أولاد مـولانـا الحسن بن المتـوكـل ، ومن بقي من أهله بصعـدة إلى شهـارة وأصحبهم بصنوه عبد الله بن أحمد ، وصفت الشّام لمـولانا علي بن أحمـد بن القـاسم ولم يبق له مـزاحم ولا قرين ، وانتشـرت الجـراد في هـذه الأيـام في جميـع البلاد وتحـركت فتن بين القبائـل بسببها إذ كـل يدفعهـا عن أرضـه إلى الآخر .

وفي سابع عشر شهر رجب خـرج الإمام من صنعـاء إلى الغراس واستعـد لمولانا القاسم بن المؤيد وأمر عندها بدار الضرب وجَرَّد نفسه للحرب .

وفي هـذه الأيَّام أرسـل الإمام مـولانـا القـاسم بن أحمـد بن القـاسم إلى صنوه علي بن أحمد فيمـا يعود بـه النفع على المسلمين فقضى الأمـور أحسن قضا وتدارك صنوه وأرجعه إلى الصَّواب .

وفيهـا توفي السَّيـد شرف الـدين بن مطهـر بن عبد الـرحمن بن مطهـر[1] وهو الذي كان عاملا على رداع ويافع عند الاستيلاء عليها .

وفيها كتب مولانا القاسم بن المؤيد إلى مولانا محمد بن المتـوكل ومـولانا أحمـد بن محمد رسـالة تتعلق بـالإمامـة ، فوكـل مولانـا محمـد الجـواب إلى الإمام فافرغ جواباً فيه كمـال الاستقامـة وأوجب لنفسه استحقـاق المحل وأنـه الأولى بها .

وفيها جَهَّز مـولانا الإمـام المهدي مـولانا الحسين بن محمـد بن أحمد بن الإمـام القاسم إلى خَمِـرْ وبعث ببعثـة القـاضي جعفـر بن علي الـظفيـري إلى مـولانا القـاسم بن المؤيد في أخـذ حقيقة الأحـوال ، وروم إجتمـاع اليـد فلم يلتئم كـلام ، ولا أجدت المـراجعـة بـالأقـلام ، فعنـدهـا انقـطعت الـدواعي وانقطعت بينهما المسـاعي ، وكانت البـلاد مع هـذا في غايـة الضعف والركـة

(١) ترجمته في طبق الحلوى ص ٣٣٣ .

بسبب الجـراد ، والاختلاف وتتـابع الحـركـة وكـان جلبت[1] اليمن بسـواحـل الحبشـة فلما بلغهم غـلاء الاسعار جلبت الـطعامـات ، فانتفـع بها النـاس مع هذه الرّبشـة ولما استقـر مولانـا الحسين بن محمد بخمـر وأمده الإمـام وَوالده محمـد من العسكر بـادر مولانـا القاسم بن المؤيـد بـارسـال عسكـره إلى مَبْيَن وأمـر بسوق الـطَّعام إلى شهـارة عن قدر معين ، ووجـه ابن أخيـه إبـراهيم بن الحسين إلى ذيبين ، وكـان الإمام أمـر الشيخ علي بن خليـل الهمـداني يلحق بمـولانـا الحسين بن محمـد إلى خمـر حتّى يتحقق الأمـر ويستبين ولمـا بلغ الإمـام تجهـز مـولانـا إبـراهيم بن الحسين استـدرك الشيـخ علي بـالـرجـوع واستـأنف الاستعـداد للجهتين ووجـه الشيـخ زيـد خليـل إلى عمـران ، وأمـر مـولانا محمـد بن أحمـد بن القـاسم بـإرسـال عسكـر يـافـع ، وجهـز مـولانـا عبـد الله بن يحيى بن محمـد بن الحسن إلى ذيبين فـانتهى بـه السيـر إلى المقضضـة[2] وجهز مـولانا القـاسم بن المؤيـد ابن أخيـه الحسين بن الحسين إلى العرة فأرسل مولانا محمد بن المتـوكل إلى ثـلا من يحفظهـا وكان تخـوَّف أهل ثلا عليه لما رأىٰ من محبّتهم لمولانا القاسم بن المؤيد والميل إليه، وجهّز الإمام المهدي ولـده علي بن أمير المؤمنين المهـدي إلى لاعة وقصـد به أخـذ الصلبـة وبلاد حجة ومـا امكن من الجهـات حسب الاستـطاعـة وجهـز أيضـاً مـولانا أحمـد بن محمد بن الحسين إلى الصـلبـة فكـانت طـريقـه الأهجـر ، والمحويت وقد انتشى بها أصحاب مولانا القاسم بن المؤيّـد ، وكثرت الجلبـة وتوجَّه أمير من حضرة الأمير عبد القـادر بن الناصـر في حفظ بلاده فـانتهى إلى مسور ، ولما عرف أصحاب مولانا القـاسم بن المؤيد بهذه التجاهيـز ، رجعوا من حيث جاءوا ووصل مـولانـا عبـد الله بن أحمـد بن القـاسم من صعـدة إلى شهـارة ، وصحبته أولاد مـولانا الحسن بن المتـوكل كمـا تقدمت إليـه الاشارة فـانتظم في سلك مـولانا القـاسم بن المؤيّـد وقـال بـإمـامتـه وبعكسـه مـولانـا

---

(١) جمع جالب وهم التجار الذين يجلبون البضائع .

(٢) المقضضة : من بلاد الصيد .

يحيى بن الحسين بن المؤيّد ، فإنه فارق حضرة عمّه وصار إلى الإمام وبايعه .

وفي العشر الأوائل من شعبان رجع مولانا القاسم بن أحمد من حضرة أخيه علي بن أحمد من صعدة ، بكمال الموالاة والانخراط في سلك النظام .

وفيها سار مولانا محمد بن المتوكل إلى ضوران لتنفيذ وصايا والده والنظر في أعمال بيوته بحسب الإمكان .

وفيها وصلت هدية للإمام من صاحب حضرموت ، واعلن فيها بالبيعة له وإجابة الصّوت .

وفيها افتتح مولانا محمد بن أحمد بن الحسين بلاد حُفاش وملحان ، ولما انتهى مولانا علي بن الإمام المهدي إلى الصّلبة[1] واستولى على قلعتها بالقهر والغلبة وكان الأمير عبد القادر بن الناصر ، نزل إلى قراضة[2] والتقى هو ومولانا أحمد بن محمد بن الحسين وخاضا في قصد رتبة الصلبة ، وكان وجه إليها مولانا القاسم بن المؤيّد مع ولده الجنود ، فراسل مولانا ، أحمد بن محمد الرتبة التي فيها ورئيسهم أبو راوية من ظليمة ، وكان مشهوراً بالشجاعة ، فكان جوابه أن الموالاة بأطراف السيوف وخوض المتالف والحتوف[3] وكان مولانا أحمد بن محمد بن الحسين أول من دخل الصلبة من أمراء الإمام ، وحاول الرتبة من قبل مولانا القاسم بن المؤيد فما تم كلام ، وأجابوه بذلك الجواب ووطنوا نفوسهم على الضراب إلاّ أن أهل الحيمة مالوا منهم وآلوا إلى الجناب الإمامي ، وأهل الشرف رجعوا إلى بلادهم غير مبالين ، ورتب أبو راوية أصحابه في بيوت بني قطيل ، وقدَّم

(١) هي من أعمال حجة سبق ذكرها .
(٢) قرية من عزلة بني حمد ناحية مسور (لعلها المقصودة هنا) .
(٣) في (ر) الحضور .

مولانا أحمد بن محمد لما آيس منه جانباً من أصحابه ، فدفعوا عليه مثل السيل وَوَجَّهوا ما في أجواف البنادق إلى رتبة القاسم بن المؤيَّد فأصابوا البعض منهم بالرَّصاص ، ثم هاجت بينهم زيم ، واتصل الحرب من شروق الشمس إلى نصف النَّهار ، وأمد الأمير عبد القادر وابن الإمام إلى مولانا أحمد ، وكذلك مولانا الحسين بن محمد بن أحمد باصحابه ، واتفقت معركة تهول الألباب ، وانجلت عن قتل ستة وثلاثين نفراً منهم أبو راوية ومن أصحاب الإمام نحو العشرة الأنفار ، وانتهب العسكر سوق الصَّلبة ، وفقد من أموال التجار مالا تضبطه الكَتَبة .

وفيها وصل مولانا الحسين بن المتوكل إلى صنعاء وبها الإمام المهدي وكان في جيش أعدَّه للصدام ، وعيد الجميع بصنعاء ، وبذل مولانا الحسين بن المتوكل نفسه مع الإمام للنِّزال.

وفيها نهض الإمام إلى منازلة الدَّاعي بشهارة لما لم يتم بينهما كلام ، ولا أجْدت المساعي ، وصار الإمام بعد العيد إلى الغراس ، ثم منه إلى محل يقال له الحِمَى[1] من الرحبة وأمر بضرب وطاقه به وإعداد الاهبة ، وطلب القبائل إليه فاجتمع من بني حشيش وبني الحارث ونهم وهمدان وذَيْبَان وعيال عبد الله من يركن عليه وبعث مولانا الحسين بن المتوكل مقدّمة له إلى نواحي شهارة وماكرهَ الخوض مع مولانا القاسم بن المؤيد قبل شنَّ الغارة ، ومع هذا التبريز تعقّب المراجعة ، فوصل القاضي محمد بن علي بن قيس من حضرة مولانا القاسم بن المؤيد ، وسعى بالصلح قبل انتهاك المحارم ، وكان مودّته الانخراط من الإمام في مبايعة مولانا القاسم ، وبالغ في ذلك وعتب في القتل والسَّلب المتفق بالصَّلبة ، فلم يتلفت إلى قوله وراجعه أعيان العلماء والطَّلبة ولم يتوَّجه قوله في مجاري الاحتمال ، ووكل في الجواب إلى الاهمال ، وفي خلال هذا وصل إلى الإمام مشائخ

---

(١) بلدة في الرحبة شمالي صنعاء « معجم البلدان لابراهيم المقحفي ص ١٣١ » .

حجة يطلبون الأمان ، وبذلوا بعد بيعتهم على طاعته الأيمان ، وكان مولانا القاسم بن المؤيد أرسل إليها مولانا عبد الله بن أحمد بن القاسم وولّاه أعمالها فَشوش على الذين دخلوا في طاعة الإمام ، وكاد قوله يؤثر هناك ويختل النظام .

وفيها جَهزَّ مولانا القاسم بن المؤيّد أخاه أحمد إلى خمر ، وفيها مولانا الحسين بن محمد بن أحمد على الحال المستمر ، فلما وصل إليه وقع مناوشة حرب ملك به الماء عليه ، فاضطر الحال بمولانا الحسين إلى الخروج من خمر إلى حمده[1] وكان والده محمد بن أحمد في جماعة من الأعيان ، فأمدّ ولده بغارة تقاصرت بهم الخطا فاتفقوا به في بعض الطريق وقد دخل مولانا أحمد بن المؤيّد خمر .

وفيها تقدم الإمام إلى ذيفان[2] ومعه محمد بن أحمد في جماعة من الأعيان فأقام به وضرب الأوطقة[3] ، وأمد منه إلى الجهات المتفرقة وساق إليه أهل البون[4] قوافل الحبوب ، ودخلوا في طاعته ومن ذيفان أرسل مولانا محمد بن أحمد بمادة من الرِّجال إلى ولده الحسن ، وكان قدمه إلى حوض مَبْيَن للمثاغرة .

وفيها قدَّم الإمام كتيبة إلى رأس نقيل عجيب[5] ونهض من ذيفان إلى الماجلين ، ولما وصل إليه عَـزَّز إلى مولانا القاسم بن المؤيد المكاتبة ، وكتب إلى سائر الاعيان بشهارة ، بعد أن قدَّم فيهم الإحسان ، وجرى معهم على المعهود من البرازة ، ومع هذا أنعم الإمام بتوجيه بلاد يريم اقطاعاً لمولانا يحيى بن الحسين بن المؤيد لتضرّره وكان مولانا القاسم بن المؤيد

(١) في الأصول حمد وحمدة مدينة من ناحية عيال سريح في الغرب من عمران .
(٢) ذيفان : قرية من ناحية ريدة من قضاء عمران .
(٣) جمع وطاق سبق شرحه .
(٤) البون : يقع شمال صنعاء بمسافة ٤٨ ك.م وهما أعلا وأسفل .
(٥) بلدة عامرة من همدان ، من بكيل شمال صنعاء على مقربة من ريدة البو .

أرسل ولده علي بن إبراهيم إلى الأمروخ[٦] فتم له الوصول إليها وبنى على الرسوخ ، وشرع يرعب عَسْكر الإمام في الدخول تحت طاعة والده وكاد بعض العسكر يميل معه ويعاضده ، فوصلهم عند ذلك كتاب من مولانا محمد بن المتوكل ، أخبرهم فيه بأنه وجَّه صنوه الحسين إلى مولانا القاسم بن المؤيد بما فيه صلاح الكل ، وهكذا كتب الامام إليهم وتهدَّدهم ولوم عليهم فقويت عزائمهم ، وانتظروا العاقبة لمن تكون منهم ، وجهَّز الإمام شيخاً يقال له الخيَّاطي إلى وعيلة[١] من بلاد لاعة[٢] فكتب إليه مولانا عبد الله بن أحمد وتهدَّده فاستَمدَّ الخياطي من مولانا علي ابن الإمام زيادة عسكر ، وهو يومئذ بنواحي الصلبة فأمَدّه بما سكَّن الروعة ، وتقدم من حضرة الأمير عبد القادر السَّيد يحيى بن إبراهيم الحمزي إلى شهمه[٣] ووقع بين الفريقين صلح خمسة أيام حتى تعود جوابات الخوض الذي تقدم .

وفيها تفجَّرت الأنهار الخيرية[٤] بكثير من الجهات وصلحت الثمار بصلاح النية ، ولما بلغ أصحاب مولانا القاسم الذين بحجة احتراك الإمام انحل نظامهم وتقهقروا عن التخوم والقتال[٥] .

وفيها قدَّم الإمام مولانا عبد الله بن يحيى بن محمد بن حسن ، والسيد صلاح بن محمد القاسمي إلى المقضَّضة، ولما استقرَّا بالصاية منها ما شعرا إلّا بجيوش مولانا إبراهيم بن الحسين عليهم ، وكان عبد الله بن يحيى ومن معه دخلوا في صلاة الجمعة فما راعهم إلا البنادق ترمى عليهم وقد تعاظمت الواقعة فثبت اصحاب الإمام في صفوفهم واجتلدوا واختلطوا

---

(١) وعيلة جبل يطل على حجة من الشرق ويتصل بجبل مسور ناحية الغرب ويدعى اليوم جبل الشراقي .

(٢) بلدة معروفة من أعمال حجة وتقع جنوبها .

(٣) من ناحية لاعة السابقة .

(٤) أي المسبلة على الخير .

(٥) عبارة (د) وقهقروا عن الاتخام والقتال .

وارتفعوا بعد ما انحطوا فما يسمع إلاَّ صليل السيوف ، وخوض المتالف والحتوف ، وانجلت عن قتل بعض رؤساء الإمام ، وصوائب جماعة من أصحابه عند الالتحام ، وقتل ستة أنفار من أصحاب مولانا إبراهيم، وكانت الكرة لأصحاب الإمام على التعميم فهربوا إلى ذيبين ، وحجز بينهم اللّيل وأمد الإمام تلك الليلة بغارة شعواء إلى الرئيسين ولما اجتمعوا بهم قصدوا في أثر القوم للاقتضاء بذلك الدين ، فصحبوهم يوماً ثانياً للقتال فانهزمت بنو أسد من حرب مولانا إبراهيم في الحال وعندها التجأ إلى الانحياز في البيوت بعد بلاء عظيم وتبت له الغارة من أصحاب الإمام ، وأرسلوا إليه الرصاص وحلَّق فوقه البارود مثل السحاب وتمت هناك مقتلة عظيمة واكثر من أصيب بها همدان من أصحاب الإمام لتقدمهم ، وتظهرهم في معترك الصدام وكان الذاهب منهم نحو الثلاثين نفراً ، وعندها حمل أصحاب الإمام حملة واحدة فالتصقوا في البيوت وتسنّموها فعل من لا يموت ، وقتلوا من وجدوا خارج البيوت نحو ثمانية أنفار ، وعفوا عن القتل خوف العواقب مع الاقتدار ، وحينئذ خَاطب مولانا إبراهيم في التسليم بعد أن انتهبت البلد نهباً عظيماً وشرط الرجوع إلى شهارة فتم الأمر عليه بَعْد مفاوضة الإمام ووصل أصحاب الإمام إليه بالأسارى فمنَّ عليهم بالاطلاق وعفا عنهم وردهم إلى مأمنهم، ثم أن الإمام أرسل إلى الكلبيين[1] بعسكر لأمور من أعمال الحزم لا تنكر ، ونهض الإمام من الماجلين ما بين حمدة ونقيل عجيب وكان مولانا أحمد بن المؤيد رتب الطريق الوسطى وأخذ على أهل وادعة[2] حفظ الاطراف ، فما شعروا إلاَّ بدخول الإمام إلى يَشْيع[3] ، وانهزمت الرتبة التي بعجيب من الخوف والترويع وكذلك الرتبة التي فوق

(١) شرقي بلاد خمر « طبق الحلوى ص ٣٤٠ » وفي المقحفي ص ٣٤٩ الكلبيون من قبائل حاشد ثم من خارف لهم بقيةفي جبل الكلبيين من ناحية ريدة.

(٢) وادعة من بلاد حاشد على مقربة من خمر .

(٣) يشيع : بلدة عامرة بالسكان في الشمال الغربي من ريدة وهي من بني عبد ودعوتها في بكيل « معجم المقحفي ص ٣٧٤ » .

حمده واختل أهل وادعة في أقرب حال واقصر مدة فاضطر مولانا أحمد إلى مواجهة الإمام والرجوع إلى أخيه بعد الاستسلام وجَهَّز مولانا محمد بن أحمد من عمران على رتبة المظلعة[1] فحازوهم واستسلموا بسرعة ، ثم طلعوا إلى هِجَر بني قطيل وأطلعوا على كحلان فهربت رتبة الاشمور[2] ودخلت تحت الطاعة جهات كحلان[3] واكثر المغارب وما بازائها من البلدان .

وفيها وصل مولانا محمد بن المتوكل من ضَوْران إلى صنعاء في ثالث وعشرين من شوال ، واستقر صنوه مولانا علي بن المتوكل بذمار في تقرير الأحوال .

وفيها جهَّز الإمام الآغا فرحان أميراً على الحاج وتولى جهازه مولانا محمد بن المتوكل من صنعاء بكل ما يحتاج .

وفيها وصل السيد أحمد بن إبراهيم المؤيدي إلى حضرة مولانا القاسم بن المؤيد ، فبايعه ثم فارقه إلى بلاده بعد أن جعل بنظره ولاية رازح وأطلق له فيها اليد ورجح المرور على الإمام فأكرمه غاية الإكرام وعذره عن البيعة في ذلك المقام بما اعتل بمبايعته مولانا القاسم بن المؤيد، وكان ابن جلا نائب لمولانا الحسن بن المتوكل بالزَّيدية[4] واعتزاه إلى مولانا القاسم كما تقدم في أول القضية والمحبشي وآل على الضَّحى[5] من قبله وكان بالزيدية والضحى جملة من الطعام ساقها ابن جلا إلى شهارة فلما علم بها أصحاب الإمام الذين بالصلبة حثوا نحوها الغارة ، واستولوا على قطارها

---

(١) المضلعة : من جبل عيال يزيد .

(٢) الأشمور : جبل بالغرب من عمران بمسافة ٢٢ ك.م .

(٣) كحلان : مدينة جبلية في الشرق الشمالي من حجة بمسافة ١٧ ك.م (لعلها المعنية هنا) .

(٤) الزيدية : مدينة تقع في الجهة الشمالية من الجديدة بمسافة ٦٢ ك.م بالقرب من وادي سردد.

(٥) الضحى : بلدة من وادي سردد جنوبي الزيدية بمسافة ١٨ ك.م .

وسار ابن جلا إلى جبلة[1] لاحقاً بأهله .

وفيها أخذ الهياثم[2] حصن دثينة بيافع وقتلوا من رتبتها نفرين أحدهما السيد حسين بن عبد الله الهدوي صاحب السّر وكان الإمام قبل ذلك أذن للهيثمي بالعزم إلى بلاده فما كان منه إلاّ هذا الفعل .

وفيها تقدم الإمام إلى جهة شهارة فبات في غربان[3] ثم منه البطنة[4] ودخل بيت القابع في قوة وأبهة وأفاض في النّاس أن لا بدّ له ولمولانا القاسم بن المؤيَّد من إحدى خصلتين لا يعدل عن أحدهما في الحالتين إمَّا نَزَل من شهارة ودخل فيما دخل فيه الناس ، أو يوجه إليه بالأجناد للمراس ، ولما استقر بهذا المحل تلاحقت الأجناد حتى بلغ قدرهم سبعة لآف .

وفيها أمر الإمام بعض الجند الذين بالصَّلبة بالتَّقدم على الشرف إلى الشاهل فبادر مولانا القاسم إليه بارسال عصابة من جنده ، فاتفق بسبب معرَّة الجيش دخول بيوت أهله إلاَّ بيت السيد يحيى بن أحمد الشَّرفي فاحترم لعلمه وفضله ، وكان الإمام قَدم مولانا الحسين بن المتوكل إلى مَبْين فلما بلغه استقرار الإمام ببيت القابعي سار إليه ، ولما رأى مولانا القاسم بن المؤيّد جنوح أهل حبور وظليمة إلى الإمام انحط إليه من شهارة للنظر العام ، وختم الكلام ودخل بيت القابع ثاني عشر شهر ذي القعدة وسكن ببيت والده ، وكان الإمام بوطاقه الذي نصب قريب المصلى ولم يدخل بيتاً من تلك البيوت أصْلاً ، ولما استقر مولانا القاسم وصل إليه الإمام بنفسه الكريمة وقابله بالأخلاق الشريفة وخاضا فيماهما بصدده فما التأم بينهما حال ولا كان غير مجرد القيل والقال ، وجرت بين أصحاب الإمام ومولانا القاسم

---

(١) جبلة مدينة بالجنوب الغربي من إب بمسافة ٧ ك.م .

(٢) هم آل الهيثمي من قبائل الجنوب سبق ذكرهم .

(٣) بضم العين بلدة من حاشد .

(٤) البطنة : عزلة من ناحية القفلة من بلاد خمر .

أكاليم آل فيها الأمر إلى انتهاب سوق مولانا القاسم ، وهو على التصميم وعدم التسليم ، ثم انعقد بينهما موقف آخر في وطاق الإمام حضر أعيان آل القاسم الكرام فطلب مولانا القاسم المحاكمة فأجاب الإمام أن هذا كان قبل الخصام والعقد والإبرام وأما الآن فإن يكن منك الوفاق والدخول فيما دخل به النَّاس على الاطلاق أو النزال المرّ المذاق ويقوم الحرب على ساق ، وانجلى الموقف هذا عن مجرد القول وامتهل مولانا القاسم وصنوه أحمد في فصل الحديث إلى بعد العيد ، وصادف ورود الجمعة فصلّى الإمام بمحله ودعا له الخطيب بالتسّديد والتأييد ، وصلّى مولانا القاسم بموضع آخر ودعا له خطيبه ولم يتأخر .

وفي حادي عشر ذي القعدة رجع مولانا القاسم إلى شهارة فجدد الأمر على الثبات باستحقاق الامارة .

وفيها وصل للإمام المدد النافع من الطعام من صعدة من عند مولانا علي بن أحمد فانتفع به الإمام غاية الانتفاع .

وفيها سار علي بن الإمام من الصلبة إلى الطور[1] بقصد مناجزة ابن جلا ومن معه ، وكان سار من الضحى كما قدمنا فلما عرف ابن جلا عدم القدرة استسلم ثم طلب العود إلى محله فسمح له به مولانا علي ابن الإمام وعندها أرسل الإمام إلى علماء صنعاء في الوصول إليه من أجل الخوض بينه وبين مولانا القاسم فيما له وعليه فقدم القاضي محمد بن إبراهيم السحولي والقاضي علي بن جابر الهبل والقاضي يحيى الجباري ، والسيد عبد الله بن مهدي الكبسي والجميع من أهل العقد والحلّ والعلم والعمل ، ومن جناب مولانا القاسم القاضي محمد بن علي قيس ، والسيد يحيى أحمد الشّرفي ، والسيد يحيى بن إبراهيم وصنوه إسماعيل من بني جحاف وهؤلاء

(١) مدينة بالغرب من حجة بمسافة ٣٧ ك.م بها مركز الناحية .

رأيهم فيه غير خفي ، فصار الذين من جيل مولانا القاسم إلى حضرته بشهارة ، ما خلا السيد يحيى بن أحمد الشَّرفي فاستناب ولده عنه في الحضور ، وحَرَّر السيَّد يحيى رسالة صَحَّح فيها إمامة مولانا القاسم واحتج بماله من العلم والمكارم ، وذكر سبق دعوته وذكر حديث من سمع داعيتنا أهل البيت ولم يحبها كَبَّه الله على منخره[١] ولما اجتمع العلماء من الجهتين وقع حديث طويل لم يفصل منه أمر ، وكان محل الإمام ببيت القابعي قريباً إلى محل يصل منه رمي البنادق من جانب شهارة ، ومع ذلك كان يسمع كلاماً من غوغاء النَّاس وأسفالهم ، فرجّح الإمام الابتعاد عن هذا المحل بحيث لا يتصل به شيء من رميهم وأقوالهم .

وفي سنة ١٠٨٨ انتقل الإمام من شرقي شهارة إلى حاشف[٢] واستعد للمنازلة .

وفيها جاءت الأخبار من مكة المشرفة بوصول ابن الشريف بركات من الروم وفي صحبته الخلعة لأبيه مع أمير المحمل الشامي وتقرير الولاية .

وفي ثالث يوم من المحرم ندب مولانا القاسم بن المؤيد ابن أخيه إبراهيم بن الحسين وجعله سردال القوم ، فبلغ الأبرق[٣] بين ظليمة والأهنوم في عديد من الشجعان فوجه الإمام عليه بعض من لديه وأمرهم بالانحطاط في اسرع وقت فرجع مولانا إبراهيم من محله إلى بعض القرى وكاد يتقهقر[٤] إلى الوراء وكان الإمام استدعى من الصلبة مولانا أحمد بن محمد ، وحصل الحرب الشديد بين أصحاب الإمام ومولانا إبراهيم وانجلى عن أسره وقتل خمسين نفراً من أصحابه وتفرقت أيدي سبا في جميع أصحابه ، وأسر الكثير

(١) قال الجلال : رواه أهل البيت وشيعتهم قالوا طريقة آحاد لا يثبت بها هذا الأصل الأعظم (انظر ضوء النهار للحسن أحمد بن الجلال ج ٤ ص ٢٤٧٣) .

(٢) بلدة جنوبي شهارة .

(٣) الأبرق : حصن في ظليمة .

(٤) في (د) يقهقر.

من الجيش الذي وافى به وظهر بهذه المعركة ثبات القبائل التي هي همدان وبنو الحارث وبنو حشيش وحملوا حملات من لا يرغب في العيش ، وأمر الإمام بخراب القرى التي كان يحصل منها الرمي والأكاليم ، وأرسل الإمام السّيد صالح عقبات إلى صنعاء بالأسرى ، ومنهم مولانا إبراهيم بن الحسين وعند ذلك خاطب مولانا القاسم بن المؤيد بالتسليم وخَلَع نفسه عن ذلك الأمر العظيم ، ولما وصل السَّيد صالح عقبات إلى صنعاء بمولانا إبراهيم سلمه إلى مولانا محمد بن المتوكل فأودعه دار الأدب ، وبالغ معه في التكريم واستَدعى مولانا القاسم السيد زيد بن علي بن جحاف ليفيض إليه ما يلقيه عنه إلى الإمام من جميع الأطراف فصار إليه السَّيد المذكور ، وأفاض إليه ما في التامور ، وختم الكلام وصلحت الأمور ، وأمره السَّيد زيد عن الإمام برفع الرتب التي من قبله ليعرف الناس بالاتفاق، وفي خلال المطرح من الإمام على شهارة ما شعر الناس إلاَّ بايقاد النار من جهة مولانا القاسم وإعلان البشارة وذلك بمواجهة مولانا محمد بن المهدي لمولانا القاسم ، ومبايعته إيّاه فعجب الناس من نكصه على أبيه، وإبداء له جفاه ، ووجَّه الإمام ولده علياً إلى قتال صنوه محمد بالمنصورة ، وكان هذا بخدعة تمت عليه من بعض الأنام ، فسار عليه مولانا علي بن المهدي وحط عليه **يفرس**[1] حتى أتاه اليقين ، وبعد أسر مولانا إبراهيم بن الحسين بن المؤيد ، سارع مولانا أحمد بن المؤيّد بمبايعة الإمام قبل أخيه ثم ما شعر الإمام وهو يصلِّي الفجر إلاَّ بوصول مولانا القاسم بن المؤيّد في نفر قليل ، فاجتمع بالإمام وسلم له الأمر ، ولم يحضر موقفهما زيد ولا عمرو ، وبايعه ، وقال له : أنت الأنهض بها والأحق بها بالفرض والرد ، فحمد منه الإمام هذا الرجوع ، وجعل له فيما أقطعه من البلاد موضوع ، وكان ما سمح له به جانباً من الشرفين[2] وبلاد حجة وكحلان ، وعفار والسودة

---

(١) يفرس : مدينة بالجنوب من تعز بمسافة ٣٠ ك.م تقع في جبل حبشي « ذخر » من أعمال الحجرية .

(٢) الشرفين : جبل واسع في الشمال الغربي من حجة .

وظليمة والأهنوم ، وتحمل عنه من الدين شيئاً معلوم ، ورجع إلى شهارة وقد خلع الجلباب ، وكان المظْهر في هذه الحروب للثَّلاث القبائل التي هي همدان وبنو حشيش وبنو الحارث، ولما تَمت هذه الأمور وانفصل الكلام على الحال المذكور ، ارتحل الإمام عن موضعه فوراً إلى قرن الوعر[١] يريد صعدة فانثالت إليه قبائل العصيمات[٢] وتلك الجهات باذلين الطاعة ثم صار الإمام من قرن الوعر إلى محل بالعمشية يقال له الفقم[٣] ، فاستقر به قدر نصف شهر يستنتج طاعة قبائل العقم ولمَّا تهدَّىٰ له ما أراد تقدم منه إلى بركة مداعس واستقربها بعض أيام شدَّد فيها على سفيان في حفظ الطرقات وأعمال المحارس ، وأمد أكابرهم بالإحسان ، ووعدهم بعوائدهم حسبما تقدَّم ، ثم نهض منها يريد صعدة فصار إلى العيون وقدم الوطاق يضرب له برحبان وتلقَّاه مولانا علي بن أحمد بن القاسم في أعيان أهل الشام ، فهنَّاه بالقدوم وما تم له من الفتوح وجدَّد البيعة بالمصافحة وفاز بالصفقة الرابحة ، ثم تقدم الجميع إلى رحبان[٤] في جيوش لايكاد يوجد فيها الجبان فحطَّ به الإمام الرِّحال ونظر منه في الأحوال ودخل صعدة لصلاة الجمعة وعاد إليه وقبائل الشام بأجمعها تفد عليه فاحسن التأليف لهم قاطبة وألان يده ولسانه بالعطاء لهم والمخاطبة فبايعوه وكان وصوله رحبان في نصف شهر ربيع الأول .

وفيها كتب الإمام إلى أهل نجد وأمير مكة الشريف بركات يطلب من الجميع إجابة الدعوة ويؤذنهم بدخول البيت الحرام والتعدّي إلى غير من أعمال السلطان فأجابه الشريف بركات أني منكم أهل اليمن وإليكم وقدومكم إلى هذه الجهات على التَّرحيب والتسهيل والتَّلقي منّا بالوجه

---

(١) بلدة بالقرب من ظليمة .
(٢) من قبائل حاشد .
(٣) من العمشية « طبق الحلوى ٣٥٠ » .
(٤) واد عظيم من صعدة .

الجميل بَيْد أنه نقل إلينا من وَصَل من حضرة السلطان أنه بهذه المدة في قوة لا يمكن التَّعبير عنها باللسان ، وحركتكم مع انصراف وجهه من الجهات اليمنية ربما حَرّك منه ما لم يكن في النّية فإذا تم منكم ما أشرتم إليه طارت به الأخبار وسارت به الركبان في القفار والبحار ، ودونكم بعد ذلك ما يتفق بينكم وبينه ، فاختاروا ما أحببتم من زين هذا وشينه ، فرجع الإمام عَمَّا أَهَمّ به واشتغل بما هو أقدم من ذلك بجانبه .

وفيها اشتَدَّت الازمة لاسيما باليمن الأسفل ، وخلت بها قرى من أهلها والأمر بيد الله عز وجل ، وكان مولانا علي بن المتوكل رحل من ذمار إلى بلاد ولايته فلما شاهد بها من أحوال الأزمة ما هاله ، وأوجب رجوعه إلى ذمار .

وفي جمادى الأولى منها توفي مولانا علي بن المهدي بيفرس وكان صار إليها في منازلة أخيه عن أمر الإمام أبيه لما بدا منه ذلك التشويش والتشميس[1] .

وفيها رجع مولانا محمد بن أحمد بن الإمام القاسم من خمر إلى عمران وفتح بها دار ضرب فلم يعجب ذلك مولانا محمد بن المتوكل وعلل انها تكون ذريعة لما يعتاده أهل السنتين[2] من التشبيه المخل .

وفي شعبان منها خرج الإمام من الشام بعد أن لبث هناك نحو أربعة أشهر وأيام فصار إلى عيان وصام به شهر رمضان .

وفيها احتَوشت الأيدي بلاد يريم ومدَّ إليها مولانا الحسين بن الحسن ومولانا علي بن المتوكل ومولانا الحسين بن المتوكل ايديهم كل منهم عنها

---

(١) شمس شموسا تأبى .

(٢) السنتين : من قرى خمر وهما سنتان عليا وسفلى .

لا يريم وكان الإمام اقطعها مولانا يحيى بن الحسين بن المؤيد فنوفس عليها ولم تثبت له اليد .

وفي شعبان ورد أمر الإمام إلى مولانا محمد بن المتوكل باجلاء اليهود واعدام كنائسهم عن الوجود ، فخاض مع مولانا محمد بن المتوكل بعد الأمر بذلك علماء صنعاء في هذا الشأن ، وجنح إلى رأي الإمام القاضي محمد بن علي قيس ، والقاضي محمد بن إبراهيم السَّحولي والقاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال[١] واستناد الإمام إلى قوله صلى الله عليه وسلم في آخر ما تكلم به عند وفاته وخطب وقال : أخرجوا اليهود من جزيرة العرب[٢] وقد تأول الحديث بأن المراد إجلاؤهم عن الحجاز فأطلق الكل عن البعض وذلك شائع في الكلام عند أهل الأصول في جميع الأرض وقال بعض العلماء أن تقرير الصدر الأول لهم عن الإخراج بما فهم من قصد الحديث واخراجهم من المضطربات الاجتهادية وله بسط طويل من المسألة ، وأطلق الإمام الأمر بهدم ما وجد لهم من الكنائس في اليمن وسفرهم إلى موزع بعد أن باعوا دورهم باوكس الثمن ، وهلك منهم في موزع الجم الغفير . وبعد مدّة رجعوا إلى محلاتهم وقد بيع أكثرها وقد جعل لهم محلاَّت نازحة عن دور المسلمين في قاع صنعاء من غربيها .

وفيها نهض الإمام من عيان إلى الغراس فوصل إليه غرة ذي الحجة ، وقد وضعت الحرب الأوزار .

وفيها وصل الخبر إلى صنعاء بتلطيخ الكعبة المشرفة بالأذى والبث حولها صانها الله عن أنواع القذى ، وعَمَّ ذلك جدرها واركانها وبابها ومطافها مع زمزم ومقام إبراهيم عليه السلام وسائر المقامات أوساطها

---

(١) هو العالم والمؤرخ الكبير من مؤلفاته مطالع البدور(خ) توفي سنة ١٠٩٢ قلت : وقفت له على رسالة في اخراج اليهود من اليمن نشرها الأستاذ عبد الهادي التازي في مجلة دراسات يمنية عدد/٤ سنة ١٤٠٠هـ .

(٢) عن ابن عباس مرفوعا رواه البخاري ١٢١/٤ .

وأطرافها واتّهم بذلك ستة أنفار من العجم فقتلهم الانتشارية[1] للفور، على باب الحرم، وما أظن العجم تفعل هذا الفعل العظيم، ولعله من فعل بعض الباطنية والملاحدة، كما هو دأبهم من قديم.

وفي سنة ١٠٨٩ في المحرم منها توفي مولانا محمد بن أحمد ابن الإمام القاسم بروضة حاتم ، ودفن بجنب جامع والده في القبّة التي أنشأها على بعض أهله ، وكان لا يبارى في العدل في الرعية والسياسة المرضية ، حتى انها تروى له في هذا الطرف عجائب وغرائب وكان رأيه أكثره الشاقب إلى همة قعساء وتجاوز عَمَّن أساء ، وقرب جناب وكان مطعاماً مضيافاً وله معرفة في الأصول والأنساب وكان له عوايد لا يخرج عنها من الصلات، وأعمال البر والصدقات لاسيما في الشَّدائد وشد عضد الإمام وأعنه ، وبذل الجهد عند القيام حتى استقامت الأمور وهو أكبر أولاد أبيه والقائم بالجهة اليمنية بالأعمال التي كانت تليه .

وفيها أفضع أهل العصيمات وسفيان بالتَّجارى واحتركوا من التخطفات في العمشية وسرى الحال إلى بطنة وأعمال شهارة وأطراف عذر حتى انقطع بسبب هذا كثير من الأنام عن السَّفر .

وفيها نزل من جبل نقم بصنعاء سيل عظيم ما سمع بمثله في الزّمن القديم فدفن غيل الروضة الكبير مع سائر الغيول وأخرب كثيراً من بيوت شعوب وغيرها من المحلول.

وفيها حصل شجار بين أهل الديون ومن أدانهم ، وطلب أهل الدّين قطع منقولات المدينين وعقاراتهم بأوكس الأثمان ، وتنازع الجميع بحضرة الإمام ، فأمر بانظار من لزمه الدين لما عرف التهزل والاحتكام لأن أهل الدين أرادوا أخذ ما في أيدي المستدينين بما أرادوا ، وجروا فيهم من التحكم على ما اعتادوا حتى صار لهم هذا الحال ديدناً وفشى التعامل به

(١) كذا عند المؤلف صوابه الانكشارية.

فيمن قَصَي ودني وعمل الإمام باجتهاده في هذه المسألة لمَّا فهم القصد وعرف العلة مع النظر إلى قوله تعالى : ﴿ **فنظرة إلى ميسرة** ﴾[١] وقد ورد في ذلك أثر ضعيف[٢] وأقلَّ ما في هذا دفع الضَّرر مع النَّظر المشرف ، وكان القاضي محمد بن علي قيس جنح إلى إيجاب[٣] قطع المنقول والعقار على الفور مع الطلب ، واحتج بما رواه كعب بن مالك عن النبّي صلى الله عليه وسلم أنه حجز على معاذ ماله فباعه في دين عليه[٤] ، وكان ذلك وقع من القاضي على طريق المخالفة لاجتهاد الإمام والمعارضة لمن صَوَّبه من الأعلام والحكام ، فرفع الإمام يده عن القضاء وبقي في النفس عليه شيء إلى ما مَضىَ .

وفيها برز أمر الإمام بالمنع من إطلاع التتن[٥] من اليمن وأمر باحراقه وكسر الاته حتى بيع بالقراطيس بالغالي من الثمَّن .

وفيها مات بصنعاء محمد صالح العجمي الحكيم ورزق الحظوة التامة بهذا الإقليم ، حتى صارت تضاف كل متفقة من خوارق الطب إليه . .

وفيها جمع مولانا محمد بن المتوكل كتب والده فبلغت ثلاثة عشر ألف[٦] مجلد غالبها من الكتب العظام ولها حكم ذكرها في وصيّتة فمنها ما هو موروث عنه ، وهو ما كان عليه رسمه بلفظ الملك فهو لذريته وما أضيف إلى الخزانة، فهو لبيت المال وتفرقت هذه الكتب وآل الأمر فيها إلى ما آل.

---

(١) من الآية ٢٨٠ سورة البقرة .

(٢) إشارة إلى حديث من أنظر معسراً أو ترك له حاسبه الله حساباً يسيراً أخرجه مسلم من حديث أبي اليسر كعب بن عمرو (انظر باب فضل أنظار المعسر في صحيح مسلم ج ١ ص ٦٨٢) .

(٣) أي وجوبا .

(٤) كذا عند المؤلف والذي في الطبق ٣٥٦ « أبي بن كعب بن مالك » قال رواه الحاكم والد ارقطني والبيهقي . وهو الذي في المنهاج . قلت جاء بدل معاذ ابن أبي حدرة.

(٥) التتن هو الدخان بالتركية قال في قانون صنعاء ص ٢٥ هو نوع من التبغ لونه أسود يزرع في اليمن ويعرف بالتتن الحميري .

(٦) ساقط من (ر) .

وفيها أبطل مولانا محمد بن المتوكل قبال الأسواق بصنعاء اليمن ، وأمر أن يصاح في الأزقة والمجتمعات والأسواق على الوجه الحسن .

وفيها أمر الإمام بضربة حروف[1] صغار من الذهب الأحمر وربيات[2] مخلصة[3] بقدر ضربة الهند فعمل ذلك الجميع كما أمر .

وفيها توفي السيد يحيى بن أحمد الشرفي في الشاهل[4] وكان عالماً بعدة من الفنون .

وفيها أخذت دهمة قافلة من العمشية واتفق بينهم وبين العصيمات قتال ذهب فيه ثلاثة أنفار وأصيب غيرهم من أجل هذه القضية .

وفي سنة ١٠٩٠ انكسرت جلبة بساحل جدة فيها أموال وحجاج وبضائع نفيسة هلك بين الأمواج وتبعها أخرى انكسرت أيضاً بما فيها وهلك الجميع .

وفيها توفي مولانا يحيى بن الحسن بن المؤيد وكان من العرفان بمحل لا يجد يتّقد ذكاء وفطنة ، وله في الحفظ مكنة ، وقبر في شهارة بعد عودة من البيت الحرام ، وثبت على التّظاهر بمذهب زيد بن علي عليه السلام ، ولم يعمل بغيره في جميع الأحكام ، وله أتباع من محترقة[5] الشيعة ، وكتبه تدل على مطالعة في الفنون الوسيعة .

وفيها وصلت إلى مولانا محمد بن المتوكل هدية من علي باشا فأعاد

---

(١) قطع صغيرة من العملة تكون غالبا من الذهب . وقد ذكر أنستاس الكرملي في تعاليق كتاب بلوغ المرام في شرح مسك الختام ص ٤٢٣ « الحرف قطعة من ذهب تشبه الدينار الانكليزي لكنه خفيف تنظمه المرأة اليمانية في عقدها » .

(٢) جمع ربية : وهو نقد هندي من فضة « النقود العربية ١٧٤ » .

(٣) مخلصة ، أو مخلص : فضة .

(٤) الشاهل : ناحية تابعة لقضاء الشرفين في الشمال الغربي من حجة بمسافة ٣٧ ك.م .

(٥) كأنه يعني متحمسة الزيدية والله أعلم .

رسوله عاجلاً وكافاه بالضعف من مطلوبه على ما شاء .

وفيها نفذ عزم الإمام بالتجهيز على برط وأمر بضرب الأوطقة[1] بالرحبة وجهّز من هنالك مولانا محمد بن المتوكل ، وولده مولانا الحسين بن المهدي ومولانا أحمد بن محمد صاحب البستان فساروا إلى عيان ، ولما أستقروا به كاتبوا مشائخ برط وقاضيها العنسي ، وكذلك السيد محمد الغرباني فطولبوا أهل برط بالمتفق منهم بعد أن ساقوا بين أيديهم من الضّيافة عند وصولهم وتأخّر عن الوصول الداعي السيد محمد الغرباني فلما طولبوا بالمتفق منهم فيما مضى فاعتذروا بجهل الفاعل لا عن رضى ، ونقدمت الأمراء إلى المراشي فلم يكن للسيد محمد الغرباني بدّ من الوصول إليهم وقد صار أمره في تلاشي ، واتفق مع ذلك وفاة القاضي علي بن قاسم العنسي حاكم تلك الجهات ، وبعد تمام هذه الأمور نزل الجميع إلى عيان وسكنت الحركات وبعد أيام رجع الجميع إلى حضرة الإمام وصلحت الأحوال على أتمّ نظام .

وفي جمادى منها توفي بالروضة مولانا أحمد بن المتوكل على الله ، وكان لقي صنوه محمد بن المتوكل إلى البون بعد عوده من برط بتلك الأوجاه فلما اتصل بحضرة الإمام أصيب بداء البرسام[2] فمات به ودفن بصرح[3] جامع الروضة غربي الجامع وله كمال القيام مع الإمام في أول النهضة .

وفيها جاءت الكتب من عامل عدن الشيخ راجح بن سعيد أخبر فيها أنه وصل إلى ساحل عدن مركب من مراكب ماشلى[4] فيه ما يجل عن التعديد ،

---

(١) جمع وطاق (سبق) .
(٢) البرسام مرض يعرض للحجاب الذي بين الكبد والقلب واللفظ فارسي مركّب من بر وهو للصدر وسام وهو الالتهاب «محيط المحيط ص ٣٥».
(٣) فنا الجامع .
(٤) في الطبق ٣٦٠ « ماشلي فتان » قلت يحقق اسم هذا الموضوع .

وأن من فيه خاف جند العماني ، فأرسلوا إليه في الليّل فأمدهم المذكور عامل عدن بعصابة نافعة وطائفة من الأبطال دافعة فما كاد المدد يستقر معهم بالمركب حتى دهمهم بالصَّباح العماني ومدَّ إلى مركبهم بالنهيب فأرسل إلى أطرافه بالكلاليب ، فدفع إليه الجند الإمامي صواعق الرصاص وتلوا عليهم مع الثبات سورة الإخلاص ، فقتلوا من أصحابه نحو خمسة وعشرين نفراً وقهقر مراكبه راجعاً إلى الوراء ولما عرف العمانيون من نفوسهم العجز عادوا بالخيبة إلى بلادهم .

وفيها وصل علي باشا صاحب الحبشة إلى اللحية في خيل ورجل من الباشلية[1] وأبهة ملكية ومعه صنجق ونوبة ونفير ، ومن الات الملك شيء كثير ، وكان صاحب الروم رفع يده عن العمل وبوّش على سواكن[2] غيره فأنف من الرجوع إليه ، ورام ما رام من التدبير عليه وقابله مولانا الحسن بن المتوكل بما يقابل به مثله ، ومنحه من الإحسان والتكريم ما هو أهله .

وفيها أمر الإمام بفتح كنيسة اليهود التي بصنعاء بعد أن سمَّرت ، فاخرج ما كان فيها من كتب اليهود وأهريق الخمر الذي بمحرابها[3] ، وهم يتّخذونه قرباناً نائباً إلى الفقراء منهم في أسبابها ، وأمر بخروج اليهود من بيوتهم بالمدينة فباعوها ، وأخرب ما لم يتفق ، ثم أن الإمام أمر بخراب الكنيسة ، فراجعه مولانا محمد بن المتوكل في إبقائها لتقدمها فصمم الإمام للمصالح العامة في هدمها ولما هدمت أمر أن يعمر بموضعها المسجد المعروف بالجلا[1] .

---

(١) كذا في الأصل والذي في الطبق ص ٣٦٠ « وهو الذي كان مبوشا » ولعله يقصد الباشوية .

(٢) سواكن : ميناء صغير على البحر الأحمر شرقي السودان « الموسوعة العربية ٢ك١٠٢٨ » .

(٣) الطبق ٣٦١ مخزانها .

(٤) من مساجد صنعاء بالقرب من السائلة قبل الطريق النافذة من السائلة إلى القزالي ومسجد ابن الحسين « مساجد صنعاء للحجري ص ٤٢ » .

وفيها نزل ببلاد حجة بَـرَد وزن الحبَّة ستة أرطال فسبحان القادر على ما يشاء .

وفيها ظهرت نار عظيمة بالمحل المقابل للمخا المسمّىٰ سقار وما زالت ذوابتها تسطع بالليل ، ودخانها بالنّهار وكانت ترى من جبال وصاب وريمة وحفاش وملحان وغيرها من البلدان وتعقبها زلازل بالمخا وحريق بالمدينة حتى أن العامل السيد حسن بن مطهر الجرموزي هرب بأهله وأولاده إلى البحر وهذا الجبل وغيره ممَّا بازائه لا يزال يحرق في أغلب الأوقات(١) وقد رأيناه من المخا على الصفة ولعله من معادن الكبريت أخبر به الثقات .

وفي سنة ١٠٩١ ما زال الإمام يتردد ويتنقل من الغراس إلى الخارد ويقضي بحركاته السعيدة جملاً من المقاصد ودخل صنعاء فأقام بها أياماً وجعل أمر ولاية ريمة إلى مولانا محمد بن المتوكل وزاده إكراماً .

وفيها انسلخ في ذي مرمر قطعة صخرة عظيمة حجر هلك بها رجل وامرأة وغنم واستولت على أطيان لها قيمة .

وفيها تكاملت عمارة مسجد الجلا وصار من بيوت الله المحترمة بعد أن كان يباع به الطلا(٢) .

وفيها غلت الاسعار وقحط بسبب دود صغار استولت على الثمار يقال له السرى وباع أهل الطعامات ما معاهم بأغلى الأثمان .

وفيها ورد إلى عدن والمخا موسم عظيم لطمأنينة البحر بذهاب ذلك العدو اللئيم وهو سلطان عمان ، فإنه توفي في العام الذي قبل هذا وأهدى الهنود بهدية عظيمة للإمام ، وكافأهم من نجائب الخيل بماله قيمة .

---

(١) قلت لعله ما يعرف الآن بالبركان .

(٢) الخمر .

وفيها وقع اختلاف ببعض بلاد يافع ودام الإمام التَّجهيز فصدت موانع .

وفي سنة ١٠٩٢ وصل إلى الإمام صاحب القافلة التي تنفذ إلى الشام ، وشكا إليه استمرار تخطّف سفيان لهم على ممرّ الأيام، وأنه حيّر القافلة(١) من خوفهم وعدم القدرة على مصادرتهم وطلب من الإمام النظر في اعمالهم وما الذي يكون من المرور على محالهم فأمره الإمام بالنفوذ وما أخذوه فجمعهم به موجود ، ومن هذا الذي يتعدَّى ويتعرض الطريق وسيفي دون النهب والتعويق ، فكرر على الإمام بمنع سفيان المار وإخافة القطار(١)فقال الإمام إمض على رسلك وفي أمان الله وأماني حتى تبلغ إلى محلك فمضى الرجل على قافلته على هذا القول وبه أمن الغائلة بكلام الإمام ، فلما بلغ بلاد سفيان عَدَوْا على القافلة من غير مراقبة الأمان ، فدافع أهلها عنها أشدّ دفاع وقتل منهم أنفار وأخذ المتاع ، وممن قتل ابن ذلك الذي خاطب الإمام ، وقطعت يده فأخذها والده وانقلب بها إلى الإمام يحث السير ، وقد أجهده ، فلما وصل إلى الإمام رمى إليه باليد ، وقال : هذا أمانك وأنت بعدو شانك فما روعي ضمانك ، فقال له الإمام : نصرت يا أخا الشَّام ولا بد أطأ بلادهم بالأقدام، ثم نهض الإمام من ساعته وأذن بالرجل ولم يلحق به الناس إلاّ وقد نفذ وجاوز الميل ثم تلاحقت بعده الأجناد ، وهو يعمل السير فوق المعتاد وشحذ الهمم بالسيوف الحداد ، ويقول : الجهاد الجهاد ، فصبَّح سفيان في أرضهم بعذاب وجاءهم من الضرب والطعن مالم يكن لهم في حساب ، ولما وضع السيف فيهم ونثر الهام خرَّب البيوت وملأ الحديد بالأسرى من غير احترام وارتجع ما نهبوه أجمع ، وعن أدبهم البالغ فما أقلع وضَمنَّهم ما أخذوه من قبل وانتهبوه واستولى على ما بأيديهم من غير ما أصابوه ولما قضى هذا الوطر وانزل بساحتهم الهوان بعد النظر رجع إلى الغراس سالماً ظافراً بعد أن ترك قطرهم الوسيع خراباً قافراً ، ويقال انَّها

---

(١) القافلة من الجمال .

خلصت إليه رضوان الله تعالى عليه حال المصاف رصاصة وقعت بفخذه الأيمن وكتمها ولم يعلم بها غيره حتى وصل الوطن وأنها انفجرت عليه بعد الإياب بأيام قلائل وكان الظَّن معه ومن يختص به أنه عارض زايل فإن صح فطوبى له بالشهادة التي هي لسلفه عادة وعنوان على السعادة بعد الجهاد في سبيل الله تعالى ونيل الارادة والفوز بالحسنى وزيادة ومالبث بعد الرجوع إلاّ ليال يسيرة وأيام غير كثيرة حتى وافاه احوج ما الناس إليه أجله ، وبدر إليه الحمام وليته ما عاجله ، فسعرت بموته في الدُّنيا لظى وجرح لرزئه صدر المجد وضاق الفضا ، وكادت تبكي مصاب الناس به الشمس والقمر وتضاعف الحزن عليه في الآفاق جمر ، وكان للسيف في جفنه صليل بلسان الكمد وفقد من بحر السطوات الجزر والمد ووجم الإسلام وأقعد النفر، وقال[1] الإ: سان يومئذ أين المفر كما خاطب فيه بعض من يرثيه فقال وقد شفه التبريح ، والدمع هام والفؤاد جريح :

قل للسّيوف تقر في أغمادها ... من بعد أحمد ما لهن مضاء
ولكل مجدول الأعنة واثب ... عش آمناً ولك الثرى والماء

وكانت وفاة الإمام المهدي أحمد بن الحسن رحمه الله تعالى بين المغرب والعشاء ليلة الاربعاء لثمان بقيت[2] من شهر جمادي الآخرة من السّنة المذكورة بعد الجهاد الأعظم في كل محل ، ودفن جسده الكريم بالغراس ، وحضر دفنه أرباب الدَّولة وأعيان النَّاس ، وكان إماماً نبيلاً وسيداً

(١) من هنا يقف تاريخ طبق الحلوى وصحائف المن والسلوى للعلامة الأديب عبد الله بن على الوزير المتوفى سنة ١١٤٧ وسنأخذ في المراجعة بعد هذا التاريخ من كتاب المؤلف المسمى بالسحر المبين . وفتور الحاظ العين من اثنتين وسبعين بعد الألف إلى وفاء الخمسين وهو تاريخ جيد هو أصل كتابنا هذا وقد وقفنا على الجزء الأول منه بخط المؤلف من سنة ١٠٩٢ إلى سنة ١١٣٠ فلله الحمد .

(٢) السحر المبين : ليلة الأربعاء لاثنتين وعشرين ليلة خلت من شهر جمادى الأول الأخرى من السنة المذكورة .

جليلاً وسيفاً صقيلاً ، ومولـده سنة ثـلاثين بعد الألف فيكـون مدة عمـره اثنتين وستين سنـة . وبعد وفـاة الإمـام المهـدي أحمـد بن الحسن فـزع النـاس إلى مـولانا محمـد بن المتـوكـل على الله في السِّـر والعلن ، كـونـه أزهـد النَّـاس وأورعهم وأبعـدهم عن الرغبـة في الحطام العـاجل فـإنه كـان آية الـزمـان في العلم والورع والزَّهـادة أبعد النـاس عن الافتتان بمحاسن الشَّوهـاء التي تُدعى بـالغادة فمـا زال يتطلب لنفسـه المخلصـات منهـا حين دعى ، وازور بجـانبـه عنها وصاعر خدّه وكان نشأ النَّشأة الظاهرة، وعمل لنفسه قبل أن يلي الخلافة وبعدها للآخرة، فهو كابن عبد العزيز في آل القاسم، وكلّهم أئمة الحق للعوالم ، هداة بحـور خضارم ، جبلوا على التيسيـر وجمعوا جمـع سلامـة لا تكسير ، جاوز مجـدهم أوج النعايم ، وتلفَّعـوا بالعـدل واشتملوا بالمكـارم ، أبداً لا يجاريهم مجـاري ، مثل النجـوم التي يسري بهـا الساري ، وكـان هذا مولانا محمد بن المتوكل كالفريدة العصماء في عقد فخـارهم والعذب الفـرات النمير من بحارهم صادعاً بالحق لا يأخذه في الله لومـة لائم ولَّاه والده الإمـام المتـوكل على الله ، بعـد وفاة مـولانـا علي بن المؤيـد صنعـاء في سنـة ثمـان وسبعين بعـد الألف ، وفوضـه بالبـلاد من أمـام وخلف ، فلمـا وصـل صنعـاء ألبسها بالعـدل القفاطين[1] وبنى أسـه في عراص التقى على أسـاطين ، وسار بما رضى[2] به الناس شرعـاً وعقلاً وأزال من المكوس ونظر في الاحكام وكان شديد الـوطأة على العصـاة سيما إذا كـان الأمر لله واستمـر الحال على ولايتـه بصنعـاء إلى أن تـوفي الإمـام المهـدي أحمـد بن الحسن رحمـه الله ، وكـــان مولانا محمـد بعد وفـاة الإمام المهـدي دعا إلى الـرّضا بعـد الريـاضة الكثيـرة وبقي بعد ذلك هـو والعلماء في مـراجعات كثيـرة من أجلها للمخلص ومـازال يتـطلب الحذر للخلوص عنهـا بالـوجه الـذي لا يأثم فيـه ، ويودّ مـا يؤمّـل لـه الفرج لديه على كل فقيه، فقال له بعض قضاة اليمن من آل المفتي : يا مولانا،

(١) جمع قفطان وهو لباس كالجبة .

(٢) السحر « وسار بما أرضى الكل عقلا وشرعا » .

قـال ابن عـطاء[1] الله في حكمـة فـلا ينبغي الخـروج عن حـدّه ورسمـه : « طلبـك الاسباب مـع إرادة الله لك في التجـريد إنحـطاط عن الـرتبـة العليـة وطلبك التجريد مع إقامة الله لك في الأسباب من الشهوة الخفية»[2] فعملت فيـه هذه الحكمـة واتخذهـا أصلاً في هـذه المهمـة ، فسـرى عنـه في الحـال وتـوكـل في أمـره على الكبيـر المتعـال ، ودعى إلى الله تعـالى بعـد انعقـاد الإجمـاع عليه وتكنىً بـالمؤيد بـالله ، وراجـع مـولانـا الحسين بن الحسن من الدَّماثة بالالتطاف ، وفاوضـه في الأمر من أجـل المعارضـة والاختلاف وأحب تسكين الدهما وأشد منه التحرج من سفك الـدماء فـأسهب مولانـا الحسين في المقال واكثر التعليل بالمحال ونصب الشباك ومـدّ الحبال وقصـر الجواب لمن سـأله عن ذلـك المد[3] بقـوله : جـاء محمد وسـار محمد وفي ذلـك الآن لم يبايع ولا مد إليه كف طائع ، وكـان يرى أنـه محلَّها واحق بهـا وأهلها ، ومثله سـائر آل الإمـام كصاحب المـواهب ، وعلي بن الإمام المتـوكـل في اليمن ، والقـاسم بن المؤيّد بشهـارة ، وعلي بن أحمد بصعـدة وكـان الإمـام المهـدي أحمد بن حسن رحمه الله تعالى لما رجع من سفيان للحـدث الذي أحـدثوه ، وعهـد الـطاعــة الـذي نبـذوه ونكثـوه وشنشنــة بغي عن آبـائهم تـوارثـوه، لم تمهله الليـالي أقفر عنـه كما تقـدّم الربـع واشتعلت الرؤوس شيبـاً واختل ذلـك النظام وتبدد الجمع ، عهد إلى ابنـه الحسين ، وفي أولاده كان كـإنسان العين سيداً براً تقياً مجده فوق الثريا وخلقه الرَّوض باكـره الحيا[4] عفيفـاً عن الدنيـا قريباً من ربّه مرضيَّـاً ، والعهد فيمـا نقل أن يقـدم والمؤيد لخيـره ولا يعتد من الدعاة بغيره ، فعمل بالعهد وبذل في إشادة دولتـه الجد والجهـد ، وكان بعـد أبيه عليه المعوَّل وله في المكارم الباع الأطول ، وعنده الخيـل والخول ، ومـا

---

(١) هو ابن عطاء الله السكندري أحمد بن محمد من أشهر مؤلفاته الحكم توفي سنة ٧٠٩ .

(٢) زيادة من السحر ليستقيم السجع .

(٣) المطر .

(٤) ساقط من الأصول والزيادة من السحر .

زال الإمام المؤيّد يقصد أعيان الإمام للنَّظر في أمر الخلافة والإسلام ، فسار إلى خمر وإلى هناك وافاه علي بن أحمد من صعدة والقاسم بن المؤيد من شهارة فحسمت بينهم الأدواء وصلح أمر صاحبي صعدة وشهارة ، فبايع السيدين وصفقا على يده باليدين وعاد كلاهما إلى ولايته ، والمهدي صاحب المواهب دعا إلى نفسه بالمنصورة وتلقب الناصر ، وظنَّ أنه في ذلك الحال بغصنها الهاصر[1] فتأخرت عنه إلى وقت دوله المعلوم ، وفي ذلك الوقت لم يلب دعاءه وبلغ الجهد، فأخفق مسعاه، فأرسل السيد عبد الله المحرابي أحد أصحابه ، يتطلع له الأخبار ، فبلغ إلى الإمام وهو بخمر خلاف المشرق على الحسين بن الحسن ، وتحكم الخطب واضطراب اليمن ، ويقال ان المهدي صاحب المواهب لمح إلى تحريكهم عليه بسوابق مثلها من المقدّمات إليه وينسب إلى علي بن الإمام المتوكل أيضاً بعض شيء من ذلك ، والعلم لله تعالى فيما هنالك وولد الناس هذه الدسائس لما عرفوه بينهما قبل ذلك من التعاكس والتنافس ، وأخال ما نسب الناس إنما طرأ من التَّوليد حتى جهة التخريج فهو في غاية الابتعاد عند النفاق وعند الشَّدائد ، تذهب الأحقاد فقَدْرَهما يجلّ عن الولوج في هذا الأمر المريج ومازالت جبال الشرق تترى حتى استحكمت غاية الاستحكام ، وكان الحسين بن الحسن اشتد عليهم بوطاقه وامتدت بالاثخان فيهم أياد من صولته واستعمل المسمار فيهم قبض[2] الصّروف ، وسلك من الطريق التي لم يؤمر بها غير مألوف ، وصولته عليهم إنما كانت بيد القسر ، وكون معوضة بن عفيف في حضرة المهدي في أسر ، وما دان لغير المهدي والحسين[3] به يردي ويعيد ويبدي فلما تعطَّل معصم المجد عن سواره وغاب بدر الندى في سراره تجرَّع منهم غصص العصيان وانطبعوا له في غير الضربة وتأكدت البغضاء لا

---

(١) في الأصل « بغصها إلهام » والاصلاح من السحر المبين .

(٢) في السحر المبين « ففض » .

(٣) في الأصل الحنين والاصلاح من السحر .

المحبة ، ولما أطبق بالمشرق الخلاف ، وتغلق باب أسباب الائتلاف وردّ كتاب الحسين بن الحسن إلى المؤيد بالله وهو بالسودة يعلمه عما نجم وحقر الأمر وصغره في كتابه وجمجم ، والخبر جاء إلى المؤيد يعلن بعظم الحاصل ، وامتناع السائر وانقطاع الواصل فجمع المؤيد من بحضرته من آل الإمام والأعيان وتلى عليهم السورة بذلك اللّسان فأجاب آل الإمام بالائتمام وقالوا ما عهد المشرق منا فهو باق ومن داب العبد الردي الإباق فجهزوا على من نكث الميثاق ، حتى إذا أثخنتموهم فشدّوا الوثاق وأجاب الأعيان ، بما يؤدي المعنى وقالوا نحن أهل الحرب ورجال المعنى ، فطلب الإمام من السيد المحرابي جواباً واستطلع ما لديه فتأبى ، وقال قد ناب البعض عن الكل والخوض في الدِّماء مستصعب مشكل ، فما عذره الإمام عن الجواب واتهمه لأسباب وارياب ، فبسمل وحمدل وسلك في نوع من الجدل واسترسل وأطال ، ثم عطف الجواد ، فقال : « يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله » . إلى قوله تعالى : ﴿ فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم ﴾ والرأي استصلاحكم لأخيكم صاحب المنصورة ، فربّما كان في سعيه أسباب هذه الثورة ، وأنا رسوله ، ولم أفاوض ، ولا كنت في الجسم ولا العرض ، فعرف المؤيد أن قوله يومىء إلى السَّبب ، ويؤدي أن غفل عنه إلى الحرب[1] ، فأمره الإمام بالتأهّب ليسيّره إليه ويكون الواسطة فيما له وعليه ، فثنى المؤيد عن إرساله ، وما أعمل الرأي في مثاله ، فلما عرف السَّيد المذكور إهمال جانبه عن التيسير ، وكان الإمام أمره بالوقوف وبعث إليه بدنانير فعندها نمّق رسالة أرسلها إلى المنصورة ، وجعلها على لسان صاحبها كالصّورة وأرسلها السيد مع البريد ، فلما وصلت إلى صاحب المنصورة استكتبها نسخاً وبثها ودعا القبائل إلى نفسه وحثّها ، فكان

(١) عبارة المؤلّف والمختصر في هذا الكتاب هي الصورة المهذبة من تعبيره الأول في كتابيه السحر المبين وطيب أهل الكساء. ولذا فإننا لم نتابع الاختلاف البين في التعبير بين الأصلين لكثرته وإنما نشير إلى ما يصلح الخطأ أو السقط إذا كان وارداً في أصلنا هذا، وقد وردت هذه الجملة في السحر المبين كذا «ويؤدي أن تغوفل عنه إلى الحَرْب والحَرَب».

المحرابي هو المثير والداعي إلى التأثير ، ثم انه اشتمل بجلباب الأدهم وإلى صاحبه ذهب ذو النـون مغاضباً فاتهم ، فجهـز الإمام الحسين بن محمد بن أحمد بن القاسم ، فصار إلى الجند[1] ، ومازال يرفق به حتى آل الأمر إلى السلامة التي تحمد ، فالتأم الحال بغير قتال ، ورجع الحسين بن محمد فعرَّج بجبلة وأقام بها بعض أيام ، ومنها حث مطايا شوقه إلى الإمام ، وكان صاحب المنصورة بايع على شيء من البلاد وشرط الإمام عليه التَّوقف في الإصدار والايراد والجري في جميع أموره على الاقتصاد ، وكان اليمن بين آل القاسم قد قسم ، وكل منهم أمير ببلاد ، وليس للإمـام الا كسائرهم ولما صلح صاحب المنصـورة وانمحت السورة والثـورة خلعت الحجرية طاعته وفارقوا جمعته وجماعته ، والسَّببُ صوقي منهم ، فأقام فيهم حتى يقال الرجبي ، زعم أنَّه للملك بالاشارات حبي ، فمال إليه الطغام ، وتوجهت[2] معه في نكاية المنصورة وسار فيهم إليها أفواجاً وناب صاحب المنصورة الأمر على غفلة من الاستعداد وفاجأته تلك الجموع وضايقته كل المضايق والجناب ممنوع ، وضاق الحصار به وتأخر عنه إلى وقته الاقبال ، فأنهى الأمر إلى المؤيد وشكا قوة العدو عليه ، مع انقطاع المدد واستحث البدار ، وأنه لا يأمن الاستئصال بتلك الدار ، فجمع الإمـام المؤيد من بحضرته للخوض في ذلك ، وقال التفريج عنه وعن الحرم[3] أقدم من حرب المشرق ، فإنه هالك فتكلَّم بعض بني الهبل[4] وأفهم الإمام : أن موجب الخلاف جوره وطَّول ، فقال الإمام : أما ما ذكرت من الجور ، فسننظر فيه وما دون الكشف حاجب وجهَّز للنَّظر أحمد بن المؤيد الكبير وابن أخيه القاسم وأمرهما بعد التفريج بالنظر[5] ، وصار الجميع على الفور إلى

---

(١) الجند بلدة مشهورة بالشرق الشمالي من مدينة تعز بمسافة ٢٢ ك.م .

(٢) عبارة السحر « فمالت إليه تلك الطغام وجهدوا في نكاية المنصورة والارغام » .

(٣) جمع حرمة وهي المرأة عندهم .

(٤) السحر « القاضي عبد الله الهبل » .

(٥) السحر « وأمرهما بعد التفريج بالنظر فيما أمر به الامام » .

أطراف المنصورة وافرجا عن الحرم المحصورة واتفقت حروب اضمحلت بها الثورة ، وكان للشيخ أحمد بن حسن الشاطبي في هذه الحروب تحريض على الإقدام وتوثب من الدمّنة الصدام دعا له صاحب المنصورة لما صارت الأمور إليه ومازال به يجل مقامه ، وكتب الإمام إلى أخيه علي بن المتوكل يحث الغارة إلى المنصورة قبل ذلك وكفى شر ما هنالك ، وبعد التفريج على صاحب المنصورة تأخروا إلى الدمنة على أن يتقروا بها بعض أيام وفي حسبانهم أعمال النّظر فيما أمر الإمام فثارت عليهم الرَّعية ، واتفق ما شغل عن القضية منه حرب المرازب وحقائقه عند العارف به غير عازب ، ولما لم يتم مرام ولا استقام كلام وصار ليل الخطب حالك وكان الأمر يفضي إلى غير ذلك رفعوا إلى الإمام عن تلك البلاد ، وجرت بين صاحب المنصورة والإمام على الحال المعتاد ، وما علم للرجبي الصوفي بعدها بأثر ، وكان معوضة بن عفيف أودى بمسمار ودعا إلى دين مروان الحمار[1] .

وفي سنة ١٠٩٣ نبذ أهل المشرق الطاعة وبدلوا طاعتهم بالعصيان .

وفي ربيع الأول منها توفي علم الدين القاسم بن أحمد بن القاسم رضوان الله عليهم بروضة حاتم وكان سيداً سمحاً مجبولاً على المكارم وفيه ذكاء وفهم ويضرب في علمي الأديان والأبدان بسهم وكان يبالغ في صلاح ذات البين بين آل المنصور ويبذل طاقته وجهده في مثل هذه الأمور ، وله شفقة تامة على المسلمين وفاء بكثير من الأكابر إلى طاعة أمير المؤمنين وله سعاية في رجوع صاحب المنصورة إلى طاعة أبيه المهدي وجاء بعلي بن أحمد إليه بعد التشمس المردي ، وحضر دفنه الإمام المؤيَّد بالله ، وكافة الأعيان عن يد ، وتعب لمصابه سائر الناس ، فقد كان من عيون السادة وأهل العرفان ، والإفادة وله مع ذلك قريحة وقادة ، وتطلع إلى الآداب والنقادة ، ولم يتلوث بشيء من هذه الأعمال وعرضت الولاية عليه من

(١) عبارة السحر « قد أودى بمسمار فقتل وبت حيل الطاعة بعدما قتل » .

المهدي والمؤيد وقبلهما المتوكل ، فتخلص عنهم باللّطف ومال ، وعاوده المؤيد غير مرة أن يلي ما كان يليه صنوه محمد ، وخاض معه في المرجحات فما أسعد، ولما أيس من إسعادة الإمام المؤيد، جعل الولاية له على أن يستتيب ابن أخيه الحسين بن محمد، وأخذ على الحسين أن لا يحل ولا يعقد بغير إطلاعه(١). وقال الإمام قد جعلته الواسطة بيني وبينك ومشهدة يلوح منه أنوار القبول، وهو من روضة حاتم بجنب الجامع المقدس.

وفيها وفد على مولانا علي بن المتوكل على الله إلى أخيه المؤيد بضوران من أجل الخوض في موجبات قتال أهل المشرق، وأداء ما يجب من الزيادة في هذا الأوان، وكان أهَّب ما يحتاج إليه في التَّجهيز واختار من يوجهه نائباً عنه بعد العرض عليه وعيد بحضرة الإمام وقال أحمد بن أحمد الآنسي(٢) في التحريض على الجهاد وبحضرته هذا النظام شعراً :

نفوس الأعادي أن منها وعيدها ... فحق على البيض المواضي تعودها
إذا لم تذق للبيض صدا جفونها ... فلا غمضت يوماً وفيهن سودها
الا أصلتوها للجهاد صوارماً ... فإن رقاب المارقين عمودها
لئن عصفت ريح النكال بيافع ... فما هي الا عادها وثمودها
بني القاسم المنصور عزما على العدى ... فقد بان للدين الحنيف جحودها
لكم همم تعلو السّماك تطاولاً ... فلم طال عن هذا الجهاد قعودها
أفي جانب الإنصاف أن معوضة ... تهان به من ذي الأنام زيودها
وللمذهب الزيدي كل غضنفر ... يفل به عند الحروب عديدها
أرى ابن عفيف رام(٣) ما دون نيله ... حمام تحاماها من الصيد صيدها
ألم يكفه ما نال قدماً من الردى ... وأقوامه ما نال قدماً جدودها

(١) السحر « إلا برأيه واطلاعه » .

(٢) هو أحد شعراء اليمن الكبار وفاته سنة ١١١٥ انظر ترجمته في كتاب طيب السمر (خ) والبدر الطالع ١/٣٦ ونشر العرف ١/٧٤ وكتابنا مصادر الفكر الاسلامي ص ٣٣٩ .

(٣) في الأصل «أمم» والإصلاح من السحر (بخط المؤلف) .

ألم تـذكروا في «مسجد النور» منهم	رؤوساً إلى يـوم المعـاد سجـودهـا
لقـد سقيت أرض المشـارق منهـم	نجيعـاً وغصّت بالسـراحين[1] بيدهـا
أعـدهـا أميـر المؤمنين عـليهـم	فقـد وجبت تلك الحـروب تعيـدهـا
وصـل ببني المنصور أسيافك الأولى	خـطوب الردى منهم تحـل عقـودهـا
ولا سيـف إلا ذو الـفـقـار فـإنـه	بـكفّ علـيّ لـلأعـادي يبيـدهـا
وهـذا عـلي بـل وأنـت مـحـمـد	خـلافتـك الغـراء وأنت عمـودهـا
هـمـام فلو رام الـثُّـريـا بعـزمـه	لـدان لـه قبـل اهتمـام بعيـدهـا
لـديه من الفـرسـان كـل مـدرع	وخيـل جيـاد ليس ينجـو طـريـدهـا
ويـا حبـذا الملك الحسين فـإنـه	عهيـد المعـالي والفخـار عميـدهـا
هـزبـر تحـامـاه الملوك لبـطشـه	وتعنـوا لـه عنـد الحـروب أسـودهـا
ودمتم بني المنصـور في خيـر نعمـة	من الله تتـرا طـالعـات سعـودهـا

وفيهـا[2] ظهـر نجم من ذوي الأذنـاب وطفق يـرى تغـريبـه بعـد الشمس كـالفجر الكـاذب وقد كـان ظهر في عـام إحـدى وتسعين ذي ذنب منه أطـول يأخذ قدر أربع منازل إلى جهة المشرق ، واستمر كذلك مـدة شهر رمضـان لا يتحـول ، واتفق بعد ظهـورهمـا أنبـاء جليلة وخـطوب أعيت في دفعهـا الحيلة واجتحف السيل البلد الحرام وذهب بها جملة من الأنام والانعام .

وفي شهر رمضان اجتمـع في السنة المـذكورة المشتـري وزحل والمـريخ بمنزلة الطَّرف وانتقل زحل إلى الجبهة وهما أمام أو خلف.

وفي سنـة ١٠٩٤ اتفق رأي الإمام وأعيـان آل الإمـام لـديـه على التجهيـز على يـافع وتحتم بـه الوجـوب حسبما أمـر به الشّـارع ، فأعـدَّ الإمام الطلائع وأشـار إلى آل الإمام بـالاستعداد وشحـذ السيوف الحـداد ولمـا أوجب عليهم الجهاد قوبل أمر الإمـام بالاسعـاد وتأهب الجميـع للجلاد ، فجمـع الجميـع ،

---

(١) جمع سرحان وهو الذئب .
(٢) هذا الخبر والذي يليه سقطا من « السحر المبين » .

وقدم سراتهم للوجه المشار إليـه بعد أن أمـرهـم بدعـاء يافـع إلى الرجـوع كما هـو الـواجب عليـه وجعـل مـرجـع الكـلام والحـل والابـرام إلى الحسين بن المهـدي أحمد بن الحسن فهـو أمير الأمـراء وكان يكنى بفـارق السِّيـل ، وفي ذلك إشارة إلى كرامة لـه بمكة المشـرفة شهـد بها الخـاص والعام ، وتحـدث بها من حضر المقام ، وكان بمحل من العبادة فتوجَّه الأمـراء ، وكان الجمـوع مـوفورة والقلوب بـالاتفاق معمـورة ، وذنوب الـدَّهر بـالاجتهاد في مـرضاة الله تعـالى مغفورة ، والـدَّولة محبـوبة في العيـون مزفـوفـة منظورة ، وكـل الناس من أهـل البلاد والسيـرة والسريـرة ، فصاحب كـوكبان بخـولـه وخيله ، ورجله ووابله وطله والحسين بن محمـد بن أحمـد بن القـاسم بحـاشـد وبكيـل ، وأحمـد بن محمد الملقب بـالحجر لا يـداخله السأم ، ولا يعتـريـه الضَّجـر ، والحسين بن المتوكل رضوان الله عليه بهـذا المضمار انبـرى وتوجـه في جمعه الموفور إلى الزهـراء ، وبها اتفق حـريق البيت الذي يسكن فيـه وهـلاك نحـو أربعمائة إنسـان ، وكان السَّبب فيمـا ذكر شـريف من أهل المحـا قرة مشهـورة بارتكاب كل فاقرة من الشُّطار الفجار لئيم الفعل ، وأن زكا النّجار جعل فتيلة مـوقدة في ذنب هـرَّة وأرسلها إلى المحـل الذي فيـه البارود فعملت فيـه النـار ذات الوقود ، وهلك القدر الذي ذكرنا وأخـذ لفح النَّـار في الحسين بن الإمام وحجبـه الأجـل ، فلم تَـذهب منـه العين ، وقـد أدال الله من الفـاعـل فقتله صـاحب المنصورة يـوم صار الأمـر إليه بشـرطى أتهم بقتله في صَنْعاء وأجمـع النَّاس به عليـه ، وعلي بن المتوكـل سار إلى قعـطبة ولم يبق منـظور إلا أطلق جواده في هذه الحلبة ووجه[1] الـذين تأخـروا بمن ينوب عنهم من أصحـابهم وإبـدال[2] من دواوينهم ونـوابهم ، فـزَوَّدوهم وانـطلق الجميـع جميعـه إلى رداع ، ولمـا حصل الجميـع هنالـك وصـار ضـوء النـار كمـا أثـار الجمـع من القتام كالبهيم الحالك ، أمر الإمام بدعا البغاة بالرجوع ولا يخاطبوا بخداع ،

---

(١) في (ب) أتى والاصلاح من (ء) والسحر .

(٢) السحر دولاً .

فاصَرُّوا على الامتناع ، وكشفوا عن وجه عصيانهم القناع ، فنهدت الجيوش إلى عقر دارهم ، وحصل بادرة رأي بعض الحاضرين في بدارهم ، وكان الرأي الثَّاني حتى يعرف المدخل والمخرج ويتنسم من إعمال الرأي طيب الأرج ، وربما حصل بعض سهو عن وصاة الإمام ورأى الشَّاهد مالم يرَ الغائب في الاهتمام واتفق جلاد ليس بالهزل وانعزل قوم وما اقبح العزل ، فاذنت أفواه الجراح بالأذان وصلَّت السيوف بمحراب الطعان وجرى النّجيع الفان وخرَّت الهام عن الأذقان ، فتنضدت الغبراء بالرؤوس تنضيد ، واستبق الكفاة شوقاً إلى الجنة الخضراء من أهل العدل والتوحيد، فأثخن الجراح الفيالق وتكسرت السُّيوف بأيدي الفريقين وذهبت من النفوس جملة في الطريقين فهؤلاء إلى الجنة مع الابرار ، وأولئك في الدّرك الأسفل من النار ، وانجلى الأمر عن هزيمة أولي الحق وكان شهد الحق[1] جمع كثير كادت الآفاق تلبس من الحزن له الحداد ، وفاز بالشهادة ذلك اليوم السيد المجاهد سلالة الخلفاء الأماجد العامر من ربوع المجد للمعاهد الدالة على سعادته بالشَّواهد شمس الإسلام أحمد بن محمد بن الحسين بن الإمام القاسم، ماجد أبرز بالإقدام وارتدىٰ واعتجر ولقب لشجاعته وصمته كما أشرت إليه آنفاً بالحجر، صبر في ذلك المكان المارق وقد طاش الجنان وذعر، وما برح يكرر الحملات حتى أصيب ودفن جثمانه بالعر، وأشار إلى كفاءته وثباته الحسين بن عبد القادر[2]، وكان ممن ضمه الجمع ورجع في المنهزمة قريح القلب مهمل الدمع، فقال:[3]

ودِدت مصرع مولانا الصفي ولا (م) الرجوع في سلك قوم بعد ما كسروا
وصرت انشد من كرب ومن اسف «ما أطيب العيش لو أن الفتى حجر»

---

(١) السحر « وأدرك الحران طرف الإقبال وكان لا يشق له غبار ولا يلحق » .

(٢) ساقط من (ر)

(٣) هو شاعر وأديب له ديوان شعر مخطوط وفاته ١١١٢ انظر كتابنا مصادر الفكر الاسلامي ص ٣٣٨ » .

وأصيب في ذلك اليوم علي بن أحمد بن القاسم برصاصة في يده ما زال ألمها يتعهده حتى فت[1] من عضده وتوفي سنة ١١٢٤ من ذلك الأثر ، ولما خلصت المعركة عن هذا القارح والملم العظيم الفادح ، انتهب البغاة الثقل وصارت الجموع إلى الإمام ومازال التوبيخ لهم في المواقف بعدم امتثال الرأي وأما الحسين ابن الإمام المهدي أمير السرية فبعد هذه القضية راح قافلاً إلى تعز العدنية حنقا من الأمراء بعدم الامتثال واقسم أن لا يبرح عن تعز حتى يوافيه الموت ، وبها أقام ، يستعد الكرة عليهم ، ويستنهض الأجناد وانف أن يلاقي الإمام على ذلك الحال ، ويالك من غشمشم لو وجد المجال وكان في تاموره أن لا يرجع إلى الدَّار حتى يأخذ بالثار ، ويستأصل أرض بني عفيف بالركض المثار ، أو يموت ، فيستريح من السعي بذلك المضمار ، ولبث في تعز برهة من الزَّمان والكمد يعمل فيه للانهزام وما برح في المجاهدة ، وإعداد ما يحتاج إليه حتى ذاق الموت الزؤام .

وفي سنة ١٠٩٥ كان مولانا الحسين ابن المهدي في تعز على ذلك الحال يراعي الحد للكرة فما أدال الدَّهر ولا استحال فوافى به أجله ، وعند ابن العفيف ذلك الدين ، فشقَّت المكارم عليه جيوبها ، ولطمت خدود المعالي باليدين فسال عليه للمجد دمع العين، واحمر الأفق وتضرجت الأكناف دما وفي امثالهم :هلاك اليمن بالاحمرين[3] فصار بتعز غريباً فقيدا وما يبعد انه مات على[4] الشهيد فقد روى بعض السادة ما يؤمى إلى ذلك ولمح في

---

(١) انظر هما في نشر العرف ٥٦٦/١ ومجموع البلدان للحجري ص ٢٢٩ .

(٢) في (ر) وفت وفي السحر حتى كان سبب وفاته .

(٣) هما الذهب والعصفر اشارة إلى الحديث « ويل للنساء من الأحمر بن الذهب والفضة » انظر حتى الجنتين ص ١٧ » .

(٤) ابياض في الأصل وفي السحر « وغير بعيد أن يكون شهيداً » .

بعض المألك[١][٢] وكـان وفاتـه يوم الجمعـة غرة شهـر ربيع الآخـر من السنة المـذكورة، فـألبس الأفق حداداً عليـه وقبـل وصـول الخبـر بليله إلى الغـراس انخزلت[٣] قطعة من جبل ذي مـرمر هـائلة أخذت روعـاً من الناس ، وحصـل الإبـلاس والأياس ومـع هويهـا ظن أنها لا تبقي ولا تـذر فسلم الله منها ببـركة المهدي وتعقبها أيضـاً أنخزلت قـطعة ثـانية هلك بهـا أبواب ذي مـرمر وهـدَّت بنـاء بيت يقرب البـاب كان عمـر[٤] . ودفن الحسين بموضـع ملاصق ضـريح الإمـام ابراهيم بن تـاج الدين[٥] وهـو من أئمة الآل الكـرام الميـامين[٦] وكـلا الرجلين من أهل الكرامات الباهرة ورجال الدنيا والآخرة .

وفي هذه السنة اتفق كثير من الحوادث ، منهـا الضربـة كثرت الـزيوف[٧] فيهـا وصار الأكثر من بيت الإمام يشـاطر في الأمـر ويساهم ، فتضـرَّر النَّـاس من ذلك فأنهى الأمر إلى الإمام وسئل في ذلك النظر العام ، فـأرسل إلى كـل دار ضـرب ثقـة من أصحـابـه للتغليق وسـأل من الجميـع الاستقـامـة فـامتثـل البعض وسارع البعض بالإضـراب عن الضَّرب ، إلاَّ مـولانا علي بن المتـوكل فـإنه اعتـلّ أن ضربتـه لم تغشّ على الاستمرار ، وكـرر الإمـام إليه الرسل من أجل تركه الضربة ، وذكر له امتثال غيره من أهل الضَّـرائب وكان جـواب علي ابن المتـوكـل أن تتـرك التعلَّلات وإلا كـان الأمـر بيني وبينـك كـالأمـين والمأمون ، وكاد بينهم تتفاقم الأمـور ، وعلى مثل هـذا طبع البشـر فَهَمَّ الإمام بـالتنَّحى عن الخلافـة وكان جمـع آل الإمام من أجـل ذلك لـولا سَبْق الأجـل

---

(١) المالكة الرسالة .

(٢) ساقط من (ر) .

(٣) انخزلت : انقطعت .

(٤) هذا الخبر لا يوجد في السحر المبين .

(٥) هو الامام المهدي ابراهيم بن تـاج الدين أحمد بن بدر الـدين دعونـه في ظفار سنـة ٦٧٠ واسره الملك المظفر سنة ٦٧٤ وتوفي بتعز في الاسر سنة ٦٨٣ « اتحاف المهتدين ص ٦٢ » .

(٦) في السحر « ودفن بالاجيناد من تعز مـلاصقا الضريخ الإمام ابراهيم بن تـاج الدين » .

(٧) جمع زيف (معروف) .

لأخيه علي المذكور ، والسَّبب أن علي بن المتوكل كان يرى لنفسه الأولوية للخلافة ويحب أن تخفق على رأسه الألوية ، وهو لولا المؤيد أهل لما هنالك ، والحقيق بما فوق ذلك ، وكان ممن يتعلق بمولانا علي بن المتوكل الشيخ محمد بن الحسين المرهبي[1] ، وكان أحد كتابه فعل هذه الأبيات وذكر فيها أنه الأحق بالخلافة وما سواه العين الناظرة في أولئك الملا وهي :

هذا سؤال لي به برهة ... شغل أفدني يا جمال الهدى
إذا قضى مَهْدينا نحبه ... وذاق مثل الناس كاس الردى
من ذا يكون المرتجى بعده ... يقوم في النَّاس إماما غدا
هل المرجى قاسم ذو العلا ... ذاك الذي مدَّ إليها يدا
لانه باق على دعوة ... طبقت المتهم والمنجدا
أم صاحب القصر بصنعاء الذي ... قد صار في الزُّهد به يقتدى
كأنه الفاروق في عدله ... والمرتضى في سيفه والندا
أم الذي[2] جاذبهم ثوبها ... بالشَّام[3] واعتَمَّ بها وارتدى
أم الرداعي من دعا واثقاً ... إلى الرضى من قيفة والحدا
طال على المهدي له ساعد ... وما أرى الدهر له مسعدا
أم صاحب المنصورة ذا الممتطى ... من قمم العليا له مقعدا
أم أنت قل لي أم أخوك الذي ... أوغل في غزو ديار العدى
والصدق ان حقَّقته مالها ... سواك يرجى يا جزيل الندى
فأنت من أعلاهم همة ... أيضاً ومن أسعدهم مولدا[4]

---

(١) هو الشاعر الكبير الملقب بأبي فاضل له ديوان شعر انظر ما كتبناه عنه في الادب اليمني ففي خروج العثمانيين » توفي سنة ١١١٤ .

(٢) هو احمد بن إبراهيم بن محمد المتوفى سنة ١٠٩٩ .

(٣) صعدة ونواحيها .

(٤) علق المؤلف بعد ابراد هذه القصيدة في كتابه السحر المبين فقال : « وكان المرهبي يكثر التوصل إلى قضاء مآربه بمثل هذي فيستدني المنافع ويعرف وجوه الأذى تقرباً إلى النفاق وطلبا لأسباب الاتفاق وهو من شعراء اليمن الذي لا يشق لهم غبار » الخ .

وفي سنة ١٠٩٦ كان الإمام بمعبر[١] لا يرى التأخر ، حتى يستأصل أهل المشرق[٢] ويظهر، ولله[٣] فوق التدبير تدبير وله الحكم وهو اللطيف الخبير ، وما برح الإمام يعمل نظره في أحوال النَّاس ويساوي بعدله بين الذَّنب والرأس، وأمراء أهل بَيته[٤] تدبر الآراء في اطراحه، والنكث عليه ، وكلهم حريص في اجتلاب الفريسة إليه ومازال اكثرهم في تشماس[٥] وخبط في العشواء على غير قياس وتعالت نار الفتنة بينه وبين أخيه علي بن المتوكل ، وكان الإمام أمر صاحب المنصورة[٦] يوجه ولده الفخري عبد الله إلى حرير[٧] للرزم على يافع ومقدمة لما بنى عليه من التجهيز الأخير وكانت المناقضة في مثل هذه الأمور بين صاحب المنصورة وبين مولانا علي بن المتوكل فلم يعجب علي بن المتوكل تجهيز الفخري وكتب إلى الإمام هذا الكتاب المعلن بالتَّبري وهو :[٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

المولى الإمام أمير المؤمنين وسيد المسلمين المؤيد بالله رب العالمين حفظه الله تعالى بما حفظ به الذكر المبين وأصلح له وبه ثغور عباده أجمعين وقفى به آثار السلف الصالحين والأئمة الطاهرين والسلام عليه ورحمة الله وبركاته في كل وقت وحين ، وأما بعد حمد الله الواجب وجوده الصادق

---

(١) معبر : مدينة بالجنوب من صنعاء بمسافة ٦٨ ك تقع في وسط قاع جهران .

(٢) السحر « ابن عفيف » .

(٣) مساقط والزيادة من « السحر المبين » .

(٤) السحر : وامراء أهل بيته تعمل في ذلك الالتماس من عدم التوقف بغير القياس وبغالب اعناق الناس بينه وبين اخيه .

(٥) تمنع .

(٦) يتكرر هنا ذكر صاحب المنصورة والمعنى به هو الإمام المهدي المعروف بصاحب المواهب بعد ذلك وسياتي خبره موسعا .

(٧) حرير : جبل مشهور يشتمل على قرى ومزارع يقع في الجنوب من قعطبة وشرف عليها .

(٨) لم يرد نص هذه الرسالة في السحر المبين .

ايعاده ووعيده الشديد الانتقام إذا هتكت محارمه ونقضت عهودة والصلاة ، والسلام على سيدنا محمد أفضل الانبياء وازكاهم واجل الأصفياء ومنتقاهم ، وعلى آله الماشين على اعقابه القافين آثاره المتأدبين بآدابه ، فقد كنت أوري في النفس واحجمه عن العهد الذي وضعته عن امركم لأهل يافع بالأمس رجاء أن ينتبهوا له أو ينبهوا عليه ، وأن يذكروا إشارة مني إليه وإذا بكتاب من الوالد شرف الدين الحسين بن الحسن بن الإمام يصدّره من ذمار ويذكر ما عزمتم عليه ووجهتم همتكم العالية إليه من الخروج على يافع لاجابتهم الأمير ورعايتهم وإعانتهم إياه على خروج الولد عبد الله من حرير ولعله جمع الجموع وتجهيز الجنود ، فقد وجب الآن التصريح بالمقصود قبل التورط والعياذ بالله فيما يسخط الرحمن والتلبس بما لا يؤمن معه وجه الخذلان ، فأقول قد علم أمير المؤمنين صانه الله تعالى وإياي من كل قادح في الدين اني قد وضعت ليافع ومن إليهم عن رأيه الكريم تلك الأوضاع المشهورة وكان ذلك للمصلحة الذي قد ظهرت لي وله في تلك المدة بعد خروج المحاط من الزِّهراء مذعورة مكسورة ، ولم أبتدع ذلك الواقع ولا كنت له أول واضع بل تبعت فيه الصنو محمد والصنو حسين فيما وضعا لهم في تلك المواضع من أن حرير في رباعه[1] الأمير ، وأن الشعب[2] مكتب من مكاتب يافع وانتهى إليكم ما فعلناه وجاء جوابكم باجازة ما وضعناه وأن المصلحة ظاهرة فيها وصفناه وكتبكم عندنا ناطقة بما ذكرناه ومضت هذه المدة ولم يحصل من المذكورين ما ينسخ تلك العقدة ، وأما ما وقع من الحواشب في الطرقات ومن الأجعود في حجر وتلك الجهات ، فمن أين لنا أن تلك الجرائم كانت عن رضى من الأمير قاسم إذ الرضى من الأفعال القلبية ومجرد إحتمال أنه رضى أو أمر لا يهدم من مكان البرأة الأصلية على إنا قد كتبنا إليه وهجنا عليه ، فأجاب أنه لا يرضى بفعلهم وأنه بريء إلى الله

(١) أي حماية .

(٢) من يافع .

تعالى من عملهم ، وطال ما حاول أن يعطى هؤلاء حقهم من لحج وعدن لتجرى فيهم الموعظة ، ويكفوا عن التَّخطف على الوجه الحسن ، وذكرنا ذلك للصنو محمد ، وجعل خطوطاً إلى العُمَّال ، ولكنهم ما عملوا بتلك الأقوال ، والحق الذي ندين الله به أن اقدام الولد عبد الله إلى ذلك المحل بغي لا يرضاه الله تعالى إذ هو مما « بياض » عقودهم واشتملت عليه عهودهم وخروج أهل يافع عليه من الدفع الذي أوجب الشَّرع وندب إليه فإن كان هذا الاحتشاد تجد يداً للمخرج، فأخبروني ما المخلص عند الله وكيف المخرج فإني حائر في أمري وناظر لنفسي ولمن ورائي من المسلمين مع أني لم أضع ما وضعت إلاّ في مشهد عظيم من الرؤساء والعلماء ووجوه أعيان حاشد وبكيل وأعيان من عليهم المعول من كل قبيل وصدر كتاب من المتبصرين منهم في الدين مستفهمين لأمر المؤمنين ومسترشدين وحق الله تعالى أكد الحقوق ، فالخالق أولى بالمراقبة من المخلوق ، وما توفيقي إلاَّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب على أني لا آلو جهداً في النصيحة والمشورة الصادرة عن نية صحيحة فأقول أن هذه البعوث الذي بعثتم وإن كثر سوادها وجلَّ عددها وأعدادها إن تقدمت إلى حدود القوم كانت لهم غنائم وكان ذلك والعياذ بالله وهن المذهب[1] وفضيحة آل القاسم فإن المشرق اليوم حمرة لا يلتقى إلا بمثل أهله في القوة والكثرة ، والرأي هو سداد هذا الثَّغر والإعراض عن مناهضة الشّر بالشر ، والإشتغال بما هو أهم وما المعنى ألزم من السعي في إصلاح ذات البين وتخليص السيرة من كل شين ليؤخذ في الإستعداد وامتحان الأجناد وأهل الصبر على الجهاد ومتى استكملت الأهبة وجوزت العقول بمعونة الله الغلبة يطلب الوجه المبيح لجادهم والوجه المسوّغ لشن الغارات إلى بلادهم لنكون من أمرنا على بصيرة وتكون أعمالنا على صلاح نيّة وحسن السَّريرة والسيرة وأما التهافت على مناهضة الأعداء الذين قد أجدّوا على النزال ، وأعدوا له عدة السِّلاح والرجال

---

(١) بياض في الأصل .

والحال، هذا فيه اختلاف الرأي وتوسط العهد والصلح الذي أنطوىٰ عليه ذلك العقد مصارم لقضايا المعقول ومراغم لأدلة المنقول، ونعوذ بالله من الخذلان ، ونسأله العصمة عن مكائد الشيطان وهو المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

وتعالت اعناق نار الوحشة بين جمال الدين علي وبين الإمام أخيه وانهار أكيد البناء وكثر الشاكي والباكي وسنحت آراء الأطماع ومدت الشباك ولما أعيت الإمام في هذه الأمور الحيلة ورأىٰ صلاح أمور ذات البين مستحيلة أنهىٰ الشكاية بلسان الدّموع الغزيرة إلى الملك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، ويقال دعا بدعاء أمير المؤمنين، وفوق سهماً بان أثره للحين، وكان لديه شكاة من أخيه راجعة من أجلهم، فلم ينجع فيه القول فبَيْنا هو في حيرة من الأمر يخوض من تيار النظر في غمر، وافاه البريد بوفاة أخيه جمال الدين علي بن المتوكل على الله على جهة الفجاة للحين ودفن في مدينة إب بقبة الكاظمي غربي المدينة المذكورة وتعب عليه الشّيخ والصبي فقد كان من الملوك الأكابر ومن شعراء الآل وعلمائهم الأخيار، سمع على والده الإمام المتوكل ستين كتاباً ومن مشائخه القاضي محمد بن صالح العلفي، والقاضي أحمد النجىٰ وكلاهما أخيار علماء مبرِّزين في علوم أهل البيت وغيرهم وما اجتمع بباب ملك باليمن ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعراء المفلقين وبه تحلية وإنما يجلب إلى السوق ما ينفق فيه ومن شعره المرقص المطرب الشاهد له بالإحسان المغرب ما كتب به إلى صنوه الحسن بن المتوكل فأحسن ومضىٰ به طرف الإجادة في حلبة التبريز طلق الرسن، وهو هذا:

أتراه يسلو الواله المشتاق	يوماً فيهدأ قلبه الخفاق
هيهات أن يسلو مشوق داؤه	تلك القدود الهيف والأحداق
ما زال يكتم شوقه فيذيعه	من مقليته المدمع المهراق

وإذا تألق في السديرة بارق ... لعبث به البرحاء والأشواق
يا صاح(١) عج بي نحو جبلة ان لي ... قلباً إلى تلعاتها يشتاق
ربع عليه من الطلاوة رونق ... لما علاه من الغمام دواق
رقت منازلها ورق نسيمها ... فالماء في ساحاتها رقراق
وترى بدور الحسن وهي طوالع ... من دورها هالاتها الأطواق
هي جنّة الدنيا فما في صفوها(٢) ... كدر بذلك زانها الخلاق
هي نقطة البيكار في اليمن الذي ... جمعت به البركات والأرزاق
ما في سواه لرائد أو ناظر ... طمع لحزنك دونه وفراق(٣)
أنشد إذا ما شئت ساكن غيرها ... بيتاً به تحدى المطي وتساق
ما الجزع أهلاً أن تردد نحوه ... نظر وتصرف دونه الأعناق
حاشا حبوراً فان فيها ما جداً ... حسدته لما حلّها الآفاق
خدن المكارم والمحامد والتقى ... زاكي الأصول السيد السَّباق
حامي حمى الإسلام والبطل الذي ... في فعله لمقاله مصداق
لا طائش يوم النزال وقاره ... فزعاً ولا عن ما يروم لصاق
في السلم تلقاه بصدر محافل ... في العلم للعلما به أحداق
وتراه يوم الروع في رهج الوغا ... كالليث اجمته قنا ورفاق
أأخا المعالي هاك نظماً من أخ ... أبداً إليك فؤاده توّاق
ناجاك وهو معاهد ومعاتب ... والعتب بين ذوي الصفا ميثاق
فأصخ له واعره سمعك انه ... عتب لملذوع الأخادر باق
ما بال عهدك بالبعاد تقلصت ... أفياؤه وانحل منه وثاق
أقلاً فمالي حيلة بعد القلا ... سَيَّان عتب بعده اشفاق
وأنا امرؤ ما شاب إيمان الوفى ... في الحل والترحال منه نفاق

---

(١) من هنا أورد قطعة المؤرخ زبارة في العرف ج ١ ص ٢٠٥ .
(٢) النشر : « وصفها » .
(٣) النشر : « طمع فلا يحزنك منه فراق » .

أخلو فأخذ في الحديث عن النقا | وإليك ذياك الحديث يساق
لا سرحة الوادي أريد وإنما | اعنيك يفهم ذلك الحذَّاق
وإليكها عذراء ابنة ليلة | لذوى البلاغة عندها اطلاق
جوابة لا يستقر لركبها | في كل يوم صحبة ورفاق
تمسي تجاذبها الرواة وتغتدي | فوق البسيطة سيرها اخفاق
فاستجلها كالشَّمس مدحك زانها | فيها على بدر السما اشراق
فمن القوافي ما يعاف وهذه | مما يلذ سماعه ويطاق

وفي هذه السَّنة كسف القمر كسوفاً استولى على جميع جسمه وبقي من وقت العشا إلى هزيع من الليل ثم تجلى وكان في منزلة الشولة والنعايم ، وهما من غير ذوات الكسوف فيما أجرى به العادة من له التصرف الدائم ، وظهر في هذا الشهر والذي قبله دود في أرض اليمن يقال له السرى أكل الزَّرع والكلأ وماتت به الأنعام حتى أسد الشرى ، فسبحان من له الأمر بغير ظهير ، ومن له الملكوت الدائم وهو على كل شيء قدير .

وفيها جَهّز صاحب المنصورة ولده الفخري عبد الله لأخذ بيت الفقيه ، وزبيد وانتزاعهما من تحت يد الحاج عثمان بن زيد فظهر عليه وكهل وطرده عن المحلة والمحل ولمح المرهبي إلى هذا بقوله في أثناء قصيدة طويلة أبان فيها عن طوله :

تغلب عثمان فظنَّ بجهله | بأن ليس في الدنيا له من مغالب
فسار إليه فخر آل محمد | معدّاً على الجرد العتاق السَّلاهب
فصَبَّحه في عسكر قد تحالفوا | على الموت إذ لم يظفروا بالمآرب
فصار[1] أسير الدَّار عثمان بائساً | وكان قتيل الدَّار[2] لو لم يخاطب

وفي سنة ١٠٩٧ في ليلة الجمعة ثالث شهر جمادي الآخرة توفي الإمام

---

(١) السحر « فآض » .

(٢) إشارة إلى الخليفة عثمان بن عفان .

المؤيد بالله بن المتوكل على الله بن المنصور بالله القاسم بن محمد أعاد الله من بركاتهم آمين فشفَّ الناس لفراقه التبريح والكمد وأظلّهم غير المترقب، وصار بكل بلدة امير المؤمنين ولقب، وتألم رحمه الله تعالى أياماً وتجرع لأهل دهره غصصاً وآلاما ولما ثقل به الألم نقل إلى حمام ضوران المعروف بحمام على رجاء أن ينفع في ألمه ماء الكبريت ، وذلك بأمر الحكيم، فلما وصل الحمام كانت به وفاته، فحمل على الأعناق إلى ضوران، ودفن بجنب أبيه وصار إلى ضوران، ويقال ان بعض من أذتل[1] منه سريعاً سقاه سمّاً نقيعاً، فإن صح فيا لها من جريره، والله أعلم بالسريرة، وكل ذلك في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، ولما مضى لسبيله اختلف آل القاسم فرقاً وملىء بعضهم من بعض خوفاً وفرقاً، وطمع الكل في الخلافة وكادت تقوم القيامة، وكان المؤيد أوصى إلى أخيه ضياء الدين يوسف بن المتوكل، وما من رأيه في الخلافة الوصاية وكاد يتم له الأمر، فصال دونها ذلك الهمام صاحب المنصورة وكان دعى الحسين بن عبد القادر بكوكبان والحسين بن محمد بن أحمد بعمران والحسين بن الحسن برداع وعلي بن أحمد بالشام، وصارت الأرض بهذا الاختلاف ترجف خيفة

(١) كذا في (د) والسحر وفي (ر) أصلحها إلى « أرتد » ولا معنى له .

تاريخ اليمن

عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول

من سنة ١٠٥٦هـ إلى سنة ١١٦٠هـ

تأليف

الأديب العلامة حسام الدين محسن بن الحسن بن القاسم بن أحمد
بن القاسم بن محمد الملقب بـ "أبوطالب"

المتوفى سنة ١١٧٠هـ

الجزء الثاني

تحقيق

عبدالله محمد الحبشي

مطابع المفضل للأوفست

[ابتداء دولة ذي الثلاثة الألقاب

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم وبه نستعين][1]

قال مؤلّف هذا الكتاب الابتداء بذكر خلافة ذي الثلاثة الألقاب وهو الناصر والمهدي والهادي ، ولكلّ لقب من هٰذه الألقاب زمان ، اسمه محمد بن أمير المؤمنين المهدي أحمد بن حسن كان أوّلاً بالمنصورة من أعمال الحجرية وهو الذي جال وصال واحتوى من المجد على جميع الخصال ، أسعدت له الأقدار، وكان مولده يوم الثلاثاء سابع شهر جمادي الآخرة سنة ١٠٤٧ ، وحين أطال المؤيّد السّفر ، ووسّد اليمين في الحفرة صال على الدّعاة ووثب ، ولم يلبث أن أخذهم جميعاً عن كَثَب ، وغاية ما ظفروا بالألقاب مع صرف وجُّهها عن الجميع ، وكان شرف الإسلام الحسين بن علي بن المتوكل تَولّىٰ ما كان لأبيه بجبلة ، وبايع عن عمّه يوسف في الجملة ، وتحرّك حينئذ صاحب المنصورة ، بعد أن أدَّعىٰ وتكنّىٰ بالنّاصر ، فجهَّز ولده عبد الله ، وصنوّه إبراهيم بن المَهْدي إلى حرب حسين بن علي بجبلة ، فلَمَّا وصلا إليها كاد مَن بجبلة لشأفتهما يستأصل ، وصار إبراهيم بن المهدي إلى النجد الأحمر ما بين إب وجبلة انحاز إلى دار من قراها وقد منعه الوادعي من جهة الحسين بن علي الذّهاب والممر ، وكانت تقطّعت أصحابه ودار الخوض بينه وبين الوادعي

---

(١) هذه الزّيادة في (ر).

في الاستسلام ورصد له الوادعي بمسجد هناك تحت الدار، وهو يدور الكلام في الصلح والإبرام، وكان إبراهيم بن المهدي شرط حصاناً له فقال الوادعي لا شرط ولا سبيل إليه واتفق أن بعض أصحاب إبراهيم بن المهدي لاحت له بالمسجد يد الوادعي وهو شابك بها على ركبتيه فأطلق من بعض خلال الدار بندقة عليه فأصابه برصاصة كان فيها حتفه فانكسر حينئذ جمع الوادعي انكساراً لا يمكن وصفه وبعد قتل الوادعي تأثل أمر صاحب المنصورة، ودخل ولده عبد الله مدينة إب وقلبه مستطير فرحاً واستولىٰ على الجهات وخفقت بالنَّصر له الرايات وعظم شأنه وضُرِب المثل بنبالة عبد الله، ونسب إليه منها ما لا يدخل في الإمكان، ولما غازل الإقبال دولة الإمام الناصر، مَدّ إلى الأقطار بيده، واستبق النَّاس إلى البيعة له ظاهراً وباطناً، وردّت الموالاة له من أكثر آل الإمام بالإشارات والكِنىٰ، ودخل الكل تحت أمره قَسراً ومَن تأبىٰ كان في جملة القَتْلىٰ والأسرىٰ، وكان ولده الفخري عبد الله بحسب ما فتح له ولايته، فلم يحقق والده له الظن، فولّىٰ بعض ما افتتح منه وإليه ولم يؤامره، ولا عرج عليه فحصل مع الفخري المقيم المقعد، ولم ينطلق للعامل ولم يسعد، وعلم أن والده لبس جلد النمر، وبرز له ولغيره في حلّة المشمّر، وقدَّر أنه إذا تم له الأمر قَمره [قدحه][1] وغيره أي قمر، وأمكنت أهل المَيْل إلى جناب ضياء الدِّين يوسف بن المتوكل الفرصة، فعظموا على الفخري الأمر، وما زالوا به حتى أسعدهم إلى خلع أبيه ومكاتبة يوسف بن المتوكل بالانتماء إليه، والدخول فيه فحمد له ضياء الدين ذلك الانتماء، وأذن له على أبيه في تحريك الدهما فاجتمع لحرب الناصر آل الإمام وقدم الناصر ولده إسماعيل نحوهم للصِّدام، فما استقام بإزائهم، وأسر وبعث به إلى ضوران إلى ضياء الدِّين يوسف بن المتوكل

---

(١) ساقط من الأصل والزيادة من السحر المبين.

فبشّر به وتلقّاه وأحسن نزله وأكرم مثواه ، ولما صار الفخري من جملته ، وكان أعرف بطبع أبيه وأعرف بعلّته فأطلق إسماعيل بن الناصر ، وكان أرجعه إليه ضياء الدِّين يوسف بن المتوكل ، ورام بذلك التَّقرير من أبيه والتَّسكين ، فصار إليه مكرَّماً وأطلق له الخوض مع أبيه في الانتماء فتوجّه على ذلك ، وأقسم لأخيه ليبلغ الجهد فيما هنالك ، وكان اتصال إسماعيل بن الناصر بصنوه الفخري عند مجيئه من ضوران بالدمنة وهو بها مثاغر لأبيه ولديه من الجمع ما لا يحصيه ، ثم إن الفخري أفاض على أخيه إسماعيل ، وعرّفه أن الموجب لخلافه على أبيه توليته البلاد التي استفتحها ، وسأله الوساطة في الصلح والإعانة ، ثم أطلقه إلى أبيه ، وقد تَحقَّقَ الحال الذي هو فيه ، فلما بلغ إسماعيل إلى أبيه ، ومَثَّل بعد الإياس لديه ، عرض عليه ما وَصَّاه به ضياء الدِّين يوسف بن المتوكل ، فلم يرفع رأسه إلى ما قال واستعد معهم للقتال واستمر من الإعراض على النمط ولم يلتفت إلى الصلح [قطّ][(1)] فصار على حرب الإمام النَّاصر جميع آل الإمام يد واحدة وكانوا في عدَد وعدّة ومن البلاد تتواصل إليهم المادة ، فأحاطوا بالمنصورة إحاطة السِّوار بالمِعصم ، فكادت تقتلعه ريحهم للإعصار ، وأضرَّ به الحال مع ضيق الحصار ، وكان جملة العسكر في غاية القلّة [ومَن رآهم ظن أنها لا تسَدّ بهم الخلة][(2)] ومع ذلك فتعذّرت لديه النفقة ، وقد يَتحصَّل له اليسير على مشقّة ، وما برح بينهم الحرب والمناضلة في كل أوان واشتد به الكرب وكادت لضياء الدين يوسف بن المتوكل تسعد الأيام ، ولم يَبْق دون أخذ المنصورة إلّا تدَبّر الأمر ، واشتد بالمنصورة الحصار وألوت بها الجنود من جهة اليمين واليسار فدار خوض بينهم وبين صاحب المنصورة في الخروج عنها إليهم مسلماً ،

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

فبادر إلى الإسعاد لهم (وجدع قصير أنفه لأمر ما)[١] فشمل المحاصر له بذلك الجدل ، وتحدّث الناس أنه ما طلب الجِمَال إلّا وقد ذلّ ، فيَسَّروا منها ما طلب[٢] [والمُلك بيد الله والدنيا لِمَن غلب][٣] وكان الماء نفذ لديه ، فأخبرني مَن لا أظن به الكذب: أن الناصر سأل الله في ذلك المقام وفرع جسمه وعفر الخدّ وأجرىٰ من عيونه الدمع فعندها افترت ثغور البروق بتلاليها وأرخت السَّماء من عواليها فامتلأت المناهل وما بات بيومه غير ناهل فأمر بالجمال التي استدعاها لحمل أثقاله فصرفها ، وأضرب عن الخروج وما كان عزم عليه[٤] وكانوا صابحوه بالحرب وماسوه وقتلت الأمة وهي تصب الماء على يده لقرب الدار ، فلما كان يوم الخميس من أيّام شهور هذه السنة برز النَّاصر صاحب المنصورة في عدد يسير والجدّ معه [حيث][٥] يسير ، فَحصَل حرب ما بلغ سيله الحزام ولا يؤدِّي مثله إلى الانهزام ، فما كان أسرع من انكسار الأمراء ، ورجع الجميع بعد التقدّم إلى وراء ، فاستولىٰ على الأمراء وأودعهم دار أدبه ، وشدّد على ولده عبد الله بالتضييق ويُقال همّ بقتله من غير تحقيق[٦] ، ثم نظر بعد ذلك وإذا الأجناد بالمنصورة كالهالة عليها وإنما خرب بيت مجدهم[٧] فخاف

---

(١) من الأمثلة السائرة يُضرب لمن يحمل نفسه على مشقة عظيمة لنوال أمر عظيم. انظر المستقصي ٢/٢٤٠، ومجمع الأمثال للميداني ٢/١٢٣.

(٢) السحر فيسروا الذي طلب.

(٣) ساقط من (ر).

(٤) هنا زيادة مهمة في السحر «ويقال أنه شحن بالبارود المحلة وعزم أن غلب بتحريق نفسه وأهله، ثم إن الحرب رجع كعهده، وقتلت الأمة التي كانت تصب الماء على يده، وتنافس أمراء المحاصرين له بينهم وترفع على الآخر كلٌ منهم، وهو مع ذلك يمنّي عسكرهم ويفسدهم ويعدهم الإحسان ويتوعدهم، وكان الكبر قد استولى على كبرائهم والتغفّل حفّ بهم قدّامهم ووراءهم، وقد كانوا في الجيوش المتوافرة والأمداد المتكاثرة، والقلوب التي هي غير راغبة عنهم ولا نافرة، وإنما غلب عليهم بجدّه لا جنده، والأمر لله وكلٌ من عنده».

(٥) ساقط من (ر).

(٦) السحر وليس بحقيق.

(٧) السحر «وإنما دخل إلى بيت مجدهم بسنادهم».

العاقبة ، فدبَّر في تفريقهم فبثّهم بالأوامر في البلاد ، وفرّقهم في الأغوار والأنجاد ، فانفصلوا عنه للحين ، بتلك الأوامر فرحين ، وعندها خفقت القلوب من هيبته ، فوضع على أبناء الإمام الأسارى الحَفَظَة وجاوز الحدّ على ولده بالغلظة ، وكان الأمراء الذين تحت الحفظ أسرىٰ عبد الله بن يحيىٰ بن محمد بن حسن ، والحسين بن علي بن المتوكل ، والمحسن بن المتوكل ، فدبَّروا حيلة في الفرار ، وكان الجميع في مكان واحد والمأمور عليهم أحمد بن هادي[1] عثمان ، وكان لا قلب له مع ذلك الجثمان ، فأحكموا المذكورين أمر الخلاص ، مع غفلته ، وكان بالدار الذي هم فيها كوّة إلى محل خالٍ بقرب حيد [يتم منها التدبير لمن أراد الكيد][2] والهوىٰ بين الكوّة والحيد قريب فصرفوا وجوه الاحتيال إليها وتلطّفوا في اقتلاع الشباك التي عليها وصبروا حتى اسودّ جلباب اللّيل ، ثم انسابوا من ذلك الطاقة فقطعوا بالليل أوصال الجبل المخوف ومشوا من سمالقة[3] على مثل حدّ السيف وبلغوا إلى هيجة[4] يحتطب منها[5] منها فتواروا بين أشجار ، وكان الناصر أرسل مَن يفتش عليهم في الطرقات من أهل

---

(١) السحر «العلفي بن عثمان ولا قلب له مع ذلك الجثمان».

(٢) ساقط من (ر).

(٣) قال في المحيط: السملقة القاع الصَّفصف.

(٤) الهيجة الأرض الكثيرة الأشجار.

(٥) في (د) و(ر) يختطف والإصلاح من السحر «بخط المؤلف» وفيه تصوير أدبي للموقف لا يخلو من فائدة يقول:

«وقد كاد يفضحهم الصيخ ويدرك الطلب فواروا شخوصهم في تلك العياص مع وجل شديد أن يعرف بمكانهم لاحق أو يدل قناص، ومع ذلك فأصوات مَن ندب للحاقهم قد ملأت الفياج، وأنهم يسمعوا هجر القول فيهم والعرض المباح، ولكن الشجر الذي تواروا فيه عريق يؤمل السلامة به من سلك المضيق، وإن كان بجنب الطريق وإن اللاحق ليمر لا يدري بمكانهم وإن عيونهم لتقع على أعيانهم لطفاً من الله في ذلك الحال بهم أن ينضاف الكشف إلى غلبهم، فإنه لو ظفر بهم على ذلك الحال ما أبقى باقية ولكانت القاضية وسلك كل واحد منهم لطريق يشك الوجا ويغص بالريق».

الاختبار ، فمنّ الباري عليهم بالستر في ذلك الحال ، ورجع عنهم الناس بعد هذه الأحوال ، ثم ذهب الفرّارون كل واحد منهم طريق ، فأمّا عبد الله بن يحيىٰ فجاءت طريقه العدين ، والحسين بن علي صار إلى المخا وبها عمّه ضياء الدين زيد بن المتوكل عاملاً عليها من جهة أخيه يوسف بن المتوكل في الظاهر ، وقد عمل لنفسه في الخلاص من الورطة مع الناصر ، وامتلأت القلوب والصدور للناصر عظمة وخوفاً وسارع الناس في الوفادة عليه حسب الإمكان ، ووردت عليه البيعات من كل مكان ، وما حصل الفخري عبد الله بن يحيىٰ والشرفي الحسين بن علي من هربهما على فائدة . وأمّا ضياء الدين زيد بن المتوكل فترك المخا في وجه ابن أخيه الحسين بن علي للأسباب ، وقنع من الغنيمة بالإياب ، وكان أصلح ما بينه وبين الناصر ، فسلم بذلك من المحن ورآها له الناصر في السرّ والعلن ، فوجهه لما أطاعه للمحراب(١) ، وخرَّ راكعاً وأناب ، فما كان فيهم إلّا كوقفة خطيب(٢) [واهتزاز قضيب](٣) حتى دان الناس بطاعة الناصر [وتم لهم من الأموال ما يفوت حصر الحاصر](٤) وترك الحسين بن علي المخا وسلك إلى دياره على تهامة ، فشفعت فيه والدته كريمة الناصر ، فكفّ عنه للرحامة وكان ترك في المخا الفقيه حسن الآنسي له في جهة النائب فقرّره على ذلك الناصر غير متّهم له ولا هائب ، وما زال عبد الله بن يحيىٰ يطوي المراجل حتى أناخ بصعدة وما زالت ترامي به البلدان والتنقّل من مكان إلى مكان ، حتى رجع إلى اليمن فأمر الناصر بقيده وسجنه فثارت لذلك به حرارة آلت به(٥) إلى دفنه .

وفي سنة ١٠٩٨ تَهَيَّأ الناصر لطلوع البلاد العالية وكان وافىٰ به من

---

(١) المحراب قرية في عزلة ذري من ناحية شهارة.
(٢) أي وقفة الخطيب بين خطبتي الجمعة.
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).

الأعيان جملة وافية ، ونشر الإقبال على عروس دولته نفائس اليمن البادية والخافية ، فرحل عن المعافر من حصنه المنصورة والأعلام تخفق عليه ، وعيون الأعيان للرغبة والرهبة ناظرة إليه ، وحمل ما بالمنصورة من الأثقال والأهل ، فلما بلغ المحرس[1] ضرب أعناق لصوص طال فجورهم ، فكان أوّل شيء بدأ به من الفتك ، ثم صار إلى إب وطلع عقبة بعدان وما أدراك ما العقبة نيطت الحبال إلى الشقادف بها إلى ظهور الرِّجال ، وأيديهم إلى الرقبة ، وكان على الناس بهذا كمال المشقّة ولقوا منها عرق القربة ، وقيل ان جنوح النَّاصر إلى هذه العقبة والطريق الصعبة لملحمة عرفها وحِسْبَة ، ثم استمر منها إلى ذمار وعسكر أهل يريم ونحوها من أهل تلك الدِّيار لا يؤمن معهم من عدو وللحِصَصِ أفعال وكان ضياء الدِّين يوسف بن المتوكل عند طلوعه ضوران ولديه ربّ ظمآن إلى الهيجاء حَرّان ترامي همّته بالشَّرر ، ويستدفع بأقدامه الضرر ، [وكل أشعث أغبر من أهل الوبر والمدر ومن نهجت له الطريق مشىٰ ووجه الحكمة في غشاء والملك بيد الله يؤتيه مَن يشاء][2] وكان شرف الدين الحسين بن الحسن برداع أعلن بموالاة الناصر وبايع له لما رأىٰ لديه التقاصر وقارب وما أبعد ، ودبّر تدابير لم تتّفق له من بعد ، ولما وصل الناصر ذمار وجبت من خوفه القلوب وحين استقرّ بذمار بأويس[3] حنف بزيد الجملولي من بخيتة طويس[4] وكان بصنعاء مع الحسين بن المتوكل قطب الرحا الذي عليه المدار وإليه يرجع أمره في الإيراد والإصدار وصرفه المؤيّد في آخر أيّامه عن وزارة

---

(١) المحرس عقبة مشهورة ما بين إبّ وتعز.

(٢) ساقط من (ر).

(٣) أويس موضع هناك.

(٤) كذا ولعله يعني أن بختة أي حظّه كطويس وهو رجل اشتهر بالشؤم يقال انه ولد ليلة مات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفطم يوم مات أبو بكر وبلغ الحلم يوم قتل عمر، وتزوج يوم قتل عثمان وولد له ولد يوم قتل علي (انظر المستقصي ١/ ١١٠).

أخيه الحسين بن المتوكل وألزمه البقاء بحضرته وبهذا اتّهم بسُمٍّ المؤيد ودعواهم أنه كان يخالط الطبيب وأنه رصد غفلته وغلامه يهشّ[1] عقاراً صلبياً ولما عرف غفلة الطبيب عن المكان أودع الغلام سمّاً بلطف في خلطه بالعقار ، فلما تناول الإمام المؤيّد من العقار أدرك حرارة مفرطة وأشار إلى الطبيب يستفهمه من هذه الغلطة فأخذ منه الطبيب بلسانه يرفع عن نفسه التهمة فأدرك من الحرارة ما أدرك الإمام وعرف [أنّه قد أتى والإمام][2] من جهة الغلام [وأنّه قد أصاب السهم وتمّ الكلام][3] فتعلّل الحكيم يروح إلى صنعاء يأتي بعقار مفيد ، وكان من ساعته إلى حيث يريد ، فبلغ إلى نقيل يَسْلح[4] ، وحلّ به أجله والإمام هلك هو وإيّاه في يوم واحد وشاع هذا على الجملولي وقرّره القوم ، ومع وفاة المؤيد رجع الجملولي إلى مخدومه الحسين بن المتوكل ، وبلغ جهده في نصحه [حتى طمع لحق بغريمه][5] ، وكان في التحقيق الأمر له بصنعاء وإليه النظر بها تصرّفاً ومنعاً ، وبلغ في نصح صاحبه الغاية ، وخفّ نظره عن العمل لنفسه لتخفيف الدراهم بالسراية ، والملجىء له تقاصر الحال بأتساع العطايا ، فصاحبه قائد الملك الجسور فتعدمت لديه بهذه القروح المراهم ونسب إليه الناس أنه يشاطرهم أموالهم ونساءهم وألصق إلى جداره بهذا كل قبيح وطال القول فيه واتسع [وتراسلت ثعابين المقت وكلها نسع ، فقيل هو دَهْري وقيل ساحر يعتقد الفعل للنجوم حفير وهو يرىٰ مما ذكروا وله أعذار فيما أنكروا ومثلما فعل جرىٰ وهو يجري ويفعله

---

(١) هشّ الورق خبطه بعصاة ونحوها.

(٢) ساقط من (ر).

(٣) ساقط من (ر).

(٤) نقيل يسلح : هو مشهور يطل على جهران من الشمال وهو الممر المفضي إلى خدار فوعلان فصنعاء.

(٥) ساقط من (ر).

للضرورة المسوغة التقىٰ والجري وسَبْر الأئمة بمثل ذلك مشحونة وكم فرقة يحتاج الإمام إليها ومعونة ولم يخل ولي أساء أم أحسن من طاعن في السيرة وللبغضاء أسباب ولهوىٰ النفوس سريرة وإنما ألجأه أنه قابل أسداً فراساً وتمكّن الصوب منه في الرأس][1] وكان من أمر الجملولي المذكور أن طلبه النّاصر إليه وهو من الغيظ مملوء حنقاً عليه ، فما وجد له انفكاكاً من النزول على حكمه والرضا بالقضاء لما جفّ به القلم في علمه ، وما خطر على باله أن الليث عادي ، وأنّه عند القدوم يروي بدمه النادي فطلب من المنجم [يختار له][1] وقتاً صالحاً للزيارة عليه فرصد له ما أطمعه بأن عروس الوزارة حال وصوله تزف إليه فامتطىٰ أدهم الليل ومضىٰ بسرعة فلما وصل إلى الناصر ، ووقعت عينه عليه [ومثل واقفاً بين يديه][1] أمر بتجريده عن الملازم [ومضىٰ قبل تلقي عليه الجوازم] فطاحت هامته وقامت قبل الآن قيامته ، وما أفاده التنجيم فخرّ صريعاً وصار أثراً بعد عين وإلى [اختيار المنجم له] الوقت أشار السيّد عبد الله بن علي الوزير بقوله:

من بعد ما عاينت زيداً لم أر
قول المنجم غير زور فاضح
مسراه في سعد السعود فلم غدا
في صبحه في كف سعد الذابح

ولما فتك الناصر هذه الفتكة وأبان القوة من بعد ركة ولا عمد بمثل ما فعل ومضىٰ العهد في الأعصر الأول خفق كل قلبٍ لذلك وضاقت لا سيما بآل الإمام المسالك ، وكان شفع قتله بفقيه من المحرس ، سمع عنه عند طلوعه من هجر القول ما أصمّ وأخرس ، فساقته المقادير إلى أويس ثانية مع شكاة فأغلظ في القول فأمر بضرب عنقه في الحال ، وقال هذا الفقيه من بغضاء الآل [وطال مسلك] الحسين بن المتوكل [بعد قتل الجملولي

---

(١) ما بين المعقوفين لا يوجد في (ر).

في البسيطة وصارت الأوهام به من جهته محيطة وترك صنعاء وملكها وأجرى في بحر السراب من همته فلكها وما استقر إلاّ بصعدة الشام وإليها تراسلت الهراب من بيت الإمام وصارت كالملاذ لهم ، وصاحبها فاستمر في أثواب دعوته ترفل ما حام حول مولاه وتمثل بهذا البيت فأملاه:

ولا بـد من يـوم أغـر محـجـل
يـطول استمـاعي بعـده للنـوادب

وكان النّاصر طلب من يوسف بن المتوكل وهو بضوران الإتفاق وجذبه بطلاسم المجد وأفاق فلبّىٰ دعاه ، بجيشٍ عظيم قدره ثلاثة آلاف لا قِبَل لمن بمخيم الناصر بهم من الألفاف ، فظن أن يوسف بن المتوكل ما جمعهم إلاّ لشرٍّ يريده وأن أمره كما بداه يعيده وضياء الدِّين في الطرف الآخر ويود لو مد له في الرأي أن يتأخّر فشاور الناصر القاضي حسين الحيمي وكان استوزره بعد عثمان ، فقال: قد وافىٰ في هذا الجمع ولا أمان ، وإنما نحن في أفراد من النّاس ومن لا يعرف إقدامه إذا احتيج إلى المراس والرأي أن يستطلع حقيقة ما لديه بأن يؤمر بالخطاط[1] ، ويُشار إليه في الوصول فإن فعل فقد أذعن [وإلاّ يفعل ولا يومن] فبادر ضياء الدين بالانخراط يفعل ما أشار إليه وكان رأىٰ الإقبال معه وما اشتمل عليه فوافىٰ به في عدد يسير ووكّل الأمر إلى التيسير فعقد لوصوله مجلساً أرعد فيه وأبرق وخاطبه في ترك تلك العلق وأمره بالارتحال إلى صنعاء بأهله ، ولم يبق منه إليه في ذلك الحال غير إخفاق المسعىٰ ، وإلى أويس وهران[2] اتصل الوفد بالنّاصر من كل مكان واتسع باع ملكه وعظم الشأن ، واحترك بما أبان عن قوة سلطان وحصل من ملك اليمن على جمل الفوائد واخترع رسوماً غير تلك القواعد ، وكان ولّىٰ صنوّه إبراهيم بن المهدي

(١) هو وقوف العسكر مدة من الزمن على الأهالي.
(٢) هران: جبل شمالي كوكبان.

أحمد ريمة وكان جعلها من قبل تحت نظر الحسن بن المتوكل مع الاختلافات القديمة ، فنزعها عنه ولم يمهل ، وولّاها زيد بن المتوكل ، ولم يطل فخرج عنها إبراهيم بن المهدي أحمد ، وكان لبس لزيد بن المتوكل جلد النمر ، واحترك معه بما أوجب غضب الناصر عليه المستمر ، وكان الصارم طلب(١) جعلا ريمة تحمل الأثقال كما هي قاعدة أهله على مرّ الزمان والأحوال فراحوا بما حملوا إلى بيوتهم ، وعند هذه الأمور ، دانت بطاعة الناصر السّهول والجبال ، وغَنّت حمائم سعد ، على فنن الإقبال(٢) ، ثم إنه التفت على حرب ابن عفيف وأوجب على نفسه ذلك على الفور بتحمّل التكليف واستشار مَن بحضرته(٣) وكان عبد الله بن علي جميل من أحزابه بالظهرين فوجَّه(٤) الخطاب في الشُّورىٰ إليه ، وأراد بذلك استطلاع خباياه وما لديه فقال أرىٰ التأخير في هٰذا الحال حتى تنساق الطعامات وتوفر الأموال ، وأما والخزانة ليس بها شيء من المال(٥) فالحرب معهم من المحال(٦) فكلح في وجهه واستغشّه(٧) وما شعر الناس إلّا بالناصر راكب على جواده يؤمّ نحو باب الفلاك(٨)(٩) وأمر بالنفير ، ولم يلتفت إلى قول مشير ، وقال سينهد بنفسه على ابن العفيف ويطأ بسنابك الخيل معقله المنيف ، فتوجَّه علماء ذمار في اليوم الثاني ، وقالوا: بعض مقادمتك بكفّيك هذا ويغني ، وما زالوا به في مراجعة حتى رجع وفي عزمه

---

(١) في (ر) الناصر ويعني بالصارم إبراهيم بن المهدي.

(٢) (د) بزيادة «وهابت جانبه حتى في أحقابها المواضي».

(٣) (د) بزيادة «من أعيان دولته».

(٤) في (د) بزيادة «وصار بالقسر من جملته».

(٥) في (د) بزيادة «وأما وجيد الخزانة من حلي التوفير عاطل».

(٦) (د) زيادة «الباطل وقد ينقلب المذود ولايتهيا العود».

(٧) (د) زاد «ويعارض التأنيث بلّة ورشّة، فقال: هذا في الحال ما أراه ولست ممّن سدّد سهم كيده وبراه وفارق الإمام والأمر غير مختوم».

(٨) باب الفلاك: قرية من عنس على مقربة من ذمار.

(٩) (د) بزيادة «وقد اعتقل بعض رماح الهزّ ويلاقي أطرافه ويقول ابن معوضة مَن هناك».

التجهيز من حينه إلى حيث الوجع ، فقال ابن جميل أما وأنت لا تريم ولا تميل فضع على البلاد معونة ، والأمور بالأوقات مرهونة وبالمال مع العزم تؤخذ الخصوم ، واستَخر الله تعالىٰ فيها البلاغ إلى ما تروم ، فقال: قد حقّقت فيك الخيانة ، إذ تشير على أن أبتدىء الدولة بطلب المعونة ، فقال بغير الرأي لم أنصح [وقد يفيد الظنة المستنصح][1] ، فاجعل مرسوماً مطلقاً لا تقدير فيه وانفذ من تراه ممّن ترتضيه ، فجنح إلى قوله الأخير ، وأمر بأن يتولّىٰ العمل به المشير فاستناب مَن يقوم لديه جملة من الخدم ومضىٰ لقبض ما أشار به من الاستحسان على قدم ، فجمع من ريمه والتهائم كرايم الأموال وأدّعىٰ طيبة نفوس أربابها واستشهد الأعوال[2] ولما رجع إليه أمر الناصر ولده إسماعيل بمواجهته والحطّ منه بالتبكيت [وإعلامه أن يخيبه بجلبه الوداد][3] وقال له بما أمر به والده فردّ عليه ابن جميل من ضغنه ما أثار واقده ، وأغلظ في القول واجترأ ، وفاه من الحجر بكل بترا[4] وكان إسماعيل حفظ عليه سقطات من القول في أبيه أيّام أسر ، فهو يعدها لوقتها مسر ، فدخل على أبيه وصوب فيه وكان الناصر قد سمع القول من حيث لا يعلما ووجد لنفسه ألما ، فقال لولده لست بشيء إذ ردّ عليك ابن جميل بما سمعت فتأخرت عن جوار مداه [وكعت][5] فقال إسماعيل: سيقول ما سمعت وأعظم[6] إذ صار بعد عداوته من سيما دولتك ثم بادر إسماعيل إلى أخذ المصحف واستقبلها وحلف ، وأخبر والده بمقال ابن جميل [بالدمنة وعلى تلك المقدمات عليه بالإدغام والغنّة فأثار منه الحفيظة ذلك المقال وتنكّر][7] لابن جميل في الحال ، ولم يقله العثرة ولا راعىٰ ما وصل به من الدَّراهم الكثرة ، وحتم عليه بالحبس

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) يعني العوالي الرماح.
(٣) ساقط من (ر).

الذي أقضىٰ إلى الاستمرار ، وما كان مدة أيامه يفارقه لشدة الإكثار ، وحديثه مما يطول شرحه ، وكان الناصر طلب كل قبيلة وأظهر من قوّته العريضة الطويلة فبثّ في الأعطيات الدقيقة والجليلة وبذل الرغائب بغير حيلة ، وكاد يملأ بالجموع اليمن ، ويختلع بهم فؤاد الزمن ، ثم إنه بعثهم إلى عمّه الحسين بن الحسن وكان قوده على السّرايا ومكّن وأمره بالتوجه إلى حرب ابن عفيف وقد جعل على كل قبيلة قائداً منهم وعريف ، وأضاف إلى جابر بن خليل من قبائل همدان جيلاً ، وكان يرفع من شأنه ، وصار له ذكر في سلطانه ، فنهد الحسين بن الحسن بالجموع إلى الحلقة[1] ، وكادت الصولة تفتح الأبواب المغلقة فأزعجه الناصر وأقلقه ، وصار يطلب من لديه فهذا يحبسه وهذا يطلقه واحترك معه بما دلّ على القلق المجاوز الحدّ [وأنّبه في كل كتاب واستجدّ وتمادىٰ معه في البدا ونفث إليه بالموجعات أبداً][2] وما زال الحسين يراجعه فلا يرجع ، وأظهر له المصلحة في التأنّي فلم يفد القول ولم ينجع ، [فلما ألحّ عليه وتوجّه بالمعاكسة إليه وكان حتم عليه بالاقتحام والإقدام وإن زلّت الأقدام][3] ورأىٰ الحسين أن الأمر محتاج إلى النظر والتقحم من غير تدبير يؤول إلى الخطر فكرر المراجعة فلم يصغِ لقول ، وصار الحسين بن الحسن بين شفرتي المقص من الهول ، فأجمع مع الجميع لديه على خلعه والبيعة له وطمع النّاس في الاستراحة بيده لما خبروه فهدّ من طاعة الناصر الطود ، وقوّضت الخيام للعود ، فلما وافت برداع الجموع ، وصار الحسين فيهم المطاع [المسموع][4] قوله بثّ الكتب ذاع فيها إلى نفسه ، فوجّه النّاصر أخاه الحسن بن المهدي إليه ، وأكثر في التجهيز عليه فاتفق

(١) الكلمة الماضية النافذة.

(٢) ساقط من (ر).

(٣) ساقط من (ر).

(٤) ساقط من (ر).

[من الوقائع][1] بينه وبين الناصر [ضروب وهكذا شأن][2] الحروب هذا يغلب تارة وهذا مغلوب ، وأصيب الحسن بن مهدي في بعض تلك الأيّام وزجّه شريف من الجوف برمحه في ساق رجله فانقصف بها فضربه الحسام بن المهدي حتى أباده بالحسام ، وهذا غاية الثبات والشجاعة وحضور الرأي في مثل تلك الساعة .

وفي سنة ١٠٩٩ فيها نظر مَن بقي من بيت الإمام في مآل الأمر بين الناصر وعمّه الحسين بن الحسن وتخادعوا بينهم البين وأملوا اندمال القرح[6] فسال باثنين، وكان علم الدين القاسم بن المؤيد وشرف الدين الحسن بن المتوكل استقاما للنّاصر وتظاهرا بطاعته مع شدة الاحتراز، وطلب الذين صاروا إلى صعدة من صاحبها الانتصاب للمنصب، وأخطأ كلٌّ منهم غرض التدبير ولم يصب، فلما ألحّوا في ذلك عليه وتوجهوا بكل جهاتهم إليه، أشار بالرأي السديد إليهم، وكان في اعطاف جوابه عليهم: أن الناصر من قد عرفتم [والحال فوق ما وصفتم][1]والرأي الآن أن نداجيه ونخدعه، ونسوفه تارة بالانتماء ونطمعه، لأنّنا لو توجهنا لحربه الآن كنّا طعمة لسيوفه، وآل أمرنا إلى الخسران، ولسلط القاسم بن المؤيد والحسن بن المتوكل علينا مع انتمائهما إليه وهما في بحر المال والرجال، ولا قدرة لنا عليه، وسنصرف وجهه الآن عنّا، ونقنع بالمداجاة له منّا وسيلتفت إليهما بكل ذاته فإذا كفينا أمرهما بيده، وسكنت الدهماء ولا أشك في افتراسه لهما، فعندها نتوجّه إلى حربه [ونسلك الحبوس بدربه][2] وقد كفينا جهتهما بيده وتطلبنا الموجبات، وسيكون الفتح من

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) (ر) الجرح.

(٤) ساقط من (ر).

(٥) ساقط من (ر).

عنده، وأما الآن فما يصلح غير أن نمدّ معه حبل التطميع ونسلك معه بجادة المكر الجميع ونوهمه النزول له عن التكليف، وكان رأياً لو عملوا به فيه دقة ولكن طال عليهم الأمد وبعدت الشقّة، ولما رأوه لم يحل عن رأيه، وظنوا به الرجوع إلى ورائه، وكان في هذا الحال علي بن أحمد باقٍ على دعوته، ويرى الموالاة حطّاً من همّته وسقوطاً عن رتبته، ولما آيس مَن صار إليه في ذلك الحال، ومن جملتهم أحمد بن أحمد الآنسي، أخذوا في التشمير وتراود الجميع على المسير فراحوا إلى مكة المشرّفة وأقاموا بها على الصفة المعروفة. وكان قال لهم علي بن أحمد تركتم صنعاء وكوكبان وجئتم إليّ في طلب الخروج مع هذا الإقبال عليه، فلو أنكم حفظتم، المحلات وكتبتم إليّ في حال وصول الكتب إليه، وأمّا وقد تركتموها فلا رأي في غير الصَّبر إن لزمتموها حتى تهبّ الرّيح، وكان المرهبي أيضاً من جملتهم، واضطره الحال إلى النَّاصر برحلتهم، فتقرّب إليه ونظم عقداً وعرضه عند وفوده عليه وقد وجّه فيه بما لا يغرب عن اللبيب بعد عرضه عليه وهو:

لو يعلم[1] القوم الذي أعلم
جاؤوا إلى النَّاصر واستسلموا
لكنهم ما عرفوا منه ما
عرفت فالنصح لهم يلزم
يا راكباً ضامرة حرّة
وجناء[2] قد أنجبها شدقم[3]
يطوي بها البيد فتكبو القطا(م)
عنها وتخفق خلفها الأسهم

(١) الأصل يعلم والإصلاح من السحر (خط المؤلف).
(٢) الوجناء الناقة الشديدة تنتهب بالوجين من الأرض أي العارض منها.
(٣) شدقم اسم فحل للنعمان بن المنذر ومنه الشدقميات من الإبل.

أبلغ بني القاسم في صعدة
نصيحة ما مثلها يكتم

من رجل كان يرىٰ رأيهم
وكان يدعى سابقاً منهم

حتى أراه الله في نومه
سرّاً عظيماً قد طوىٰ عنهم

رأىٰ قنّاً قد نكست في الهوىٰ
كل قناة رأسها لهذم[1]

وبعدها ألوية كلها
خضر وخيل خلفها تقدم

وقائلاً هذي خيول السما
من عدد النّاصر لا تهزم

وقائلاً لا تكرهوا دولة النا
صر فهو الفارس المعلّم

زمانه خير زمان لكم
يعدل في الناس ولا يظلم

سيرته سوف ترىٰ غرّة
يمزج فيها الزمن الأدهم[2]

فقمت والصدر بما قيل لي
منشرح من حبّه مفعم

فيا بني القاسم لا تسخطوا
ما رضي الله لكم تندموا

---

(١) حادّ قاطع.
(٢) الأسود.

يـا سـادة الـنـاس هـلمّـوا إلـى
مـولاكـم الـنـاصـر كـي تغـنـمـوا
عـودوا وصـلُّوا خـلفـه تـكـرمـوا
وسـلّمـوا الأمـر لـه تـسـلمـوا
فـالنـاصـر الـنـاقـم بـالثـأر من
عـدوكـم وهـو الـرضـي فـيكـم
دعـوه يحمي السـرح من مجـدكم
ويـغسـل الـعـار الـردي عـنكـم
ألـيّـة أعـلـم إنـي بـهـا
بـرّ وقـد يـحـنـث مَـن يـقـسـم
إنّ الإمـام الـنـاصـر المـرتـضىٰ
مـولىٰ الـورىٰ ركـنـكـم الأعـظم
فـاسـتـغـفـروا الله وحـقّـوا بـه
تـأدّبـاً وارضـوا بـمـا يـحـكـم
وإن تـطـيـعـوه يـطـع قـيـصـر
لـكم وتـعـنـوا الـجـيـل والـديـلم
ويحمـل الخـرج النجـاشي لـكم
ويـخـضـع الأفـصـح والأعـجـم
[والهنـد والصيـن بمـا كـان قـد
قـرر فـيـه تـبـع الأقـدم][1]
هـذا الـذي يـرفـع من مجـدكم
مـا حـاول الأعـداء أن يهضـمـوا
هـذا الـذي يـنـعش مـن مـذهـ
ـب الهـادي وهـو السيـد الأكـرم

(١) ساقط من (ر).

إمـام حـقّ ولـه هـمّـة
عـالـيـة مـن دونـهـا الأنـجـم

مـن مثـله فـيـكـم وإنـي ومـن
أيـن وجـبـريـل لـه يـخـدم

فـعـوا مـقـالـي سـادتـي واقـبلوا
خـلافتي فـي نصـحكـم واسلمـوا

وفي سنة ١١٠٠ فيها شاكل النّاصر دها عمّه الحسين بن الحسن بمثله ، وما زال يخاتله في حلّه ورحله فدسَّ إليه أنه الأحقّ بالزعامة منه والأولىٰ فملأ بالتطميع أعطاله(١) ومدَّ حبل الأطماع معه فأطاله ، [ولما غرب عن الحسين بن الحسن دجاه وأجن ليل الاغترار صبح بهاه ولم يبق له شك وطمع أن الناصر يترجّل له عن صهوتها ويواليه وغرّه ذلك التطميع سرابه اللمّاع](٢) فأرسل الناصر ثانية أنّه له مبايع ، وكان الرسول السيد علي بن يحيىٰ العارضة من أهل التزويق البارع وحلف للحسين بن الحسن الأيمان المغلّظة وكرّرها عند كل لفظة ، وزعم له أن الناصر قد انعمل وحثّه على الاتفاق لتمام العمل والناصر لم يأمره بالأيمان ولهذا أنكرها عليه بعد زمان ، ولم تقم له قائمة من بعد ذلك الأوان ، لأجلها وحبسه الحبس الطويل في خللها ، وكان أشار للحسين بن الحسن بعد تلك الأيمان في الاتفاق مع الناصر للخوض الذي تتم به الموالاة فظن الحسين صدق قوله وعظم لديه وارتفع محلّه ، فسارع إلى الاتفاق [واجتذب بتلك الرقا والأوفاق للانعمال مع الأقدار أفعال](٣) فخرج الحسين بن الحسن من

(١) أي أوعيته الفارغة والعطل هو الفارغ وهو من العامّي الفصيح .
(٢) ساقط من (ر) وقد أبدلها بعبارة أخرى هي «فطمع الحسين بن الحسن وظن أن الناصر يخلع نفسه ويواليه» .
(٣) ساقط من (ر) .

رداع على هذا التدبير وكان النَّاصر استصلح أصحابه لما علم بخروجه ببذل اليسير ، واستخفّ الحسين الجذل عن النظر ، وإذا نزل القضاء لم يفد الحذر ، وإلاّ فهو أدهىٰ الدهاة [والبالغ بنظامه ما اشتهاه][1] ومثلها لا تجوز عليه ، ولكن الأقدار حققتها عليه ، فحثّ من رداع ركابه للاتفاق بنواحي ذمار ، وجاء من أجناده في البحر الزَّخار وكان البناء على الاتفاق بقاع الديلمي لعقد البيعة له ، وكان النَّاصر ألقىٰ إلى شيخ سامة[2] أنه متى نزل به الحسين وتراءت العين العين ، شكىٰ إليه أن بلده لا تقوم بجميع مَن معه من الأجناد وأنّه يفرقهم بالتخطيط في البلاد ، ووعده على ذلك الإحسان الطائل ، ورضخ له عندها بشيء من الحاصل ، فلما وافىٰ الحسين بسامة شكىٰ إليه عريفها الضيق بكل معنى وأظهر العلامة وسأله تفريق الجند في الخطط ، وأن يكون بقاؤه في الخواص من أصحابه في بلده فقط ، فأسعده إلى ما طلب وما خطر بباله ما كان من سوء المنقلب ، وكان النّاصر أعدّ ثلثمائة من أهل الشام ، [وانتخب أهل النجدة منهم والإقدام][3] وتربّص به الدائرة للوقوع في الحبالة ، فلما صار بحيث ذكرنا أمرهم في اللّيل بمبادرته على تلك الحالة وندب صنوّه المحسن بن المهدي وغيره من مماليكه في أهل الشام ، فركب إليه أعناق الرياح على ظهر الظَّلام ، فما شعر الحسين بن الحسن إلاّ وقد تولجوا عليه الدار ، وقبضوه على مرقده على البدار ، وأبرز عليه المأمور ما بيده من الدّستور وقال الاتفاق بذمار فلا تمار واركب على بغلة وركض به في الغمار ، ففهم المراد ، وعلم أنه كيد وما كاد ، وندم حيث لا ينفع الندم وقضى الأمر وزلت به القدم ووجه الحكمة في أستار وربّك يخلق ما يشاء ويختار

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) سامة : من قرى عنس وأعمال ذمار.

(٣) ساقط من (ر).

ومضى به سليمان(١) في الليل حتى إذا تراءت له قباب ذمار ، عدل به من الطواف بركنها ورمي الجمار ، وكان النّاصر أمر فتاه سليمان يسير به إلى كوكبان ؛ وبه يكون السجن له لعظمته في قلوب أهلها ، كونهم أخواله زيادة في الامتحان والامتهان ، ولما رجع أصحابه من الخطط ، ظهر لهم قبضه فعلموا أن تفرّقهم عنه كان من الغلط ، فساقهم أصحاب الناصر بالقسر فأمنهم وتوعدهم ، وهم بيده في حكم الأسر ، وأمر بآبن خليل إلى صيرة أخذاً له بالجريرة ، فما لبث أن رجع إليه ، وكان ما آل أمره واتفق عليه .

وفيها وفد الحسين بن محمد بن أحمد بن الإمام القاسم من عمران إلى الناصر ، ومعه عصابة من حاشد وبكيل لم يمكنه معهم ، وقد أراد القبض عليه ورام أن ينفرد عنهم فما فارقوه وأوصدوا دونه هذا الباب وأغلقوه ، ولما حيل بينه وبين ما أراد أكرمه وجَدَّد له العهد على البلاد ففارقه والضمير مستكين .

وفيها وفد القاسم بن المتوكل وغيره من آل الإمام مسلّمين ومستسلمين .

وفيها صار إلى رَدَاع بعد أن قبض على عمّه الحسين بن الحسن وقد أسكنت جوارح اشتغاله [وأزال الظفر من همّه](٢) ثم إنه أمر بآرتحال أولاد عمّه الحسين وأهله من رداع إلى صنعاء واحتوى على جميع ما كان بيده ، أصلاً وفرعاً وأمر بعمارة في القانع وبدأ بعمارة القصور واتخاذ المصانع .

وفي هذه السنة وفد إليه إبراهيم بن صالح الهندي الشاعر الأديب [مع

---

(١) في (د) سلمان.
(٢) ساقط من (ر).

تهيّئه للارتحال من ذمار][1] وكان في نفسه منه شيء نسب إليه افتراء عليه من أنه هجاه[2] فقال له: يا مهتدي[3] لئن بلغني عنك هجو أو مدح فلأسل لسانك من قفاك فاعتمد وارتحل من ساعتك [وفارق مَن يحضرني لجماعتك فاستحالت شقائق لونه كالبهار][4] ورأىٰ الموت دونه جهار فبادر إلى مصحف كان عليه وأخرج من بينها ووضعها بين[5] يديه وقال الله الله عليك وشفيعي كتابه الكريم إليك، فقال قد شفعته فيك فآرتحل وإن عدت إلى ما نهيت عنه كنت لقتلك أستحلّ، فقام وقد لقطه الأسد من لهوته فنفحه الوزير بشيء من المال، وأشار عليه بالارتحال في الحال، فكأنّ الوعيد عمل في فتّ كبده فإنها لم تطل الأيام من بعده، فبادر إلى بيته ثم بيت الله الحرام، وبعد عوده من حجّه ما لبث أن ذاق كأس الحمام، وختم الله تعالىٰ له عمره بصالح الأعمال وما أحسن حسن ختام وسيأتي تاريخ وفاته أثناء هذا الكتاب.

وفيها كان يوسف بن المتوكل بصَنْعاء كما أشرت آنفاً من تصييره إليها بأهله وإلزام العامل بمراعاة حركاته من حيث لا يعرف في حلّه ورحله، فاجتمع مع جماعة من آل الإمام، وخاضوا في إنكار الحال، وحَسّنوا له القيام وعاقده ابن مذبور من الحيمة بوساطة القاضي أحمد بن عبد الحقّ[6] وضمن له عامر الهبل إجابة خولان بعد أن أخذ العهد من كبارهم، واستوثق فبثّ دعاته إلى الحيمة وانسلّ بمَن معه من آل الإمام إلى خولان على تلك العهود المستقيمة فلما صار إليهم أخلفوه ما وعدوه، واستهولوا

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) كذا في (ر) وفي (د) «بالافتراء من هجوه إليه».
(٣) يقال له المهتدي لأن والده كان من جملة البانيان الذين أسلموا في صنعاء «نشر العرف ١/ ٣٠».
(٤) في (ر) فخاف إبراهيم ولحقه الأبهار والبهارنيات أصفر.
(٥) في (د) «وأخرجها من بينها ووضعها بين يديه».
(٦) هو المعروف بالمخلافي من أفاضل العلماء وجامع ديوان الهبل سيأتي.

قتال الناصر معه واستبعدوه ، واتصل خبر خروجه بالنَّاصر فملأ الدنيا بالعساكر ، ولم يتأخّر ولم يستشر وتابع الأجناد [كالجراد المنتشر](١) فركبوا للهياج سوابق الهمم ، فخفقت لذلك قلوب خولان [ونصروا المنصور بالخذلان](٢) وخاطبوه أن الناصر يخرب الديار ويقطع الأعناب ولا طاقة لنا بملاقاة ذلك الجناب ، والرأي نفوذك إلى برط فهم نصرة الآباء وبهم الخلاص من الورط [وقيامنا معك من البلوغ إلى ما تريد قاصر](٣) ولا طاقة لنا اليوم بحرب الناصر ، فقال: أما أنتم الذين فتحتم الباب [وبدأتم بالخطاب](٤) وتواثبتم إلى المحراب فقالوا: ليس عندنا غير ما ذكرنا ، فعند ذلك اضطر ضياء الدين يوسف بن المتوكل وكان يكنّىٰ بالمنصور ، إلى المسير عنهم إلى حيث أشاروا على التعريج بالروضة لحمل المتاع أجمع رأيهم واختاروا فآرتحلوا عن خولان إلى أن بلغوا الوادي المطلّ عليها المسمّىٰ بصرف(٥) فَكَمَنَ ضياء الدين يوسف وجماعته بجرف هناك مشرف على القاع ونفذ الحسين بن علي بن المتوكل وبعض آل أبي الرجال معه إلى والدته بالروضة لأخذ المتاع وكانا نكّرا لباسهما ، فلقيهما أوّلاً الشيخ هادي بن محمد الشاطبي وعلي الهبل فعرفاهما وعاهداهما أن لا يدلا لهما على محل وما كان أسرع أن دلاَّ من الروضة عليهما وما باليا بعهدهما فأشار العامل إلى النقيب سلمان بالتعريف فبادر من صنعاء مسيره الخفيف فوكّل بالحسين بن علي بن المتوكل في الدَّار وقبض على ابن أبي الرجال ثم سأله عن يوسف بن المتوكل فأنكر أين هو وذكر أنّه ما عرف أين سار فناله بشيء من الضرب أو يدل عليه

---

(١) زيادة في (د).

(٢) زيادة في (د).

(٣) زيادة في (د).

(٤) زيادة في (د).

(٥) صرف: قرية شرقي الروضة من أعمال بني حشيش.

فتمادىٰ في الإنكار المُشار إليه فأضجعه للذبح إذا لم يعرف مكانه ، فلما بلغ به إلى هذه الغاية نفس نفسه ودلّ عليه وأمَّ به إلى الجرف وأشار إليه فقبض على الجميع ودخل بهم إلى صنعاء ، ثم وضع في اليوم الثاني الحديد في أعناقهم وتَقَدَّم بهم إلى الناصر وما زال بهم على الصفة حتى بلغ بيوم الجمعة إلى ملّاح بقرب رداع فقال الناصر يمسي بهم فيه إلى صباح السبت من أجل الاطّلاع والإبداع ثم عرض له في طلّابهم بذلك اليوم][1] بعد صلاة الجمعة فبادر بهم إليه على قرب المحل بسرعة فنالت العامة منهم بالكلام الشنيع وتباعد عن النظر إليهم كل رجل مليح ، وعندما بلغ بهم إلى [الباب وقد طاشت أحلام وضاعت][2] ألباب أمر بصفّهم بفناء الدار ونُودي بالسياق فاختلعت منهم القلوب [وزيع من هذه الحركات مَن ليست له ذنوب ثم طهر عليهم بعد سوف وقد][3] أخذ منهم الخوف كل مأخذ[4] فأطلق لسانه في تأنيبهم ووعدهم القتل بعد تعذيبهم وأمر بالتنصيص على أسمائهم وأن يقرى عليهم سجل قضاة اليمن الأسفل بإهدار دمائهم فكان للقاضي علي السماوي ، وهو من أهل العلم والزّهد في هٰذا الحال مقام محمود وتكلّم بما دونه سل الصفاح من العمود وزيف كلام قضاة اليمن الأسفل ودحضه بحجة بها الدماء لا تستحلّ ، فنهض الناصر عن مقعده مغضباً ، وأذنهم بالإرسال إلى الصلبا ثم أودعوا عن أمره بديوان[5] ومسَّهم فيه ببعض الهوان فبقوا فيه قدر عشرين ليلة لا ملجأ لهم ولا وسيلة [ولا حيلة وفي كلها][6] وهو يرميهم بسهم التّشديد عليهم ويبيد وتارة يرسل إليهم في التأهّب للقتل ويتوعدهم ولا يعد ، ثم إنه من بعد

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) في (د) وقد أخذ فيهم الخوف وعمّ الرّوع.
(٥) الديوان هو الإيوان «غرفه متّسعة».
(٦) ساقط من (ر).

هذه الأهوال أطلقهم إلى الحبوس غير مبال ، وأمّر [المؤمّر][1] المؤمّر عليهم بالتحفّظ بهم وحثّه بهم السير [وأن ينوّع في الجعجعة بهم لا غير][2] واتفق لهم في السفر هذا ضروب من الامتحان والتمحيص ، والحاصل أنه كان على هلاكهم[3] حريص ، وأما أهل خولان والحيمة فنكل بهم وشدَّ بالعزيمة وأوطأ أرضهم الخيل [وأباد خضراهم][4] وسلّط عليهم أهل بلاد همدان وغيرهم[5] فأخربت الديار وقطعت[6] الأعناب وشجر البنّ[7] وشمل المجيب وغير المجيب وعوملوا [من الترويع بكل عذاب شديد][8] والحاصل أنّه لم يبق لهم باقية [ولم يعنِ عن الحصون ولا كانت واقية][9] وقبض على الهبل الداعية فأمر بضرب عنقه ، وقامت عليه الناعية ونفذ بعد ذلك أمره بخراب عدّة من البيوت منها بيوت بني مذيور وبني عبد الحقّ وعمّهم بالحبوس وشملهم بالفرق[10] وأخذ منهم غيرهم من المتّهمين وأطلق[11] .

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) في (د) بزيادة «بيد الاتفاق».

(٤) ساقط من (ر).

(٥) في (د) بزيادة «وصاح بالشؤم طائرهم».

(٦) في (د) «نيلت».

(٧) في (د) بزيادة «بالقطع والغيار».

(٨) في (ر) وعوملوا بالعذاب الشديد.

(٩) ساقط من (ر).

(١٠) الأموال التي تؤخذ منهم.

(١١) سبك المؤلف هذا النص بأسلوب أدبي مأثر في كتابه «السحر المبين» وهو من أصول كتابنا هذا فقال: «وصاح بالشؤم عليم طيرهم فأخربت الديار ونيلت الأعناب والأبنان بالغيار وروّعت الأطفال وشرّدت الحريم واحتمل أموالهم ذلك البريم وقبض على الهبل الداعية فأمر بضرب عنقه وقامت عليه الناعية ونفّذت الأوامر بتخريب عدّة من البيوت المؤنقة في الجهات المتفرقة منها بيوت مذيور وابن عبد الحق وغيرها لم أتحقق».

وفي سنة ١١٠١ فارق الحسين بن محمد بن أحمد بن الإمام القاسم رضوان الله عليهم أوطان الحياة [ونضبت من جوابي مجده تلك المياه فتقدّم إلى الحضرة التي فاز فيها بالرضوان وكان من السيادة بالمحل الأسنىٰ](١) من الذين سبقت لهم الحسنىٰ وقبره بمدينة عمران وكان قاعدة ولايته لتلك البلدان .

وفيها التفت الناصر من حرب ابن عفيف إلى ذلك الصوب ، وجمع الأجناد لقتاله من كل أوب وناط عاتق التدبير بآبن خليل ، وفَوّضه من أمر القبائل في الدقيق والجليل وأحبَّ أن لا يكون له فيها ذكر لمذكور ، [وكان أثير الغيرة في مثل هذه الأمور](٢) وكان هوىٰ ابن خليل في تأمير المحسن بن المهدي وأحبَّ مكافأته بماله عليه من الأيدي ، فعُومل بنقيض قصده من اطراحه مع غيره من القروم وأمّر علجا [ضيطراً](٣) من الروم فتوجهت معه الأجناد وتوغلت دخولاً في البلاد [وكاد يوجّه بحزبه وحزب قبائله شوامخ الأركان ومن جهته غشيهم الموج من كل مكان](٤) ولما بلغت الجيوش إلى البيضاء وهي أقرب شيء من جهتهم إليه اجتمع أهل المشرق قضهم وقضيضهم للإجلاب عليه حتى النساء توجهن معهم للقتال وبرزت نورهم(٥) بين الصفوف وكانت على فرس تقاتل في ذلك المجال ، ولو كانت النساء عندهم مثلها فضّلوها على الرجال ، وأظهر أهل المشرق بكراتها لسرورهم ، واختالوا فرحاً فذهب الله بنورهم فأصيبت في ذلك ، المجال وحملوها على الأعواد ولما أسودّ يومهم بالبيضاء [وسلّت يد المنون عليهم سيف القضاء وقطعوا الأودية من بلادهم على الآثار ، وأمعنوا هرباً

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر) والضيطر الرجل اللئيم الكبير الأست.
(٤) ساقط من (ر).
(٥) اسم امرأة عندهم عرفت بالشجاعة.

واجتمعوا ثانية بالعر فوراً وعلم المتخلّف منهم ما كان من قبل نور ولام بعضهم البعض وقيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً][1] ثم إنّ الجنود الناصرية تبعتهم في اللحوق إلى بلادهم وبذلت طاعتها في جهادهم وما زالت تصعد حتى ملكت العر وهي زمام أرض يافع [ومَن ملك استولىٰ على جمل المنافع][2] وما زالت نار الحرب [تفور تنورها وتتعالىٰ كأعناق المحاض قتيرها وقد صدق الجلاد][3] وحمي الوطيس وجاد المشرق بنفوسهم ، وإذا بعنس وإخوانهم سلكوا إلى العر طريقاً فاستقلّ بها قدم وما شعر العدو إلاّ وألويتهم تخفق على رأس الجبل وجاءهم من الأمر ما لم يكن لهم بدفعه قبل ، فدافعوا عن حوزتهم أشدّ دفاع وجادوا برؤوسهم دون تلك البقاع ، فيُقال أن ابن خليل نفس أهل عنس وأخوالهم على الانفراد بالجمالة ، ولم يعقب لائمة الإمام في تلك الحالة فانحطّ من أثناء الجبل منكسراً ، وأسلبهم ما كانوا به ظفروا مع الاستظهار قسراً ، وقيل إنه صانع بالمال من العفيف لضغن في نفسه في عقائل أشجان من حبسه فمن أجل هذا قلب ابن العفيف وأصحابه إلى حيث لا يمكن أخذهم[4] بالسيف وصاروا من المنعة[5] بمكان [لا يمر به الطيف][6] ويقال ان ابن عفيف بذل من نفسه النزول على حكم الخليفة وأن تحمل عشائره بيارقه حتى تخفق على قلتهم المنيفة ، وكان هذا على يد ابن خليل في جهة الإصلاح [والأخذ منه والخلاص وتلافي الأرواح][7] وختم القول بينه وبين ابن

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط حذفه الناسخ في (ر) وأبدله بجملة مختصرة هي قوله: «ولّوا الأدبار وأمعنوا هرباً».
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) في (د) لا يمكن الأخذ لهم بسيف.
(٥) في (د) الامتناع.
(٦) ساقط من (ر).
(٧) ساقط من (ر).

عفيف بأن يمثل بالحضرة الشريفة بعد شهرين وقدّر أنه بهذا الميعاد يبرد الهمّ به ويزول الرين ، وضمن له ابن خليل وهذا غاية ما بلغ به ابن خليل بعد انكسار أهل عنس وفات ذلك الظهور ، ولم يسعد اليوم بمثل أمس ، ولما اتصل هـذا الخوض بـالإمام أقعـده وأقام ولـم يكن يـطرق عنه من التغيض على ابن خليل منام ، فقطع عنه الإمام الميرة وتوعده النكال على الجريرة ، فعمل بابن خليل وأصحابه الجوع وأحوجهم التفاقم إلى الرجوع وصار قول الإمام بأنه لا يرضىٰ حتى يسل بيافع الحتوف ، ولا حَكَّم في ابن عفيف بغير السيوف واشتد بهم الحال لانقطاع المواد لديهم ، وضاقت الأرض بما رحبت عليهم ودسَّ أعداء ابن خليل عند الإمام عليه ، وكان تعاظم جرحه[1] لديه ، وتوجّه الخطب بكل ذاته إليه ، وتقرّر عند الإمام أنّه حَالف[2] ابن الرّصـاص وابن العفيف على الخلاف ، وصـار الحال بين الجميع بعد البُعد الشديد إلى الائتلاف ، وقد زعم بعض همدان أنه كيد صاحبهم[4] بذلك القول من ذي الوزارتين[5] وهو بري من ذلك الشّين ، ولما عرف ابن خليل ما انـطوىٰ له الإمـام عليه وأن التنصّـل مع قبـوله للأقاويل غير مقبول لديه خاف منه على نفسه البادرة ، والأخذ له باليـد القادرة ، [وتحقّق أن ذنبه اتّسع لديه باعه وطال ، وإذا وافىٰ به على ما قرّره ما أقال][3] وكان الإمام أوعده بالقتل مراراً من قبل عزمه ، فعندها نكس علمه في النافرة [وسلك بجمعه الوافرة على الحافرة[4]][5] وسلك طـريق الجوف إلى بلاده وحرّض على حفظة نفسه بين أولاده وكانت ولاية صنعاء إلى إسماعيل بن الناصر وبها استقر ركابه وسلك بآبن خليـل من

---

(١) كذا في الأصلين وفي السحر «جرمه» وهو الصواب.

(٢) يقول المؤلف في السحر «والتحالف هذا لما كان محض المين ولا أثر له في الواقع ولا عين وإنما كان الناصر أذن تسمع الأقاويل».

(٣) ساقط من (ر).

(٤) الحافرة: الطريق التي جاء منها.

(٥) ساقط من (ر).

الـرفق طريقـاً فـاتّهمـه والـده بمصـانعتـه ولم يفصـح ودار الخـوض بين إسمـاعيل بن النـاصر وابن خليـل وحتم على ابن خليل يسلم ولـده إلى الحبس ، ليخفّ ذنبه عند أبيه ويرتفع اللَّبْس ، ويطلب له الرضىٰ بمحو حديث أمس ، ولم يقنع إسماعيل بن الناصر هذا الفعل حتى خرّب داره ويدخل ابن خليل بنفسه إلى صنعاء لسماع الخطبة فدخل عليه في ألف نفر من همدان وسمع الخطبة وبالطاعة دان ، ثم رجع في أثره إلى بلده وأخذ معه ولده بيده[١] .

وفيها جهّز الإمام القاسم بن الحسين وصنوه [زيد] إلى حياز[٢] بجهة المشرق وأضاف إليهما من الأجناد كل مرعد ومبرق ، ولم يمهل بينما يدبر المدخل ويسدّ مضار الخلل ، بل ظاهر الإمام الكتب بالتوبيخ والتهديد ، وحتم عليهم تقحم ذلك الهول الشديد ، فنظر إليهما وما هما عليـه من الركّة وبعد أنفسهما عن الإلقاء إلى التهلكة فغضب عليهما وطلبهما إليه وبطل ما كان وجّهما إليه واستدام غضبه عليهما أيّاماً وساءت بهما رداع مستقراً ومقاماً فتوصلا إلى عطفه وألزمهما الذنب ثانياً من عطفه .

وفيها توفي الشيخ الأديب إبراهيم بن صالح الهندي وذلك بعد أدائه حجة الإسلام وزيارة ضريح سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام ، وقبره بروضة حاتم وبها مقامه على فقدة من أهلها المآثم ولم يخلف غير صنوه أبي علي وبوفاته انقطع بيتهم [دوام على مرّ الدهور فوتهم][١] وكان بضد

---

(١) في السحر زيادة إيضاح يقول: «واتفق الرأي على حسن خليل بن جابر ليحق فوزه الإمام وينسى حديث أمس الدابر فسلم ولده إلى الحبس وأخذ في كشف الأمر ورفع اللَّبس ولم يقنع إسماعيل منه هذا الفعل الهوين بل ختم عليه بتخريب داره والدخول ليسمع الخطبة ويطلق ولده للحسين فدخل صنعاء في ألف من همدان وسمع الخطبة وبالطاعة دان ثم غادر مبادراً إلى بلده وقد أخذ ولده بيده».

(٢) كذا في الأصل ومخطوطة السحر المبين بقلم مؤلفه والظاهر أنها حبان بالحاء والباء الموحّدة بلدة هناك.

صنوّه من الأدب عاري . ورثى الشيخ جماعة من الأدباء منهم السيِّد العلّامة صلاح بن الحسين الأخفش[1] وناهيك به وأوّل قصيدته فيه [وأردت التبرّك بقول ذلك النبيه فقال][2]:

هكذا الناس كل مَن عاش زالا
إن للمرءِ وقفة وارتحالا
[أعلمت الذي دهته المنايا
وأعاضته بالبقاء زوالا
صارمِ الدِّين مَن يوتر قطعاً
عزمه في الصوارم الأفلالا][3]

وهي طويلة جدّاً [ورثاه السيِّد عبد الله بن علي الوزير بقصيدة أوّلها:

شخص العلا والصارم الهندي
قد أغمدا في تربة اللحد
أشباب غض العيش منتكراً
وأسى لمصرع شيبة الحمد

وفي هذا كناية النقل][4] .

وكان الشيخ إبراهيم الهندي المذكور أوّلاً يقصد في كل عام جمال الدين علي بن المتوكل إلى اليمن الأسفل ويروح من هناك إلى المنصورة إلى جناب محمد بن أحمد المهدي ، الذي صار خليفة بعد فإذا وصل ضمناً لم يقابله بالوجه الحسن ، فلمّا فهم اللطيفة الشيخ إبراهيم [وتحقّق

---

(١) من أفاضل العلماء وفاته سنة ١١٤٢ (انظر مصادر الفكر الإسلامي ص ١٣٤).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).

الموجبات] التحيفة كان لا يجمع بين القصدين في عام واحد بل يقصد في كل عام أحدهما فاتفق أن خرج في بعض الأيّام علي بن المتوكل رحمه الله متمشياً على بعض الآكام وإذا على طريق العرمة النافذة إلى المحرس خيال خيَّال فقال لأصحابه أظن ذاك الشيخ إبراهيم الهندي يريد المنصورة ، فكل عام له رحلة إلى أحدنا مقصورة ، فكشف الأمر فكان كذلك ، ثم إنه بالغ في القصيدة التي مدح فيها صاحب المنصورة ، حتى عثر عليها فقرأها في جماعة الأدباء وقال لهم أترون عرَّض بنا فقالوا لم نَرَ فيها تعريضاً فقال بلىٰ في هذا البيت الواسع الفضي وهو:

غادرت سابور في إكليله
وإليكم تركت ملكاً ودارا
وبحمد الله أنّني رجل
قد تخيرت فألفيت اختيارا

وأوّل هذه القصيدة:

بكرت والسيوف تحدو ابتكارا
وأتيتكم أزمعت تمشي سرارا
[ودخيل الوجد يزجي ركبها
يجعل الأطناب في البيد اختصارا
قدحت من شجوها عزم امرىءٍ
شحذ الهندي لا الجِفن غرارا
صعدته أوجامن العزّ إلى
عنوة الناصر شوقاً وابتدارا
وهي قد أمته بحراً زاخراً
ولهذا اطّلعت درّاً كبارا

وهـي بـالـنـسـبـة فـيـمـا تـقـتـضـي
مـجـده مـا اطّلعـت إلّا صـغـارا][1]

وفي سنة ١١٠٣ فيها ما سأل الناصر عن أمر ابن خليل عن لا ولا كيف ، ولم يرضه في أمره غير تحكيم السيف[2] . فأحسَّ ابن خليل بالشر وأوجس في نفسه خيفة ، وكان ثملاً بحب المحسن بن المهدي فهواه في انتصابه وبدء هذا الهوىٰ كان الأصل في مصابه ، ومع هذا فجهل من قيد نفسه وتغاضى ما ليس من شأنه فكان سعيه في ركسه ، فأوقد النيران في بلده وأعلن بالعصيان ، وكانت ذاته سمنت وبدنت ، وشملته ثخنت فدعا القبائل إلى الخلاف فلبّىٰ صوته بنو الحارث وبنو حشيش وهمدان ، وانضم إليهم غيرهم مثل الزارعي من حسان ، وكان الناصر ندب لحربهم صنوه طالب بن المهدي ، فطنّب بالقرب منهم بخيامه ، ولم يبد وانتظر مآل الأمر بالغراس وزأر كالليث للافتراس فتركه المخالف خلف ، وتقدّم إلى الروضة ثم منها إلى صنعاء فألوت به الألفاف ، وكـان لها بنهب البستـان الفعلة الشنعاء ثم إنها ضويقت المدينة بالحصار ، وخال ابن خليل الظهور بعين الاغترار ، وحصل بينهم وبين إسماعيل بن الناصر المتولي لصنعاء من قبل أبيه حرب ضرير كان البدو الفائز بصفقة المغبون وجهل ابن خليل عاقبة الأمر فخاض من تيار جهله في غمرة وقتل بباب السبح[3] بعض موالي إسماعيل بن الناصر واستمر الحرب في الليل والنهار إلّا القليـل ، وساق الإمام إلى حربهم الأجناد وملأ بالكتائب البقاع والوهاد وباستحلال دمائهم أقام الحجّة ، والتفت إلى استئصالهم بكل ذاته وكانوا بعد انتهاب البستان منعوا منه المار بالسائلة بإطلاق الرصاص وما زالوا عليه إلى حين الانتكاص

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) في (د) وظهر لابن خليل فيما يريده الإمام.

(٣) هو في جهة صنعاء الشرقية امام السائلة الآتي ذكرها.

ولما غصّت بمَن جهز الإمام الفياح [وصار البرّ بحراً من سلاح فيالك ما أطلق فيها من حصان ومشرفيات تلمص كـالثعابين وخـرصان][1] فـأولاد الحسن بن المتوكل أقبلوا من جانب ، وزيد بن المتوكل في كتائب وخلفهم سعيد قاضي من الموالي بخولان ، فانكشفت الأعداء ينسلّون لواذاً أو يقول شرّهم لقرنه يا ليتني متّ قبل هذا ، وانكفّ همدان عن المدينة بلا شعار ولا دثار ، والسيف بهم يعمل في الآثار ، هنالك نادىٰ ابن خليل بالويل والحرب ، وكان من أهل الحظوة في الإمعـان في الهرب ، واستقـر في وادعة فتَمّ القبض عليه فيها خدعة ، وأراد القاسم بن المؤيد يتّخذ يـداً يتلافىٰ هفوته مع الإمام بالاستدراك فبذل في الشفاعة جهده لتخليصه من الاشراك فأسعفه الإمام بحبسه [لديـه][2] فتسلّمه القـاسم بن المؤيّد من وادعة عن أمر الإمام على أن يؤدّبه بـالحبس في الجميمة[3] [ويتـراخىٰ حتى][4] يبرد الهمّ وتطيب نفس[5] الإمام ، وكان الإمام يعمل رأيه فيه ، وكان من تدابير الإمام على القاسم بن المؤيّد الإسعاف له بالشفاعة والإيهام له أنّه من أهل المنزلة الرفيعة لديه في الطاعة ، ولذلك أمر ابن خليل ولّاه وملكه رق عنقه وجعل له ولاه ، فأمر القاسم بن المؤيد بآبن خليل إلى الجميمة ولم يعمل بالحزم في مثل هذه المهمة العظيمة ، فما كاد يستقر بها ابن خليل ، وقد ظن الخلاص له من التنكيل ، والإمام يغلي من أجله بالتغيّظ عليه وضاعف ذنبه تشفعه بالقاسم بن المؤيد ومصيره إليه وظن أن ذلك لأمر ما . . .

«قالت الضفدع قولًا فهمته الحكماء».

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) الجميمة : من حجة.

(٤) ساقط من (ر).

(٥) في (د) «ويطيب عليه من الإمام نفسه».

فأسرىٰ الإمام عسكراً يأتي من الجميمة بـآبن خليل ولا يمهله حتى يأخذ بيديه ، والقاسم بن المؤيد في بُعْد عن الاحتراز فما شعر بآبن خليل إلّا وقد سفّ به الجناح وطارت به حمام الحمام على أعناق الرياح ، ولما جيء به وبأخيه إلى «أزال» ضربت أعناقهما في الحال وتتبع الذين والوه فسيقوا زمراً إلى رداع فكان شفاهم السيف من ذلك الصداع[1] . فضربت أعناقهم وداستهم الخيل.

وكان ذلك مع وفود الشريف أحمد بن غالب فرام الشفاعة فيهم وقد قضىٰ الأمر بليل ، وكان وفوده إلى الإمام معزولاً عن مكّة المشرّفة ، ومعه نحو سبعين عناناً ، وممّن ضربت عنقه من شيوخ القبائل بجريره ابن خليل الزّارعي من هزم[2] ومحمد دغيش شيخ الرَّحبة وغيرهم ممّن لا يأتي عليه التحصيل ، وكان الإمام بعد الاستيلاء والفوز بالقدح المعلّىٰ أجلىٰ همدان عن بلادهم ، وأركبهم البحر فبلغوا إلى الهند والصّين ، وأمـر أن يُصاح بـإهدار دمـائهم وخراب كـل حصن لهم حصين ، وأمّـا دورهم فعفـاهـا وأموالهم اصطفاها وجعل أطيانهم صوافي ووجه بالبقر وآلة الحرث إليهـا وأمر بخليل بن جابر أن يركب البحر مع الفرنج زيادة في الإهانة فبلغوا به إلى الشّحر وأطلقوه لما أدلىٰ إليهم بالإستكانة ، [وحين تم عمل همدان وكسر نسر[3] عصيـانهم لم يبقَ قاصٍ ولا دانٍ إلّا قـال حطة وبـالطاعـة دان][3] فالتفت على التدبيـر على القاسم بن المؤيّـد وقد تمكنت هيبتـه بدهيش الواقـع في أهل معقله الـرفيع ، وكـان وليّ صنوه أبـو طالب بن المهدي الأهنوم ، وأمـره بمراعـاة الاحتياط بـالقاسم بن المؤيـد وإلّا فهو

---

(١) ورد هذا النَّص مضطرباً في (ر) فأصلحناه من (د).

(٢) هزم: بكسر الهاء قرية كبيرة من عزلة شعب من أرحب.

(٣) علق في (د) على قوله: «نسر عصيانهم» لو قال المؤرّخ رحمه الله وكسر يعوق عصيانهم لكان أكمل في اللطيفة لأن يعوق صنم كان لهمدان يعبدونه في الجاهلية، ثم علّق آخر على قوله هذا: الاعتراض هذا ليس بحميد إذ قوله فكسر نسر عصيانهم أبلغ في الاستعارة للعصيان.

الملزم ، وأشار إليه إلى إضعافه الهمّة ، وأن يحتفظ به عن الذِّهاب من حيث لا يفهم فلما صار إلى شهارة وجد الأمر كما يجب والقاسم بن المؤيّد لعدم الاحتراس يستصحب ، فعمل في تقطيع رواهقه(١) بلا تنفير ، وخادعه عن عروس مملكته كما خادع الزبّاء قصير(٢) ، ولما أحكم التدبير وتم [وسدّ أبواب التقلّب عنه وختم](٣) كتب إلى أخيه الإمام يعلمه الواقع ويكشف له عن وجوه التدبير البراقع ، وأن الصَّيد وقع في الشرك ، فأنفذ الإمام أمره إلى فتاه سلمان وهو بصنعاء بأن ينتخب نفراً من العسكر ممّن يعرف نجدته إذا احتاج إلى نفسه فيسري بهم على خفية ، وأخذ بالحزم الأمور ، ولا يشعر إلاّ وقد صبح بهم العلم المذكور ، فانقضّ سلمان عليه كالعقاب [الكاسر وبادر كأنّما هو على جناح طائر فأبرز الأمر على القاسم بن المؤيّد وأشار بالاستسلام إليه](٤) ولم يمهله ريثما يمسح عن وجهه بيديه [وأمره بالاستسلام](٥) وجاء له ببغلة وقد أُعدّت فسفت به الجناح في تلك العقاب [وراح يحثّ به العدوة كأنّه من أهل الخطوة](٦) وما زال به حتى أقرّه في دار الأدب بغمدان . ولم تغن عنه شهارة الفيش ولا المدان.

وفي سنة ١١٠٣ أمر الإمام صنوه أبا طالب بالتقدّم إلى الهجر ، وأشار إليه أن يتحرش الرمي إلى صوب علي بن أحمد بن الإمام القاسم بحجر فاتّقىٰ علي بن أحمد الرامي وأخذ بالاستعداد والتّعامي.

وفيها جمع الإمام جمعاً هائلاً وجمع الأتباع إليه والقبائل فلما اجتمع

---

(١) الرواهق: جمع رهق وهو الشر.
(٢) انظر خبر الزبّاء وقصير المذكور في كتب الأدب والأمثال.
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).
(٥) هذه الزيادة لا توجد في (د).
(٦) ساقط من (ر).

له منهم المراد ، وصاروا على بابه مثل رجل الجراد ، أمّر عليهم علي بن يحيىٰ بن الحسين بن المؤيد بن القاسم وضمَّ إليهم من الأمراء مثل سعيد قاضي ومسعود وأسعد ولمّا تم له من التجميع ما به احتفل جهّز الجميع إلى أرض تيم(١) في قتال ابن شعفل ، ولما نهدت الجموع من حضرته وهم غير مهتابين إلّا من هيبته وردفهم من ورائهم ، فصار بنفسه إلى جبن(٢) في الخيل والألوية والأهبة العظيمة من وصل الجناح والتقوية فحين حصلت الأجناد بتيم عمل السيف في الأعادي وانهزمت تيم أقبح هزيمة، وأوغل الجيش في لحاقها من أجل الغنيمة وانفرد الأمراء في تل انتظاراً لرجوع أصحابه ، ولا يخطر في بال أحدٍ منهم ما أصابهم ، وكان ذلك الانفراد غفلة عن الأخذ بالحزم بعد انهزام العدوّ ، فبينما هم في انتصار رجوع الجيش ليكون الانقلاب إلى المخيم بيد الجميع ، وقد ثلجت منهم الصدور [بما ملأ السمع وهزّتهم نسائم الظفر بالإفراج](٣) فكان من [قضاء الخلّاق و](٥) عجيب الاتفاق أن ابن خليل الذي قتل والده وبقي مع الفرنج في قضيتهم تلك التي ركبوا فيها البحر ، كانت الفرنج أطلقته من الشحر كما تقدّم ، فصار إلى يافع وبقي لديهم برهة وفارقهم إلى أرضه على طريق بيحان ، فبلغه بها من قتل والده ما بلغ فرجع إلى يافع وأعلم معوضة بن عفيف بخبره وأخبره أنّه قتل والده كان بسببه ، فلما كان التجهيز على ابن شغفل تعقب استيعان بيافع فوجّه ابن عفيف إلى ابن شعفل بغارة بها ابن خليل [تكفّل](٥) وحثَّ خطاه بهم إلى بلاد ابن شعفل فصادف وصول يافع انكسار تيم والجيش الإمامي قد توغل في لحاقهم ، والأمر كما

(١) هي المعروفة ببلاد الضالع انظرها في تاريخ القبائل اليمنية من ٨٧ ـ ١٣٦ .
(٢) جبن بالتحريك: مدينة من قضاء رداع بالجنوب منها.
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).
(٥) ساقط من (ر).

ذكرنا في قَلّ من العسكر ، فاغتنم أهل يافع الوثوب على الأمراء لما كانوا في نفرٍ يسير فقتلوا المأمور والأمير ، وأميرهم علي بن يحيىٰ بن الحسين بن المؤيد واغتنم العدوّ الفرصة فيهم بالمبادرة وكانوا لهم الغنيمة الباردة وأتوا بالقتل على آخرهم ، وصرعوا في التراب على مناخرهم ، وكانت قضية شنيعة وقد لمح الحسين بن علي بن المتوكل في قصيدته يحرّض فيها الإمام ويحثّه على الكرّة فيهم والانتقام بقوله :

وفي أرض تيم تمّ فيها لأهلها
بقتل على مقصد ومرام

ومن جملة مَن قتل سعيد القاضي ومعه من أصحابه نحو أربعين نفراً تسابقوا إلى فدائه بأنفسهم ، وكذلك تكون ثمرة الإحسان ، وطيب الفعل واللسان ، ولما بلغ الإمام المتفق وهو بجبن ، وانضاف إليه حركة علي بن أحمد صاحب صعدة إلى اليمن بادر القفول إلى رداع وبالغ في تطفئة هذه الفتن ما استطاع ، وكان موجب حركة علي بن أحمد صاحب صعدة أن صنوه الإمام أبو طالب بن المهدي صار كما تقدّم إلى الهجر ومدّ إلى جهاتة يد التعدّي ، وكان طالب بن المهدي المذكور تزوج في هذه الأيام بالشريفة اللَّبيبة الفاضلة الأديبة ذات النظم الرقيق زينب[1] بنت محمد بن أحمد بن الإمام الحسن بن عزّ الدين أسير الروم ، وكانت من محاسن العصر ومن قبله كانت تحت علي بن أحمد صاحب صعدة فاتّفق بينهما ما أوجب الفراق وآل به الأمر إلى الطلاق ولمّا لاح لها منه ذلك كتبت إليه شعراً وهو[2] :

أهكذا كل مَن قد ملّ يعتذر
ويعقب المدح ذمّاً منه مبتكر

---

(١) هي أشهر أديبات اليمن في عصرها انظر ترجمتها في نشر العرف ١/٧٠٩.

(٢) انظر الأبيات أيضاً في نشر العرف ج ١ ص ٧١٠.

أمّـا أنـا فـلقـد كـلفـتـنـي شـططا
بـالأمـر والـنهـي فيـمـن لـيس يـأتـمـر
مـا كـان قـصـدي لـكـم إلّا مـوازرة
والسعي في الخيـر جحـدي ليس أعتـذر
فـمنـك جـاءت ولا تـرثـي لـمـغـتـرب
لـم ينـهـه عنـك لا زيـد ولا عـمـر
[سـريت مـا غـرّني حقّـاً سـوىٰ قمـر
ولـسـت أوّل سـارٍ غـرّه قـمـر][1]

وقبل علي بن أحمد كانت تحت علي بن المتوكل صاحب اليمن ، وهو أبو عذرتها وأيّامه معها غرّته وغرّتها ، وما ألمَّ بها الحظ لأحد مع الجميع ، ولا ذنب لها إلّا أنّها أدركتها حِرفة[2] الأدب ، ولما طال من طالب بن المهدي مدّه يده إلى أرض الشّام وشرع في استمالة أهلها إليه بغير احتشام ، كاد الشّام على علي بن أحمد أن يختلّ مع صولات الإمام الناصر ، فبعضها وصل إليه فتلافىٰ أمره قبل التلاف ونقض عهد الائتلاف بالاختلاف وغنم الفرصة لاشتغال الناصر بحرب تيم ، فاستجاش رجاله النَّفاعة وانتخب منهم أهل الوفا والشجاعة ونهض إلى طالب بن المهدي يطوي البيد [ويقطع إليه ما لا يقطعه الضرغام][3] وكان الحرب قد نجز بين الناصر وابن شعفل ، وكان ما كان من أخبار[4] من قتل ونمىٰ إلى الإمام حركة علي بن أحمد وهو بجبن كما تقدّم فما تريّث ولا وضع قدماً على قدم بل بادر القفول إلى رداع واستأنف التجهيز بمدّ الأنطاع وبادر

(١) ساقط من (ر).
(٢) الحِرفة من الحُرف وهو نقصان الحظ ومنه قول العامّة رجل حِراف أي فقير.
(٣) ساقط من (ر).
(٤) (ر) قتل.
(٥) (ر) وعلم الإمام بخبر.

سلمان مولاه إلى كوكبان فنقل منه الحسين بن الحسن بن القاسم إلى غمدان وكان ذلك على جهة الحزم منه والاستجبان ، فحمد منه الإمام ما فعل وكان له التفويض في العقد والحلّ ، وما كان أسرع من موافاة علي بن أحمد إلى الهجر[1] ففار تنور الحرب بها واشتجر وانجلى عن قتل يسير ، وأسر صنو الإمام طالب وانتهب المحلّ نهباً فظيعاً ، وذهب من الأموال به ما لا يمكن له التّوزيع والتفريع ، وكان هذا المحل من قبل هذه الملمة محطّ رحال التجّار، والمأمن الذي لا تلم به الأخطار ، وهو من المحلّات التي قوّت في الدولة القاسمية ، ولا يكاد يخلو لكل إمامٍ قام بتلك الجهات عن بنية وبهذه الوقعة سقط إلى الآن ، وضعف أهله وتفرّقوا وضربوا في الأرض ، فغرَّبوا وشرّقوا ، وربما كان تعامل أهله بالربا [وبه أهلك أكثر المحلّات شرقاً وغرباً][2] وهو الآن رسوم بالية [وأطلال خالية إلّا ما يعوّل عليه من الضمان والكفال][3] ، ثم إن علي بن أحمد احترك منه إلى حبور ، وما ألمّ بأهله إلّا عدم الجبور ، وما برح كل منهم بقدومه إلّا وهو غير مسرور ، وسار إلى السودة ثم إلى عمران ، واستعمل على الجهات هذه من ألفى معه الجران ، فولّى الحسين بن عبد القادر على كوكبان ، ونظر إليه بعين الخؤولة بعد الامتحان ، وكان خرج مع غيره من مكّة لما بلغتهم حركته ونما إليهم استيلاؤه وصولته وانتهى الحال بعلي أحمد إلى الروضة والجراف ، وبهما نصب المضارب وشَبّ نار الخلاف ، وكان بصنعاء محسن بن المهدي وابن أخيه إسماعيل بن الناصر واتّفق رأيهما على عدم القتال مع الثورة والتقاصر ، فعمد إلى تغليق الأبواب [والانحياز] واستطلاع الحقيقة من المجاز ، وقوي أمر علي بن أحمد ، وزخر طوفان عزمه بالمدّ وعظم الأمر وتفاقم ، وقرى باب شعوبها في

(١) اسم لعدّة مواضع فيحقّق.
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).

«تفسير الأعقم»(١) ونال حشم أهل صنعاء بشدّة الحصار بعض سقم ، وتقدم الحسين بن علي بن أحمد فبلغ إلى زراجة فلم يظفر بمراد ، ولم يقض حاجة ، فسارع إلى الرجوع من حيث أتىٰ والانعطاف ، ودام لبث علي بن أحمد بالجراف نحو شهرين وأطلق أفراس اجتهاده ودهاه بجلباب الاستجلاب [وتلاشت به الأمور ومال إلى المال الجمهور](٢) واتسع نطاق الانفاق واحتار في أمره فما أفاق وبان له اختلال حاشد ويكيل ، وتنكر أحوالهم وعلم(٣) أن المال آمالهم ، [ولم يبق عنده لَبْس أن يومهم معه غير أمس](٤) وأنّه إن لبث بعد هذا باعوه بثمن بخس ، وليس كما زعم كثير أنها جازت عليه حيلة القاضي حسين الحيمي ، [وتمّت فيه مكيدته] وأنّه افتعل كتباً وعرضها له فهو مَن لا تقرع له العصا [والمكائِد عدّته] وقد فعل الحيمي لكنها لم تجز عليه وإنما لما رجع على الوجه الذي ذكرنا نسبها أرباب الحيمي إليه [فجارت هناك لمكان الوزارة والإقبال يكسوا الفتىٰ الأثواب المستعارة] ولمّا تبدّد على علي بن أحمد عقد نظامه [ولم تخالجه في القبائل أوهامه] تيقّن أنّه مع فساد أنظاره أن تراخىٰ فهو مقبوض عليه فعند ذلك نهض مسرعاً ورجع إلى صعدة مظهِراً لبأسه وشدّته وعند عوده إلى صعدة ، كتب إلى الحسين بن عبد القادر يفهمه صورة الحال ، ويأمره إليه بسرعة الارتحال وواعده إلى ذيفان وإلّا استعدَّ للموت [وأهّب الأكفان](٥) ولم يزل يحثّه إلى البدار ، وتخوَّف عليه يكون قتيل الدار ، فما أخذ لنفسه بالأحوط واغترّ بلوامع السراب حتى تورّط ، وأمّا

---

(١) تفسير القرآن الكريم للعلاّمة محمد بن علي الأعقم (من علماء القرن الثامن) منه عدّة نسخ خطيّة انظر كتابنا مصادر الفكر ص ٢٠ .

(٢) ساقط من (ر).

(٣) في (د) اطّلع.

(٤) والذي يليه سواقط من (ر).

(٥) ساقط من (ر).

علي بن أحمد فآمتطىٰ الساجي(١) على ظهره ، وطاش للعودة كالسَّهم ، ولما اجتاز بذيفان طمنع في قبضه أهلها فاجتمع عسكره عليه داره ، ودفعوا عنه بصدق الوضع ، وقتل من أصحابه ومن أهل ذيفان ثمانية أنفار ، وما زال يتابع السَّعي ، وكل قبيلة تتلقّاه ، طمعاً في الأسر خوف الملامة من الإمام ، ولما وصل إلى العمشية انكفّ عنه الحرب ، وخمدت نار الطعن والضرب ، ولما انعكس رجاه وخاب أمله [بكل الأوجاه وما وجد على النار هدىً](٢) دخل صعدة وقال مستشهداً(٣) :

فألقت عصاها واستقرّ بها النوىٰ
كما قرَّ عيناً بالإياب المسافر

ولما استقر بصعدة عطف الإمام على همدان ، وجادلهم بالرضىٰ وأغمد عنهم سيفه المنتضىٰ وحمد منهم التعريض لحرب علي بن أحمد عند رجوعه ، وعدم إجابتهم له مع [كلمهم وتشريدهم](٤) وما نالهم من العقوبة الماضية ، فصاح لهم بالأمان وأذن لمطرودهم بالرجوع إلى الأوطان ، وبعد هذا اضطرمت همّة الإمام بالنار الحمراء ، فأمر ولده إسماعيل وصنوه الحسن بن المهدي ، وغيرهم من الأمراء أن يتبعوا علي بن أحمد إلى صعدة وبأن يصدقوا في حربه الكرة [والردّة](٥) وضاق وسع الديار بمَن ساق من الخيل ، وحارت الألباب لما أمدّ به الأخ والنجل وبلغ عدد الخيل التي وجَّهها الإمام إلى صعدة خمسمائة عنان ، وأمّا الرجل فلا يكاد ينحصر ، وأمر بالمدافع فجرّت إلى صعدة فنفذت الجيوش

---

(١) الساكن.

(٢) ساقط من (ر).

(٣) بيت مشهور لمعقّر بن أوس بن حمار البارقي الأزدي شاعر جاهلي ذكره البغدادي في الخزانة ٢/٢٩٠.

(٤) ساقط من (ر).

(٥) ساقط من (ر).

العديدة وعرج إسماعيل بن الإمام بشلا ، ثم صار منها إلى عمران وبه اجتمعت الأضداد والأقران ، واتّفق إسماعيل بن الإمام وعمّه المحسن بن المهدي بذلك المكان ، ودبّرا من الرأي ما يحسن ، وكان الحسين بن عبد القادر لمّا تخلّف عن العزم ، صحبة علي بن أحمد كما ذكرنا آنفاً رام التخلّص بكوكبان ، فما تكيّف له ولا بألف ، فاضطر إلى النزول على حكمها إلى عمران ، فأقبلا عليه بالتوبيخ ووجّها به إلى السجن بغمدان ، وتتبّعا مَن اتّصل بعليّ بن أحمد ولم يتركا مَن والاه ، بكلامه ، ومنهم مَن هرب ومنهم مَن أفضىٰ به الحال إلى العطب وانفصلا من هنالك فسلك كل واحد منهما على طريق ، فأمّا محسن بن المهدي فسلك على طريق خمر ، وهذه الطريق التي كان يسلكها إلى صعدة كل باشة ، وأمّا إسماعيل بن الناصر فآجتاز على السودة ، ثم قرن الوعر ، واجتمع بعمّه في مياسه(١) وقد كان اجتمع من أهل الشام مع علي بن أحمد بن القاسم الجمّ الغفير لا يشك في التأثير ، وأخبرني الحاج سعد مجزبي: أن محسن بن المهدي عظم لديه جمع أهل الشام واهتابهم ، وعرف أنّه لا طاقة له بهم عند التحام الحرب ، وقد كان خاض في الصلح معهم فلم يفعلوا ، فلما أعياه الأمر ونظر الإقدام على أحرّ من الجمر ، بذل مالاً جزيلاً لمن انشب بينهم الشر ، وكانت القبائل التي معه قد تواطأوا هم وأهل الشام على المراماة بالبارود ، فلما اتفق المصاف وتراءت الأحلاف ، تراموا بالبارود على ذلك الاتفاق ، وذلك الذي بذل له المحسن بن المهدي الدراهم رمىٰ أحد شيوخهم الكبار برصاصة كان فيها حتفه ، فلما اطرح القتل بينهم ، انتقض ما عقدوه وهاج الحرب الذي ما عهدوه وانكسر أهل الشّام ، وتم النصر لأصحاب الإمام فواجه إليهم آل عمّار(٢) وامتد عليهم الجلاد بتلك الأقطار وذلّ أهل الشام وقلّوا ، وحين رأىٰ علي بن أحمد ما دهمه ونابه

(١) كذا في الأصل والذي في السحر المبين «واجتمعا من سفيان بحباشة» وهو الصواب.
(٢) في الأصل آل عمّار والإصلاح من السحر.

الخطب العظيم ، فما أمكنه إلّا الفرار من صعدة ، ولم يلوِ على أهل ولا دار ، وخلف بصعدة طارفه وتليده ، واستمر فارّاً إلى أن صار إلى «أم ليلىٰ» القلعة المشهورة ، فحفظ بها نفسه إلى انقشاع هذه الثورة ولما وصل إلى أم ليلىٰ المذكورة قعد على ذروتها واعتلىٰ فوجدها قلعة منيفة بقمّة الشّام [كأنّها لمحيًّا تلك الأقطار شام][1] لا يخاطب مَن حلّها بحيف ، ولا يكاد يمرّ بها الطَّيف ، ولما وصلت الأجناد إلى رحبان[2] فأطلقوا من الأسر طالب بن المهدي ولبث أصحاب الإمام برحبان بعض أيّام ثم انتقلوا إلى صعدة ، وأخذ آل الإمام ما وجدوا من خزانة علي بن أحمد بن القاسم ، وبعد ذلك دان لهم الشام [وغنّت لهم صادحات الطير من أفنان الاستيلاء على الشام][3] وذلّ أهل الشام وقلّوا [وأعطوا ما سئلوا بيد القسر][4] ولما رأتهم الأجناد الأمامية من الذل بهذه الصفة تعنتوهم بكل كلفة ، وطالبوهم بالأمور المستحيلة ، وتغافل الأمراء عن الكفّ لهم وبعث الأمراء أحمد بن هادي العلفي بحرم علي بن أحمد وأولاده الصغار إلى اليمن فأمر الإمام بتسكين روعتهم ، وأفاض الإحسان عليهم ، وما زال يرادف النَّفقات إليهم ، وصلح له الشام ، وانتظم أمره ، وحين ظهر به [الأمر هذا الظهور وملك أقطار ، من قطار أقطاره زمام الجمهور لم يضع الأسواط عن العواتق ومزّق سربال التجاوز ، فلم يبق موضعاً لراتق وأفرط الجند في طلب المغلّبات وأنجبت أهل الشام إلى التنكّر لهم والثبات وآل الحال بينهم إلى ما سنذكره إن شاء الله تعالىٰ][5] .

ولما تم عمل الشام التفت الإمام إلى الحسن بن المتوكل ، وكان في

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) رحبان: وادٍ عظيم في الجنوب من صعدة وقد سبق ذكره.

(٣) ساقط من (ر).

(٤) ساقط من (ر).

(٥) ما ين المعقوفين ساقط من (ر).

تلك المدّة غافلاً في أبي عريش واللحية ، فما زال الإمام يخرّب ما عمّر الحسن ويظهر بفعله المضمر، فخرج بذلك الأمر عن يديه، ورفعت تهامة رأسها عليه ، وجهد في كيده بالأفعال والأقوال ، وجعل الإمام بيد أهل سردد[1] بني صليل[2] تمليكاً فيه ، وهو لبيت المال فتشوش الحسن بن الإمام وضعف فراجاه فلم يفترّ عنه ولم يكف .

وفي أوائل هذا العام أمر الإمام باختطاط الخضراء بإزاء رداع فأقبل فيها على العمارة وطلب الصنّاع إليها [من البداوة والحضارة][3] فتمّت له بها الدور [النظيرة وأديرت فيها الأسورة][4] وانتظمت في أسرع وقت وذهب في عمارتها كثير من الأموال .

وفيها رجع الحسين بن المتوكل عن مكّة بعدما قلقل كل مقلقل ، واستقر بقرن الوعر ، فرام السيد أحمد المحرابي عامل الإمام على تلك المحلّات يسعىٰ في انفكاكه واشترط الحسين شروطاً وكثر المطالب ، وكان مما نصّ عليه الفرس التي قدّمها ابن غالب ، وطلب مع ذلك إقطاع الشرف والاستقرار بشهارة إلى الانقضاء فكتب المحرابي إلى الإمام بما شرط فأكبر الإمام هذا الاقتراح، ومال إلى عدم الاستصلاح وأشار إليه بعدم الخوض ولا أمان له حتى يرد الحوض .

وفي سنة ١١٠٤ ولّىٰ الإمام أحمد بن غالب التهائم، [وأشاد له بعد الانحطاط بيت مجد على النعائم][5] وكان الشريف أحمد المذكور أطمعه بالقبض على علي بن أحمد، وأن يخطب له على منابر الحرمين الشريفين

---

(١) سردد من أشهر أودية اليمن انظره في معجم المدن اليمنية لإبراهيم المقحفي ص ٢٠٥ .
(٢) صليل من قبائل تهامة من بلاد الزيدية .
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).
(٥) ساقط من (ر).

وربما مدّ إلى مصر والعراقين ، فأنفذه في الأمرين وجاد لـه بكل نفيس [من الذهب والعين][1] ووجَّه معه بالخطيب له على الحرم وتطلعت همّته العالية لهذه الأمور حتى جزم .

وفيها ألمّ بالحسن بن المتوكل التخوّف من الإمام فـركب البحر من اللحية بأهله وأولاده وما معه فطار به الغراب إلى جدّة ثم بادر منها إلى البيت الحرام ، ولم تطل المدة ولكنه ذهب من خوف إلى خوف ، ويُقال إن القاضي حسين الحيمي وزير الإمام كاده وهو أنّه كتب عن مخدومه إلى أشراف مكّة [وهم شعب وأطمع من شاة أشعب ، وذلك][2] بأن يقبضوا الصّرّ المعتاد من اليمن من الحسن فتجاهلوا حقّه [ونزل أمل أمنه منهم بوادٍ غير ذي زرع وكان مَن هرب منه خير ممّن هرب منه خير ممّن هرب إليه][3] ونوّعوا له في الأذيّة وسلقوه بألسنة حداد [وما أن لهؤلاء الأشراف من همّه ولا يرقبون في مؤمن إلّا ولا ذمّة][4] فعمل في الإرهاص منهم ، ودبر عنهم[5] للخلاص عاملاً فيهم بقول الشاعر:

وقـلتـم نـحـن أقـوام كـرام كـذبتم أيـن أفعـال الـكـرام

وفيها اشتدّت وطـأة مَن بالشـام على أهلها واسترسلت أجنادهم في طلب المستحيل لجهلها وتغافل مَن بيده الأمر عن الإنكار ، وظن أن ذلك من تمام الهوان لهم والإصغار ، فنفرت [من ذلك][6] القبائـل ونصبت الأشراك ومدّت الحبائل فقتل على هٰذا بعض عسكرهم بساقين وأدّىٰ تفاقم

(١) زيادة في (د).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر) حذفه لأجل السجع كما هي عادته في عدم استساغة هذا الأسلوب.
(٤) ساقط من (ر).
(٥) في (د) زيادة هي «ودبر عنهم للخلاص قال أحوالهم أي نافر».
(٦) ساقط من (ر).

الأمر إلى الحصار لهم بصعدة من الجهتين ، وحفظت عليهم الأطراف من جميع الجهات ، واشتدَّ الصريخ بالشام فأقبلت الأنكاف وامتلأ بهم طولها والعرض ، حتى تعدم المقرّ ، وضاقت الأرض ، وأقبل الجيش يركض بعليّ بن أحمد إليهم ولاذ أهل بلد ولايته وأنشط من عقال وأحاط بصعدة أولاده من الجهات الأربع ، وحصل التعارك الذي يشيب له الوليد ، وقلّ عنده بطش الجديد، وذهل عن أمّه وأبيه وفصيلته التي تؤويه، وانجلت المعركة عن قتل ألف نفر أو يزيد ، ولجت الدولة إلى الخروج من صعدة لما لم يلتئم حال ، ولا بقي للتّدبير والصولة مجال ، وقنع الجميع من الغنيمة بالإياب ، ولازم أهل الشام أولاد الإمام بالحرب ، ولما صار عسكر الإمام بمحل يُقال له العيون[1] اشتعلت نار الهياج ، وثار غبار الحرب وهاج بإسماعيل بن الإمام إقدامه ، فخاض بنفسه الغمر وأبان عن شجاعة يقصر عندها ابن معدي كرب وعنتر [وكان خرج بمَن استصحب من أهله فهو عنهم يحامي ويرمي بنفسه من دونهم المرامي][2] وما زال يكرّ في الصفوف ، وكان ببعض تلك الكرّات والإقدام قتل رجلاً من أهل الشام ، وللقتيل أخ لا يُطاق ولا يرام ، فكَمَن له بمضيق ورماه ببندق ثائراً بأخيه [على التحقيق][3] فخرّ إسماعيل صريعاً تشقّ أيدي المعالي عليه الأسف ، وما ألطف قول القاضي علي العنسي في الإشارة إلى مصابه ارتجالاً[4] :

راح قتيلاً في العيون الضيا ... وذاق فيها الموت ريب المنون
لهفي له من مغرم بالعلا ... يا مغرماً راح قتيل العيون

ولما قتل إسماعيل بن الناصر تعب عليه علي بن أحمد تعباً شديداً

---

(١) موضع من بلاد صعدة على مقربة منها «نشر العرف ١/٣٩٤».
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) أوردهما صاحب نشر العرف ١/ ٣٩٤ في ترجمة المذكور.

ولام قاتله وكاد يسطو به لو حلّ به في تلك الساع وِكَاً ، وخلص الذين توغلوا في الشام على أهوال ، واستمر القتل فيهم مع بذل الأموال ، ورجع علي بن أحمد إلى صعدة ، ولم يطمع بعدها في الشام ، وركب السّنان على قناة دعوته لكنها تقاللت بعليّ بن أحمد مواد البلاد ، واحتجر واجباتها أضداده ، لأنه اضطر مع قيامهم معه إلى تجبير الرعايا ومداراة شيوخهم تخوفاً من مثل هذه القضايا ، ودار الخوض بينه وبين الإمام في إطلاق الحرم التي تخلّفت بصعدة والإطلاق لحرمه ، فكان كذلك ، وصار كل منهم إلى حرمه ، وأمر الإمام صنوه طالب بالمصير إلى ذيبين ليظهر القوة بعد هذه المتّفقات ، وأمر أيضاً زيد بن المتوكل بالمقام بوادعة ، وعزم على التجهيز ثانية ، وعدم الموادعة فحال دون ذلك صروف[1] القضا ، [وأشير عليه بالتأخير والإغضاء][2] وأدرك ضياء الدين زيد بن المتوكل بوادعة حمامه وتصرمت عن آفاق الحياة هناك أيّامه .

وفي سنة ١١٠٥ حصل مناوشات حرب لا طائل تحتها بين الحسين بن علي بن أحمد بن القاسم صاحب صعدة من جهة أبيه ، وبين الشريف أحمد بن غالب ، ثم اتّفقا في الباطن وصلحت فيما بينهما الجوانب فما عزب عن الإمام ما اتّفقا عليه وندم الإمام على تقوية الشريف أحمد وما أسدىٰ إليه واستعدَّ لحربه واحتال في صرفه ، وما كان للشريف خبرة بأحوال أهل اليمن ، وبدأ الشريف بالانحراف عن الإمام ، وكان علي بن أحمد صاحب صعدة احتال عليه لما يجد أمره على وتيرة ، وترادف الاختلاف بينه وبين علي بن أحمد في أمور كثيرة بأن قبض نجابه كتباً إلى الشريف فيها جوابات عليه من الإمام عليه ، وكان علي بن أحمد احتال في وصول الجوابات المذكورة إليه فلمّا صارت إليه أرسل بها إلى

---

(١) في (د) صرف.

(٢) ساقط من (ر).

الإمام ، وأوهم الإمام أن الشريف أحمد يطلعه منه على كل كتاب وأن الكون بينهما عامرٌ ، وأن الأمور بينهما جارية على خلاف الظاهر فلما بلغت الكتب إلى الإمام وفيها من الأسرار منه إلى الشريف ما لا يقتضيه المقام ، لم يبقَ عنده شكٌ في اختلال الشريف وظن به الظنون من التبديل والتَّحريف ، فجهز عليه الأمير عزّ الدين القطبي ، فلما وصل إليه جرت بينهما مناوشة حرب أفضت إلى كسر الأمير عزّ الدين فتقرَّر عند الإمام خروج الشريف عن الطاعة ، وتخوّف الإمام عاقبة الأمر لما عرف من الشريف الشَّجاعة ، فعند ذلك جمع الإمام الجند الذي لديه اقتضاباً وأعطىٰ كل واحد منهم بعد أن خلع عليهم حصاناً وغسَّالاً وعجّل الإمام بتجهيز الحاضر ، وطلب الشاسع وبرز الإمام صباح اليوم الذي أراد إنفاذ المحاط فيه مشمّراً ، وعقد ديواناً لا يعرف عظم موقعه إلاّ مَن رآه ، وحضر جملة الأعيان وخطب الإمام فيهم خطبة بليغة أعلمهم فيها بنكث الشريف ، وأحسن فيها البيان وطلب رأي أهل ذلك منهم في ذلك التجهيز عليه فقال الفقيه حسن الآنسي الذي كان عامل المخا قد أوتيت الملك العقيم وعوّدت من الله النصر على كل زعيم ، وأخذت الملوك الكبار وسارت بالغلبة في كل قطر لك الأخبار ، فواصل التَّجهيز على الطريد الشريد في الاستئصال لشأفته لا تردده[1] ، ولا رأي في غير قتاله ومَن أشار بغيره فهو من أمثاله ، فقال السيِّد عبد الله المحرابي ، وكان لخاصّته صحبة له في الرأي ومحض النّصح ، فقال ما أشرت أيُّها الفقيه [ليس][2] بصواب وأنت الذي أخربت الملك والبلاد، ولو أن الإمام وفّق للرأي قطع رأسك من باب الحدّ ، فقال الآنسي: لقد تجاوزت أيُّها السيِّد فوق قدرك وإنما أشكوك إلى جدّك فالتفت الإمام بوجهه إلى السيِّد المذكور ، فقال: هات رأيك في هذا ، فقال أعلم أن الشريف أحمد المذكور لجأ إليك

(١) يعني الشريف السابق ذكره وقد جاء هارباً من مكة.
(٢) ساقط من الأصول والإضافة من عندنا.

مستجيراً ، ونال من إحسانك الطَّيب كثيراً وما أظن به المنازعة لـك في ملكك ولا يدخل في طوقه الحلّ لسلكـك ، فهل قـد بعثت إليه رسـولاً وعرفت ما عنده فهو الأولىٰ فقال الإمام أمّا الرسول فلم أبعث غير ما لا يعوّل عليه ولا عندي تفصيل شيء ممّا لديه وأنت إليه الرَّسول وانظر مع توجيه اللحاظ ماذا يقول ، قال: أنا على حسب مرادك أتوجَّه إليه وأخرجه عن بلادك فسار إليه والمحاط تنحدر من بعده مثل السيل فلما وصل إليه ، وكان عجز الشريف عن إقامة مَن عنده وأخلفه الإعانة من وعده وبلغ في الحيرة إلى غاية الإهانة ، فلما كلّمه المحرابي قال الشريف يـا أخي ما جئت أنازعه في بلاده ولكنه «أرسل إلى التركي الدَّباخ الذي لا يعرف إلاّ الخرقاء والمخاخ»[١] فظننت به الاستهانة بجانبي ، ولـو أرسل مثلك مـا تأبَّيت ، وبادرت الارتحال إلى البيت الحرام . فهات حَصّل الجمال لأعزم عن بـلاده في الحال ، فحَصَّـل له السيِّـد مـا طلب [واضمحـل بـارقـه الخلب][٢] وسار من هناك إلى الرّوم وبها وافاه[٣] أجله المحتوم ، وبادر السيد بالكتاب إلى الإمام يعلمـه الخبر على التفصيـل والتمام فشكـر له ذلك .

وفيها توفي معوضة بن عفيف فلمـا بلغ الإمام خبـر وفاتـه آذن إلى المشرق بالنَّفير وجهّز إلى حربهم الجمّ الغفير وبعرصة[٤] الزهراء نصب له الخيام [وانثال إليه أهل الهمم العالية والاهتمـام][٥] وكان صـار إليها ، وجعل إلى أخيه المحسن بن المهدي تقديم الجيوش ومصادمة الأقران ،

---

(١) من أمثلة العامة في ذلك الوقت والدباخ هو الطباخ «معروف» والخرقاء الإلية من الكبش، والمخاخ جمع مخ «معروف».
(٢) ساقط من (ر).
(٣) في (د) وفات.
(٤) العرصة: القطعة من الأرض.
(٥) ساقط من (ر).

ولما صار بالزهراء ثارت المشرق بالقعاقع والإرجاف وخشي الإمام سحَّ سحابها بالعارض الوكاف ، وكان وزيره القاضي حسين الحيمي المشير عليه بالتقدّم بنفسه إلى الزَّهراء وظن به الظنون ، وكان الإمام تجسَّد في باله غير الواقع وعملت عنده تلك القعاقع ، ولما وجد أهل البغضاء له قبول القول ، أشاروا عليه بغير الواقع ، وحثّوه على الرجوع إلى دار ملكه على الفور [وأدمجوا له من المكائد ما بعد منها الغور][1] فترك الإمام كلما أجلب به إلى الزهراء وركب ظهر الغبراء إلى الخضراء ، وأمر صنوه الحسن بالتأخّر بعده قليلاً حتى أحرق بعض الخيام وبعض السوق وتبع على أثره ، وكان نما إلى الإمام أن وزيره الحيمي قدّم بعض أمواله وحوائجه في اليوم الأوّل إلى رداع ، ولم يترك غير اليسير من المتاع فتأكّدت له الواهمة فيه ، وأضمر الفتك به حال يوافيه ، وكان ما ترك الإمام بالزهراء الغنيمة الباردة لأهل المشرق ، وظفروا بما لم يكن لهم في حساب من الغنائم ، ولما استقر الإمام برداع وعرف أنّه بيع وما ابتاع ، علم أن ذلك الانهزام من الخطأ وأنّه من كيد الأعداء ، [وبغي الخلطاء][2] فأراد تغطيتها بالوقوع بالوزير القاضي حسين الحيمي كونه المشير ، فبطش به وأراد قطع رأسه بما نسب إليه من الغش واستصفى ذخائره وأمواله ، ولولا الشفاعة من أخيه قطع من علائق الحياة آماله ، وأخبرني مملوكه الخازن أن المال المقبوض على مخدومه القاضي مبلغ عظيم ما اطمأن الخاطر بالتَّصديق إليه وأيّد قوله من بعد الشيخ علي بن أحمد راجح ، فإنه ذكر أنّه نحو نصف كرّ[3] من القروش والصفائح ومن عرف ذلك الحال وشاهد الإقبال وما قبض الوزير المذكور في بدء الدَّولة ، وظهر على يده من المصادرات والصولة مع سلامة اليمن في أيّام المؤيّد

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) زيادة في (د).

(٣) في (ر) كره والكرّ: قال في المحيط هو مكيال وستة أوقار حمار وهو ستون قفيزاً أو أربعون أردبا.

رضوان الله عليه وصلاح المتاجر والثمار ، لم يتردّد ، وما زال الإمام ينقل القاضي في الحبوس ، ويعامله بالعنا والبوس .

وفي سنة ١١٠٦ كانت وفاة القاضي العلاّمة الخطيب الأديب محمّد بن إبراهيم السحولي الشجري برداع ، وخطب بصنعاء برهة من الزمان ، وبآخر أيّامه صار إلى رداع ، وخطب بها للنّاصر إلى هٰذا الأوان ورزق في العلوم والآداب الحظّ الوافر . ومن شعره:

حدّث عن الجرعا والأجرع ... وعن ربا سلع وعن لعلع
وآروِ أحاديث أهيل الحمىٰ ... والأثلات السجّد الركّع
سقياً لها من أربع لم أقل ... لغيرها يسقيك من أربع
وربّة القرط التي قرطها ... يروق في المرأىٰ وفي المسمع
[تقنّعت تفهمني أنها ... بغير سلب اللبّ لم تقنع
تقمعت يوماً وقالت بذا ... أقمع مَن لام فقلت اقمعي](١)
ماذا على الأيّام لو راجعت ... ما لا نفد منه ولا يرجع
ماذا علىٰ مَن أودعوني وهم ... قد أودعوني لمستودع
ما لي لا أنزع عن حبِّهم ... وما لقلبي ليس بالمقلع
هواي فيهم كهوىٰ أحمد ... للفضل والأفضال فآسمع وعِ
ما وقعت عيني من شغفها ... بمثله في الناس لم أسمع
يطمع مَنْ ساواه في أنّه ... ساواه لو يعقل لم يطمع
وكل أخبار المعالي إذا ... لم تروِ عن أحمد لم ترفع
يا كامل الفخر بسيط الندىٰ ... شديد فضل وافر أوسع
سريع شعري جاءكم مسرعاً ... فأشعروه بالهناء المسرع

وفيها وصل الحسن الجبلي إلى صنعاء وبيده الفقيه حسن الآنسي

---

(١) زيادة في (د).

مأمور بضرب عنقه فيها وكان أعدىٰ عدوّ له يترقّب الفرصة له ، فواصل الاهتمام في السير به الخطا وهو لا يدري من التغيظ عليه أين يطأ فلم يصبح به إلاّ على باب صنعاء في الليلة الثانية ، فبيّته في السجن ، وبادر بضرب عنقه قبل أن ينتشر الصباح ، لظنّه(١) أنّه ربما يبدو فيه رأي الإمام ، وكان كذلك فإن الإمام بدا له ، وبعث البريد في إثره فلم يصل البريد إلاّ وقد بان منه الرأس وانقرض ، ولم يفلح من بعده جماعة الشورىٰ وكان الآنسي للإمام من أكبر الأعوان ، ولم يسدّ مكانه في مثل ولايته له من بعده إنسان ، وكان من الكرام بمكان .

وفيها جهّز الإمام جيشاً للمعسال فكسرت وأهريقت دماء كثيرة فيها شبع الذئب العسال واستقصىٰ سراياه وبعوثه إلى الشرق لا يكاد يأتي عليها الحصر ، وذاك ما لا يقدر عليه غيره في أي عصر وعن الاستئصال لهم حكمة من الباري تعالىٰ والسَّبب من الإمام العجل ، واختلاف أقاويل الوزراء فالآخر ينقض ما عقد الأوّل وتخريجه على المشرق ينيف على الأربعين والذَّاهب من الفريقين في جملتها بالآلاف والمئين .

وفيها كان لأهل صنعاء منازل فوق الدكاكين للاستقالة فيها ، وربما حصل فيها من التخبّطات ممّن لا خير فيه في بعض الحالات ، فسعىٰ بهم إلى الإمام وعرّفوه السَّبب في ذلك المتّفق المناظر، فأمر عليها بالتخريب، ولم يبق إلاّ آل حميد الدين تغافل عنها العامل لمحلّهم من الإمام فهي باقية إلى الآن .

وفيها استأذن الإمام صنوه طالب بن المهدي في الحجّ وكثر عليه فمنَّ عليه بالإذن وجهّزه في عسكر وبيده العقد والحلّ فصادق قومه البيت العتيق فتنة بين الأشراف والشريف أفضت إلى تأخير الحجّ ذلك العام ، وكان

---

(١) عبارة (د) لتجويزه أن يبدو فيه رأي للإمام.

الشريف استعمد من قبل الأتراك وحفظ الأطراف ، ورتّب الإدراك ، وطلب من صنو الإمام طالب يعضده ويقاتل معه فأسعفه بالمراد وفاز بالجهاد وفاته الحج ، وصدق طالب بن المهدي ومَنْ معه في الحملة ، وكانت الجمالة لأهل اليمن وعرف بهم الشريف كيف الرمي وشهدت لأهل اليمن الأبطال والشجعان ، وكان لهم ذلك اليوم حين التقىٰ الجمعان وانجلت عن نصر الشريف واحتواه ما أجلب به أهل الشام والروم وفات الحجّ بهذا العام جملة الناس ورجع طالب بن المهدي اليمن وقد حاز فضيلة الجهاد .

وفي سنة ١١٠٧ انتقل الناصر من التلقّب به إلى الهادي وأمر الصريخ فنادىٰ بهذا اللقب في كل نادي .

وفيها وجّه روميّاً يُقال له إبراهيم باشا في عسكر معه لأخذ زيلع[١] ، فركب فيهم من بندر المخا ، فأخذه واستولىٰ عليه بيد الأقسار وعمَّر فيه القلعة العظيمة وحَصَّنه بسورٍ عليه أداره ، وكان من قبل عليه عشاش[٢] لا طائل تحتها ، وحفظه عن الصومال[٣] في الابتداء والانتهاء ، وما زالت له به الصولة وابتنىٰ بها مسجداً وداراً للدولة ، وحمل إليه الإمام أربعة من المدافع ، وجَرّ إليه مما يقطع الطمع فيه جملة المنافع ومنه يجلب الرقيق إلى المخا وصار الآن بندراً يقصده تجار الحبشة .

وفيها استوزر الإمام الشيخ أحمد راجح وجعله شريكاً للقاضي حسين الحيمي بعد تلك المطامح .

وفيها طلب الإمام قبائل القبلة إليه فاتّفق بينهم وبين بعض التوابع خصام أدَّىٰ إلى ترام وتحزب واستمر إلى اليوم الثاني [بإذكاء ناره بعض

---

(١) زيلع: ميناء على الساحل على خليج عدن في الساحل الإفريقي من الصومال.
(٢) جمع عشة بيوت من القش.
(٣) الصومل هم الصُومال: شعب مسلم يتكلم لغة حاميّة وبلاده هي الصومال بين خليج عدن والمحيط الهندي.

البغضة] ثم عضد الخيّالة التوابع وأشارت الفتنة بينهم بالأصابع فأمر الإمام أصحابه بالكفّ فلم يمتثلوا فغضب الإمام لعدم امتثالهم أشدّ الغضب فنزل عن سريره ووثب وخرج إلى أصحابه بعدهم البطش واتّفق رأي الخيّالة والتوابع ، وأجمع رأيهم إلى التوجّه إلى تهامة والتغلّب على أقطارها وعلى أن يتركوا الإمام والقبائل ، فبرز جميعهم إلى قاع ملاح[١] ، واستعدّ كل واحد منهم للطعن والكفاح ، وكانت الخيل قدر ألف عنان أكثرها ركابها السودان ، فصرخ الإمام بمَن حوله من قبائل العرش[٢] وضمّهم إلى قبائل القبلة ، فلما تراءىٰ الجمعان نظرت أهل العرش وقبائل القبلة الخيل كالجبال وبنادق التوابع ما لا يخطر ببال استقام الإمام وأمر القبائل التي معه بالجملة في أصحابه، فأحجم مَن معه عن الإقدام، ورأىٰ الموت دونهم عياناً قبل الاصطدام ، وكان اتّفق رأي أصحاب الإمام على مباشرته أن بدأهم بقتال ، وما زال الإمام يكرّر التّولّي للقبائل بالاقتحام ويشجعهم[٣] فما همَّ أحد منهم للتقدّم ، فلما عرف عدم لقاءهم للتوابع [كما أمر] رجع إلى الخضراء وهو مغتاظ وحقق أن الخيل لا يقام لها بإزا وعمل في استعطافهم وبذل في تطييب النفوس العطايا الوافرة وكانوا بلغوا من بلاد عنس إلى محل يُقال له الجميمة ، وتغافل الإمام عن البطانة بعض أيّام ، ومسَّ بسوط عذابه مَن له السعي في ذلك والقيام ، ولم يجرِ فيهم على سَنَن بل أساء إلى مَنْ أحسن وأحسن إلى مَن خلع الرَّسَن[٤] .

وفيها وصل بعض المدلّسين بصنعة الكيمياء وصدّقه الإمام حتى ذهب من عين حاصلة في القضية فلما بلغت الصّنيعة أراد استعمالها فعادت إلى القسوة وبان عدم الصنعة وهناك جملة أموال ، فأشار على الإمام مَن حضر

---

(١) ملاح: مدينة بالشرق من ذمار بمسافة ٥٥ ك.م وهي من عزلة العرش أعمال رداع.

(٢) العرش: عزلة من بلاد رداع بالجنوب منها.

(٣) في (د) فما مرّ طير الامتثال بخواطرهم.

(٤) في (ر) الطاعة: والرسن.

ذلك المقام أن هذه الفضة لا تنفق إلاّ في بلاد سنار[1] فأرسل الإمام نعمة الله اللاهوري فلما وصل إلى سنار شري بها للإمام نحو ألف من السُّودان ووافىٰ بهم كجوالق الفحم مرآة الأبدان .

وفي سنة ١١٠٨ خطب الإمام إلى أحمد بن علي الرصاص الجرهمي ابنته ، ورام أن تكون عن الحرب بينهما جنته ، فلما وصلت إليه صنع أعراس بَوْران[2] وفازت منه بحظ الخيزران[3] وكانت ربيبة خدر ، كالبيض المكنون ومثلها فيما قيل ما كان ولا يكون ، لها قوام ناظر ، وعقل وافر ، وعند البلاغ بها وسقوطها مثل الندىٰ عليه إليه ظفرت منه بالأماني ، وقيلت فيه من أجلها التهاني . من ذلك قول الحسين بن علي بن المتوكل في المقام العظيم الغني عن الشرح والتفهيم فقال:

ظمئي إليك على تداني داري
ظمأ الصّدى إلى الزلال الجاري
يا فاتناً حجبته أطراف القنا
من أن يمرّ به خيالُ الساري
مَن لي بنزر الوصل منك ودونه
فرسان طعن من كماة نزار
من كل أبلج سيفه في كفّه
عند القتال كشعلة من نار
وعلى هضاب الرّقمتين منازل
تحكي منازل أنجم الأسحار

---

(١) سنار: مدينة بوسط جمهورية السودان على النيل الأزرق.
(٢) انظر خبر زواج بوران وما أحدث فيه من بذخ في وفيات الأعيان ١/ ٢٨٨ ط إحسان عباس.
(٣) الخيزران هي زوجة المهدي، وأم هارون الرشيد وفاتها سنة ١٧٣ .

قضيت فيها للشباب مآرباً
وخلعت فيها للغرام عذار
وركبت فيها للغواية مركباً
سلس القياد إلى الصبابة جاري
يا صاحبي سلا الركاب عن الحما
إن الركاب مظنة الأخبار
واستنشدا ريح الصبا عن أهله
إن الصبا مأمونة الأسرار
وإذا الصبا عزّت عليكم فاسألوا
جنح الدجا برق الغوير الساري
هيفاء يلعب جيدها بفلولها[1]
لعب الفوارس بالقنا الخطّار
يا باري السهم اجتنب من لحظها
سهماً لحتفك قد براه الباري
وسقى بني أرض[2] فإن بأرضها
غيد أخذن محاسن الأقمار
لا عيب فيها غير أن خطابها
أحلا من العسل المذاب الجاري
وكأنّما وجناتها من فضّة
بيضاء قد طليت بذوب نضار

(١) خصلات الشعر.
(٢) من البلاد الواقعة ببلاد البيضاء ونواحيها.

وممَّا هنَّأه في ذلك الأعراس أحمد بن أحمد الآنسي بقوله:

ألـمّـت تـهـادي والـمـعـنـف قـد أغـفـا
عـلى حـذر والـليـل قـد أسـبـل الـسـجـفـا
بـلـيـل تـخـال الـزَّهـر فـيـه أزاهـرا
وقـد أيـنـعـت في روضـهـا ودنـت قـطفـا
كـأنّ الـثـريـا أكـؤس الـراح بـيـنـنـا
وقـد بـات بـدر الـتـم يـدهـقـهـا صـرفـا
كـأنَّ أبـاريـق الـمـدام جـآذر
وقـد نـصـبـت جيـداً وقـد شـمـخـت أنـفـا
فـبـاتـت تـعـاطيـنـي سـلاف حـديـثـهـا
فـأرشـفـه من كـأس مـبـسـمـهـا رشـفـا
وغـنَّـت فـلا أدري أمـن حُـسـن صـوتـهـا
أم الـعـود أم مـن جـرسـهـا أجـد الـطرفـا
هـي الـبـدر لـكـن لـيس لـلبـدر مـبـسـم
هـي الـظـبي لـكـن مـا رأيـنـا لـه عـطفـا
وكـم رام غـصـن الـبـان يـحـكـي قـوامـهـا
خـلا أنـه مـا حـاز خـصـراً ولا ردفـا
لـهـا كـفـل لـولا الـنـقـا فـيـه لـم يـطق
عـلى حمـله خصـر لـهـا يشـتـكي الـضـعـفـا
كـأن أيـادي الـروض حـاكـت لـقـدّهـا
مـن الـحـسـن ثـوبـاً لـن يُـخـاط ولا يـرفـا
يـؤثـر فـيـهـا الـوهـم إن خـطـرت بـه
إذا سـفـرت شـفّـا وإن خـطـرت لـفـا
كـأن سـحـيـق الـمـسـك خـامـر جـسـمـهـا
فـلولا شـذاهـا مـا عـرفـنـا لـه عـرفـا

فيا ليتها تطفي ببارد ثغرها
لهيب غرام في فؤادي لن يطفا
تخاصم فيها حليّها ونِطاقها
ترى الدور والأحجال تلتزم الوقفا
فتنظر هذا واقفاً فوق خصرها
وذا صامتاً في ساقها لم يقل حرفا

منها:

أما لأسير الحبّ منك تخلّص
ولا لسقيم شفه الحبّ أن يشفى
وما خلت هاروتاً وماروت علقا
على السحر حتى خلت قرطك والشنفا
تحيرت في أوصاف حسنك مثلما
فخار إمام العصر أعجزني وصفا
إمام الهدى الهادي الذي بثباته
لأحكام أهل الجور والبغي قد أنفا
تهنى إمام العصر برءاً وصحّة
وعافية تلقى عداك بها الحتفا
وهنّيت أعراساً تسرّ به العلا
كما عضّت الأعدا أناملها لهفا
ودونك شمس الشرق في درّ حليها
بدت كمحيّا البدر بالزهر قد حفّا
فها هي بلقيس وذا العرش عرشها
وأنت سليمان الكرام الذي وفّا

وفيها طمع الإمام في علي بن أحمد صاحب صعدة أن يبايع ويمدّ إليه

بكفّ طائع فتهدأ بينهما الروائع وتخمد نار الوقائع فبعث إليه من يطمعه ويطعمه بشيء من البلاد ويضمن له من المال ما أراد فأطعمه علي بن أحمد وأوهمه وأخذ في المكر يبري قوسه وأسهمه فقال الآنسي أحمد بن أحمد يذكر صفة الواقع بينهما فقال:

دهر أغرّ ودولة غرّاء
بهما استنار الحسن والحسناء
وإلى محلّ العزّ قد طاب السرى
منّا فهذا العرش والخضراء
فانزل بواديها المقدس خالعاً
نَعلَيك فهي الطور وهي طواء
وأجب منادِيها بواديها فقد
أضحى هنالك للندا أنداء
وهنالك المجد المؤثل راسخاً
فاءت عليه من القنا أفياء
يا حبّذا الخضراء دار خلافة
طابت فها هي طيبة وقُبَاء
فيها الإمام الناصر الهادي الذي
من ذكره اهتزّت له العلياء
أضحى سليماناً على كرسيّه
وله القضاء بما يشاء رخاء
فتحت له الأمصار من عدن إلى
مصر ودانت خوفه بصراء
عزّت بدولته (تعز) و(جبلة)
وكذاك إبّ ما بناه إباء

وتصحّفت منه ذمار للعدى
ودنت لحُسن صنيعه (صنعاء)
وإلى لقاه بعد ذلك (صعدة)
أنفاسها من شوقه صُعَداء
حتى أراد الله يفتح عينها
وهي التي من قبله عمياء
ما استيقظت إلاّ وحشو جفونها
من دون صعدة صعدة سمراء

إلى أن قال فيها:

ما الناصر الخوّات إلا أنّه
تأويلها للعالمين هداء
لو تنطق العلياء فيه لأنشدت
لله هذي الهمّة القعساء
ولك البشارة والهناء ببيعة
علوية شهدت بها العلماء
بعليّ صفوة طالب بمحمّد
خير الأئمة دامت النّعماء
وكذا عليّ كان سيف محمّد
فتشابه الأبناء والآباء

وهي طويلة اقتصرت منها علىٰ هٰذا القدر .

وفيها انتخب الإمام مائة عنان من الخيل بفرسانها وشملهم بالرفق قولاً وإحساناً وصبَّ عليهم الدّروع السابقة [وفرّق فيهم السيوف والرماح البالغة][1] وأمرهم بالغزو إلى أطراف بني أرض ، فلما وصلوا إليها

(١) ساقط من (ر).

وحَصَل بينهم مناوشة حرب أفضىٰ إلى كسيرة أجناد الإمام ، فلما بلغ الإمام هذه القضية نكس رأسه تغيظاً (أي مطرقاً) وجعل يتلهّف من فعلهم بحضرة القاسم بن الحسين الذي صار خليفة من بعده وتدبّر الرأي في الاقتضاء منهم بهذا الدين فخرج القاسم بن الحسين من عنده ، فجمع من رداع ما قدر عليه في يومه ، [وصبر إلى أن أخذ الأوّل في نومه فأسرىٰ بأولئك الذين اجتمعوا له من](1) غير أمر الإمام وطرق بهم الذين كسروا أجناد الإمام فأوقع بهم أشدّ وقيعة ، وحمل من الهام عدّة رؤوس في تلك اللحظة اليسيرة السريعة واستاق كثيراً من الأنعام ، ووافىٰ بذلك صباحاً إلى حضرة الإمام [وباح بالثناء عليه في ذلك المقام واعترض الإمام ما أجلب به العلم من الغنائم](2) وأمر له ولأصحابه بالخلع النفيسة والجوائز العميمة .

وفيها سأله الحج أولاده اللذان هما يوسف والصّادق فأنعم عليهما بالإذن وجهّزهما الجهاز الموافق وسيّرهما في عصيمة من الخيل والعسكر ، وجعل الحسن بن صلاح الديلمي وزيراً لهما فجاءت طريقهما على أبي عريش ، وكان الإمام أمر ولده يوسف بالقبض على الأمير عزّ الدين القطبي الذي قتله من بعد وأمره أن لا يقبل مراجعة فيه [من عمرو ولا سعد](3) ففعل فيه ما أمره والده وأرسله تحت الحفظ إليه(4) .

---

(1) ساقط من (ر).

(2) ساقط من (ر).

(3) ساقط من (ر).

(4) هنا خبران مهمان وردا في كتاب المؤلف السحر المبين لم يذكرهما هنا وهما:

فيها ظهر بمساقط الجوف رجل يدّعي أن عبد الله ولده وأنه أعمل الحيلة في خلاصه من السجن وأنجده مَن أنجده وإن ذلك المتوفى قبل هذا العام مموّهاً به عليه وأنه هو المشار به إليه وهذا أصل منشأ هذا الخيال الذي سلك به رجال على أهله بالاحتيال» إلخ. .

والخبر الثاني:

وفيها: استكملت العمارة والعنايات للمسجد بإزاء القصر من صنعاء وعني بشأنه القاضي =

وفي سنة ١١٠٩ جهّز الإمام جيشاً أجشّ إلى المشرق ولم يؤمر فيهم مَنْ يذكر إلّا أن فيه حماة الرجال فكانت الملحمة بالمعسال فأخذ السيف مأخذه [وشبع من أشلاء الجميع ذئبها العسال](١) وانجلت المعركة عن قتل [كثير وولت الكماة ظهورها لعدم التأثير](٢) وانهزم أجناد الدولة [بتلك الوظيفة وتغيّر الهواء من نتن القتلىٰ بالجيفة](٣) وأصيب بعض السادة من آل الحبسي مع علي بن هادي العلفي .

وفيها أمعن الإمام منه النظر وأدّاه اجتهاده فتلقّب ثالثة بالمهدي المشير إلى أنّه المنتظر ، وخطب له بذلك على المنابر ورسَمَ اسمه على الدراهم وفي ذلك قال الآنسي أحمد بن أحمد من قصيدة طويلة وهي :

أبا الوحي أم نُوديت بالطور من سينا
تكنّيت بالمهدي وقد كنت هادينا
فبان لها التأثير في كل كائن
فما هذه إلّا النبوّة تنبينا
فإن لم يكن وحي فتلك عناية
فبشراك قد اختارك الله مهدينا
وسبحان مَن أسرىٰ بجدّك معتماً
إلى المسجد الأقصىٰ وجاوز علّيّنا
وموسىٰ كليم الله ناداه ربّه
إلى قومه واستخلف القوم هارونا

= حسين بن أحمد الحيمي وعرف به فصار للروح من الآيات وضم إليه مسجد الهادي القديم مع الانفصال فكان لذلك المصلّى في حلية القبول أي تالٍ».

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) ساقط من (ر).

وأنت كخيـر الـرســل خيـر خليفـة
وزادك ربّ الـعــرش عــزّاً وتمـكـيـنـا
وإن يكن الاسم المسمّىٰ فكم نجـد
لأوصــافـه في الــذوق معنىً وتحسينا
كـمـا أن طٰـه أحـمـد ومـحـمـد
وسَمَّـاه ربّ العــرش طٰـه ويـاسينا
وفي كثـرة الأسمـاء منـك خصـائص
وخـاصيَّـة تـزداد بـالسـرّ تـبيينـا
لـك السِّيـرة العـظمىٰ التي نـطقت بهـا
رمــوز أقـام الله فـيـهـا الـبـراهـيـنـا
بكنيتـك المهـدي في الأرض هـدنـة
بهـا هـدأت كـل الـزلازل تَسكينـا
وقـد كنت بـالهـادي إلى الله داعيـاً
تـدانت لك الـدُّنيا وحـطّت بهـا الـدِّينا
ومن قبـل كنت الناصـر الـدِّين نـاهضـاً
أقمت سـلاطينـاً ورعـت شيـاطـينـا
ولا عــجــب أن ســلَّط الله رســله
علىٰ مَن يشـاء وأقـرأ بـذلـك طـاسينا
دعــوت فـلبّتـك الـصــوارم والـقـنـا
وأركبت فـوق الـغـرّ غـرّاً ميـامـينَـا
وطابت لكَ الخضراء في العرس مـربعاً
وأُسِّست بـالتقـوىٰ عليهـا مبـانينـا

والقصيدة أكثر من ذلك القدر ، وفيما ذكرت دلالة وقد نال الشاعر بها من الإحسان من الإمام والحظّ الوافر .

وفيها ندب الإمام محمد بن حيدر أغابَوْتج(١) في رسالة إلى الشاه حسين بن سليمان بن [عبّاس](٢) ملك العجم وأصحبه هدية سنيّة منها سيوف حسنيّة وخيل أعوجية وأشياء من العقيق والنفائس اليمنيّة ، فخاض الرّسول اليمّ إلى الشاه ، فكثر بما أعطاه له الحسّاد والوشاة ، وأرسل الإمام أيضاً بعض السادة إلى ملك الهند كذلك بهدية سنيّة أبان فيها عن عظم شأنه بالمملكة اليمنية ، ولما ظهر صيته في الأقطار بالعطاء الواسع أعمل الركاب في الوفود إليه أهل كل قطر شاسع(٣) حتى ضربت بكرمه الأمثال .

وفيها أُمر بطرد نعمة الله اللاهوري إلى الهند [طار بـه الغراب](٤) وذلك بتدبير من الحريبي عليه وأشياء من القدح في الملك نسبها إليه ولما صار بالهند سأله ملكها عن تلقّب الإمام بالثلاثة الألقاب وهل هو واحد أو ثلاثة فأحسن الاعتذار [كما وصف ومهّده في الجواب](٥) .

وفيها رجع ولدا الإمام يوسف والصادق عن حجّهما في عافية وحبور ، وقد ذكر الآنسي ذلك في قصيدة [ثمنها أعراضاً له جليلة طلبها من فضل الإمام](٦) فقال:

---

(١) هو من شعراء اليمن الكبار برع في الشعر الحميني (الملحون) انظر ما كتبناه عنه في كتابنا الأدب اليمني عصر خروج العثمانيين ص ٤٠٤ .

(٢) في الأصل بيض لهذا الاسم وفي السحر حسين الغزل باش وما أثبتناه في الدول الإسلامية لستانلي بول ص ٥٨١ .

(٣) عبارة (د) عمل «أعمل الركاب في الوفود إليه أهل كل قطر شاسع حتى ضربت بكرمه الأمثال، وفي السحر نقد لاذع لمسلك المهدي يقول: «ولقد انفق جزيلاً في الخَزَعْبلات وتحمل جسيم التَبِعات للمحالات وأضرّ بنفسه بالبذل في غير موضعه ولو حفظ المال لحين انقلب الحال عليه أثر في نفعه».

(٤) ساقط من (ر).

(٥) ساقط من (ر).

(٦) ساقط من (ر).

وإليــك قـد جــاء البشيـر بيــوسف
وأخيــه من خلفـا شبيــراً وشبّــرا[1]

أكــرم بـه والصــادق المفضـال من
لبنين مـن عليــاك طــابــا عـنصــرا

من بعـد أن قضيـا منــاسـك حجّهم
ومنّــا بهـا بلغــوا المنىٰ والمشعــرا

فلك الهنــا بهمـا كيعقــوب الــذي
ارتــدّ إذْ جــاء الـمبـشّــر مبـصــرا

وفيها عذر الإمام الشيخ أحمد بن راجح عن الوزارة وخلص بعد السعي الشديد من حساده وجعل مكانه الحريبي .

وفي سنة ١١١٠ كان الحرب بين الإمام وأهل المشرق سجالاً فتارة له وتارة عليه في أغلب الأحوال ، وفي أثنائها مرض الإمام واستطال بـه المرض وضعف في ذاته حتى كاد يذهب الجسم والعرض ، حتى أرجف بموته مَنْ في قلبه مرض ، ولما ظهرت فيه العافية وخلص من شدّة الألم كره الخضراء واعتراه لها ملال ، وعزم على تركها كما هي اليوم أطلال فركب على التخت إلى ملاح ، وعرس منه بالجانب الفساح وكان النائب عنه في الإصدار والإيراد وتولّي الأمور في جميع البلاد ، ولده المحسن ، وكان أكبر أولاده بعـد عبد الله في السنّ ، ولبث بمـلاح أيّاماً قلائـل ، وارتحل عنه إلى الجميمة ولقي الناس معه أحوال جسيمة ، لتعدّم الأماكن [وتحقّر المساكن][2] فأمر بـالعمران بهـا وأن تسمّىٰ السلامـة ولبث بها شهوراً وطاب له بها الإقامة وكان من قبل ذلك أمر الحريبي وولده المحسن بارتياد محلّ قرب ذمار يعمّر فيه له مدينة واقترح من تناسبهـا صفة على

---

(١) أمراء مكة في ذلك الوقت.

(٢) ساقط من (ر).

القرار معينة واشترط أن تكون بها قلعة حصينة وحثّهما على البدار ، ووجّه معهم المنجم،والعُمّار ، فطافوا عدة أماكن ، وأعملوا النظر في أقرب مدّة فوقع اختيارهم على أكمة المواهب ، وكانت مأوىً للصوص ، فعادوا إليه بعد ذلك اليوم وأخبروه بما أجمع عليه نظر القوم ، فأمر الحريبي بالعود على فوره إليها في التأسيس ، وجعله مع الوزارة العظمىٰ تكون بنظره العمارة فعمّرها في أسرع وقت وفي خلال بقاء الإمام بالجميمة وكان بقية المرض فيه أرجف الغوغاء أنّه قد مات ، فوضع العمّال أيديهم في ظلم الرّعايا وما نظر ولد الإمام المحسن في إنصاف أهل الشكايا واشتغل عنهم بمرض أبيه ، وصرفه أهل الجعالات من الوزراء عن الانتباه على الشكاة بما بذلوا لهم من الأموال ، وكان العامل بوصاب أعظمهم جوراً وكانت ولايته ريمة جاوزوا الحدّ في ظلمهم ، فلما عظم على أهل تلك المحلّات الظلم أطبق أهل ريمة ووصاب على الخلاف ، فنما خبرهم إلى الإمام فبادر بتجهيز صالح بن حبيش عليهم في القبائل وأمره بالأخذ لهم بالجراير فطوىٰ إليهم البيد ، [وعمّهم بالامتحان الشديد][1] واستأصلهم بالقتل والنهب والحريق حتى كان الواحد منهم يقطع أُذن المرأة من أجل الخرص[2] الذي فيها ولقد بِيع ذلك بصنعاء والآذان بها أو بَواقيها [ولمّا انقضت سورة الإمام واتّسع الخرق في تلافيهم على الراقع][3] ثم أمر الإمام برفع ذلك عنهم[4] ووضع عليهم أدباً من المال لا يُطاق [ولا يُستطاع] وولّىٰ عليهم الإمام ابن عمّ الأوّل[5] ، فكان باعه في الظلم أعرض منه وأطول فخلصوا من الحمام إلى الحمام ، وبعد هذا المتّفق

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) في (ر) القرط.

(٣) ساقط من (ر).

(٤) في (د) أمر الإمام عنهم ذلك بالارتفاع.

(٥) في السحر «وولّى عليهم أطغى وأطغم وأكثر تجاريا في الجور وأظلم وهو الصّهر الثاني ابن عمّ الأول» قلت يعني بابن عمّ الأول ابن حبيش السابق والله أعلم.

بوصاب وريمة خطب القاضي محمد بن صالح العلفي بصنعاء خطبة أنكر فيها فعل ابن حبيش بأهل وصاب وريمة وأن ذلك العبث بهم والمثلة من غير أمر الإمام ، وكان القاضي حسين المغربي استنابه تلك الجمعة في الخطبة ، ويُقال إن ذلك عن مواطأة بينهما واتّهما به فعزل القاضي المغربي عن القضاء ، وهَمَّ الإمام بضرب عنق العلفي فشفعت فيه كريمته الشريفة وأمر به إلى حصن غولىٰ حتى اتفقت واقعة المحطوري وتلك القضايا ، فخرج من السّجن بلا إخراج وصار إلى حضرة الإمام فجاد عليه بالرّضىٰ ورام توليته القضاء فاعتذر إليه في ذلك فقبل عذره وأنقذه من هذه المهالك .

وفيها قوّض الإمام أطنابه من الجميمة وبرز من نشاطه على الهمّة القديمة والعادة المستديمة فصار منها إلى سنبان[1] وهو منها بنحو ميل وهو وادٍ فيه أشجار ومنظر جميل فبات به قدر ليلتين ومع ارتحال عنه أوقع بمولاه الأمير سلمان وبعث به إلى حبس المخا مقدمة لتنحيته ، وذلك أن المحسن بن الإمام أقرف باله [وطبع في مرآة خياله][2] بأن صنوه يوسف استخلف الأمير سلماناً إذا نزل به الحادث الذي لا يدفع [بالأعلام المنيفة ولا يقوم بإزائه السلطان ولا الخليفة][3] أرسل عن يوسف بن المتوكّل من قصر غمدان ونصبه بمكان أبيه وأن يجهد في تقليده وصرفها عن أخيه لا لطمع ولا محبّة فيه فغضب لهذا السبب على الأمير ولا أصل لهذا الكلام والتدبير [كما قِيل في الخارج][4] وإنما هي حاجة في نفس يعقوب قضاها بمعارج ومن سنبان صار الإمام إلى محل قرب ذمار عمّرت له به دار سَمَّاها صنع الله ، وبها لبث ما شاء الله ، ومنها دخل المواهب فآجتلىٰ من ذلك

---

(١) مدينة بالشرق الجنوبي من مدينة ذمار بمسافة ٣٦ ك.م .

(٢) ساقط من (ر).

(٣) ساقط من (ر).

(٤) ساقط من (ر).

الحصن محيَّاه وأدار السرور لـه بـه كـأس حميـاه ، وكـان المحسن بن المهدي[1] أحسن إلى الناس مع مرض أبيـه ، وهو الـذي كان من بين أولاده يطمع فيه لأنه كان إلينهم عريكة .

حادثة المحطوري:

وفي سنة ١١١١ نجم الخطب الذي حارت له الألباب وسح طوفان تمويهه بعذاب شقّ موقع خوفه أمن اليمن أحشاه وخفق بفـارس له قلب الشاه وذلك أن سيّداً من محطور الشرف وحاشاه حفر قليباً من الشعبثة[2] كما نسب إليه وهٰذا المشار إليه قاسمي[3] النسب اسمه إبراهيم قطع أيّامه بالرواتب وعمل الأوفاق والطلاسم ، وكان أخذ ذلك عن شيخ من أهل سود يُقال له محمد بن علي ، وكان من أهل المهارة في هـذا الشأن فمنحـه الكثير من علمه ، وأطلعه على جملٍ ، وربما خيّل فيه ما كان منه ، وتمّ له الأمل ويُقال أنّه دلّه على طريقة الوفق الثلاثي أو هو أدركه وبلغ من إتقانه إلى حدّ ما أحد شاركه فيه ، لكن ضعف عن ذلك السرِّ العظيم ، وانسلخ من مراعاة الشرائع وتشوّش ذهنه ، واختلط فتاقت نفسه إلى تولّي الأمور والتملّك بسحر طلسمه على الجمهور، وذكـر لي مَن كان لـه به اختصاص أن السيِّد المذكور طلب من السودي شيخه عمل الوفق الثلاثي ، الذي تصرف به ذلك التصرّف فقال له أنه إذا ضرب في ذلك الوقت لا يتم له الأمر إلّا أيّاماً قلائل وأنّه بعدها يقتل أو يُسجن ، وأنه لا يظفر بطائل ، وإذا صبر إلى أن تدخل الشمس بيت شرفهـا في سنة اثنتي عشـرة امتد سلطانه في الأرض إلى أربعين سنة ، فأبىٰ عليه ، وألـحَّ السيد إلحـاحاً

---

(١) في (د) ابن الإمام.

(٢) هي الشعوذة (معروف).

(٣) أي من أولاد قاسم بن يوسف الداعي ابن يحيىٰ بن الحسين انظر نسب آل المحطوري في نيل الحسينين ص ٢٢٢ طبع (مكتبة اليمن الكبرى).

ولازمه ملازمة الغريم في النجاح فأطلعه على سرّه ، وظهر في أمره كلية الظهور وانتشر ، فلم يبقَ فيه للصَّبر متّسع ، وكان معاجلته إلى ما سبقت به الإرادة من الابتلاء به والتَّمحيص، وما وافق به وساوس الشيطان، والشيطان حريص ، وقيل للسودي إذا كان الأمر كما ذكرت ، فهلّا كان لنفسك ضرب الوفق المذكور فقال: الحصّة له أن صبر ، ولما قدر السودي معه الشرط على اقتراحه [وعالج بمراهم التمويه من أجراحه][1] جعل له أرصاداً على السِّلاح والرصاص ، وجذب القبائل والقلوب إليه سيّما أهل المغارب باختصاص وكان أوّل ما ظهر بمحابشة الشرف ومنها سفك الدماء كما سنفصله لك وإلى تاريخ قيامه وفتنته ، أشار السيِّد عبد الله بن علي الوزير بكلمته[2]:

في رجب داعٍ دعا إلى فساد وتلف
يا بئس ما قدَّمه من القبيح واقترف
في فتكه بالعلما وكلّ مَنْ له شرف
ووصفه قد جاء في تاريخه شرّ الشَّرف

وذكر بعض مَن اطّلع على أمره أن هذا المخذول ، وكان تلقّب بالمنصور كان يكتب الأوفاق والطلاسم ويعمل الأرصاد الذي لها الفعل الجسيم فيمحوها في ماء ويسقيها الثِّيران ويأمر بذبحها ويلقي لحمها إلى طيور كثيرة فما هو إلاَّ أن تأكله الطير ، أو يطعمه الغير فتخفق له القلوب رعباً وتخرج القلوب عن دائرة الأشباح انجذاباً وقد ذكر الشعراء في أشعارهم فمنه قول الفقيه سعيد السمحي[3]:

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) انظر هذه الأبيات أيضاً في نشر العرف ١/٤١.

(٣) هو الأديب والشاعر سعيد بن صالح السمحي له ديوان شعر توفي سنة ١١٢٢، انظر ترجمته في نشر العرف ١/٧٣٨، وكتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص ٣٤٢.

روّعت إبراهيم ملّة أحمد وأطعت فيها كلّ غاوٍ مفسد
أو ما علمت بأن سحرك باطل وعصاة موسىٰ في يمين محمّد

وللسيِّد أَحمد الآنسي مثل ذلك وأجاد فيه:

ألاَ قُلْ لإبراهيم دجال «مدوم» تشابهت لما أن ضللت عن الرشد
فإن يكُ سحاراً فقد لقي العصا وإن يكُ دجَّالاً فقد لقي المهدي

وها أنا أشرح لك طرفاً من أخباره [وما اتّفق من ضلالته واغتراره](١) أمّا نسبه فقد تقدّم الإشارة إليه بأنّه من القواسم أهل مَدْوم وأمّا أبوه فاسمه علي بن الحسن، وكان ابنه هذا إبراهيم المُشار إليه في ابتداء أمره يتعلّق بتعاطي الأسماء، وكان لا يزال ببلاد حجة يعتاش بالرقا والعزايم لأهلها، حتىٰ اعتقده جملة من البلاد، ثم عدل إلى ضروب من قلب الأعيان اغترّ بها من جهلة العوّام والمجاذيب فنما إلى عامل الجهة منه التمويه فحبسه أيّاماً وأطلقه ورجع إلى بلاد حجّه واستمرّ على ذٰلك التَّمويه وقد اضطعن على مَنْ سعىٰ به ودلَّ العامل عليه بالتّنبيه، ولم يزل يتردّد إلى أطراف حجّه ويتكتم، ولما دخلت سنة إحدىٰ عشرة صار إلى أسواق الشرف وقد عقد المكر مع المجاذيب على ذٰلك المتّفق وأظهر لأهل الشرف التقشّف والتمويه(٢) بالصيام ثم بدأ بتكسير آلات الدخان المشروب المسمّىٰ التتن وقد تبعه من الغوغاء نحو خمسة عشر رجلاً يصيحون بالتّوحيد، ويقولون: إنهم أرباب القلوب، ومع ذلك فهم لا يصلّون ولا يُبالون من المنكرات على أيّ حال يكونون، وكانت لهم أصوات منكرة يرتاع لها مَن سمعها وانتهىٰ بمجاذيبه إلى المحابشة(٣) وبها عامل الإمام، فدخل إليه ولم يظهر

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) في (ر) النقوبة.
(٣) المحابشة: بلدة مشهورة تقع وسط قضاء الشرفين وهي مركز القضاء تبعد عن حجة بنحو ٧٠ ك.م شمالاً.

من الشعبثة شيئاً في ذٰلك المقام ، وكان الشيخ حسين بن حسن المحبشي أشار علىٰ العامل بعد خروجه من مقامه بالقبض عليه والحفظ له فأجابه العامل إلىٰ هذه النصيحة وعرف صدورها عن رأي سمين وفطرة صحيحة فأرسل بعض أصحابه إلى موضع يسمَّىٰ الريد[1] فقبضه وحبسه ، وظن أنّه قد أطفأ عليه من التمويه قبسه ، فبقي مضيّقاً عليه ، نحو يوم وليلة ثم بدا لذلك المأمور في إطلاقه على المخيلة فتوجَّه بعد إطلاقه إلى سوق طهننة[2] وصادف قيام سوقها بذلك اليوم ، وقد اجتمعت القبائل لِمَا أراد الله وسبق في علمه من المحنة فلمّا دخل السوق بذلك اليوم علىٰ ذلك الشعار والأصوات المنكرة فزع الناس وداخلهم الفشل وبلغ العامِل فأرسل إليه نقيباً معه جماعة من الأبطال فلمّا وصل السوق وجد المدومي ومجاذيبه قد انحازوا إلى بعض القرىٰ غير معوق[3] ، فقبض ذلك النَّقيب المجاذيب ووضع في أعناقهم السَّلاسل وبلغ ذلك المدومي ، فنزل إلى النَّقيب مبادِراً ثم قتله وبعض أصحابه ، وفكّ عن مجاذيبه الأغلال وتوجّه من ساعته إلى حصن مَدْوم ، وقال: إنّه منصور المهدي المنتظر غير مبال ، ولما شاع أمره بقتل مَن ذكرنا وذاع انجذبت إليه قلوب البدوان واعتقده الرّعاع ، فجعل يموّه عليهم ويزيّن لهم الأقوال ويخدعهم بالمواعيد الباطلة ويمنّيهم المحال ، وكان من تمويهه عليهم أن قيامه عن أمر المهدي المنتظر ، وأنه اجتمع معه في الكعبة المشرّفة وقلّده النظر وأنّه أخذ عليه التقدّم قبله لإزالة المفاسد ، وتحذير الأمّة من الزّنا وشرب الخمر والتّنباك ، وأن يجبر أهل الذمّة على الإسلام ، ومَن لم يسلم قتله ، وادّعىٰ أن المهدي المنتظر جعل له أمارة في الظهور وتلك الأمارة غَدَّارة متى وصلت إليه أبرز له أمره

---

(١) هما سفلي وعليا من عزلة علكمة ناحية المفتاح قضاء الشرفين وأخرى من عزلة بني عشب ناحية كحلان غفار.

(٢) لعلّها المعروفة الآن بطهانين من عزلة المراخبة ناحية مبين بحجة.

(٣) في (د) معوقها.

المستور ثم إنه أظهر غَدَّارة صغيرة قدر ذراع ناهية[1] المنظر وادَّعى وصولها إليه من المنتظر وكان من دعواه أن هذه الغدَّارة تعرف مَن في قلبه مرض ومتىٰ دخل عليه المتلبّس بالمفاسد سلّت عليه واضطربت حتى ينهض فجازت عليه الخزعبليات على الغوغاء والعوام ، وانثالوا إليه كرجل الجراد بهذا الإيهام وبدأ بكسر آلات الدّخان وإحراق شجره ، وذهب منه ما يساوي أموالاً جليلة على ضعفاء ومساكين ، ثم خاطب أهل الذِّمّة في البلاد القريبة إليه بالإسلام وسلّط عليهم المجاذيب الطّغام فقتل من أهل الذِّمّة طائفة وتظاهر بالإسلام منهم طائفة وفرَّ فريق منهم إلى حيث النجاة وقويت فتنته مع تأثّر الإمام وضعف عامل الإمام الذي بالشرف عن الذّبّ وتلاشت أموره وفارق البلاد هارباً ، ثم إن المدومي جهّز جَيْشاً إلى شمسان[2] من أولئك الشياطين وكان في نفسه على شيخها حسين المحبشي بما أشار به أوّلاً على العامل من حبسه وجعل المدومي همَّه المسارعة بالتجهيز عليه ، وجعل الأمير على جيشه السيِّد إسماعيل بن أحمد المداني فتقدّم مَن في المجاذيب والبدوان ، وكثير من أهل الشرف على الشيخ المذكور ، وأمر بقتله والمفاجأة له قبل الظهور ، فطرقه السيِّد المذكور في ذلك الجمّ الغفير على حين غفلة ، ولم يعرف بهم الشيخ وأهل بلده إلّا بسلّ السّيوف والحملة ، ودخلوا عليه إلى بيته وباشروه بالقتل وولده معه ، واحتزُّوا رأسيهما ونهبوا ما في الدّار أجمعه وأحرقوه ، ثم عطفوا فنهبوا ما اشتملت عليه قرية شمسان[3] ، وكان فيها من الأموال والحليّ ونحوها ما لا يحصيه إنسان ، وقتل أهل الشّرف بعضهم بعضاً ،

---

(١) جميلة.
(٢) حصن من غربان في بلاد حاشد لعلّه المعنى هنا والافشمسان اسم لكثير من البلاد اليمنية فيحقق.
(٣) قرية من عزلة بني هبة ناحية المحابشة وأخرى من عزلة بني عكاب ناحية مبين بحجة ولعلها المقصودة هنا.

وتقاضوا بينهم بالضغائن والبغضاء ، وهذه أوّل فتكة من قوم الباغي المخذول .

وفي يوم الاثنين بهذا الشهر الذي قام فيه ، أمر بإيصال القاضي العلاّمة الحسين بن ناصر المهلاّ إليه وأن يهدم بيته وينتهب ، وتطلق فيه النار إلى أن يذهب ، فصادف هذا مع هوىٰ البعض من أهل البلاد على القاضي فتولّىٰ السيِّد إسماعيل المداني الشقي إزهاق روحه ، ولما بلغ القاضي ما أمر به المدومي أمر بإخراج أولاده الصغار [وحريمه][1] إلى وادٍ يليه وبادر بالنجاة لنفسه والموت من قدّامه وورائه ، فعرف بهربه بعض مجاذيب الشَّرف فقطع له الطريق حتى أوثقه وأقبل المجاذيب على قتله وارتكبوا من المثلة به ما لا يرتكب الكافر واحتزُّوا رأسه وهو يتلو آية الكرسي وبادروا بإيصاله إلى المدومي الخاسر ، فضمّه إلى رأس الشيخ حسين المحبشي ، وولده المتقدّم ذكرهما ، وعلّقت الثلاثة الرؤوس على شجرة ، وأمَّا محطته المتوجهة منه إلى بيت القاضي بالشجعة[2] فوصلت إليه وانتهبت جميع ما فيه ، ثم إنه أمر بقاضي المحابشة الحسن بن إبراهيم أن يؤتىٰ به إليه ، وكان همّه في استئصال العلماء وأمثالهم ممّن يعوّل عليه وأمر أيضاً بخراب بيته وانتهاب أمواله مع العزم على قتله عند إيصاله ، فلما وصل إليه السيِّد المذكور حاجّه بالقرآن والحديث وحثّه على التَّزوّد من مجانبة الفعل الخبيث ، فألقىٰ في قلبه الرجوع عمّا أمر فيه من الفتك ومنع مجاذيبه من التعرّض إلى بيوته وما أرابه الخبر وإنما قصده يؤخره إلى وقت يوهم به الغير ، حتى إذا صار أمثاله لديه ممن تطل حباله إليه فتك بالجميع ، فصار القاضي إلى قبّة حصر بالحصن المدومي وصار يلهج بالذكر لله سبحانه ، ويتلو كتابه والنَّاس نوّم فصرف الله عنه الشرّ ، ولم يره

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) قرية من بلاد الشرف جنوبي حجة.

بعدها إلى المحشر ، وهكذا السيِّد حسين بن علي بن إبراهيم جحاف ، وهو من أهل حجة المخلاف كان وجه المدومي رجلاً من عيال السوق لقبه الهايم ، فكان بها منه كل فعل شنيع من انتهاك المحارم ، وتتبع مَن فيها من أولي الفضل بمزيد الاختصاص ، وعاملهم بالقتل والنّهب والإهانة وأرسل إلى السيِّد الحسين بن علي المذكور يريد الفتك به ، ولم يجد السيِّد دون الوصول إليه ملجأً لما جد في طلبه فاستوصى[١] أهله وتوجه إليه ومعه ولده عبد الله فأكثرا في طريقهما تلاوة القرآن فلما وصلا إلى موضع يسمّىٰ حود الأحقاف بالقرب من جبل عمر أتاهم مَن بشّرهم أن الهائم مثخن بالجراح ، وذلك أنّه عتا وتكبّر على المدومي فجهَّز عليه محطة يقودها صنوه الحسين فالتقيا بموضع يسمّىٰ العذيق خارج حَورة[٢] من جهة اليمن فكان بينهما يوم عصيب أثخن فيه الهائم بالجراح وأصيب ، فرجع السيِّد عبد الله من الموضع الذي بلغته الإشارة بالبشارة إليه وفكّ الله أسره ، وقتل الهائم في بلاد عفار عن أمر المحسن بن المهدي بعد الاستظهار ، والسيِّد صلاح بن عبد الخالق الجحافي كانت بلده حجّة أمر المدومي بقتله ونهبه والطلب له إلى أين توجّه ، وكان في نفس المدْوَمي عليه بسبب سعيه في حبسه الأوّل بحجة ، وقد تقدّمت الإشارة إليه ، وكان هذا السيد في حورة ، فلما بلغه الأمر فيه اختفىٰ ببعض بيوت أصحابه فلم يعثر له على خبر بعد أن فحص عنه وفتّش فانتهب بيوته ، وأخذ جميع ما جمع فيها منذ زمان الإمام المتوكّل ، وما زال السيِّد منه في تخفٍّ حتى أوقىٰ سوءه وكفىٰ فرجع إلى مكانه واستعاد بعض المنهوب ، وتوفي السيِّد بعد هٰذه الفتنة بقليل وكذلك السيِّد حسين العوامي ، كان في نفس الهايم عليه فأرسل من حوره مَن يأتي به للقتل

(١) في (د) «لما جَدّ في طلبه واستوصَى أهله».
(٢) من ضواحي حجة الغربية.

لديه فبلغ السيِّد [قدوم الرسول][1] ففرّ هارباً فلما وصل الرّسل ولم يجدوه انتهبوا ما في بيته وهدموه ، وكذلك السيد زيد السوحي ، أمر الهائم مَن يأتي به إليه من بلده وأوجب في انتهاب بيته ولما وصل إليه نوّع له العذاب وضرب المرفع على رأسه وكشفه وعزم على قتله فاتفقت القضية التي أُصيب فيها الهائم في أعطاف هذا وخلّص الله القاضي المذكور ، وكان الهائم هذا لمَّا وصل من قبل المدومي إلى بلاد حجة وارتكب ما ذكرنا هذه الأمور المستقبحة ، تقدّم بعد إخراب بيت السيد صلاح بن عبد الخالق الجحافي إلى حورة وقد خفقت من خوف أصحاب المدومي قلوب أهل المغارب والمشارق وكان اجتمع معه أكثر أهل البلاد لما عرفوا منه من إباحة أموال الناس فدخل الهايم إلى حوره أوان صلاة المغرب في يوم السبت آخر شهر رجب ، وكانت غلقت أبواب الدكاكين والبيوت كما هي القاعدة لهم في التحرّز عن مثل هذه الأمور ، فأقبل مَن مع الهائم على تكسير الأبواب بالبصن[2] والمعاول وبعضهم أخرب الجدرات ودخل من عرضها طمعاً فيما يحاول ، وكان أهل حورة أكثرهم في الجامع لصلاة المغرب ، فما شعروا إلاّ بالكسر للدكاكين ، وضرب الأبواب بالحجارة وجاءهم ما لا قبل لهم به ، فأخذوا ما بحورة من الأموال الجليلة الهائلة المهيلة ، وبقي النّهب فيها نحو ثلاثة أيّام حتى لم يبقَ فيها إلاّ الأعداء والإعدام ، وقتل من البانيان نحو ثلاثة ، وعزم باقيهم بإذن الهايم وهم في غاية الفقر والرثاثة ، ولم يبقَ لهم ما يقتاتونه في الطريق ، بعد أن كان الفرد يبلغ ماله إلى الخمسين ألف قرش والستين [على التحقيق][3] وكان جملة مَن أذن لهم بالمسير نحو السّبعين نفراً ، وفي هذا اليوم وجّه

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) البصن لعلها نوع من الفؤس أو نحوها.

(٣) ساقط من (ر).

المدومي محطة إلى بندر الصلبة[1] وكان العامل بها الفقيه عبد الله بن حسين حنش ، ومعه رتبة من أهل ظليمة ، فلمّا وصل أصحاب المدومي إلى خارجها ، وتأمّلوا في مداخلها ومخارجها قاتلهم العامل فيمن لديه بالحرب ، واشتجر بينهم الطعن والضرب ، ثم كانت لأصحاب الخاسر الغلبة ، فقتلوا العامل الفقيه عبد الله ، وانتهبوا الصلبة ، وكان فيها من الأموال ما لا يُحصىٰ وفي الحقيقة هي فرضة الروم وكان فيها من الأمانات لتجّار الأتراك وغيرهم ما يجلّ ويعظم ، فانتهبوا ذلك وقتلوا من البانيان نحو خمسة وسبعين نفراً وتركوها بلقعاً قفراً .

وفي هذا اليوم كان المدومي وجّه محطّة إلى حصن الظفير ، وهو حصن لا يطمع فيه بالتأثير ، فوصل من وجّهه إلى وادٍ تحته يسمىٰ العصمة ، وكان صاحب الظفير طالب بن حسين وجماعة معه من أهل الهمّة قد لقيهم إلى غيل هنالك ، وباشرهم بالحرب في تلك المسالك ورمىٰ المجاذيب بالبنادق فقطعت فيهم الرصاص ، وكان الناس قاطعين أنّها لا تؤثّر فيهم ، ثم إن المجاذيب رمت بنفوسها على الشّيخ طالب وأصحابه ، فقتلوهم عن بكرة أبيهم ، ولم يسلم منهم غير نفرين أخبرا أهل الظّفير بالمتّفق فذهل[2] الحازم وأشفق المشفق ، ولم يسع أهل الظّفير غير فتح الأبواب ، ولم يبالوا فدخل أصحاب المدومي إليه وما جرىٰ منهم غير كسر آلات الدخان ، ولم تقم فيه محطته غير ليلة واحدة ، وبدخولهم الظفير أذعن الناس ، ولم يقم أحد بعدهم في وجوه هذه الملاحدة ، وكانت هذه المتّفقات المتقدمة والمتأخّرة وقوعها في يوم الأحد في يوم واحد ، وشاع بين الناس أن الرصاص لا تقطع والسلاح في أصحابه لا ينفع ، وعندها طاشت الأحلام ، وضاعت الألباب فرضّت الدُّنيا وكادت

---

(١) صلب أطنها صلبه من عزلة وناحية شرس قضاء حجة.

(٢) في (د) ذهل.

تمور ، وانتصب جسر الفتنة ، ولما شاعت هذه الأمور [في الآفاق وحدا بها الحادي في الرفاق][(١)] أشفق مَن بحضـرة الإمام المهـدي عن إنهاء الخبر إليه وكان في أوائل إبلاله من مرضه ، ورأىٰ بعض أعيان المواهب [ومَن ينظر من الستر الرقيق إلى العواقب وقدّر أن الإمام لا يعذر مثله عن التنبيه متىٰ علم وقد يفضي السّكوت بالـدولة إلى الانعـدام ووجب عليه الاجتهاد في النصح والقيام فدخل عليه وباح بالسرّ المكتوم إليه فلامه غاية اللوم من][(٢)] عدم إنهاء الخبر[(٣)] إليه وكاد أن [يسطوا من أجل ذلك][(٤)] بأُولي النهي ، ولم يقرّ له قرار [وترامت همّته القعساء[(٥)] بشرار] وما زال يكرر اللوم على أولاده وذراريه[(٦)] من أجل الكتمان ، وتجلّد غاية التجلّد ثم [إنه انتفض انتفاض النار][(٧)] وندب إلى قتاله وبذل المال الذي لا يبذله سواه [وعقل في ذلك كل مخزان وما حواه][(٨)] .

وأخبرني بعض الكتّاب المصدّق في أقواله أن نفس المال المنفق في هذه الحادثة خمسة عشر لكّاً من القروش ، بلغ منها كل أمل إلى سؤله هذا من غير ما أعطي من الخيل [والخول والسّياق من كل محل][(٩)] وأمّا غيره فذكر لي مبلغاً أضعاف أضعاف ذلك ، لا يصدّق به إلّا مَن عرف الحال ، وتحقّق همّة ذلـك الملك الفعّال القـوّال ، البذّال ، وجهّـز مَن بحضرته أجمع ، وجعل ولده المحسن أمير الأمراء وإليه المرجع ، فانفصل

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) في (د) في عدم الإنهاء.
(٤) ساقط من (ر).
(٥) ساقط من (ر).
(٦) في (د) ووزرائه.
(٧) ساقط من (ر).
(٨) ساقط من (ر).
(٩) ساقط من (ر).

التجهيز عن المواهب ، وفيه عدّة أمراء من الأعيان ، وآل الإمام فيهم أولاده الثلاثة ، والقاسم بن الحسين الذي رجع خليفة من بعده ، ومنهم أصناه ، ومنهم يحيىٰ بن علي بن المتوكل ، ومنهم ابن أخيه إسماعيل بن الحسين وصنوه إبراهيم وغيرهم ، وكان قد تقدّم من جهة المحسن ابن الإمام عبد الله ، وإسحاق ويحيىٰ بن علي بن المتوكل ، إلى حرب الخاسر ، هذا في جنود لا تُطاق فلما كان يوم الخميس ، بلغوا إلى مكان يُقال له (جفنة) في حدود الشرف وتقدّم بعض المحطة من الأهنوم ، وغيرهم إلى طرف الوادي فظهر عليهم كمين من جنود المدومي ، فقتلوهم بأصواتهم المنكرة وقتلوا قتلاً ذريعاً منهم بالحجارة والبواتر ، فلما بلغ محسن بن الإمام أمير الأمراء وصل جناحهم يريد الأخذ بالثّأر ، فوصلت مقدماته إلى محل المعركة وكانت جنود المدومي تهيأت لقتالهم في رؤوس الجبال ، واعتدّت لهم الصخور يقلبونها عليهم ، مع تضايق المجال فتمّ [تلك المقدمات من المشاق ما يعرف ذكره ويطول فما زالت تدافع عن نفسها أشدّ دفاع][1] حتى تمكنوا من تلك الجبال ورموا بالبنادق ، ولم يكن مع أصحاب المخذول شيئاً منها [لما تقرّر عندهم من عدم التأثير بذلك الخيال][2] وكان أمرهم ذلك الخاسر بعدم حمل شيء من السلاح إلاّ التوحيد ، وضمن لهم ، ألاّ يُصاب منهم أحد إلاّ مريض القلب فأطلق الجند الامامي إليهم البنادق ، فكان لها في جند المدومي التّأثير الصادق [وبلغ الجند الامامي إلى قارية بعد أن حصل فيهم قتل كثير وضرائب لضيق المحل][3] ولم تزل جند الإمام تتشرّع في الجبال حتى بلغت قرية يُقال لها ضهاي بالقرب من قدوم ، فكانوا حصلوا من النصرة على

---

(١) ما بين المعقوفين جاء في (ر) هكذا «فتم عليهم من المشاق ما لا يطاق وما زالوا يدافعون عن أنفسهم».

(٢) ساقط من (ر).

(٣) ساقط من (ر).

المغنم ، وبلغ المدومي فسقط في يديه ، وعلم أنّه مأخوذ ممّن أقبل إليه ، فأرسل إليهم رسولاً في نحو ثلاثين من المجاذيب فرماهم أصحاب الإمام بالبنادق [بالسهم المصيب][1] ، فقتل كبير المجاذيب عندها برصاصة أصابته ولو قويت قلوب الجنود الإمامية وأقدمت في هذه الحالة[2] لقبضوا على المدومي يداً بيد ، وانطفت نار الفتنة [التي أوقد][3] ولكن باتوا في قرية ضهاي تلك الليلة ، ولمّا كان صبح الجمعة أقبلت عليهم البدوان ، الممتدّة المستطيلة وألوت بهم قبائل الشرف وغيرهم من عاهم[4] وظاعن[5] وأحدقوا بالقرية من جميع الأماكن ، وما زال هؤلاء البغاة عليهم في إرعاد وإبراق ، ورماهم العسكر حتى نفد ما بأيديهم من الرصاص ، وقتل من أصحاب الإمام قدر ستّة أنفار ، وقتل عمّ المدومي وغيره من الأشرار ، وكان في تلك الحال قد نزل سادات مدوم من عقالها للمواجهة والانتظام[6] في سلك الطاعة ، فلقيهم في الطريق رسول من محطّة الإمام إلى المدومي ، في طلب الأمان فتصدّر لذلك السيد الخاسر إسماعيل المداني وأرسل إليهم بالهيكل والمسبحة للامتحان ، واشترط أن العسكر الإمامي تحطّ سلاحها حتى الجنابي ، وتسلم أرواحها ولا يدخلوا مدوم إلاّ عراة من السلاح فأجابوه إلى ما سأل واستسلموا [لما عراهم من الفشل] فأسر من تلك المحطة رؤوسها الرؤساء ومَن معهم ، وطلعوا إلى مَدْوم ، فوضع في أعناقهم السلاسل والقيود ، وكان من جملة الأسرىٰ عماد الدين يحيىٰ بن علي بن المتوكِّل وضياء الدين إسماعيل بن الحسين بن المهدي ، وكان أراد المدومي الفتك بهذين الأميرين، وهدّدهم به أكثر من مرّتين ، ولولا

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) في (د) في هذا الحال وأقدموا.

(٣) ساقط من (ر).

(٤) عاهم: موضع من همدان ثم حجور. وهو عزلة كبيرة تتبع ناحية كشر قضاء وشحة.

(٥) ضاعن: عزلة كبيرة من ناحية وشحة.

دفع الله عنهما وشملهما بألطافه الجميلة ، ومع هذا فوجّه المحطوري محطة لأخذ حصن عفار ، وأمرهم بأخذ[1] الحرم ، والانتهاب وإطلاق النّار وكان في هٰذا الحصن رتبة قديمة من أزمنة الأئمة المتقدمين ، فلما سمعوا بتقدّم المجاذيب نحوهم فرُّوا هاربين فلحقهم المجاذيب إلى قرية الشعيب[2] فحصل بينهم حرب كانت الغلبة فيه للمجاذيب ، فقتلوا من أهل بلد عفار قتلاً وذبحاً وقتل شيخهم . ثم إن المدومي وجَّه محطّة أخرىٰ إلى بلاد عفار وصبرة[3] ، وكان فيها رئيس من قبل الإمام ، فقتل المجاذيب عن آخرهم ، وبلغه أن ثم سيد من بني عيشان من قبل المدومي في قرية قيلاب[4] ، وأنّه صار ينهاهم عن شرب الدخان ، فأرسل مَن يأتي به إليه فلما وصل إليه ، نقع له شجر التنباق في الماء وسقاه ذلك وما زال به حتى ورد به إلى صافي المهالك ، وهذه القضية وما قبلها من المقدّمات قبل وصول عيال الإمام ، وإنما وَصَّلنا بعضها ببعض ليتسق الكلام ، ولما كان بالبلاد الحجيّة ما قدّمنا من الامتحان بالمجاذيب والاستئصال لأهلها في يوم واحد بذلك الاتفاق العجيب ، أمرهم المدومي بالتقدّم إلى ثلا والسلوك في أهلها بغير الطريقة المثلىٰ فتقدّموا إليها بالجمع الوافي وأميرهم رجل من الشرف يُقال له الزغافي ، وكان بعض أهل المعرفة في حلّ التمويه ، جعل لأهل ثلا مكتوباً أمعن النظر فيه ، وأمرهم متى توسط المجاذيب المدينة أقدموا على بيرقهم وعمامة الزَّغافي ، فلما فعلوا ذلك ذلّت المجاذيب ، فقتل منهم أهل ثلا القتل الذريع ، وأسروا منهم الأكثر والجميع ، وأرسلوا بهم إلى صنعاء مع قدوم المحسن بن

---

(١) في (د) هتك.

(٢) الشعيب: قرية من عزلة بني موهب ناحية كحلان عفار من قضاء حجة. انظر التعداد جزء حجة ص ١١٦ إصدار الجهاز المركزي.

(٣) قرية من نفس العزلة السابقة.

(٤) عزلة من ناحية مسورة قضاء حجة.

المهدي فضربت أعناق نحو ثمانين نفراً منهم بباب سمسرة وهب وداسته الخيل اللحم والعظام ، وكانت هذه الفعلة فيهم أوّل فتح آذن الله بقوم هذا الطاغي ، فإن أمرهم بان عظم موقعه ، وشاع في الشام واليمن أن الرّصاص والسِّلاح لا يقطع ، فيهم ولا أصل لهذا مع الأول والآخر غير الوهم ، وقد أخبرني مَن أثق به ممّن عرف هذا أن لا أصل لهذا التمويه من رصده على السّلاح والرّصاص ، والشاهد في هذا تكذيباً لمن اعتقد ما ذكرنا أن المدومي ، جَهّز محطة بذلك اليوم الذي جهّز به إلى حجَّة وعَفَّار إلى مور ، يقودها رجلان ضعيفان من أهل الشرف ، فتقدّما في محطة عظيمة ، إلى مور فاستوليا عليها وعلى بلاده بالسرعة والفور ، ومنه تقدّما إلى اللحية ، وأوّل ما بدا فيها بإكراه البانيان على الإسلام وتوجهوا إلى بطن تهامة ، وكان العامل بها سليمان جوهر ، وصنوه من تحته بمور ، وهو بالزيدية ، فلما بلغه أسر صنوه بمور ، فارق الزيديّة إلى الضحىٰ بنيّة الهرب إلى الإمام ، فعنَّفه بعض العقلاء ، وأشار عليه بالعود إلى الزيديّة ، فعمل بما أشار عليه ، وغزا في الليل موراً بمَن انتخبهم لديه فصبحهم أصحاب المدومي بكرة ، وهم على أثر النوم وأعمل السيف والرّمي في أولئك القوم ، وقتل منهم مَن قتل ، وأسر الباقي ، ومن جملة الأسر أمير المدومي وهما من تجّار الشرق وأهل الثروة ، وإنما حكم عليهم ، فلما أسرهما العامل ، كان يجرّدهما في حرّ الشمس عن الثياب فذاقا من العذاب ما هو أشدّ من نار الغضىٰ ، ثم صادرهما بنحو أربعة آلاف قرش ، وأرسل بالأسرىٰ إلى صنعاء فضمُّوا إلى أسرىٰ ثلا ، وسلكوا بهم مسلك أولئك ، وكان أكثر جنده من الأهنوم ، فإنها أقبلت إليه بأجمعها ، مع عقيدتهم فيه ، فصار له منهم المجاذيب ، وكذلك جماعة من سادات بني المكدم والمدان ، وفعلوا بأمره ما لا يرضى به الرحمٰن ، وكان تحدّث بأخذ شهارة ، فتجرّد الحسن بن القاسم بن المؤيّد للذبّ عنها بتحريض الناس ورتّب المدينة ، وجمع الرجال وأمرهم بالاجتماع في الجامع للتلاوة

والدعاء، فدفع عنهم بركة القرآن العظيم.

وفي يوم الخميس رابع وعشرين شهر رجب قَدِم المدومي من أهل الأهنوم ورئيسهم ابن حضير وأمره بالمصير إلى حبور في طلاب السادة آل جَحّاف إليه، وإكراه مَن بها من البانيان واليهود بالإسلام، ومن لم يمتثل لأمره قتله، فلمّا وصل هذا الرَّسول، وكان أوّل مَن دخل حبور من أتباعه ثمانية من المجاذيب، ففزع منهم أهل حبور وارتابوا، ورجعوا إلى الله تعالىٰ، وكان بيد هذا الرسول رسالة من المدومي، تتضمّن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الظاهر، والإرعاد والإبراق، فاستحضر السادة آل جَحّاف وغيرهم من أهل المدينة فقرأ عليهم الرسالة، واستَدْعىٰ منهم الجواب، فلم يجيبوا عليه، بل قالوا: يسعنا ما وسع علماء شهارة وصنعاء، وأرجع أهل حبور رسول المدومي ابن حضير إليه فارتحل عنهم بمجاذيبه إلى الأهنوم، وكتب إلى المدومي بعدم انخراط أهل حبور، فما كان أسرع أن وجّه إليهم المحاط وأمّر عليهم السيِّد يحيىٰ بن محمد الضّاعني، وكان فيما مضىٰ يتلبّس بالدِّين، ولمّا وصل هذا الجيش صحبته إلى بني محمد من بلاد حجور، كتب إلى السيِّد محمد بن إسماعيل الجحافي يصل إليه في اللّيل على وجه مستور وكان قد علم أهل حبور بوصول هذا السيِّد إليهم فخافوا العواقب فأجمع رأيهم في توجيه السيِّد علي بن عبد الله الجحافي والسيد علي بن عبد الله بن صلاح إلى المدومي، في الاستعطاف في دخول الضّاعني إلى حبور، وبها المساكين آل جحاف، فكان منهما غير ما أملوا ورجح محمد بن إسماعيل إجابة الضّاعني في الوصول إليه وقدَّرَ أن يدفع عن أهل حبور، حين يقدّم عليه فصار إليه بالليل فطرقه عند صلاة الفجر بقرية المصلّىٰ[1] على أمر يهول، فوجد القرية قد غصّت بمَن فيها من ألفاف الناس والقبائل، وقد انضمُّوا

(١) المصلى: قرية حية من عزلة خميس حجور ناحية ظليمة حبور قضاء شهارة.

إليه طمعاً في نهب حبور ، فدخل الجامع ، فوجد الضَّاعني فيه في زي مجنون فلمّا أذن الفجر تَقدَّم السيد للصَّلاة قبل السلام عليه وهو لا يدري ما يكون ، ثم دخل إليه ببيت شمسان ، فتعارفا وكان للسيِّد محمد علية يدرأ بها في ذلك الحال ألوفاً فأطلعه ، على أمر المدومي في إيصاله وإيصال السّيِّد زيد بن علي بن جَحّاف إليه أسيرين وفي قطع رأس الشيخ حسين بن عبد الله النصيري ، ورأس الشيخ هادي وأمرا عاماً يتضمَّن انتهاب حبور ، وقتل جميع مَن فيها من صغير وكبير ، فاستوحش السيد محمد من هذا الأمر الفاجر[1] وأخذ يلوم على الضَّاعني ويراجعه والضَّاعني يعتذر إليه في الظاهر ، فأخذ عليه السيد محمد في الكتاب إلى المدومي ، من أجل أهل حبور ، وإن المنسوب إليهم من عدم طاعته بلسان الفجور ، وتولّىٰ عنه الكتاب السيد محمد وفيه من الوعظ له والزجر ، ما وقع به بعض دفع ، ثم إن الضَّاعني أخذ على السيد محمد النّفوذ إلى حضرة المَدْومي مع السيدين المتقدّم ذكرهما من آل جحاف فتوجَّه السيد محمد إليه كأنّما يُساق إلى الموت ، ولما وصلوا إلى حضرة المدومي وجدوه بتلك الليلة لا يدخل إليه أحد ، وأراد مجاذيبه الفتك بالسادة ، فدفع الله عنهم بسرّ القرآن من كيده ومكره ، وفي صباح ذلك اليوم أذن لهم بالدّخول إليه فوجدوه مموّهاً ساحراً ولم يقفوا لديه غير ساعة ، وهو مطرف لا يكلّمهم من شدّة الحياء منهم ، ولما أمِنوا شرّه أستأذنوه في العَوْد إلى بلادهم حبور ، وتأنيس أهلها ، وسعوا في نقض ما أمر به الضَّاعني ، فوضع لهم به خطّة غير معتني ، وكان الضَّاعني لما انفصلوا عنه إلى المدومي تقدّم في ذلك اليوم إلى حبور بجيش أجشّ بين يديه ، ولم يحصل منهم تنكيد على أحد غير انتهاب بيت السيد الحسن بن علي بن الحسين جحاف لإشتهاره بالمال الذي لا يحدّ ، ثم تعقبهم دخول ابن

---

(١) في (ر) الأمور.

خطيب المدومي علي بن أحمد إسماعيل ، ففعل من الجرأة والجهالة ما لا يحتمله التمثيل ، وكان والده من أهل المال الجزيل ، وله من المدومي مكانة يرفع بها ، ولمّا أضمحلت سورة المدومي ذهب مشرداً في البلاد ، وكان ولده هذا ساحراً هو والضّاعني بعد عوده من السّودة ، وحصل بينهما التفاوت بسبب المأخوذ من بيت جحاف من الذّخائر والنفائس ، وقال كل واحد منهما هو الحقيق بذلك ، وكانت الغلبة لعليّ بن أحمد المدومي ، فقبض الكثير وأرسل للمدومي البعض ، على أنّه خمس بزعمه ، وتوجّه الضّاعني بعد ذلك الاستفتاح إلى صنعاء ، وأرض اليمن ، فكانت طريقه خمر ، وما إليه ، ومعه ، أكثر مَن دخل بهم حبور ، ولمّا وصل بهم إلى قرية السنتين ، وكان أهلها أضمروا له الغدر والعيب ففرّقوا أصحابه في القرىٰ بالخطاط ، وتركوا الضّاعني بقريتهم ، وكانوا تشاوروا بينهم بأن أهل كل قرية يفتك بمَن لديه من المجاذيب ، فكان الأمر كذلك ، في أقل من وقفة الخطيب ، ونهب جميع ما أجلبوا به من الثياب والسلاح ، وأسروا مَن أسروا بعد القتل والإثخان بالجراح ، وأقدم أهل السنتين على الضّاعني بالضرب وأصابه جراحات ، ولبث بعدها أيّاماً قلائل ومات ، وخسر الدُّنيا والآخرة ، وأمّا الأسرىٰ من أصحابه فضبطهم القبائل وقدموا بهم إلى المحسن بن المهدي ، فصادف القدوم بهم عند وصوله إلى باب صنعاء بنيّة التقدّم على المدومي الخاسر ، فبعثوا بهم على الفور إلى حضرة الإمام ففرّقهم في الحبوس فلبثوا بها شهوراً وأطلقهم ، وعذرهم لَمّا علم أن المدومي غلبهم ، وأمّا أهل حبور ، فتفرّقوا بعد دخولها في الهجر ، ولم يبق إلاّ إبراهيم بن الحسن بن المتوكل ، فإنه لما لم يتمكّن من الخروج عنها صبر نعم وقد كان محسن بن المهدي قدّم مقدمة لقتال المدومي عَمّه عبد الله بن المهدي أحمد ، وعبد الله صالح إلى عَفّار ، ومعهما من الرؤساء والعسكر كل ليث كرّار ، فتقدّم الجميع من عفّار إلى حدود الشرف ، ودخلوا إلى وادٍ يسمّىٰ حوصان ، ولما بلغ المدومي

تقدمهم نكّف عليهم القبائل والبدوان ، وتقدّم لهم بهم إلى ذلك الوادي ، وجعل البعض منهم في رؤوس الجبال ، ولما توغل الجند الامامي بذلك المحل ألوىٰ بهم جمع الخاسر من الخلف والقبل ، وسلّ فيهم سيفه وقتل الأكثر من العسكر ، ولم ينج غير عبد الله بن المهدي صنو الإمام وعبد الله بن صالح فرًّا هاربين على خيلهم وغنم أصحاب المدومي غنائم كثيرة ، وكانت هذه القضية مما ضُرِب به المثل وهمَّ المحسن بن الإمام ومَن لديه بالرّجوع ، وقد كان مخيمهم في (صبرة) في بلاد عفار فثبتهم الله على الصَّبر والقرار ، وما زال الإمام يتابع الغارات والأموال [بعد ولده المحسن][1] ما لا يخطر بالبال ، ولما استقرّ محسن بن المهدي بصبرة ، ما زال يستجلب القلوب ببذل الأموال ، حتى رجع الناس ، وصلحت الأحوال ، وقَدِم صالح بن حبيش في ستمائة نفر من بكيل والقطوف الحاشدي بمثلهم ، وإليهم طوائف متعددة من سائر القبائل ، وأمرهم المحسن بن المهدي بقصد المخذول المَدْومي إلى عقر داره ، فلما كان يوم العيد غرّة شوّال أرسل المدومي إلى قرية المَحْطور[2] رتبة نافعة يحفظون حريمه لما أحسّ بانقلاب الأحوال ، وجعل معهم لواء النّصر ، الذي ذكر أنّه نزل له من السماء ، وأنّه يحفّه ألف مَلَك فالتقت الرّتبة وعسكر الإمام واقتتلوا قتالاً شديداً ، أطاشت له الأحلام وأعطىٰ الله النّصر العسكر الإمامي ، فقتلوا أولئك الطّغام ، ولم يبق منهم غير نفرين فقط وتوغل العسكر الإمامي في الإقدام ودخلوا قرية المخذول فأخربوها وهدموا مسجده الذي بناه وأحرقوا أخشابه ، وأخربوا داره وأسروا والده وصنوه وغيرهم من السادة بعد القتل منهم والصّدم، ولما كان اليوم الثالث طلعت

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) المحطور هي القرية المنسوب إليها المحطوري المذكور: وهي على مسافة أربعة أيام شمالاً من صنعاء إلى الغرب من بلاد الشرف قضاء حجة.

العساكر إلى جبل المفتاح[1] وهو جبل منيع قلّ ما يطمع أن يتّصل به الكفاح فنصرهم الله تعالىٰ واستولوا عليه ، وفي اليوم الرابع جبل الوعيلة[2] وقرية الضعيف وما قرب منهما إليه وأيقن أهل الشرف بالهلاك وهربوا بالنساء والأطفال وكان المدومي بقرية الوجيه[3] ، وعنده عصابة من أنصاره فصار يموّه عليهم بعدم الغلب وقد أيقن أنّه مغلوب في حصاره ، ولم تزل الجنود الإمامية تأخذ مواطنه على التدريج ولما لم يبق إلّا قرية الوجيه الذي هو بها وهي حصنه لا يطمع في غلبها وقد جمع بها من أهل الشرف النساء والأطفال ما ضاق به الفضا وذلك لاعتقادهم فيه أن يردّ عليهم ببركته على دعواهم صرف القضا ، فلمّا كان يوم الخميس ثاني عشر شهر شوّال حملت أجناد الإمام على هذه القرية من كل جانب ، وقد لاحت طلائع الإقبال ولما عرف المدومي أنّه مأخوذ في ذلك الحال خرج من بين أصحابه على خفيه وقد أعدَّ رجال ، ولولا تغافل عنه صالح حبيش بشمول الاعتقاد لما خلص ، وكان عند المدومي نفر من أهل الشّام يسمّون عيال الناعفة ممّن اجتذبهم بتَمويهه ، فصاروا به إلى الشام وتطلّع إلى إجابته من أهلها الطغام ، فأرسل علي بن أحمد بن الإمام القاسم من صعدة مَن يوهم الشيخ الذي آوىٰ المدومي إليه بأنّه يواليه ويطرح التكليف له حال يقدم به عليه ، فاغترّ هو وإيّاه من الوعد هذا بالسّراب وبادر بالقدوم به غير مرتاب ، فلمّا صار إليه ووقف للخطاب بين يديه ، سأله علي بن أحمد عمّا سفك من الدّماء إلى أيّ شيء في ذلك المنتهىٰ وما المبيح للمثلة بأهل الذمّة وما دليله على إكراههم للإسلام ، وما الحامل على انتهاب أموال الناس وقتلهم على تلك الصفات وتحريق التنباق الذي هلكت به أموال اليتامىٰ والضّعفاء مع كسر الآلات ، وظن علي بن أحمد أنّه يدلي

(١) هو الآن ناحية وعزلة من قضاء الشرفين بالشمال من حجة.

(٢) جبل يطل على حجة من الشرق.

(٣) قرية من عزلة شمرين ناحية القفل قضاء الشرفين.

بعذر يخلّصه فما زاد على إحالة الجواب على الغدّارة ، وقال لا يبرىء شراب التنباق والبانيان وأهل الشطارة ، فقال له: ما استحللت بهذه الأسباب لا يحل فجعل يشير إليه بالتوبة والرجوع إلى الشرع الشريف وتقليده فيما كان من الحوبة فأصرّ على أن كل ما صدر باختياره وإن ذلك عن أمر المهدي المنتظر ، فعلم علي بن أحمد أنه إذا خلص من يديه أثار بالشام على المسلمين ما تداركه يصعب عليه ، فطلب القضاة بصعدة[١] بعد أن كبّله بالحديد وأمرهم أن يعذلوه ويراجعوه فيما صدر منه زيادة في التأكيد فلم يصغِ منهم إلى مقال وأصرَّ واستكبر على ذلك الحال فحينئذ حكموا بإباحة دمه ، وهو غير مكترث فأمر به مع قدوم الحجاج إلى صعدة فذبح ببابها قدّامهم عند استهلالهم هلال ذي القعدة وألقىٰ جسده بالميدان ، واحتاط بتسليم ديّته إلى أهله لما صحّ له منه الجنان[٢] ، وأرسل بغدّارته والإعلام بقتله إلى المواهب وأنّه أسند إلى نفسه في قتله حدّاً لأنه كان داعياً في ذلك الجانب وشكر النّاس لعليّ بن أحمد بقتله هذه اليد الطولىٰ لأنه لو فلت من يده فعل بأهل الشام أضعاف ما فعل بأهل المغارب ، وأمّا الأجناد الإمامية التي طردته من الشرف ، فلا زال اللاحق بهم حتى ملئت بهم الأوساط منه والأطراف ، فانتهب الجند جميع ما فيه واستبيحت النساء وقتلت الأطفال ، ثم انتقل المحسن بن الإمام أمير الأمراء وأصناه وبعض الأجناد من عفار إلى حبور ، وكان دخولهم إليه في يوم الجمعة ثاني وعشرين شهر شوّال ، في أتمّ سرور وجبور ولقد أحصىٰ مَن دخل منهم إليه فأناف على ثلاثين ألفاً فأوّل ما أخرب بها المدائر[٣]

---

(١) قلت: أين هذا الوالي العاقل من فعل الإمام المهدي صاحب المواهب وإقدامه في أعماله السريعة، وهو على الرغم من شناعة جرم المحطوري لم يشأ إصدار الإعدام على المذكور إلاّ بعد سماع قول الشرع الشريف.

(٢) الجنان: هو الجنون في دارجة أهل صنعاء.

(٣) قرية من عزلة خميس المواسط ناحية حبور قضاء شهارة.

لمناصرتهم المدومي وتتبع بيوت مَن أجرم بالخراب ، وما زالت منه الأوامر على المفسدين ولبث في حبور قدر سبع عشرة ليلة وبادر الارتحال إلى أبيه قبل يعرض له فيه من الرأي بالتَّقدّم مما لا يجد إلى دفعه حيلة وولّىٰ على حبور ، القاسم بن الحسين الذي صار خليفة من بعد وكان ، المحسن بن الإمام لما استقر بحبور ووضع الآداب ، واستأصل شأفة مَن بقي بتلك البلاد من المفسدين وقتل رجالاً وأمسك رجالاً وأرسل بالعصاة في الحديد إلى أبيه أرسالاً ، ولما استراح الناس بمقتل ذلك الخاسر ، وكان ورد كتاب علي بن أحمد إلى الإمام معلوماً باللَّقب ، ومشعراً بأنّه قتله بالانتماء إلى نفسه كما وجب ، فأمر الإمام إسحاق العبدي بقراءته بحضرته على الناس ، وظن الإمام أنه يوارب من ترجمة الكتاب باسمه ، كما يفعله الوزراء الأكياس ، فجرىٰ في قراءته على ما خطّ في الكتاب ، فغضب المهدي عليه وأمر بالنفي له إلى الهند ، وعلّل أن مثل هذه الأمور تفسد الجند ، وفي أعطاف فتنة المدومي ثار في بلاد جبع[1] ونمرة[2] شيخه محمد بن علي السودي وادّعىٰ أنّه وكيل لعبد الله وعبد الله ابن عمّهم من الصالحين أولي الأيدي ولما ظهر المذكور وناصره أهل تلك الجهات فاعزُّوا إليه بذلك التمويه والشبهات ، ولبّس عليهم أشد من المدومي بأعاجيب التمويه وهؤلاء السويديّون فيهم السَحَرَة والفَجَرَة ، وكان العامل على حُفاش حينئذ القاسم بن الحسين بن الحسن ، ومحلّه منها بالقرب من محلّ هذا المموّه فجمع عسكر البلاد وتقدّم عليه ، وحصل بينهما حرب أصيب به القاسم وتوجهت الهزيمة إليه ، ثم لم تزل عمّال الإمام الذي بالقرب منه تحثّ إليه الغارات ، وهو يغلبهم بتوليجه لهم في مفازات ، وذلك أن الموضع الذي هو فيه في جبلٍ عالٍ ، والاتصال به فيه من

---

(١) جُبَع: عزلة من خبت المحويت قضاء المحويت.

(٢) نمرة: عزلة من خبت المحويت كسابقتها.

المحال ومع ذلك فهو بين أشجار ولا مجال فيها للرجال فضلاً عن الخيل ثم إن هذا الساحر فعل حيلة لأصحاب الدولة بأن قطع من الأشجار موضعاً تدخل الأجناد الإمامية إليه وما حوله ، والأشجار ملتفّة عليه فدخل الجند إلى هذا الموضع ، ولم يكن لهم خبرة في البلاد ، وقد جعل عسكره كميناً بين الأشجار ، فلما صارت الأجناد في ذلك الموضع ثارت عليهم الكمائن من قبله ، فنالوا من أصحاب الدولة كل منال بالقتل والأسر والسلب ، وضايقوهم أشدّ ضيق مع وعر المسالك بالحرب لاختبارهم بالبلاد فجهّز عليه المحسن بن المهدي ومن شبام وكوكبان وأميرهم إسحاق بن المهدي أحمد والسيد محمد القطابري وابن خليل وغيرهم من الأعيان ، فغروا إلى أطراف البلاد وقتلوا من أهلها قتلاً ذريعاً بمثله لم يسمع ، وانتهبوا من البقر والغنم ما ضاق به الفضا ، وكانت العاقبة للأجناد الإمامية ، وكان هذا القائم المذكور من تلبيسه وتدليسه أنّه لا يظهر [في النهار][1] ولا يعرف أين قراره ومستقرّه إلاّ خواصّه ، وإذا وصل إليه قاصد ومعه نذر لا يمكن يتّفق به إلاّ في الليل وعند الاتفاق به يخاطبه بكلام عامي لا يحمد ويغلظ ألفاظه ، ولا يطيل الكلام ، ومن جملة ما لبس به العوّام أنّه أعدَّ جملة فوانيس وأودعها مَن يركن عليه من أصحابه ومعهم الفتائل والكبريت فإذا كان الليل وقد فرّقهم في الجبال بين كل واحد [والآخر][2] مسافة بعيدة فيسرج الأوّل فانوسه ساعة ثم يطفيه ، ويسرج الثاني ثم يفعل كفعل الأول إلى أن ينتهي إلى الآخر وهم جمّ عديد وكل واحد من هؤلاء يعلن صوته بالتوحيد ، فمَن رأىٰ ذلك ظن أنه رجل واحد وفانوس لا غير ، ويعتقد العامة أنّه من أهل الخطوة لقطعه الأمد البعيد أسرع من الطير ، فتوجهت لحربه الأجناد كما ذكرنا والمتولّي للأمر إسحاق بن المهدي وكان لابن

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (د).

حبيش وقومه أثر في الجمالة ، فتلاشىٰ أمر الساحر ، وتفرّق جمعه وانتهب الجند الإمامي (جُبع) مع (نمره) وانطفت نار التّمويه بالمرّة ، وهرب السودي من تحت السيف إلى حيث لا يعرف وصلحت المغارب جميعها بعد الشرف ، ولما انقضت هذه القضايا وصلحت الأمور ، تخوّف المحسن بن المهدي أمير الأمراء وأصناه أن لا يدعهم الإمام إلى الدِعة وشاموا مَن شاهد الحال أن يعيدها عليهم إلى الشام ، جذعة ، وكان أصابهم التّعب في هٰذه الأمور وملّوا ، ولا طاقة لهم مع ذلك بالشام ، وقد تتفاتح الأمور ويطول بهم المقام ، فكان أخذ جبع ونمرة وهرب ساحرهما لهم من الفرجة فبادر بالارتحال ، قبل بادر الرأي إلى أبيه بعد أن قرّر بكل محلّ من العمّال ما يكفيه .

وفيها توفي الشيخ الأديب إبراهيم بن أحمد اليافعي[1] الزيدي لا الشافعي ، الصنعاني المولد والدار وكان من الشعراء الكبار ، وكان منحرفاً عن الإمام أيّام بقائه بالخضراء ، فاضطرّه الحال إلى الوفادة عليه والإدلاء بمعرفة أيّام الغراس إليه وحين وفد على الإمام أنشد بين يديه ، قصيدة طنّانة ، وصادف قدوم المذكور على الإمام أيّام عيد النحر وزواجه بابنة الرَّصاص ، واتّفق مع وفوده بذلك الأعراس ، وما كان فيه من نفائس الأنفاس عمل للإمام مثال عفريت من القطن ذهب بأموال وعزم على الهجرة من أجل ذلك ، العلاّمة السماوي في ذلك الحال فأقبل الإمام عند تمام عمله ينظر جليه من الطاق وشخص الناس برؤوسهم تعجّباً عليه فقبض اليافعي المذكور عند ذلك على لحيته إنكاراً ، وقال: ما هكذا فعل كسرىٰ ودارا[2] ، واستشعر الإمام من الناس الإنكار ، فأمر الإمام بنهب

---

(١) هو من أكابر أدباء عصره انظر ترجمته في (نشر العرف ج ١/ ٥ ومصادر الفكر الإسلامي ص ٣٣٧).

(٢) دارا: أحد ملوك الفرس حكمه من سنة ٥٤٩ إلى سنة ٤٨٥ ق.م، خلف قمبيز وله أخبار يطول ذكرها، انظر الموسوعة العربية ١/ ٧٧٣.

ذلك العفريت ، وقال: ما أمرت به على جهة الاعتذار ، وكان أمر بإدخال اليافعي إليه في الحال ، وسأله السبب في قبض لحيته فقال: أنت إمام لا يحسن به هذه الحركات ولا يسوغ في المنصب الشريف التهويلات والدعابة ، فلا يُلتفت بعدها إلى مثلها ، فكاد يسطو به من الغيض عليه وتدارك الأمر فأقبل إليه وأجزل له في النوال ، وشعر المذكور بأيدي الناس كثير ، وأمّا السماوي المذكور فأمر الإمام باللطف في إرجاعه وإن ذلك العفريت ، لم يكن عن أمره فرجع القاضي بزوال العلّة وعذره في تلك الحلة .

وفي سنة ١١١٢ رجع المحسن بن الإمام إلى أبيه ومعه الجيش الذي كان فيه ، وكانت دسائس الكيد [والمين][١] جازت عليه عند أبيه بسعي الفقيه محسن بن علي الحبيشي لوزارته بالعَامَين [وصادف تألّب الحسّاد وهوىً كان عليه في الفؤاد][٢] فعنّفه والده في الوصول وإنفاق جميع المحصول .

وفيها رجع القاسم بن الحسين بن المهدي أحمد من خمر إلى حبور ، بعد أن أصلح [من ذلك الوجه][٣] جميع الأمور ، ولما استقر بحبور لم يقتصر على النظر في أمورها بل مدّ يده إلى أطراف معمورها فثقلت على عليّ بن أحمد صاحب صعدة بها ولايته لأنه لم يقتصر على تلك الجهات ، وتخوّف من جهته فساد الشام واستمالتهم عنه بما عرف له من الدهاء والإقدام ، فتوجّه علي بن أحمد بكل ذاته إليه فَحرّر إلى الإمام كتاباً أثنىٰ فيه على القاسم بن الحسين ، وأنّه المرجو في الآل للأمر الأعظمٍ ، وذكر للإمام أن الأولىٰ بي وبك موالاة هذا الهمّام ، فإنه الأصلح مني

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) ساقط من (ر).

ومنك بحياطة الإسلام فهلمّ إلى بيعته واطرح إليه أمر الإمامة ، ولم يكن لعلي بن أحمد قصداً بما وصف به العَلَم بل قَصده رفعه من حبور لعلمه أن الإمام غيور ، وبعث بالكتاب بواسطة السيد المحرابي وكان السيد المذكور بعد واقعة المجاذيب والياً على الشرف والتدبير من علي بن أحمد بالكتاب إلى الإمام على الجميع لأنه لا يأمن على بلاده منهما فأشار بعض الكملاء على المحرابي بعدم إرسال الكتاب إلى الإمام ، وأخبره أن ما يكون بعد وصول الكتاب إلى الإمام إلاّ عزلهما فلم يعمل السيد بالنصيحة وقاطع أن درجته عند الإمام أعلا من درجة القاسم بن الحسين فوجّه بالكتاب إلى الإمام فلما وقعت عين الإمام على الجواب ركض جواد توهّمه فيهما وأوجس خيفة فعزلهما في الحال وطلبهما إليه وتمّت المكيدة لعلي بن أحمد بهما .

وفيها كانت وفاة الحسين بن عبد القادر بحدّة[1] وكان أطلقه الإمام عن قصر صنعاء قبل حادثة المدومي بمدة فصار إلى دياره بشبام كوكبان بساحل الحمام إذا تغنّت على البان ويرضع من ثدي الخمول اللِّبان ، فلما نجمت حادثة المدومي لاحت لشرف الدين بن صلاح القاسم فيه فرصة الكيد وكان بينهما عداوة لا يعرفها [عمرو ولا زيد][2] فدسّ إلى الإمام أنّها لا تؤمن مع هذه المتفقة ثورته فأمر الإمام أولاده عند مصيرهم إلى شبام بتخييره بين السكون بحدّة أو الرجوع إلى قصر سام ولا سبيل إلى بقائه بدياره وهو في أحد الأمرين على اختياره ، فلمّا وصل أولاد الإمام إلى شبام عند تقدّمهم لقتال المحطوري ألزم بالمسير من ساعته وهو عليل لا يتمكّن من القيام فاختار السكون بحدّة ، فلم يلبث أن وافاه بها حمامه وانصرمت بها أيّامه ، فحمل منها على الأعناق لأنّه أوصىٰ أن يُدفن مع أبيه وأمّه وكان لا يبارىٰ

---

(١) حدّة: هي ضاحية صنعاء الجنوبية.

(٢) ساقط من (ر).

في الكمال ولا يُقاس به غيره من إخوته ، وله ديوان شعر[1] أكثره جيّد فمن شعره مجيباً به على السّيِّد محمد بن الحسين الحمزي الكوكباني[2] قوله:

سلامهم المرفوع شنَّف مسمعي
ووافق ترك النَّصب فيه تشيعي
ومذ ودّعوني فارق القلب جسمه
فليس له من مدرج بين أضلعي
أليس عجيباً أن جسمي موثق
أسير وقلبي سائر مَع مَوْدعي
[وأعجب من هذا صلاتي أتمّها
وأحكام باب القصر تشمل موضعي
رعى الله مَن قد ودّعونا وصانهم
وأرجع مَن قد غاب أحسن مرجع
إلى الغرب بدر الدين قد مدَّ رَحْله
كذا البدر لم يبرح بغرب ومطلع
فتى فتن الألباب حسن بيانه
وارى على أهل البلاغة أجمع]

وقال مخاطِباً ليوسف بن المتوكل على الله وهما معاً بسجن صنعاء وكان حذراً من أوهام الإمام وكان يوسف بن المتوكل بدا من طاقته والحسين بن عبد القادر مطلاً من طاقته فبادر التأخّر خوفاً لا ينم بهما النَّمام فقال:

إذا ما الشمس قابلني سناها
كسرت بسرعة منها جفوني

(١) انظر مخطوطاته في كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص ٣٣٨ وفيه ترجمة المذكور.
(٢) هو الأديب النّاثر له ديوان شعر ووفاته في نفس السنة المذكورة، انظر مصادر الفكر ص ٣٣٨.

ولـم يـكُ ذاك عـن مـلل ولـكـن
خـشـيـت مـن الـضـيـا[1] عـلى عـيـونـي

وله في مليح قاعد على حجر:

وشـادن قـاعـد يـومـاً عـلى حـجـر
ونـور غـرّتـه الـغـرّاء يـسـتـعـر
فـصـرت أنـشـد مـن وجـدٍ ومـن كـلف
«مـا أطـيـب الـعـيش لـو أن الـفـتـى حـجـر»

[وقد تقدّم له ذكر في تضمين في أثناء هٰذا الكتاب والمكرّر أحلىٰ ، وله وقد شرىٰ فتاة من نخّاس يُقال له أبو بكر وكان أوهمه أنها بكر بالمكر فانكشف خلاف ما ذكر فقال الحسين بن عبد القادر رحمه الله:

شـريـنـا مـن أبـي بـكـر فـتـاة
ودلّس أنـهـا بـكـر بـمـكـر
وكـم مـن حـيـلة جـازت عـلـيـنـا
«ولـيـسـت مـن أبـي بـكـر بـبـكـر»][2]

وفيها أشفق الإمام وتحنّن وأطلق عمّه[3] وابن عمّ أبيه[4] القاسم بن المؤيّد والحسين بن الحسن بن القاسم وجاد عليهما بالرّضا وتناسىٰ تلك المتفقات وأغضىٰ وألزمهما سكون صنعاء اليمن ولغير عمّه بخروج الرَّوضة أيّام الخريف لم يأذن ولم يخرج القاسم عن بابها حتى توفي وكفاه مؤن دهره بعد الإطلاق وقبله والسعيد مَن كفىٰ .

---

(١) تورية في ضياء الدين وهو لقب يطلق على كل مَن اسمه يوسف وإسماعيل وغيره.
(٢) ساقط من (ر).
(٣) هو الحسين بن الحسن (من الهامش).
(٤) القاسم بن المؤيد (من الهامش) وسيأتي.

وفيها نفىٰ الإمام نعمة الله اللاهوري إلى الهند وكان الحريبي القادح زند المكربة فيما زعموا الموریٰ وأخبرت داره بتعز العدنية ورجع بعد إلى اليمن ثم حجّ وهاجر حتى توفي بالمدينة.

وفي سنة ١١١٣ وجَّه الإمام مولاة النقيب سلمان والحسن بن صلاح، وصالح بن حبيش والقاضي أحمد بن عبد الحقّ، إلى علي بن أحمد بصعدة للخوض معه في الموالاة على أن يجعل له قسطاً وافراً من المخا يساق إليه ويقطعه جبل صبر في التّكاليف التي عليه، فلما صاروا إليه وتلا عليه جميع ما أودعهم الإمام [وسح برعبان سمعه من قولهم الوسمي والولي][1] ناط بعاتق بن حبيش تلك الجمايل، وأقرأه مما جاء به ومن عنده تهطال وابل، وشرط ما يعلم عدم الوفاء به من الإمام، وسوّغ ابن حبيش ما جاء به من المال، وزاده ضعفاً من عنده، وقال له قد تركت وساطة زيد وعمرو [وخالد][2] وجعلت بيدك على انفرادك زمام الطريف والتالد، وحكمتك في هذه الأمور، فإن تمّت [هذه الشروط فأنت الوكيل عنّي وإذا ما تمّت][3] عاهدتني أنّك منّي، فتعهده على ذلك، وكان الحسين ولده أنكر منه ما فعل، وسعىٰ بجهده في تخريب العمل، فقال له والده طب نفساً فكل هذا لا يتم ولا يفيد، إنما أردت أن أجعل بين اليمن والشام سوراً من حديد، يعني أن ابن حبيش إذا لم يفِ له الإمام، بما توسّط فيه قلب له ظهر المجن، ومضىٰ إلى بكيل على تأبّيه، وكان في عهد ابن حبيش أن الإمام إذا تعلّل وجاء من جهته الخلل، أنّه يحاربه سنة وسنة يصالحه، وتارة يشغله بنهب الأطراف، وانفصل عنه ابن حبيش، ولما بلغ حضرة الإمام وأنهىٰ المقال لم تعجبه الشروط، فقابله

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).

الفقيه محسن الوزير بالتعنيف وقال مثلك يقطع على الإمام بهذه الشروط يا سخيف ، وكان أهل صافية المحار بحجّه وهي إقطاع يوسف بن الإمام وافقوا ابن حبيش بالطريق فلاذوا به في إنهاء شكايتهم الجَور من عاملهم أو إبلاغهم المقام فأنهىٰ شكايتهم إلى الإمام حال دخل عليه فحقدها عليه يوسف بن الإمام ولمّا كلّمه بالشروط ، قال مثلك مَن يقول هذا الكلام ، ثم أخذ عمّته من فوقه ورجم بها إلى خارج الصيوان ، ولم ينكر عليه الإمام وفي ذلك لابن حبيش غاية الهوان وانفصل الموقف والخوض بحاله غير مختوم وكان العَيْن لعلي بن أحمد بالمواهب يخبره وينهي إليه الأخبار ، وكل مكتوم من الأسرار فبعث البريد بالواقع ، فلما أنهىٰ الخبر إليه ألقىٰ عصا تخوّفه واستراح ، وكتب إلى ابن حبيش يهوّل رجم عمامته وانقبض الإمام من ابن حبيش وأظهر الغضب وألزمه السكون بأرضه وتمّ لعلي بن أحمد من الحيلة ما أراد .

وفيها وفد الأيلجي(١) رسول سلطان العجم الشاه حسين بن سليمان بن شاه عبّاس إلى حضرة الإمام وموجب وصوله ، الضربة التي وصلت إليهم وفيها اسم المهدي المنتظر ، فإنها طارت في الخافقين واستصحب منها محمد حيدر آغا لما دخل إليهم بالهدية التي ملأت بأرضهم كل عين وأرسل الشاه رسوله هذا على أصلهم ليكشف له عن الحقيقة وينظر في العلامات المعتبرة عندهم بفطنته ، فقدّم المواهب في أبّهة عظيمة تدل على مملكتهم الجسيمة وكان صحبته من القزل باش(٢) فريق ومن الأبواق ما غيرهم بحملة لا يطيق مَن شاهدهم ، استدلّ بهم على قوة سلطانهم

---

(١) الأيلجي أو الألجي أو الأولاق: هو الرسول الذي ينقل الرسائل واللفظة أعجمية.

(٢) القزل باش: كلمة تركية تعني الرؤوس الحُمُر نسبة إلى القبّعات الحمراء التي كانوا يلبسونها ويطلقها العثمانيون على حبس الصفويين «المنجد في الأدب ٤١٤» (ولطف السمر هامش ص ١٣٠).

ورفاهية عيشهم والخصب بأوطانهم ، وكان الإمام أمر بتزيين المدائن عند تعريجهم عليها وألزم العمّال على طريقهم بإكرامهم في كل محلة دخلوا إليها ولمّا وصلوا إليه أنزلهم بالجناب المخصب واختصّهم بمزيد القرب ونوّع لهم في القرىٰ وأمر مَن يتلقّاهم عند دخولهم المواهب بالأعلام والطبول ، ولما دخلوا إليه حصل بعض تَلَكّي من الألجي رسول السلطان من أجل قيام الإمام لكتاب الشاه الوارد به عليه فغضب الإمام لذلك أشدّ غضب ، وكاد يسطو به من التغيّظ والتهب ، فاحتال الأريب بأن جعل الكتاب تحت مصحف أهدوه للإمام وأمَّ به إليه فكان منه كما هي قاعدته للمصحف القيام ، وبعد استقرار الألجي بدار نزل بها قرب الإمام أحضر الهدية التي جاء بها ، وفيها من التّحف والنفائس ما لا تصوّره الأفهام ، وكان كتاب الشاه قد طرّزه بالحرير ، ووشّاه ، ثم إن الإمام أضافهم ضيفة كبيرة وأمر بها أن تكون في الحظيرة ، وعقد مجلساً حفّ بالأعيان وحضره من عظماء المملكة كلّ مَن له شأن وقامت الشعراء فيه بالتّهاني فمن ذلك قول الأنسي أحمد بن أحمد من قصيدة مزج فيها المدح بالثناء وهي :

نعم هـذه نـعم وذا السفـح نـعمـان
ليهن كليـم الشـوق حسن وإحسـان

سـقىٰ الله أيّـامـاً تـقـضَّـت لـنـا بـه
ولـلـهـو أوطـار تـقـضـىٰ وأوطـان

وهـنئـت مـن مـلـك الـعـراق هـديـة
بمسـطورهـا شخص التشيّـع عنـوان

بـك اليمن الميمـون دانت لـه الـدنـا
وتـاه على أقصىٰ العـراقـين غـمـدان

فهـذي قـزل بـاش الـذين نـمـاهـم
من الفـرس في أبنـا الممـاليـك إيـوان

تقاذف أمواج البحار بجيشها
وطاف عليها للطوائف طوفان
كأنّ السهام الفارسيّة راشها
بأهدابه من بابل الطرف نعسان
كأنّ سيوف الهند نيران راهب
وكل قبيل ساجد الرأس رهبان
كأنّ مسيح السيف عند قيامه
له سجدت هام العدىٰ وهي أوثان
وكم فارس من فارس جاء قاصداً
لسابقة في حلبة السبق ميدان
[وربّ وزير عن شه شاه قد أتىٰ
إليكَ وكم للشاه تخدم فرزان]
وربٌّ حكيم فيلسوف كأنّما
جليسك جالينوس فيه ولقمان
لقد أصبحت منك المواهب كعبة
يطوف بها عرب وعجم ويونان
ومن عجب في أشهر الحجّ حجّها
فللحجّ قد جاءت رجال وركبان
ولولاك لم يأت المواهب طالب
ولا خاف سلطان الخلافة سلطان
وتركُك لبس التاج زهداً وعفّة
إذا افتخرا بالتاج كسرىٰ وخاقان
وما زانت البدر الثريّا بتاجها
ولكن به تزداد نوراً وتزدان

وانت الـذي تـوجت بـالمجـد لا بمـا
تـتـوجّـه مـن قـبـل دارا وسـاسـان
عليـك من الفضـل العميم عـمـامـة
تخـرّ لهـا مـن آل خـاقـان تيـجـان
وعـن يـوم بـدر هـذه النـوبـة الـتي
أهـاجت به الهيجـا من الفرس فـرسـان
ففي ضربها للضَّرب والطعن في الـوغَا
ضـروب كتقـطيـع العـروض وميـزان
مـزامـيـر داود تـؤب عـنـدهـا
جبـال المـذاكي لا ثمـام وثـهـلان
ولله كـم أظـهـرت لله نـعـمـة
وهـل كـتمـهـا إلاّ جحـود وكـفـران
فـلا زلت مشكـوراً ولا زلت شـاكـراً
لـك الـدين والـدُّنيـا مكـان وإمكـان
ومـا زمـن الـمـهـدي إلاّ مـسـرّة
وفـضـل وإفـضـال ويـمـن وإيـمـان
وقـابـل بـالإكـرام شـيـعـة جـدّه
عـليّ وهـم لـلحقّ حـزب وأعـوان
وَمَنْ كـأبي السبـطين حـاز مفـاخـراً
بهـا شهـدت عنـد التّفـاخـر أقـران
وإن جـلي الـنصـح فـيـه لـواضـح
وفـي آيـة الـتبـليـغ لـلنص إتـقـان
بـه شـرفـت من بـعـد أهـل بيتـه
وشيعتـه أهـل البيت لـلبيت أركـان

ولما كمل الإنشاد ألبسه الإمام الخلع النفيسة وأعطاه فرساً له الوجيه

فريسة وراطن الألجي أحد مماليكه فذهب ، وجاء للآنسي بخلعة كسروية فنظر إليها الآنسي شزراً وقال أنا عند الملك الميمون والإمام الذي تشخص إليه العيون أقلب الطرف بين الخيل والخول ، لا أقنع بالدّون ولا حاجة لي بهديتكم بل أنتم بهديتكم تفرحون .

وأخبرني سيدي الحسين بن علي بن المتوكل رحمه الله تعالىٰ: أن المهدي ذكر له في مجرّد خطاب أنّه لم يجز الآنسي بما اشتهر من هذه الأسباب لإجادته القول ولا أن هناك في شعره غاية الطُّول ، وإنما أجزته لأني توقعت أنه يجعل لي تاجاً كالأعاجم ، فلما صرفه عني بتلك البيوت علمت تمسّكه بأذيال الأدب وعرفان المقاصد ومجانبة الفعل الممقوت ، ولبث الألجي رسول سلطان العجم ومَن في صحبته في حضرة الإمام نحو أربعة أشهر ، وقُوبِلت هديته من المكافآت بجمهور ولو وفد هذا الوفد إلى غير هذا الملك العظيم لبَانَ صفر عذا الإقليم ، وبالغ المذكور في ديوان الحسن بن علي بن جابر الهبل[1] ، أحد مَنْ يذهب إلى مذهب الجاروديّة من الزيديّة وأصحبه الإمام نسخة منه كامل العناية إلى الشاه في جملة الهدية ، وبعد هذا قوّضت خيامهم للرحيل ومن المخا ركبوا بحر حُقّان إلى بلادهم .

وفيها خطب الإمام إلى صالح الرصاص كريمتهم ، فلما حصل الإسعاف ولم يبقَ غير الزِّفاف ، وقد نفحهم بكل جليل وساق إليهم من الأموال على التّعجيل ، وحين طلب زفّها إليه ، منع إخوتها زفافها [وتالبت معهم على ذلك أخلافها][2] ويُقال إن أحمد بن هادي العلفي ، وكان الرسول إليهم أشار عليهم بالتمنّع من إهدائها لشيء في نفسه كان من الإمام ، ولما عرف الإمام تمنّعهم ، كاد يخرج عن إهابه تميّزاً من الغيظ ،

---

(١) هو شاعر اليمن الكبير وفاته سنة ١٠٧٩ انظر كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص ٣٣٤.
(٢) ساقط من (ر).

فاستعدّ لحربهم بتلك الهمّة ، وكان تمنّعهم عليه من أعظم الملمّة ورأىٰ الإمام أن ردّهم إليه بعد القبول طعناً في السيرة وتمنّعهم قادحة في المجد عسيرة[١] فجهّز عليهم عماد الدِّين يحيىٰ بن علي بن المتوكّل من جهـة بيحان ، وقابله إسماعيل بن الحسين بن المهدي من جهة أخـرىٰ بذلـك المكان ، فما أجدىٰ شيئاً ذلك الجمع ، فأردفهم بالقاسم بن الحسين بن المهدي ، فتقدّم إليهم في جيشٍ أجشّ ، من الرجل والخيل فخيّم عليهم أيّاماً بالكبيرة ، وأمر الإمام صنوّه إسماعيل بن الحسين بن الإمام المهدي بالانضمام إليه وتقدّم من الكبيرة توغلاً ببني أرض ، فحصل التّمنّع منهم وكتب إلى الإمام يؤاذنه في قتالهم ، ولمّا عظم أمره وهـالهم ونالهم من سطوتـه مـا نـالهم وافىٰ إلى مخيّمـه [أعيـانهم][٢] ونـزل على حكمـة سلطانهم ، ورجع إلى الإمام بعد ذلك بالفايق .

وفي هٰذه السنة أطلق الإمام الضياء يوسف بن المتوكـل من السِّجن وفكّ أسره بعد الزمان الطويل ، وألزمه السّكون بصنعاء وأقطعه بعض بلاد سنحان ، وما زال يتّصل منه الإحسان .

وفي سنة ١١١٤ قدِمَ القاسم بن الحسين بن المهدي بالفائق العروس وصلحت المشرق بما كان له فيها من السطـوة وارتفع عنهم البؤس ، وظفر الإمام ببأسه[٣] بعد اليأس بالأماني [وقيلت من أجل ذلك التهاني وقال له: الفتـح الربّـاني: هو أوّل وهي المحـل الثاني][٤] وصنـع الإمام أعـراساً عظيمة[٥] ، ودارت في هٰذا المقام كؤوس النّظام ، فمنه قول الحسين بن علي بن المتوكّل على الله إسماعيل شعراً:

---

(١) في (ر) وقداحا في مجده.
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).
(٥) في (د) بزيادة «وأوسع الناس من التكرّم والإحسان».

ملك في الحسن أم ملك   أنت أم شمس لها فلك
أم غزال صاده شرك   شرك قد مدّه ملك
ملك دانت له العرب

يا أمير الحسن ته فلقد   نلت حظّاً لم يناله أحد
أنتَ ظبي قد سباه أسد   عدّ في ذا الدهر رأس معد
سيِّد الدُّنيا ولا عجب

ساجع الأفلاك فيك سجع   ووميض الوصل منك لمع
تِه دلالاً في الملاح ودع   كل ربّات الحِجال بدع
فلقد أربىٰ لك النشب

بمليك في الملوك علي   نصّه في المكرمات جلي
قد غدا في العالمين وليّ   جدّه المختار ثم عليّ
نسب ما مثله نسب

فالبسي زهر الرياض ردا   ثم تيهي وافخري أبدا
بمليك لا يرىٰ أحدا   مثله في مفخر وندا
لا يهاب المال إذا يهب

ملك تعنو الأسود له   بالوغىٰ طبعاً له وله
وإذا ما شئت تسأله   عن علوم الحرب فهو له
رأي صدق ما به كذب

واقرئي في مدحه سوراً   والثمي من نعله أثراً
واجتني من جوده ثمرا   ثمر يحبو العلا غرراً
ثمراً لليسر يجتذب

[أنت بدر لاح جنح غلس   قد محا جنح الدّجا وطمس
وذرا روض الصبا وغرس   بعدما اغتاض الدّجا وعبس
وبدا في وجهه الغضب][1]

---

(١) ساقط من (ر).

مـا ألـذّ القـرب بعـد بعـاد　　وأحيـلا النَّـوم بـعـد سهـاد
وألـذّ الـسّلم بـعـد جـلاد　　وكـذا إسعـاد أهـل سعـاد
بيننا أن ترفع الحجب
آه لـولا سـاقـك الـقـدر　　وسعىٰ في وصلك الـظفـر
أسعـرت حـربـاً لهـا شـرر　　شـرر كـالـقـصـر مستعـر
وبنو أرض لها حطب
وتـهـنّ الـوصـل والعـرسـا　　فلقـد مـات الحسـود أسـا
وتـلا عـن غيـره عـبـسـا　　وعلى بحـر الـهـمـوم رسـا
ملك ربّانه قضب(١)
عـرس بـالنَّصر صار جـديـر　　وغـدا لـلفضـل أيّ نـصيـر
ولـوجـه الـبشـر أيّ بـشيـر　　وبـأخبـار الـسـرور خبيـر
وهي أخبار لها طرب
حـق لي أن انـضم الـشـهـبـا　　وأريـك الـدرّ مـخـشلبـا(٢)
درّ مـدحـي لـلكـريـم أبـا　　خيـر مَن أعـطا ومَـن وهـبـا
نجباً ما مثلها نجب
ضـمـر تمشي علـى مـهـل　　مثـل مشي الشـارب الـثمـل
بـل ومعـطي البيض والأسـل　　ومـنـيـل الـحـليّ والـحـلل
فوق هيفا زانها شنب(٣)
شـرف الـرّصـاص أيّ شرف　　أدنهـا في المكـرمـات غـرف
وانـتـهـىٰ عـن غـيّـه ووقـف　　بعـد أن قـد كـان مـات أسف
من ذنوب ما لها سبب

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) المخشلب: هو قطع الزجاج المتكسّر وقيل الخزف. وهذا الشطر مأخوذ من قول المتنبي: «ودرّ لفظ يريك الدرّ مخشلبا».
(٣) ساقط من (ر).

وفي هذه السنة قصد قحطان بن معوضة بن عفيف إلى عدن والعامل بها السيِّد مجاهد من أهل حجرية اليمن فدخلها عنوة وقتل العامل على المدفع واستباح أهلها وما فيها ، ولمّا بلغ الإمام بعث الجيوش كالغمام ، وأمَّر صنوه المحسن بن المهدي عليهم ، فما كان يوم سادس إلاّ والمحسن بلحج ، وما حصلت الأجناد إلاّ والبغاة ببلادهم فأصلح المحسن بها الفاسد ، ودسَّ على العبدلي فقتل بجنايات تكرّرت منه ، وما برح المحسن باقياً في عدن إلى أن انفتح الصُّوب الذي برجله من قديم ، فأفضىٰ به إلى المنيّة فقبر بعدن رحمه الله تعالىٰ .

وفي هذه السنة أرسل سليم باشا جدَّه وكان من أهل الكمال والنجدة أحمد الآغا صنوه إلى حضرة المواهب ، فقدم في أبّهة عظيمة ومعه من الأسلحة والخيل على جهة الهدية ، فلما وصل أكرمه الإمام ، ورفع له الجناب وأعطىٰ الهبات المتنوعة ، وقولب بالرمح في الميدان وأجازه الإمام خنجراً مرصّعاً بالجواهر مما أهداه إليه الشاه بقصد التفاخر ، وبعد تمام إضافته وقبول هديته ، طلب من الإمام الإذن بالرجوع إلى أخيه فأنعم له الإمام بالإذن في السير وأعطاه من الذّخائر ما لم يعطِ الغير واشتاق الآغا إلى التعريج بصنعاء المدينة ، والنّظر منها إلى كل زينة ودرة ثمينة ، فأسعد له الإمام إلى ما طلب ، وكتب الإمام إلى ابن أخيه يوسف بن الحسين عامله عليها بإكرامه ، فأمر أهل الأسواق بصنعاء بالتّزيين للحوانيت ، ولما بلغ إليها أضافه يوسف بن الحسين بن المهدي ببيته إضافة سنيّة وعقد مجلساً أظهر فيه الأبّهة الملوكية ، ولما دارت كؤوس الحديث والطيب والتفكّه في الخطاب بكل عجيب ، وكان حضر المجلس أعيان المدينة ، ومَنْ يحسن الخطاب مع الأغراب في يوم الزينة ، فأنشد السيِّد عبد الله بن علي الوزير في ذلك المقام ، والعيون إليه ناظرة قصيدة بليغة وهي هذه:

شرفتمونا يا بني يافث   ولله هذا المقدم الأشرف

صفىٰ لكم مصر القديم الذي | سما به التخت الذي يوصف
وانعطفت عن غيركم جدّه | ولان منها لكم المعطف
فأوقفتنا من ذراكم على | أكابر يزهو بها الموقف
قد أتحفوا حضرة مهدينا | من تحف الملك بما أتحفوا
فصادفوا من سوحه جنّة | آن جناها ودنا المقطف
عند إمام تاجه برده | يرمي لديها التاج والمطرف
له من المجد سرير على | أعلاه من هيبته رفرفوا
شَرَّفتم صنعاً وأحسنتم | ونلتم كلّما يشرف
صنعاء في القطر اليماني غدت | مصراً وهذا ملكها يوسف
مَن مبلغ الباشا في جدّة | بعد سلام عرفه يعرف

وهي طويلة جدّاً ولما قضىٰ الآغا وطره بصنعاء وطاف بركنها اليماني وسعىٰ جاءت طريقه علىٰ عمران فقابله بها الأمير عماد الدِّين يحيىٰ بن علي بن المتوكّل بالإكرام ثم نفذ إلى اللحية ومنها ركب التيار وأخبر بعض الأعراب أن الباشا بمصر اتّهم صاحب جدّة بالميل إلى صاحب اليمن وطلبه إليه عازماً على قتله ، فصار إليه فلما كلّمه بما اتّهمه هنالك ، قال صاحب جدّة: إن يكن للكلام ثم مجال تكلّمت وإن كان لك شهوة في قتلي أمنت وسلّمت قال هات مقالك ، فرمىٰ إليه بخنجر الذي أعطاه المهدي أخاه ، وقال مَن يعطي مثل هذا جائزة طراد الميدان حقيق أن تهابوه وتتّقوه فإني لم أوجّه أخي إليه عن محبّة بل والله مخافة أن يصرف همّته إلى هٰذه الديار فمَن يعطي هذا العطا يتخوّف جانبه ولا تؤمن مصائبه وعجائبه فإني مع كرمه وبذله وهمّته السامية أتخوّف أن يوجه إلى هٰذه البلاد المصرية والشامية فأنا أُداجيه وأُظهر له المودّة وأُراسله ، فنظر في قوله بالمعقول وراجع عنده صدق ما يقول وأمره للفور بالعود إلى ولايته.

وفيها جهّز الإمام ولديه إبراهيم وعبد الرحمٰن لحرب المشرق وجهّز

معهما عسكراً من الأتراك وأهل العرفان بمواضع العراك فانتهىٰ التقدّم بهم إلى محل يُقال له الصدر(١) وخيّموا فيه بتلك الأبّهـة فجاءهم ما لا قبل لهم به من الأقوام ، وأحاطت المشرق بهم إحاطة المعشوق بقلب المستهام ، فكان بينهم الجميع معارك وقتال وطاح من القتلىٰ من الجانبين ما لا تحيط به الأوصاف ، وثبتت أقدام وزالت أقدام ، ولمّا حمي الوطيس واستظهرت أهل المشرق الأباليس كثر القتـل في الركن الأمـامي وأدّىٰ إلى الرجـوع والوطيس حامي فدخل بعضهم إلى قعطبة ، وبها القاسم بن الحسين ابن الإمام المهدي فلبثوا ما شاء الله بجواره وارتحلوا عنه إلى الأمام وطاح ذلك المركز العجيب وتَمَّ الكلام.

وفيها وفاة شيخ العلوم الدقيقة السالـك بطريق المجـاز إلى الحقيقة الحسن بن الحسين(٢) بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمّد ، وكان من العلوم والعرفان بالمحلّ الأسد ، ويذهب إلى التصوّف وتؤخذ عنه طرائقه من غير تخوّف ، وله شعر في طريقة ابن سينا وله في المنطق أراجيز ، وشعر على اصطلاحهم وجيز ، ولم يأتِ الزمان بعده فيما علمت بنظيره ، وكـان أمْيَل إلى الخمـول ، لم يتـطلّع للظهـور كغيـره ورضي من دهـره بالكفاف ، وكان يؤخذ عنه العلم بداره مع كمال التّـواضع والاعتـراف ، ومات قَطيعاً(٣) وخلف أطياناً ، وجِنْساً ونوعاً.

وفيهـا وفاة الشيخ محمد بن حسين بن سليمـان المرهبي(٤) الشـاعر المشهور والأصولي الجدلي وكانت وفاته بجهة مور من أعمال اللّحية وكان قصده الحج إلى بيت الله الحرام فحالت دون ذلك المنيّة [وكان المذكور

---

(١) قرية عامرة من أعمال السواديّة في الشمال الشرقي منها.

(٢) هو من أفاضل علماء عصره له حاشية على شرح التهذيب في المنطق طبعت أخيراً. انظر مصادر الفكر ص .

(٣) أي لم يعقب.

(٤) هو المعروف بأبي فاضل انظر ما كتبناه عنه في (الأدب اليمني ص ٤٩٥ ـ ٥٠١).

مصحباً لجمال الدِّين علي بن المتوكّل فقابله الزمان بعد وفاة مخدومه بوجهه الكالح] وكان المهدي يرميه بالنفاق ولا يقابل به قبول على الإطلاق.

وفي سنة ١١١٥ كانت وفاة شرف الدِّين الحسين بن المتوكل بشهارة بعد أن عَضَّه الزمان بناب بعد تلك الإمارة فسبحان مَنْ الكون بأمره القائم الذي لا يزول ملكه الدائم.

وفيها ولي صنعاء شرف الدين القاسم وأطلق له فيها الأوامر والنَّواهي فكان استعماله على الناس من أشدّ الدواهي فإنه لمّا ألقىٰ عصاه بربعها سار في الناس بالعسف وسامهم الخسف ورمىٰ أعيانها بالفواقر وكان لناقة العدل قدارها[١] العاقر، والسَّبب أنه اختدع الوزير الفقيه محسن الحبيشي فيما قيل بأن طلسم له على الإمام وكان في التنجيم والشعبذة المشار إليه بالأحكام فلقي الناس منه عرق القربة[٢]، ورجعوا إلى الله في الابتهال والتضرُّع إليه بدعاء أبي حربة وصادف مع ولايته الأزمة التي طار مارجها وتكاثفت مداخلها ومخارجها، فما أطلق بحلبتها طرف خير [ولا كان لطرف التفاته إلى العدل أُيْسَر سير وبفرط الفقيه محسن الوزير حنث ويقصد الموافقة في أهل صنعاء، كان فيه العبث فقطع بها قنطرة أيّامه بالمجاز وشغل نفسه بالبطالة والألغاز و][٣] كان يزعم معرفة ما يجري به الفلك ومَن يعمِّر طويلاً ومَن يهلك [ولو أفاد له التنجيم ما جمعت يداه ما حملوا ما حاز وسيأتي ذكر ذلك في أثناء هذه السطور إن شاء الله][٤].

---

(١) هو قدار بن سالف عاقر ناقة صالح.
(٢) كناية عن الشدّة والمجهود والمشقّة يقال لقيت من فلان عَرَق القربة. لأن القربة إذا عرقت خبث ريحها أو لأن القربة ما لها عرق مكانه تجشم محالاً.
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).

وفيها [ذكا جاحم الأزمة التي سَعّرت النار وذهبت بالأموال والأعمار كاد يعدم الطعام فيها بالكليّة وبلغت قيمة القدح مبلغاً عمّت به البليّة. وقد ظهر في العام قبلها من النّيازك المشؤومة وغارت المياه[1] المستديمة وأصيب الناس بداء الأكل الكثير واشتدّت بهم شهوة الطعام، وما سَلِمَ فيها الغني ولا الفقير، واستهلكت الذخائر [وجاءت من القوارع بالأنباء][2] وهلك فيها عالَم لا يُحصىٰ وكاد الحمام يفضي بهم إلى الاستقصاء.

وفيها وفاة القاضي حسين المغربي[3] وكان من أوعية العِلم وكتابه شرح بلوغ المرام، وتوفي بالروضة زاهدها الجربي وغيرهم جمّاً غفيراً مِنَ الأعيان، وخلت البوادي عدّة قرىٰ من السكّان، [وعمّ بها جميع الأقطار][4] وتواتر بالعدين بأن أكل بعضهم لبعض، ووجد عدَّة موتىٰ مصرعين على وجه الأرض، وعلى الجملة إنها إيقاظ للغافل وزيادة دلالة على أنّه القابض الباسِط، الكافي الكافِل، واستمر الحال على ذلك إلى السنة التي جاءت بعدها، وهي منها ألطف وبآخرها جاءت دلائل الخيرات.

وممّن مات بصنعاء من العلماء الفقيه علي بن يحيىٰ البرطي[5]، وكان من حسنات الدُّنيا، ويذهب إلى التّشيّع مع عدم الغلو.

---

(١) في (د) الأمواه.

(٢) ساقط من (ر).

(٣) هو من علماء اليمن الكبار، ولد بصنعاء سنة ١٠٤٨ وكتابه في شرح بلوغ المرام يسمى «البدر التمام» من أوسع شروح هذا الكتاب ومنه عدّة مخطوطات وقد اختصره العلاّمة محمد بن إسماعيل الأمير في كتابه الذائع الصّيت المسمى بسبل السلام». انظر ترجمته في البدر الطالع ٢٣٠/١، ونشر العرف ٦٣٠/١، وكتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص ٥٩».

(٤) ساقط من (ر).

(٥) من أفاضل العلماء وقد أفرده بالترجمة تلميذه العلاّمة علي بن عبد الله الوزير في كتابه نشر العبير منه مخطوطة. انظرها في كتابنا «مصادر الفكر» ص ٤٤٧.

وفيها كانت وفاة يوسف بن علي بن هادي[1] وكان الإمام أمر بقتله لسبب اقتضىٰ ذلك واجتمع له الناس ، وهكذا مَن لم يضع الأمور من البناء على أساس ، فتوقَّف السيِّد علي بن الحسين الشامي في إيجاب ذلك عليه ، وراجع فيه الإمام فعفا عنه ، ولم يلتفت بعدها إليه.

وفيها مات بزيلع أحمد بن أحمد الآنسي[2] الشَّاعر المشهور ويُقال إن الحريبي جنىٰ عليه ما جنىٰ ، وأخبر كثيراً أن الفأر أكل شفاته وآذانه ، ووجد بعد يوم وليلة ميتاً على الحال مكانه ، والله أعلم بالحقيق في الطرفين ، ولكن أطبق الناس على هٰذا من غير مين.

وفي سنة ١١١٦ فيها تهوّنت الشدّة بعض التهوّن وقلّل حِرْبَاؤها[3] في التلوّن.

وفيها جهّز الإمام ولده المحسن وجميع الأعيان ببابه لحرب صالح بن حبيش ، بعد انتهابه حبور ، وكان ابن حبيش وصل جناح الغريبي في العصيان ، ووجّهوا بعبد الله بن أحمد بن المتوكّل داعياً ، ولم تقف بكيل عند حدّ ، وفارقهم الغريبي بداعيه إنكاراً بزعمهما ، لما اتفق ، فساق الإمام مع ولده كل أمير ، وأمرهم بمناجزة ابن حبيش من غير تقصير ، وبذل الأموال كعادته ، ولم تحصل الأمور على إرادته ، فلما بلغ ابن الإمام إلى جهة ابن حبيش ، وحالفت القبائل ابن حبيش على حرب الدولة ، وتحقّق المحسن بن الإمام منهم الإقدام والصولة ، فصالح ابن حبيش على أنّه يخرب أعلا بيته ، واللواء الإمامي يخفق عليه بين العوالم ، وكان

(١) هو أحد الشعراء والأدباء الكبار له ديوان مخطوط بعنوان محاسن يوسف. وانظر ما كتبناه عنه في الأدب اليمني ص ٥١٧.
(٢) شاعر عظيم ومصلح اجتماعي كبير توسعنا في ذكره في كتابنا الأدب اليمني ص ٥٠٣ ـ ٥٢٤ وله ثلاثة دواوين مخطوطة.
(٣) الحرباء: دويبة نحو العظاية تتلوّن بتلوّن الشمس.

هذا غاية ما بلغ مجهوده وعجزت عن أخذ ابن حبيش بيد الإقسار جنوده ، وكان ابن حبيش لكان من الامتناع[١] لا تحوم حوله الأفكار [ولا يمكن الوصول إليه بيد الأقسار][٢] فلمّا حصل بداره الخراب وتمّ الأمر ، وكان المحسن بن الإمام مَن تخوّف والده على أحرّ من الجمر ، ثمّ إن الإمام لم يرضَ[١] بهذا الإصلاح[٣] وقال لا يتم الأمر بغير الصفاح ولاحت الفرصة لأعداء المحسن فألّبوا عليه وقرّروا[٤] في خاطر الإمام أنّه ما صالح ابن حبيش إلّا وقد انتمىٰ إليه وبذلوا لبعض مَنْ كان معه المال ، فأنهىٰ إلى الإمام أن ولده طلب منه البيعة له في هٰذه الحال ، واجتهد الفقيه محسن في هٰذه الأمور ، وألّب عليه مَن معه الجمهور ، فلم يبقَ عند الإمام شكّ في التصديق ، ولم يلتفت إلى الاستثبات والتحقيق ، فطلبه إليه وأمر شرف الدِّين القاسم عامل صنعاء بالقبض عليه ، وقبض معه جماعة من الأعيان وفرّقهم في الحبوس ، وكان شرف الدِّين القاسم للفقيه الوزير عيبة نصح وقمطر أسرار ، فأنفذ له إرادته واقتحم الأخطار ، ثم إن المحسن بن الإمام ، صار من قصر صنعاء إلى أبيه فحبسه بذمار ، ومات والقيد في رجله بسعاية الأشرار ، وممّن حبس شرف الدين الحسين بن علي وصنوه يحيىٰ بن علي حفيديّ الإمام المتوكّل على الله ، بقصر صنعاء وكان الأمر فيهم إلى زبيد فانبرت والدتهما الشريفة فاطمة شقيقة الإمام من الروضة وبها عليهما الإشفاق الشديد ، وأمرت تنصب لها خيمة بباب ستران[٥] ، وقالت: تعزم مع ولديها ، فخاف شرف الدِّين عاقبة الأمور لعلمه بمكانتها من أخيها ، فأظهر لها بقاءهما في صنعاء أيّاماً قلائل حتى يراجع الإمام ،

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) في (ر) الاتفاق.
(٤) في (ر) ووضعوا.
(٥) هو الباب الذي يتصل بقصر صنعاء من جهة الشرق وقد دثر الآن.

وكتب إلى الفقيه محسن في شأنهما وسأله الاهتمام ، لما يعلم أنها إذا وصلت إلى أخيها حلّت به وبصاحبه المصائب التي لا يؤخذ في تلافيها ، واجتهد شرف الدين في التفريج عليهما خوف المهالك وأخبرني الحسين بن علي أنّهما لمّا صارا في الحبس وحصل الإياس معهما ، وضاقت النّفس مع ما رأى من المتّفق مع النّاس ، وتفرّقهم إلى السجون بغير قياس ، قال: فنظمت أبياتاً أتوسّل بها وأقسم أنّه وافى به الإطلاق عقيبها وهي:

يا أخا الهمّ للفرج ... من إله السما فرج
ودع القوم يسرحوا ... في دوي وفي هَزَج
كلّما قوّموا لهم ... أمر دنياهم اعتوج
وسل الله غارة ... تذهب الهمّ والحرج
فهو المبدي المعيد ... وبه قامت الحجج
وله الأمر كلّه ... فدع الخوض واللجج

وممّن حبس بسعي الفقيه محسن القاضي أحمد بن ناصر بن عبد الحقّ، وكان خطيباً مع المحسن بن الإمام بتلك الخطرة، فأمر به إلى صيرة وبقي بها حتى مات غريباً ومثله عبد الله بن محمّد بن أحمد بن القاسم وغيرهم من الرؤساء العظام.

وفيها هلك بالقتل سعد بن زيد بن محسن العامِل على مكّة المشرّفة ببندق أصابه وذلك أن سلطان الرّوم جهّز عليه لما انتهب هدية الإمام ويُقال إن المدبّر عليه صاحب اليمن ، لأسباب لو أخذنا في شرحها لطال الكلام ، وتولّى المذكور مكّة مدّة طويلة من الزمان وقد تقدّم ذكره في أثناء هذا الكتاب ، وقد أرّخ قتل سعد وقيام سعيد بعض أدباء مكّة في بيتٍ واحد فقال:

فاز بالجنّة سعد ... قام بالملك سعيد

وفي سنة ١١١٧ كان الإمام جهّز السيِّد حسين بن صلاح القطابري بعد قضية حبور، وكان الباعث لخروج القبائل إليها، وما تمّ من الحوادث عليها، أن الإمام أمر بطردهم عن بابه، وأبعدهم غاية الإبعاد عن جنابه، وأمر بغسل الأماكن التي كانوا فيها، وأمر بشيوخهم ففرّقوا في الحبوس[1]، وصاح على بعضهم بالهدر، وكان عبد الله بن أحمد بن المتوكّل بحضرة الحريبي في المخا، قذف به الاحتياج إلى تياره، وأنزله الزمان على ما يشاء من اختياره، وكان بالحريبي عجرفة، لا يفرّق بين الدني والشريف، وما خطر بباله الإنصاف ولا رفع التكليف. فاحترق مزاج عبد الله المذكور أنَفَة، وأوجعه ما لاقىٰ من عجرفة الحريبي والترّفع، ومع ذلك فنسب إليه عدم النزاهة فحطّ من قدره، وكان أحد الأسباب في اطّراحه ونفوره عن حضرته وجماحه، فصار إلى حاشد وصادف منهم كامناً على الدَّولة بما نالهم قبل من عدم الإنصاف ومال إليه الأكثر، وصادف أيضاً هوىً من ابن حبيش، فلبّىٰ معهم نداه ولما اجتمع رأيهم على الفساد كان منهم ما قدّمناه من نهب حبور وتلك المتّفقات التي ما كانت تخطر بتامور[1]، وكان ذلك أوّل حادث من أمرهم الشنيع والسنّة القبيحة التي صارت لهم ديدناً، من النّهب والترويع، فإن أهل حبور خرجوا منها فقراء وقتلوا رجالها وما عفوا عن النساء، وأخذوا ما بها من طارف وتالد، ورجع محمد العريبي، الذي هو أصل الفتنة، لما نال النهب كثيراً من الناس فلزم بيته وما خرج بعدها لمراس، وفارقهم غضباً للمتّفق عبد الله بن أحمد بن المتوكّل، فراح إلى مكّة، فلما جَهّز الإمام القطابري في تدارك هذه الأمور كان أشدّ إشكالاً على الدولة وأظهر الفجور والخروج عن الطاعة فإنّه لما صار إلى حبور وحجّه وكان أعطاه الإمام أموالاً جمّة يَسْتعين بها على ملاقاة العدو فطمع في الأمر لنفسه وإعطاء

---

(١) في (د) بزيادة: وأفضى ببعضهم التيار القاموس.

القبائل المال ، فلمّا عرف الإمام منه الخروج عن الطاعة وجّه ولده إبراهيم في أثره إلى ثلا فلمّا صار إليها ما زال يسوس القطابري حتى قنع بالإياب من الغنيمة ، وقد كان وجَّه الإمام الناصر بن الحسين بن الحسن في جريدة اختارها وعصابة قدر انتصارها ، فجاءت طريقه على تهامة واستمرّ مسيره إلى محابشة الشرف مع تجويز السَّلامة فمالت عليه القبائل ميلة واحدة ، وحصل الصلح بينه وبين القوم على الإقامة بدار الإمارة بعض يوم واستسلم جميع مَنْ كان معه ، وخرج عنها أضعف ناصراً وأقلّ عدداً ، وكان ابن حبيش قصد إبراهيم بن الإمام للحرب ، وانتهى في مجاله إلى بيت علمان[1] وإبراهيم باقياً في ثلا ، وكان قد قدِمَ للقاء ابن حبيش عصابة نافعة ، فلزموا له بمضيق هناك واحتربوهم وإيّاه ، فكانت الغلبة للأجناد المهدوية ، ورجع ابن حبيش مكسوراً ، وأمّا القطابري فآل أمره إلى العود إلى بلاده بعدان بذل له من المال ما وقع به على مراده ، وكان الإمام جعل لولده إبراهيم رأياً إلى شرف الدين القاسم العامِل على صنعاء وبلاد كوكبان بأن جميع ما يحتاجه من كفاية الأجناد منه ، وفوّض ولده إبراهيم في جميع البلاد فاتّفق أن الإمام وجّه رسولاً إلى شرف الدين القاسم يأمره بالثبات والتسديد ، واجتماع الكلمة هو وولده إبراهيم ثم قال للرّسُول: خذ بإذنه وأبلغه مع هٰذا الكتاب المحمّر الوصايا زيادة في التأكيد ، فراجع شرف الدين سفره السقيم المشوم ونظر نظرة في النجوم ، فوجد الحمرة عليه وأذنه بيديه فلم يقرّ له قرار وعوّل في الليل البهيم على الفرار فأوقعه نظره السقيم فصار إلى وادٍ يُقال له ضيان ، وهو على حال لا يرضى بها لنفسه إنسان ولم يلوِ على مال ولا ولد ولما نما إلى إبراهيم بن الإمام المتّفق ذهب عنه ما كان لأجله يجد من الكرب ومالت لذلك أعطافه جذلاً واستخفّه الطرب فإنه كان يكرهه ويودّ عزله ، ولمكانته من الفقيه محسن الوزير فعندها أمر بقبض بيوته وما فيها ، ووجد بداره بعد التفتيش

(١) بيت علمان: قرية من عزلة المصانع الخارجية ناحية ثلا.

جملة نفائس وأموال ، ومن الفرش الرّومية ما لا يخطر ببال وحمل بعضها إلى الإمام على الجمال ، وشرف الدين لمّا وصل إلى ذلك المكان المذكور ، عرفه أهلها فقبضوا عليه ووافوا به إلى إبراهيم على تلك الهيئة المستنكرة وهو على غاية الذلّ بعد التيه والعزّة ، فلامه إبراهيم على ما صنع وأودعه السجن ، وأضاف إليه يهودياً يُقال له الجِزيزي ، كان الأخصّ به ، وكان السيد شرف الدين أطلق لذلك اليهودي العنان في مباراة الإسلام ، وخرم الذمّة ، وأجمع الناس على أنّه كان يعمل له الأسحار ثم إن إبراهيم أرسل به وباليهودي إلى حضرة والده صحبة ما كان في دوره من الأموال والذخائر الذي لا تحصيه الأقلام ومضىٰ به الرسل من باب صنعاء وقد اجتمع الرُّسل للشماتة في تلقّيه فقذفوه بألسنة حداد ، ولمّا بلغ الإمام همَّ بقطع رأسه مع اليهودي ، فشفع فيه مَن شفع وأمّا اليهودي فضربت عنقه في الحال لما صحّ من خروجه على الذمّة ، ثم إن الإمام وضع الآداب في أصحاب شرف الدين المتعلقين به ، وأمر به إلى سجن زيلع فلبث فيه بضع سنين(١) ولم يخرج منه إلاّ في الدولة المتوكليّة وبعد هٰذه القضايا رجع إبراهيم إلى حضرة والده .

وفيها وفاة السيِّد الأديب محمد بن الحسين الحمزي الكوكباني وله شعر متين لا سيّما الحميني(٢) .

وفي هذه السنة وجّه الإمام ابن أخيه المحسن بن الحسين عامِلاً إلى صنعاء وجهاتها فحفظ الأطراف وطالت له في ولايتها الأيّام ولم يقف بها غيره كوقوفه في سائر الأنام .

وفي هذه السَّنة مرض الإمام مرضاً خيفَ عليه منه ولما بلغ الحريبي ،

---

(١) قلت: وفي سجن زيلع المذكور وضع مؤلفاً كبيراً في علم الفلك وقفت عليه عند الأخ محمد حسن غمضان وهو من الكتب النفيسة في هذا الفن.

(٢) سبق ذكره في بعض التعاليق وديوانه المذكور جمعه أخوه إسماعيل بن حسين.

وكان عاملاً على تهامة جميعها فبادر بالحركة لزيارة الإمام ، وكان القاسم بن الحسين في الحضرة ، فعرف من الحريبي أنّه إذا جرىٰ أمر الله على الإمام تغلّب على التهايم فجعل القاسم عليه عيوناً تراعيه بكرة وعشية خشية الفرار إلى التهايم فعوفي الإمام من مرضه ، وكفىٰ الله المؤمنين شرّ القتال ورجع الحريبي إلى ولايته .

وفيها دعا إلى نفسه السيِّد إبراهيم النعمي بتهامة وجمع عيوناً ممّن لا تعويل عليه في الحرب فجهّز عليه الإمام الأجناد وقصدته إلى بلاده فلمّا شاهد الأجناد أجفل من بلاده إجفال النعام ، وخلص من الحمام إلى الحمام فانتهبت الأجناد بلاده ودياره .

وفيها وفاة أورنقزيب ملك الهند وقد كان بقي في سلطانه سبع وخمسين عاماً وهذا عجيب ، وكان ملكاً عادلاً تحبّه القلوب ، وكان استقلاله بالملك من سنة سبعين بعد الألف إلى هٰذه المدّة لم تشب أيامه بنكير ، ورزق الإقبال في سلطانه ، واستمر له النصر على أقرانه ، وكان له في المتوكّل الكبير صاحب اليمن محبَّة خالصة قويت بسبب البنادر [وإلى مرضاته فيما قيل ما زال يبادر][1] .

وفيها أمر الإمام الحريبي بجميع المحابيس لديه من حاشد وبكيل وأن يجهّزهم في البحر إلى الشحر في إعانة السّلطان عمر بن جعفر الكثيري لارتجاع بلاده وكانت أهل يافع تغلّبت عليها ولم يسعد القوم ولا كان الحريبي قصد ولا استحسان فراجع الإمام عنهم وما قبل ، وكان زلاج البعض منهم في العام الآتي .

وفي سنة ١١١٨ وجّه الحريبي مع عمر بن جعفر الكثيري شرذمة قليلة وإنما أنفذهم أمر الإمام وإلاّ فعند الحريبي أن إخراج يافع من الشحر من

---

(١) ساقط من (ر).

الأمور المستحيلة فصار فيهم عمر إلى هنالك وملك بلاده بذلك القوم القليلة ولما رأىٰ أنه قد استقل بالأمر ببلده ثقل عليه الجند الإمامي فحباهم الأزواد وأمرهم بالارتحال عن البلاد ، فكان ذلك بغيتهم المقصودة [وضالّتهم المنشودة][1] فما هو إلاّ أن انفصلوا عنه ثار عليه عدوّه حرباً وتخريباً وطرد ثانية من البلاد ، ولم يخلص من القتل إلاّ بتأخّر الميعاد فرجع إلى اليمن طالباً المعونة فعرضت دون ذلك موانع حتى تمّ العمل وبقي في اليمن إلى دولة المتوكّل القاسم بن الحسين فجهّز معه كما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ .

وفيها أخرج أهل يافع مَنْ بحضرموت من الزيديّة وكانوا رتبة من الأيّام المهدوية الأحمدية وقد كانوا بها أهل أسباب ونخيل .

وفيها بعد إصلاح ابن حبيش أمره الإمام بالمسير إلى خمر وقرن به من آل الإمام مَن لا يحل ولا يعقد إنما هو بمثابة الصفر حافظ منزلة من أجل أن القبائل تأنف أن تحارب مع ابن حبيش على القواعد الأولىٰ[2] والقصد من ذلك الحرب لحاشد واستئصال الطريف منهم والتالد ، مكافأة لما كان منهم بحبور وإن الأصل في تلك الفتنة العريبي وكان قاعدة الإمام يسالم بكيل طوراً ويباين حاشد ويحارب هؤلاء بهؤلاء وتارة يسلّط حاشد على بكيل ، ولا يزال هذا دأبه ولا يعجبه غير عدم الاتفاق بينهم ، ولم يكن من ابن حبيش في هذا المخرج إلاّ الإصلاح ، وكفىٰ الله المؤمنين شرّ القتال .

وفيها أو التي قبلها كان ابن جوهي بباب الإمام وهو من الأشرار فخطا ، فخاطب الفقيه محسن الوزير فنفر في وجهه وتكلّم عليه ، فما كان

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) في (د): الأولة.

له همّ إلاّ جمع اللصوص من أصحابه وصار بهم إلى مال للفقيه محسن يُقال له الذهوب قبلي مدينة إبّ فقطع عليه البنّ ، وتوصّىٰ إلى الفقيه محسن أن هذا أوّل الممكن فاضطر إلى أن صالحه بمال .

وفيها صار القاسم بن الحسين بعد طلوعه من قعطبة إلى يريم ، وكان لبث أيّاماً في المواهب لا يريم .

وفيها توفي علي بن الإمام وكان له عند أبيه زيادة[1] عن إخوته محبّة وإكراماً وحزن عليه والده وعمّر فوق قبره قبّة وكان سبب موته أن كَبَا بِهِ الحصان[2] وطلب له الإمام الأطبّاء فأعياهم دواؤه ولم يفد شيئاً .

وفيها حصل بمكّة فتنة بين الشريف سعيد بن سعد والأتراك ، وبارز سعيد أحد شجعانهم فضربه بالسيف ضربة حيدريّة أخذ بها ما لأبيه من الأروش .

وفيها توفي بعدن القاضي أحمد بن ناصر بن عبد الحقّ المخلافي وهو في السجن عن أمر الإمام .

وفيها توفي بذمار قاضيها الحسين بن محمد ذعفان وكان من أئمّة الفروع وصحب الإمام برهة من دولته .

وفي سنة ١١١٩ أظهر أهل عمران البون الخلاف واجتلبوا إليهم الأخلاف وكان العامل عليهم محمد بن الحسن بن المؤيّد ، وتحته كريمة الإمام فحفظوه بالترسيم ، وغرّتهم قبائل حاشد بالسراب اللامع وكان صالح حبيش رجع بيته بعد ذلك الطلاب وقد ختم الكلام بينه وبين الإمام على الحرب والانتهاب وتقدمت الأوامر من حضرة الإمام لهذا الشأن وجهّز

---

(١) في (د) وكان عند أبيه مزيد منه على إخوته ومحبة وإكرام وبلغ والده الغاية من التعب عليه.
(٢) كذا في (ر) والذي في (د) وكان كبا به الحصان.

عليهم الإمام جملة من الأعيان فلما صارت الجيوش بإزائها الأجناد للمطرح عليها فحطّ ابن حبيش بالورك وأحاط بهم الحرب من الجهات الستّ ، وكان في نفس ابن حبيش عليهم لأنه في عصيانه الذي تقدّم عرّج بهم بعض أصحابه فانتهبوه وأخذوا مالاً له كان معهم ، وكان الإمام جعل الحلّ والإبرام بيد ابن حبيش وأمر الإمام يجُرّ عليهم المدفع الكبير ولمّا رمي به عليهم لم يكن له تأثير واتّسع على أهل عمران الإنفاق وبان لهم أن حرب الإمام لا يُطاق وابن حبيش يخادعهم ويمنّيهم الإصلاح وهم في غفلة عمّا قدِموا عليه فعقد لهم صلحاً على سلامة النفوس وعدم قطع الرؤوس وعلى أن يخرجوا حاشد الداخلية من بينهم ويتأدّبوا بحبس الإمام قليلاً بقدر ذنوبهم فخرجت حاشد عنهم مجلّلة محترمة ولما تمّ الأمر بينهم على ذلك خرج إلى ابن حبيش مشايخ عمران فما هو إلاّ أن اتّصلوا به فوضع الحديد في رقابهم ووجّه بهم في الليل إلى الإمام ثم تقدّم مع سائر المحاط إلى عمران فانتهبوها نهباً فظيعاً إلاّ مَن سلّم وحفظ نفسه بالرجال وأُولئك المشايخ الخارجين من عمران بصلح ابن حبيش ستّة أنفار لما وصلوا إلى حضرة الإمام أمر بقطع رؤوسهم ولم يقبل فيهم شفاعة وعلّل باستمرارهم على العصيان ، وعدم الطاعة ونفذ أمر الإمام بخراب سور عمران والستة المضروب أعناقهم هم العنسي والقاسي واليمة والليلي وفيصلاً وحراب ، والسابع منهم دفع عنه إبراهيم بن الحسين بأنّه ليس من الشّيوخ ، وبعد تمام عمل عمران انتقل ابن حبيش إلى حضرة الإمام فأكرمه غاية الإكرام بالمال والإحسان وعلوّ الدرجة ، وبعد هذا اجتمعت حاشد مرّة ثانية وتحالفوا على العصيان ودخل حلف التحالف بينهم حتى في الصبيان ، فندب الإمام إلى حربهم القاسم بن الحسين بن المهدي أحمد ، وجهّز معه ابن حبيش ولما تقدّم القاسم من المواهب خفقت لهيبته القلوب [وقطع كل قرن أنه المغلوب][1] فصار إلى صنعاء وابن حبيش في جملته بكتيبة

(١) ساقط من (ر).

جرّارة ورجال من بكيل [ملتقطة][1] مختارة ، فلما وصل ابن حبيْش صنعاء ظنّ أن العلم القاسم كمَن عرف من الأمراء ، فاستبدّ بنفسه ، وصرف أصحابه من غير مؤاذنة القاسم إلى البيوت ، فلما بلغ العلم ذلك أمر بإخراجهم عن البيوت قسراً وطلب ابن حبيش وتهدّده فظهر لابن حبيش أن الرّجل -غير مَن عرف فحذر جانبه ، وأضمر أن يأخذ من النصيحة معه بطرف ، وتقدّم العلم من صنعاء إلى الغراس ومنه إلى ذيفان وكان مخيّمه على الأعداء بحمده ، واجتمعت قبائل حاشد جميعها إلى خمر وعمل غوغاؤها في الإرعاد والإبراق المستمر ، وترقّب قبائل حاشد فرصة تلوح فلم تكن وفرق العلم جيوشه للمطارح والقرىٰ بجنب حمده ، ولما قرّر المراتب وجمع للجهاد ما لا يضبطه الكاتب نهض إلى القتال وتلاقت الأبطال ، فكان يوم حرب طاشت له الأحلام وانجلىٰ الحرب عن قتل كثير ملئت به البقاع ، وكان القتل من أجناد الإمام هو الأقل ، وراح من أعلام حاشد المُقَل وانجلت المعركة عن هزيمة حاشد وأسر من شيوخهم الكباش ، ووجّه العَلَم القاسم بالأسرىٰ والرؤوس إلى الإمام وتقدّم إلي خمر بعد الفراغ من العمل وما كان لابن حبيش في هذا الفتح نصيب ولما استقر العَلَم القاسم بخمر مدّ يده في البلاد ، وبالغ في عقوبة مَنْ خان ، وبذل فيمن يستحقّ الإحسان والامتنان فثبتت في القلوب هيبته ، وملأ الحبوس بأهل الربا وأمنت الضعفاء بالمغرب ، وفارقه ابن حبيش إلى بيته أيّاماً .

وفي سنة ١١٢٠ والقاسم بن الحسين باقياً في خمر يتتبّع الأمور بنفسه في أكثر الحالات وأطلق الأعنّة في التماشي إلى خراب بيوت أهل الفساد .

وفيها قصد بخيله ورجله قرية ابن حومي الذي تقدّم ذكره فترك دياره

---

(١) ساقط من (ر).

بالخراب قاعاً صفصفاً وأباح أمواله جميعاً .

وفي بعض الأيّام برز العَلَم القاسم بن الحسين لمواجهة القبائل على باب دار الإمارة بخمر وكان نمىٰ إليه تطلّع جماعة منهم على العصيان المستمر ، وكان منهم الغزي شيخ بني جبر ، فأغلظ عليهم بالتهديد وأمر بالقبض عليهم وإلباسهم الحديد واشتغل العَلَم بالمواجهة وازدحام الناس عليه فغنم الغزيّ الفرصة وامتشق سلاحه يريد قتل العَلَم وكان على رأسه قائماً ابن أخيه محمد بن علي بن الحسين ، وآخر معه فنظر الغزيّ وقد خطا خطوات إليه والجنبيّة بيده كشعلة نار فبادره أحد الرجلين فقبضه وطعنه الآخر وأمر العلم بحزّ رأسه وتعليقه وأمر بتفريق الآخرين إلى السجون ، ووضع فيهم الآداب على أتمّ ما يكون .

وفيها أمر العَلَم القاسم بن الحسين بإعادة داير عمران إلى حاله الأوّل .

وفيها وجّه ابن أخيه محمد بن علي عامِلاً على شهارة وقلّده فيها الإمارة فلما صار إليها أنفذ الأوامر ووصل إليه شيوخها بالحقوق الواجِبة ولما صلحت البلاد وانقاد إليه أهلها مع مشائخها أشار عليه مَن لا خير فيه بأن يقبض على شيوخهم ويلبسهم الأغلال ويرسل بهم إلى عمّه القاسم بن الحسين فلمّا صاروا بقبضته تحت الحفظ بداره فبلغ أهل الأهنوم فاجتمعوا وحملوا إلى الدار وأطلقوا شيوخهم بيد القسر وخرج محمد بن علي من شهارة راجعاً إلى خمر .

وفيها جمع عمر بن صالح بن هرهرة المشرق جميعاً وقصد[1] بهم إلى مدينة إبّ يريد بذلك نكاية الفقيه محسن الوزير ، إذ كان بها داره وفيها

---

(١) في ديوان علي بن صالح بن أبي الرجال قصيدة حول دخول يافع مدينة أوردنا بعضاً منها في كتابنا الأدب اليمني ص ٣١.

أهله وقراره ، وكان الباعث لخروجهم أن الفقيه محسن لما وصل إليه مكاتبه عمر بن صالح لم يقابلهم بقبول وتلقاهم بالكلام السارف ، ما أثار به حفيظة عمر بن صالح ، فما كان همّه إلاّ الخروج بعسكر موفور ، فجاسوا خلال الديار وزاعوا الأطفال ، والأشرار والأخيار ، ودخلت المدينة عنوة، وانتهبوا بعضها أو النصف منها والنصف الآخر دافع عن أهلها وحصل قتل من الجانبين واستمر النهب في المدينة نحو يوم وليلة وانفصل عنها راجعاً إلى بلاده ووقع فيها مَن لا ذنب له وأمّا بيوت الفقيه الذي هو المقصود بالمخرج فسلمت ولما بلغ الإمام هذه الحركة شنّ الغارة إليهم وبعث مَن بحضرته في أسرع حال وبذل للأجناد الأموال وأمّر عليهم عماد الدين يحيىٰ بن علي بن المتوكّل والناصر بن الحسين بن الحسن ومحمد بن حسين بن عبد القادر وصاحب كوكبان فسلك بهم الدليل المضايق فانتهىٰ بهم محاذياً لجبل يراخ[1] عند العذارب وهو محل فيه أشجار ممتدّة وأحجار [أفرطت في الجدّة] لا مجال فيها للخيل والرجل ، فصادف بها المقصود والقاصد من غير اختيار ، فكان جمع الإمام ليافع الغنيمة الباردة [عبثوا بهم كيف شاؤوا وأعانهم عدم المسلك بين الشجر والحجر على قتلهم][2] . وكانت قضية شنيعة وحادثة صارت القلوب من أجلها وجيعة [إذ كرّت أيّام الطف][3] وانجلت المعركة عن [استئصال وتقطيع الهام وعن[4] العماد يحيىٰ بن علي بن المتوكّل والنّاصر بن الحسين بن الحسن [خرّا][5] صريعين وكان قحطان ممّن شارك في قتل العماد فأصابته من ذلك الحال [إلى أن قتل]رعشة في جسمه ، واتّقاد

(١) العذارب عزلة من بعدان وأعمال إبّ.
(٢) ساقط من (ر).
(٣) الطف: موضع شهد مقتل الحسين.
(٤) ساقط من (ر).
(٥) هذه الزيادة لا توجد في (د).

وكان يقرّ أن ذلك سببه المشاركة التي أوردته إلى التهلكة واحتزّ اللئام رأسيهما وعلّقا بشجرة وعرفت جثة العماد ببهق كان فيه فحملت إلى «العذارب» وأُضيف إليها الرأس ودُفن هناك ، وفرَّ بنفسه صاحب كوكبان فنجّاه الفسحة في الأجل عن المهالك ، وممّن قتل معهما علي بن محمد بن أحمد بن صالح بن أبي الرِّجال وعليّ بن مهدي الجوفي ، وكان ممّن يعدّ في الأبطال ، وذهب ابن هرهرة عمر بن صالح يصل النهار بالليل يتمدّح بقتل ابني النبي صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم ، ولمّا بلغ الإمام هذا المتّفق وجّه الحسين بن علي بن المتوكّل ، شقيق العماد الشهيد إلى حاشد وبكيل بالعقائد في بلادهم ، وأمره باستثارة حفائظهم والمسارعة بوصولهم ، وطلب الإمام كل قبيلة إليه وأهبهم للمخرج [وخاطبهم][1] وقال دونكم والأخذ بالثأر من يافع ففعلهم هذا هو في الحقيقة حطّ لكم معشر الزيديّة ، ونص على صالح حبيش وابن جزيلان ، فهذا قائد برط وهذا قائد سفيان ، واستجاش الإمام سحار ويام ، وآل عمار ووائلة وشاكر وخولان ووادعة فتلاطم الوفد كالبحار المتدفّقة [وأبان عَمَّا لا يقدر عليه غيره من الهمّة][2] وبذل من الأموال[3] في كشف عار هذه الملمّة وجعل الحلّ والعقد بنظر صالح بن حبيش ، وأمر الإمام وزيره محسن الحبيشي المفتي أن يفضله في العطاء على ابن جزيلان ، [وأن يكون الكتب بينهما بما يقضي عدم التفضيل بينهما في السرّ والإعلان][4] وكان الفقيه المذكور لا يحب استئصال المشرق لاتحاد المذهب بينهم ، ولما كمل الزلاج للأجناد[5] تقدّموا إلى رداع [وجعل الإمام مع ابن حبيش وابن جزيلان

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (د).
(٤) ساقط من (ر).
(٥) في (ر) ولما تم الأمر للعسكر.

أمراً من آل الإمام في الحقيقة بمنزلة الإمتاع ليس إليهم تدبير ولا خطاب وكـان الفقيه محسن حـالف ابن حبيش له وللحـريبي وتحامـلا على ابن جزيلان فعظّما ابن حبيش عليه التعظيم التام وغفل الإمام عن إعمال النظر في هذا الخطب الجسيم مع عرفانه بمواقع عواقب التفضيل ومباشرته مثل هذه الأمور في الزمن الطويل](١) ، وفي نفس ابن جزيلان من تفضيل ابن حبيش عليه . وغالب الأجناد معه فكان منه ما كان مما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ ، ثم صارت الجموع إلى المشرق كالجراد المنتشر [حتى قيل أو هـذا مَن بالبـرزخ قد حشـر] ولمّا التقىٰ الجمعـان وثارت الأبـطال إلى الطعان ، وكان كل واحد من القوّاد المذكورين في مـطرح وحده مقـابل العدو فقاتل ابن حبيش بنواحي المعسال وقتل القتل الذريع من المشرق فبينما ابن حبيش يتوغل وقد ظهرت له دلائل الفتح ، ما راعه إلّا انخزال ابن جزيلان في عسكره ، فدهش ابن حبيش لعظم الواقع وتفرّقت الجموع عنه في تلك البلاقع ، وانكسر الجموع بانكسار ابن جزيلان ، واستظهر أهل المشرق بعد ذلك ويُقال أنّ عمر بن صالح ، بذل لابن جزيلان مالاً جزيلاً في الانكسار ، فكان منه ذلك وقبائل بن جزيلان أطوع له من الفعل في الضـلالة ، فـاضطرّ ابن حبيش إلى التـأخّر في جهـة الانهزام ، ولم يخلص إلاّ بعد جهد جهيد ، فانتهب أهل المشرق الأسواق والميرة [وتبعوا أصحـاب ابن حبيش على أثـر الكسيـرة والقتـل في خـلال ذلـك من الفـريقين](٢) واعتصم بعض أصحـاب ابن حبيش ليلتهم تلك بقلعـة المعسال وحفظوا نفوسهم بأصدق [الوضع التي تخترم دونـه الآجال](٣) فبـذل لهم أهـل المشـرق الخروج منـه مسلمين واللحـاق بـأصحـابهم المنهزمين ، وابن حبيش وابن جزيلان صار إلى رداع والأمراء من آل الإمام

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) ساقط من (ر).

صحبة ابن حبيش ، ورام ابن جزيلان فرصة تلوح له في قتل ابن حبيش وكان ابن حبيش على حذرٍ منه لأنه علّق بعاتقه عارها وأقام عليه عند الإمام القيامة وطوّقه بها طوق الحمامة(١) وتقرّر في بال الإمام وصحّ عنده أنّ ابن جزيلان هو السَّبب في مركزه المكسور ، وابن جزيلان يقول إن ابن حبيش أخذ عليه الثبات في موضعه [ألاّ يدخل عليه الخلل بتقدّمه وأن ابن حبيش أراد الانفراد بالجمالة](٢) وأنّه ما انهزم حتى صحّ له هزيمة ابن حبيش ، وليس الأمر كذلك [وإنما أرادا افتضاح ابن حبيش لتعظّمه عليه](٣) ثم إن ابن جزيلان لما عرف أن الإمام اتّهمه سرىٰ ليلاً من رداع وكانت طريقه الجوف وتأخّر ابن حبيش برداع أيّاماً [فتخادع له الإمام وقبل عـذره في الظاهر وطلبه إليه](٤) وصحّ عند الإمام أن الحريبي والفقيه محسن الوزير حالفا ابن حبيش لأنفسهما ، فأسرّ الإمام ذلك في نفسه وكان منه ما سيأتي تحقيقه في موضعه .

وفيها كانت وفاة إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن بقعطبة وكان من المجد والعِلم بمحل يعلو له الرتبة ، وكان له شعرٍ عظيم [وله محل عظيم في العِلم والرئاسة ويُقال ان موته سقاه سماً مَن لا خير فيه وأجمع الناس أنّه](٥) الفقيه عبد الله أخو الوزير محسن .

وفي سنة ١١٢١ لمّا صار ابن حبيش من رداع إلى حضرة الإمام أطلق له بالتقريع والملام وأحال الإمـام زلاّجة على الفقيـه محسن والحريبي ، وكـان ابن حبيش شكا على الإمـام أن قبائـل حـاشـد نصبت إليـه على قواعدهم الأحدار ونسبوا إليه الغدر بأهل عمران كما تقدّم ذكره فقال له

---

(١) في (ر) ولما وصلا ابن حبيش أمام علي بن جزيلان الحجة وألزمه بالهزيمة.

(٢) ساقط من (ر).

(٣) ساقط من (ر).

(٤) ساقط من (ر).

(٥) في (ر) اختصرها بقوله: «ويقال إن سبب موته».

الإمام لا بدّ أتركك مرّة ثانية تطأ أرضهم بالأقدام وتخرجها [بيدك على رؤوس الأعلام][1] وكان الإمام صحَّ له أن السبب في محق ذلك التجهيز من الحريبي والفقيه محسن وأن التقصير منهما على بن جزيلان ، وكان ذلك سبباً لكسيرته [من المركز][2] ثم أشار الإمام إلى الفقيه محسن بإعداد رجال في بيته للفتك بابن حبيش ، وأمره بالضيافة له [وإن كره العيش][3] وقال له : إذا صار ابن حبيش في بيتك وقد أعددت الرجال لما أشرت إليك ، فلا تحدِث حدثاً فيه حتى تؤامرني وإيّاك أن تعجل ، فاستعدّ الفقيه الرجال كما ذكر الإمام ، ودعا ابن حبيش للضِّيافة إلى بيته واسترسل معه في الحديث إلى نصف الليل فعرَّف الفقيه الإمام أن الرجل قد صار في الشَّرك ، وما ذاك عليه الاعتماد فلما بلغ تعريفه إلى الإمام ، قال أجيبوا عليه بأن الإمام قد نام ، ثم إن الإمام أرسل لابن حبيش على خفية من الناس ، فلمّا وصل إليه عاتبه على معاهدة الفقيه محسن والحريبي وقال : تدع عهدي ولصوتهما تلبِّي وهذا الفقيه[4] قد أراد قتلك يتقرّب به إليّ يوم أضافك ، ورمىٰ إليه بالتّعريف إليه فيما دلَّه عليه فأين أنصافك ، لولا أني أبقيت عليك ، فعندها عرف ابن حبيش أنّهما قد نكثا عهده ، وبذل الفقيه في قتله جهده فقال يا مولانا لم أعاهدهما على خيانة ، وإنّما عاهدتهما على التظاهر في طاعتك ، وحيث قد نبذا عهدهما وبذلا في قتلي جهدهما ، فها أنا لِما تقول سامع ولما تأمر به على كل حال طائع قال : إني أريد الإيقاع بالفقيه محسن ، وأخشىٰ ثائرة الحريبي مع تمكّنه فيه ، قال : افتك كيف شئت والحريبي أقلّ وأحقر إن بدأ منه شيء ، فأمره كفيت جمعت له رجال بكيل وجئت به إليك ذليل ، وحلف له بهذا على

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) ساقط من (ر).

(٤) ساقط من (ر).

المصحف ، وشرط على الإمام لا يفتك بالفقيه محسن إلّا بعد مضيّه من حضرته بثلاثة أيّام ، خوف يتقاضاه الشّفاعة ، وكانت نفذت كتب الإمام للقاسم بن الحسين بن المهدي بتقدّمه إلى حوث في حرب حاشد ومصير ابن حبيش في جملته لأجل هذه المقاصد ، [ولمّا تمّ زلاج ابن حبيش على الفقيه كما ذكرنا سابقاً و](١) انفصل ابن حبيش من الحضرة [كما ذكرنا](٢) أوقع الإمام بهادي العيزري من أتباع الفقيه محسن ، وحمل من بيته ما لا يخطر ببال من الأموال الذي جمعها وأمر به إلى حبس زبيد ، فمات على أسوأ حال فيه ، وكان الإمام قد عيَّر مع ابن حبيش معونة له على أهل صنعاء ، فبقي بها حتى سلّمت إليه وانطلق في المسعىٰ ، وفي خلالها أمر الإمام بالقبض على الفقيه محسن ، وبادرت العامّة من غير أمر الإمام إلى انتهاب بيته ومَن يليه ، ودوفع الناس عنه فما اندفعوا ، ولو حصل من الإمام فيه أدنىٰ إشارة لشرب كأس قبل أن يصل بيته الحمام بالكأس لأنّه طلبه إليه وقابله أولاد الإمام وغيرهم وأوضحوا الحجج عليه فقال له الإمام: انزل بيتك ولي نظر ولما وصل إلى بيته على عادته وما عند الناس خبر سلم بذلك من قبل العامة لا يقع به](٣) وكان يوسف بن الإمام من أشدّ الناس عليه ، ولعلّه لمح إلى انتهاب بيته ثم إن الإمام أمره بالارتحال فأمر له بتحصيل الجِمال لحمل ثقله وأهله ، وقد كان أحسّ بتغيير خاطر الإمام عليه واستدلّ بواقعة العيزري كاتبه أنها إليه فبادر بنقل النفائس مع أمنائه إلى مدينة «إبّ» وهي وطنه ، وجعل الأموال والذّخائر بمطابق(٤) ومدافن ، أعدّها لذلك وبعث بريداً على إثر ابن حبيش يعلمه الواقع ويسأله دفع النائبة عنه ، فوافىٰ به البريد ببعض الطريق ، بعد

---

(١) محذوف من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) في (ر) استبدل هذه الجملة بقوله: «قبل أن يصل بيته».

(٤) جمع مطبق وهو شيء يكون تحت الأرض يخبّأ فيه الطعام وكذا المدافن.

انفصاله من صنعاء فتغافل عنه وأبرد وأخذ يعدد على مرسله موجبات نكثه ، وقال للرسول: قل للفقيه ما فعل الإمام فهو الصَّواب ، وانفصل الفقيه من المواهب بيد الموكلين به وهم سعيد روح وعلي مصطفىٰ والسيِّد محمد بن قاسم لقمان ، وفي إثرهم جمال الدِّين علي بن الحسين بن علي بن المتوكِّل ، والقاضي المجاهِد ، وكان العامِل في إبّ صنوه عبد الله ، طلبه الإمام إليه قبل أن يقع بأخيه بيوم ، وبعث به في الزنجير ليخرج الخبايا حقّ أخيه ، ونال من الإهانة ما لا مزيد عليه ، وصفعه العبيد بالنعال ، ولما وصل إلى إبّ علي بن الحسين ، ومَن معه من الأمراء ، وكان وصولهم قبل الفقيه محسن ، ووصل بعدهم وصحبته أثقاله على الجمال ، فقبضوها أصحاب الإمام جميعاً ، [ثم التقوا طريق الفقيه المذكور][1] والذي أرسلهم الإمام صحبته من الأمراء هم أعداء للفقيه فعاملوه بالإهانة ثم قبضوا بيوته جميعاً التي له في إبّ وفتشت فوجد بها نفائس الذخائر من كل ثمين من الحليّ والحلل ، والسّلاح الفاخر [والمال المتكاثر][2] والجواهر ، ومن جملتها هدايا العجم التي وصلت للإمام وجدت على صفتها بطوابعها [والختام] .

وأخبرني سيدي علي بن الحسين أن نفس الجنابي ذوات الأثمان الجليلة مائة وأربعون جنبية كل واحدة منهنّ بسكّين محلية ومسبحة ، وأمّا اللُّؤلؤ والذَّهب وحلل القماش [المنتخب][3] فما لا يخطر بالبال والتقدير [له من المحال فأنهىٰ الأمر إلى الإمام][4] فأمر بحملها إلى حضرته على الاهتمام فدخلت المواهب والحرّانات[5] تضرب في أوائلها وأواخرها ،

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).
(٥) تحقق هذه اللفظة وأظنه يعني نوعاً من الطبول ونحوها

فعرضت على الإمام فعرف الكثير من ذخائره التي خانه فيها ، وبعد الوقوع به نقله الإمام في الحبوس ، وألبسه بعد ذلك التنعّم البوس ، وفرح الناس بزواله ، ثم إن الإمام التفت إلى ضرب الحريبي ، وكان نما إلى الإمام أن اسمه بالتهايم لا يذكر وأن الحريبي محا رسمه من الصُّدور ، وإن في رأسه نزوة وفي طاعته قسوة ، فأهمَّ الإمام أمره فأمر فتاه سلمان بالنزول إلى المخا والاحتيال في طلوعه إليه على أيّ حال وكان الإمام ظن به الامتناع ، ورام ذلك الحريبي لو استطاع وبقي الحريبي في حيرة ، هل يركب [له مركب الخطر ويقلب](1) له ظهر المجن أم يركب البحر إلى الهند إذا أمكن أم يتسلّم ويتّفق ما يتفق ، ولما صار سلمان إلى المخا همّ الحريبي في بدء الأمر وسلمان يخاتله مخاتلة الذئب ، ويستصلح الرتب بالترهيب والترغيب ، حتى تمَّ له من إصلاحهم ما يريد وصار حكمه عليه من بعيد ، وإعانة سلمان زوجة الحريبي عليه وخوّفت زوجها بادرة الإمام تنفذ إليه فلما عرف الحريبي أنّه ما بقي له مجال ، شملته الأفكار واعترته الأوجال ، فكتب إلى عبد الله بن علي جميل النهمي وهو بالروضة ، وكان بينه وبينه صداقة ، فسأله تدارك الهفوة إن أمكن ، فركب عبد الله المذكور حال بلغ إليه الكتاب وما طلعت الشمس عليه إلاّ وهو بالباب ، فقال للإمام ماذا تريد من تحرّب الحريبي وقتله وتذهب الأموال ، قال تمنّعه من الوصول قال عليّ طلوعه إليك ، وإقباله بما شئت من الأموال عليك ، قال: أو تفعل ذلك قال إن لم يتم أوردني المهالك [وأسلك في عتابي ما شئت من المسالك](2) وكان الإمام في إياس من طلوعه فقال: لابن جميل فانفذ إليه الآن وائت به قبل الحرب العوان ، قال: ما هكذا الرأي السّمين بل جدّد له الولاية بخطّك المعروف وكفّه عن الوصول فاستصوب منه

---

(١) هذا لا يوجد في (د).
(٢) ساقط من (ر).

الشورة ، وانفذه بالتجديد له والخلعة على الفور ، وقد كان الحريبي أهبّ الحمولة ، وخرج إلى البليلي[1] للطلوع بالإذعان فوافىٰ به ابن جميل هنالك وألبسه الخلعة وقرأ التجديد ، وأعلن بما ذكره الإمام من عذره عن الطلوع وغير ذلك فرجع إلى المخا وأطلعه على العُجَر والبجر ، وقال له: الرأي الطلوع ومداواة هذه الأمور ، فاستصحب الحريبي من النفائس والأموال ما بهر العقول ، وقدّم على الإمام فتهدده بالقتل غير عازم عليه لأياد الشرح فيها يطول ، فما زال الحريبي يبذل الأموال حتى أسكت كل فم ، ولم يزل الإمام عليه يظهر الغضب والسعي في قتله من أولاده فلم يسعد الإمام إلى ذلك ، وكان الإمام استوزر ولده إبراهيم وجعل الحلّ والعقد بيده ، فجعل إبراهيم من تحته كتاب وأعوان وولاة في البلاد لا خبرة لهم بالأمور ، فكانت الأعمال تضيع فاضطرّ الإمام إلى وزارة الحريبي ثانية ، فخلع عليه ورضي عنه ، فأوّل ما بدا به الحريبي عزل الولاة في الأقطار ، والاستبدال بغيرهم وسعي في تولية أولاد الإمام ليباعدهم من الباب ، وتعاهد هو والقاسم بن الحسين لعلمه أن عند زوال دولة الأول أنّه الأحقّ بها .

وفيها نفذ ابن حبيش عن أمر الإمام إلى القاسم بن الحسين لحرب حاشد وخراب حوث ، فإنه أصل المفاسد ، وقد كان الإمام أمر المحسن بن الحسين بالتقدّم إلى الجوف في عسكر جرّار ، فصار إلى ذلك القصد ، فقطعت دونه الطريق ووضع عليه فيها الرصد ، ولم يظفر ما توجّه إليه بطائل ، وثارت عليه [من أهلها][2] القبائل فرجع عنها بخفّي حنين ، وأمّا القاسم بن الحسين لما تَوجَّه إليه ابن حبيش جمع الجموع ، ودَخَل حوث بتلك السرايا والبعوث ، فأخرب بها بيوت أهل الفساد ، وخفق من هيبته إلى أقصىٰ الشام كل فؤاد ، وأمر ابن أخيه محمّد بن علي بن الحسين

(١) البليلي: قرية من عزلة المشالحة ناحية المخاء.
(٢) ساقط من (ر).

إلى بيت محمّد بن عبد الله الغريبي ، فاستأصله خراباً ، فنفس ابن حبيش مَجْده ، فصانَعَ عليه ولحقده القديم خاف من ذلك الظهور [يسري إليه][1] ، فما زال يعامل في المحطة بالكيد ويسلّط السرقان على أطراف السوق ، وعاقد جماعة فيما قيل على قتله ، ودسّ الدسائس لَيْلاً على خيله ورجله ، حتى انتهىٰ الأمر إلى أهل الرياح[2] ، فوضع العَلَم عند غربها للمساء جماعة ، وصحّ للعَلَم أن ابن حبيش المريد هذه الأمور بمكايدة ، وغضب في الباطن على ابن حبيش ، وأسَرَّها في نفسه ، وعمل بالحزم والكتمان ، ولم تقوَ قلوب مَن صانَعهم ابن حبيش على قتل العَلَم ، فرجّح العَلَم بعد ذلك الرجوع إلى «خمر» وعلّل أن المحل لا مجال للخيل فيه ولا تأثير ، ولمّا استقرّ العَلَم بخمر ، لبس لابن حبيش في الباطن جلد النمر ولم يستشر فيما أضمر ، ولا عرف ما عنده في أمره حتى أظهر ، وكان بيد ابن حبيش جملة حوالات من الإمام على الضُّعفاء والمساكين بالمغارب [لا يدخل تحت مقدور] من الإمام ، وهو يطلب من العَلَم إنفاذها وقد عزم على المراح إلى بيته للصِّيام بعد هٰذه الأمور ، ويقال ان الإمام أودع فتاه سلمان مع دخوله إلى صعدة إشارة إلى العَلَم في قتل ابن حبيش إن أمكن ، وألحّ عليه ابن حبيش في تنفيذ الحوالات والزلاج ، فما زال العَلَم يماطله الليلة بعد الليلة ، وهو يعمل في قتله الحيلة فلمّا ألَحَّ عليه وأفحمه إذا لم ينفذ له الحوالات بتلك الليلة التي قتل بها عزم في الصباح على جهة الفوات من بين يديه ، فقال له العَلَم الليلة تشتغل بعملك ، وكان العَلَم يطيل المواجهة من بعد الإفطار ، وكان أعدَّ رجالاً من همدان لقتله بعد أن عرض ذلك على غيرهم ممّن يثق به من القبائل فلم يسعدوا مخافة من عواقب الأمور ، ولمّا أسعده إلى تولّي قتله النَّفر من همدان ، أكمنهم له في الدَّار بمكان وبقي العَلَم يتأمّل كيف يكون دخوله

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) الريح هنا هي طبول تقرع أو هي المرافع الصغيرة.

عليه في ذلك الوقت على صفة لا تشويش فيها ولا واهمة فبينا العَلَم في هذا التّدبير ، وإذا بابن حبيش بالباب واقف يطلب الرأي بالدخول لتنفيذ الحوالات أو العزم صباحاً فعندها أمر العَلَم بضرب المرفع قبل وقته وأمر بعض خواصّه يفهم مَن في الباب أنه مشتغل بزلّاج ابن حبيش فليذهب كل رجل إلى مكانه ولمّا عرف دخول ابن حبيش إلى الدار في أصحابه أمر مَن صرفهم عن الدّرج بلا إيهام ، وقال لهم الحاجب: ادخلوا الديوان وانتظروا صاحبكم حتى يخلو مع الإمام ، فلمّا خلص عن أصحابه ، وحصل برأس الدار ، قيل له: اقعد بهذه المِنظرة حتى يكمل ابن الإمام الصلاة وجيء بشمعة وضعت بين يديه ، وكان الـرِّجال المعـدّة لقتله في خزانـة ببطن المكان فما شعر إلاّ بخروجهم دفعة واحدة إليه ومدّ أحدهم يده أنه يسلّم عليه وما أمهله حتى قبض على يديه ، وباشره الجماعة الآخرون بالجنابي وانطفأت الشّمعة مع المعاركة وحصل على بعضهم من بعض جراح ، فبادر العَلَم إليهم والمصباح [بيده][1] ووجد ابن حبيش صريعاً [على خدّه][2] فأمر بحزّ رأسه ، [وكان كتب الكتاب بتصدير قبل قتله وهو لا يشكّ في افتراسه وبعث به بعض بني خليل][3] إلى حضرة الإمام في الليل عند حزّه وإبانته فلمّا بلغ إلى الإمام استثبت الإمام الأمر[4] ، وأمر أن يقبر مع رؤوس أهل عمران الذين غدر بهم ، وكان من أكبر العبر ، ولما حصل هذا المتّفق ، أشار على العَلَم ناصحه المشفق بأن يتأخّر إلى مثل عمران أو ثلا ، حيث للخيل مجال إن ثارت القبائل وبذلك أمره الإمام ، وحَثّه عليه وإن كان في الباطن استعظم منه هذه الفتكة ، وما كره حصول وهن في جانبه وكان العَلَم أخذ بالحزم فاصطنع العصيمات وشملهم بالإحسان

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) في (ر) استبدل هذه الجملة بقوله: «وكتب كتاباً».

(٤) في (د) في معرفته.

واتّخذهم بينه وبين بكيل مع ما هو فيه من القوّة جنّة ، ولم يمرّ بخاطره التأخّر كما أشير عليه فهو من نفسه بالمنعة على يقين ، وأخذ مع ذلك في الاستعداد ومرادفة الأجناد ، ثم إن علي بن هادي حبيش صنو القتيل بعث الأنكاف قاطبة في بكيل ، وأخرج النساء بينهم فجزت القرون وشقّت الجيوب ، فأجابتهم جميع القبائل وعجزت العصيمات عن دفع بكيل لأسباب ، وذلك أوّل ما ظهر على الأحمر وانفتح له الباب وكان عمّه محمد بن عبد الله الغريبي يضطهده ، ومما أنالته الدولة لا يمدّه فلما رَضخ العَلَم للغريبي بما رضخ من المال في منع بلاده عن مرور بكيل ، سأله الأحمر أن يعطيه منه القليل فكلح في وجهه وتكلّم عليه فآيس من خيره وكانت قبائل بكيل قد انتهت إلى حدّ العصيمات ووقفت ، فبينا بكيل تدبّر أمرها في شقّ بلاد العصيمات على وجه جميل ما شعرت إلاّ بعليّ الأحمر طرقها وحده بالليل من مسافة الميل فقال لكبار بكيل: أراكم تريدون شقّ بلادنا على أيّ وجه كان وهذا لا تبلغ إليه طاقتكم ولا يكون ذلك ولو أنها تقاتلكم مع الرِّجال الحرم اللّهمّ إلاّ أن تجعلوا لي قصداً معكم أرافقكم فيها ، وتمّ ما تمّ ، فقالوا له: أنت كأحدنا ومن شيوخنا الكبار ، وما اقترحت فإنّا لا نرجع فيه ، فقال: ابعثوا إلى عمّي محمد بن عبد الله الغريبي في الاتفاق وإيهام الخوض ، فإذا صار لديكم تركتم رجالاً من شجعانكم تقبض على يده ، وتقسم له إن نطق بكلمة واحدة قتلوه ، فإذا كان هذا فانهضوا من ساعتكم لشقّ بلادنا ، وأنا أقول قدّامه لمن عرض من العصيمات أما ترون إلىٰ عمّي رفيقهم بعد الاتحاد والغريبي لا ينطق بكلمة خوف يقتله مَن هو بأيديهم فقطعوا بلاده بليل مع قاربها وسهولتها عليهم ، ولما نفذوا حدَّه أطلقوه ولم يكن لخيار طاقة لدفع بكيل ، وكان العَلَم استعد للقتال ووضع المراتب على خمر [من ذات اليمين وذات الشمال][1] وجعل على الماء رجلاً من خولان يُقال له الهيال ، والخداع

---

(١) ساقط من (ر).

من جهة لا يخطر على بال ، وما شعر الناس حتى ألوىٰ البغاة بخمر من جميع الأطراف وتفرّقوا في المطرح عليها من الجهات الأربع ، فكان ابن جزيلان بالحجر[1] ، وابن حبيش في الجهة الأخرىٰ ، واتّصل الحرب ليلاً ونهاراً ، والعلم في قوة لا يخاف معها تأثير واليد له في أكثر الحملات ، فلمّا كان في ليلة الثالث أو الرابع من وصولهم ما شعر النّاس إلاّ ببيع الهيال الماء ، وهو على بُعد من المحل وجعلت بكيل من شجعانها على الماء مَن يمنع الوارد والصّادر ، فسقط في أيدي الناس ، وأجهدهم العطش ، ولما عظم الأمر واشتدّ انسلّ أكثر الأجناد تحت أذيال الليل حتى تعطل الثغر ، ودخل العدو البلد فانتهب ما فيه نهباً ذريعاً ، وانحاز العَلَم بدار الإمارة ، وهو كالحصن المنيع ، ومع ذلك فابن حبيش يتوثّب للدّخول عليه ، وابن جزيلان قد وجّه جماعة من خاصته لحفظ دار العَلَم لا يدخل عليه العدو ، وقال لابن حبيش: لا سبيل لك على الوصول إلى العَلَم ، فحاول ابن حبيش الدخول فما أمكن والحَفَظَة على الدّار من عند ابن جزيلان ، ذو زيد وهم الحمرة إذا صدقت أحياناً ، وكان العَلَم قد جمع خاصته بمنظر وأصلتَ السيف بين يديه ، وعزم على قتل مَن دخل من الباغين إليه ، وكثر الرَّهج بالدار ، ثم إن ذو زيد انعقدت بندين وخرج العَلَم في خاصته بينهم والعين ترىٰ العين فوصل إلى مطرح ابن جزيلان بالحجر ، وكان لابن جزيلان كمال الأرب في قتل ابن حبيش لأنّه استبدّ بالأموال وكلمته المقبولة عند الدولة ، فكان قتله شفاء غليله ، وإنّما خرج في نكفتهم هذه على أسلافهم ، ولهذا اجتهد في سلامة العَلَم ولما صار بالحجر بقي فيها عند ابن جزيلان نحو ثمانية أيّام وشرا بعض الخيل المنتهبة بقيمة يسيرة من أولئك الطغام وتفرّقت القبائل ، ورجع ابن حبيش إلى بلاده ، ولم يظفر بطائل ، وصار العَلَم إلى ثلا وقد استرجع من الخيل

---

(١) الحجر: من قرى حاشد في خارف.

نحو العشرين ولم يمضِ أقل من شهر حتى كاد يرجع إلى عادته والإقبال المعهود من سعادته ، ثم إن الإمام طلبه إليه ، وكان في الظاهر ساءه الواقع وأشفق عليه فامتثل الأمر وسار قاصداً الحضرة ، وترك الجند بثلا بنيّة الرجعة للقتال عن أمر الإمام ، فتلقّاه الإمام بما هو أهل له من الإكرام ، ولم يلبث أن أعاده إلى ولاية صنعاء وبلادها وأعدّه للاستعداد بها لمنازلة القبلة وجهادها ، وكان رفع يد صنوه المحسن بن الحسين عنها وأرسل عليه ابن وهيب ، وصار به إلى سجن القاهرة ، ولم يزل بها حتى أعاده إليها مرّة ثانية عاملاً .

وفي أثناء هذا العام أو الذي قبله وفاة علي بن أحمد بن القاسم بصعدة ، وكان من دهاة الرِّجال ، ولم تسعده الأيام إلى مرامه بحال .

وفيها أيضاً وفاة الحسين بن الحسن بن الإمام بصنعاء بعد أن استوطنها ولم يزل الإمام بعد إطلاقه يرعىٰ جانبه ، ويقبل شفاعته ويمدّه ويكاتبه وكان من النظام والتدبير بمحل ما يضرب به المثل .

وفي سنة ١١٢٢ صار العَلَم القاسم بن الحسين إلى صنعاء كما ذكرنا سابقاً وطلب إليه ذو حسين عن أمر الإمام ، فاجتمع لديه الجمّ الغفير ، وكان الإمام أمره أن يفتك بهم ويقتلهم عن بكرة أبيهم فاستعدّ لذلك ، وأمر مَن يفهمهم بصورة الأمر لأنه لم يستصوب الرأي ، فخرجوا من صنعاء هاربين في وجه ليل ولحقهم بالرجل والخيل ، فأدرك أواخرهم في القاع ما بين الروضة وذهبان[1] ، فقتل منهم جماعة وأصيب من أصحابه بعض الرجال والفرسان ، ورجع وقد نال منهم بعض منال وتعلّق القبائل بحبال[2] أرحب ، وكان الإمام لم يخف عليه الإشارة إليهم من العلم وتعب منه ،

(١) ذهبان: قرية تقع بين ثقبان والجِراف شمالي صنعاء.

(٢) في (ر) جبل.

وطلبه إليه وبقي أيّاماً كالغاضب عليه حتى همَّ بالدخول إلى المشـرق ، وأطلق صنـوه المحسن بن الحسين من الحبـس وأعاده الإمـام إلى ولاية صنعاء .

وفيها تحرّكت حاشد وبكيل للفساد على الفور وقادهم ابن جـزيلان فبلغ إلى تهامة وانتهب مور وانشغلت همّة الإمام بالثار وندب في استجاشة القبائل المطيعة وبذل الدّرهم والدينار وعيّن غير القاسم بن الحسين ، ولما انفصلت الأمور ، قال لـه النّاصـح : هذا أمـر لا يكفيك فيـه غير العَلَم القاسم بن الحسين ، فقال الإمام : إنه كثير الشروط ، فقيل له : إنـه في مثل هذه لا يشترط إلاّ ما لا بدّ منه ، فقال : إن كان ولا بدّ فليتوجّه من جملة الأمراء ، فطلع العَلَم من ذمار ، بعد أن أرسل إليه الإمام وما كان همَّه إلاّ الوداع من غير إكثار ، وتوجَّه هو وأولئك الأمراء ، والأمر مشترك بينهم ، فلما وصلوا إلى صنعاء وانفصلوا عنها ، لم ينظر النّاس إلاّ إلى العَلَم ، ولما بلغ ابن جزيلان توجّـه الأجناد والعَلَم من جملتهم تفـرّقت القبائل التي صحبته ، ورجعوا لحفظ بلادهم ، فاضطر إلى الرجوع قارعاً سنّ الندم ، ولما صَحَّ للعَلَم رجوعه إلى بلاده خاسئاً التفت إلى جبل عيال يـزيد ، فـأخرب أكثـرها بجـريرة فتـح الطريق ، ومسيـر بعضهم مع ابن جزيلان ، ولما ظهرت هذه النجدة وامتد صيته في الآفاق ، كتب عقلاء النّاس إنَّ ما لها إلاَّ القاسم ، فجاء إليه التفويض من الإمام وأنّـه الأمير المستقلّ في الحلّ والإبرام ، وأمر أولئك الأمراء بالتبعة لـه والانضمام ، وقد كان الإمام قبل هذا وَجَّه محسن بن الحسين إلى «عمران» في دفع هذه المتّفقات فلم يحصل المراد وذلك بعد رجوعه من هزم[1] هو وعبد الله بن طالب فإنه جرّ عليهم المدفع ورماهم به فلم يؤثِّر واستظهـر أرحب عليه وأخذ المدفع من بين يديه وكرّر عبد الله بن طالب حملاته فيهم في استنقاذ

(١) هزم: بلدة سبق ذكرها.

المدفع من أيديهم فلم يتم له المراد وآل الأمر إلى الرّجوع عنه بغير طائل ، ونشب المدفع بأيديهم في الحبائل ، وكان الإمام يريد أن يرىٰ القاسم بن الحسين أنّه في غِنًى عنه[1] ، وأن غيره يقوم مقامه ، فلما ظهرت هذه الكسيرة من المحسن بن الحسين احتاج الإمام إلى توجيه العَلَم القاسم كما تقدّم .

وفي سنة ١١٢٣ تقدّم العَلَم القاسم بن الحسين إلى حرب وادعة ، وكان ابن جزيلان أمدّ أهلها بنفسه في قبائله وأصحابه ، ولمّا صار العَلَم إليها أحدق بها من كل جانب ، وفرّق فيها المراتب ، وجمع المكاتب وساق إلى حربهم الجموع فكان له فيهم من الصَّولات ما هو المشهور ، ومن أيامه بها يوم حجا وما أدراك ما هو حجا دارت بها الدوائر عليهم وطحنتهم العزمات كالرحا ، ولما ضعف أهل وادعة عن الذبّ فنزلوا على حكم العَلَم كيف شاء ، ومشىٰ إليه بالليل من شيوخهم مَن مشى ، وأوجبوا له في خروج ابن جزيلان ومَن معه لديهم فوراً على وجه جميل ، وأن يخرّب من بيوتهم ما شاء ، ويؤدّب بالماء كيف شاء مع التّعجيل ، فرأىٰ العَلَم قبول التوب ، فانفصلوا عنه بهذا على أيّ حال كان ، وألزموا ابن جزيلان ، ومَن معه من القبائل بالارتحال عنهم في ذلك الحين ، وكان أهلكهم بالموائد ، ولم يجرِ معهم في الحرب على المقاصد ، فرأوا استظهار العَلَم أسهل من ذلك الأمر ، ففارقهم ابن جزيلان صباح تلك الليلة ، ودهمهم العَلَم بالأجناد وكَلَّموه في عدم صرف البيوت فعاملهم بالنقيض أمر مبتوت ، وأخرب بها ديار حكّام الطاغوت ، ووضع الزناجير في رقاب شيوخهم وأدبهم بمال يجلّ عن الحصر ، وفرق إلى السجون النائية أشرارهم بيد القسر وفي خلال لبثه بوادعة وصل إليه كتاب من الإمام يأمره بالبعث لمن يأتي إليه بالحسين بن القاسم بن المؤيّد من شهارة عن

(١) في (د) عنه عناه.

اهتمام ، فإنه متى قدم عليه فلا يمهله فواق ناقة حتى يرسله تحت الاحتفاظ إليه ، فلما ورد عليه الكتاب ، أرسل جماعة في طلبه ، فلبث لديه نحو يومين وختم معه الكلام على دعوته ، لما أحسّ من عمّه الاحتراك بغير الصَّواب ، مع الزَّمانة ، وكان قد غلب على الإمام في التَّصرّفات جسّاد العَلَم ، وسعوا جهدهم في المباعدة بينه وبين الإمام لأمر جفّ به القلم ، وكان الحسين بن القاسم المذكور وفد على الإمام بهذه السنة إلى المواهب لأسباب من جهة البلاد التي أقطعها الإمام والده ، فلمّا وصل إليه لم يقابله بالقبول واهتضم جانبه وتخيّل الإمام فيه ما كان منه ، فرام القبض له على صفة ، ولما خرج من مقامه وهو عازم على ذلك ، أسرّ إليه مَن كان له معرفة ، وأوجس الحسين في نفسه خيفة ، ففارق حضرة الإمام منفرداً في المسالك ، وطوى المراحل إلى صنعاء على رجله ، واتّفق بأبيه وبغيره من أعلام أهله ووافق العلاّمة زيد بن محمّد بن الحسن ، والعلاّمة يوسف بن محمّد بن المتوكّل ، والعلاّمة محمد بن عبد الله ، على أشدّ خفية واحتراس ، وطلب من أحدهم القيام ، ودعاهم إلى المراس ، فكلٌ منهم اعتذر عن ذلك بمخلّص شرعي وأوجبوا عليه في القيام كونه في البلاد التي جنابها مرعي ، وقالوا : متى دعوت أجبناك ، وصافحت أيماننا يمناك ، وربما أشاروا إلى العلم بوجوب ذلك عليه [وقلّدهم فيما أشاروا إليه][1] ثم خرج من صنعاء بتلك الليلة وبادر إلى شهارة ، وطلبه الإمام في اليوم الثاني على البنا في قبضه وسجنه فقيل له : قد عزم فأسرّها الإمام في نفسه ، وكتب إلى العَلَم بما تقدّم من الإرسال له إلى حبسه ، فلمّا صار إلى العَلَم وختم هو وإياه بما ختم أذن له بالرجوع إلى شهارة ، وكتب إلى الإمام أن هذا الرجل لا التفات له إلى أمارة ، وإنما هو مشغول بالتَّدريس [من جملة الناس][2] فعلم الإمام أن وراء هذا

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).

أمراً عظيماً ، وما هو إلّا أن وصل الحسين بن القاسم شهارة توجّه إلى الحج إلى بيت الله ، مع العزم عند رجوعه إلى الإثارة ، وأمّا الإمام فشكر العَلَم بهذا السبب وكتب إلى رؤساء المحاط بحضرته بالانفصال عنه ، وقطع الإمام المواد على العَلَم فما كان منه إلّا إجمال أموره بحسن التَّدبير ، وخرج من وادعة إلى خمر بالقوة والغلبة ، فلبث بخمر أيّاماً ، ووصله الطلّاب من الإمام ، وعرف أن ما وراء ذلك غير الحبس والانقلاب ، فرام الخلع والمكافحة فأشار عليه بعض العقلاء أن هذا الأمر الذي تريد في هذه الساعة لا يليق لأنك قد نكأت القبائل [ورَويت من دمائهم العواسل][1] فلو يظهر منك أدنىٰ تشمس سَلّطهم الإمام عليك ، وأنت ببلادهم على غير أمن ، قال: ما تراه يكون عاقبة الأمر ، قال: أنت إلى السجن فاصبر ، وهذه أمور معلومة غير مظنونة ، والأشياء بأوقاتها مرهونة ، فلا بدّ من فرجٍ عاجل ، وما يتدبّر الأمور إلّا العاقل فعلم العَلَم أن الرأي فيما ذكر وتقدّم إلى عمران ، وكان الإمام ، أرسل إلى العَلَم ولده الحسين الذي صار خليفة من بعد ، وأودعه إليه ما فيه ترويج الأمور ، ثم إن الإمام أرسل التبيّع يدخله من عمران إلى قصر سام ، فامتثل العَلَم الأمر ودخل صنعاء إلى السجن وكان العامل صنوه المحسن بن الحسين ، وربما ظهر منه إلى العَلَم بعض جفوة ، وسعىٰ إلى الإمام في القبض على أصحاب العَلَم ، ففرّقوا في الحبوس ، حتى كاد يلحق بعضهم بالعدم وعيّن على خاصته ما لا يدخل تحت الطوق من المال .

وفيها طمع الإمام في تملّك أدمة[2] من بلاد الحبشة وأهلها يُقال لهم الصَّومل فندب من توابع المخا وزيلع إليها وأمر أحد المحابيس بزيلع بالتجهّز لأخذها والولاية عليها وأشار إلى إطلاق القاضي حسين الحيمي من

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) في السحر المبين أو ستة من بلاد الحبشة.

زيلع والتوجّه مع القوم إليها في الخطبة والموازرة ، ومن جملة المتوجهين [بزيلع][1] المحابيس فيها من أصحاب العَلَم فمنهم الفقيه عبد الله بن علي جميل فإنه حيل[2] إلى إبراهيم باشا ينضم ، ومنهم الفقيه سعيد النهمي والسيِّد حسين بن يحيىٰ الأخفش ، وبذل الإمام فيهم الأعداد ، وساق إليهم المواد ، فأعظموا الأمر وأكبروه ، وقالوا هذه المهلكة ، فقال لهم عبد الله جميل خذوا العطاء على التعجيل وسأكفيكم هذه النائبة وأدفعها عنكم بغيركم بإعمال الآراء الصائبة فخذوا من إبراهيم باشا عامل زيلع جملة من المال. وتهيأ هو ومَن عنده من الرُّتب معهم للارتحال فبرز عبد الله جميل إلى التوابع وقال لهم: هذه الأرض أرضكم وأنتم أخبر بها ، فهل عندكم قدرة بأخذ أدمة وقتال الصومل ولا تقيسوا الأمر بتوجهنا فالمزاد به قِتلنا قالوا له: إن الصومل أُمم كثيرة ولا طاقة لنا ولا أضعاف أضعافنا بمقاتلتهم ولا مقابلتهم ، فقال: أنتم ورأيكم ، فإنما نحن لكم أتباع وقد صرنا من جملتكم [إن طال أو قصر الباع][3] فقالوا: كلّ هذا فعل هذا الطيطر ثم عطفوا عليه بأجمعهم ، وكان ركب على جواده للوجه المُشار إليه ، ثم وجهوا بنادقهم عليه فقتل عبده وأصيب الآخر ، وبادر الدّخول إلى داره ، وصار يتكلَّم إن هذه فعلة عبد الله جميل ، فقال عبد الله أبردوا من العلج فلا أكثر مما نحن فيه من العذاب الوبيل ، ثم إن إبراهيم باشا جَهّز كتاباً إلى الإمام وشكىٰ إليه أن عبد الله جميل خدع العسكر ، فكان من أسباب الخلوص تحيّر الكتّاب أيّاماً بالبحر بسبب الريح ، وجاء من الأمر ما شغل الإمام عن الالتفات البتّة ، [إلى هذا الترجيح][4] وطاب لهم ما أخذوه من المال، ولم يلبثوا بعده إلّا أيّاماً حتى أطلقوا بإطلاق العَلَم.

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) كذا في الأصل.
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).

وفيها وفاة الفقيه الأديب سعيد السمحي[1] الشاعر المشهور ، وكان من الفضل بادي بمكان بادي الظهور ومن شعره قوله:

لو كنت من سرّ الهوىٰ بمكان ... لرحمت كل متيَّم ولهان
وعلمت أن لا جور إلّا ما قضت ... في العاشقين محاجر الغزلان
تفتير لحظ مثل ضرب مهنّد ... ومراح قد مثل طعن سنان
فاشدد يديك على فؤادك واسترح ... مما يقاسي المستهام العاني
لا تحسبنّ نحول جسمي خلقة ... قد كنت ذا روح وذا جثمان
ولقد دفعت إلى الصبابة والهوىٰ ... وبلوته في السرِّ والإعلان
[فوجدته حلو المذاق وأنّه ... مرٌّ على المهجات والأجفان]
إن الثلاثين التي ناهزتها ... قد شيّبت فوديّ قبل أوان
لا يبعدنّ الله روض محاسن ... نزّهت فيه ناظري وجناني
فبثغره نور الأقاح مفلجاً ... وبوجنتيه شقائق النعمان

وفي سنة ١١٢٤ مات إمام العلوم العقليّة والنقليّة زيد بن محمّد بن الحسن[1] ، وكان الزينة والفخر في آل اليمن ، وله مؤلّفات ومنظومات وقبره بصنعاء اليمن وعليه قبّة بمدرسة الإمام شرف الدين عند الباب الأيمن[2] .

وفيها أيضاً وفاة حسام الآل وحميد الخصال المحسن بن المتوكّل إسماعيل وكان من الرئاسة والتضلّع من الأدب بمكان ومن شعره:

ورشيقة الأعطاف ما سمحت ... يوماً بغير رواشق النبل
هيفاء بأرقم شعرها رقمت ... في الرمل أفلالها تملي

[ومن شعره أيضاً وقد نسب إلى غيره:

شرىٰ البرق فوق اللوىٰ فاستطارا ... فأورىٰ بقلبي المعنىٰ أوارا

---

(١) هو الأديب والعلّامة: سعيد بن صالح السّمحي له ديوان شعر. انظر ترجمته بنشر العرف ١/٧٣٨، وكتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص٣٤٢.

وسـاجلني بـلسـان الـوميض فـأبكي سـراراً ويبكي جهـارا
وبـاتت جفـوني تـريـه البكـا وبـات سنـاه يـريني افتـرارا
فيـا بـرق لا تسق إلاّ العقيـق وذاك الجنـاب وتلك الـديـارا
وعـرض بـذكـرىٰ وقُـلْ محسن سرىٰ في سبيل الهوىٰ ثم حارا

وهذا البيت للشريفـة الأديبة زينب بنت محمّـد بن أحمد بن الإمـام الحسن] .

وفي هذه السنة خرج الداعي في ذي القعدة منها الحسين بن القاسم من شهارة في نحو عشرة أنفار ، ولا حصان معه ، ولا بغلة ولا حمار ولا درهم ولا دينار ، وأظهر أنّه يريد النفس إلى بعض الأموال ، ولا خبر عند أخذ بقصده حتى مَن استصحب من الرجال ، وما له قصد بهذه الخطرة إلاّ العزم على المسير إلى بيت الله الحرام لأداء الواجب من الحجّ ، فقضىٰ حجّه المقرون بالزيارة ، ويُقال أنّه عاهد الله تعالىٰ تحت الميـزاب على الثوران وشنّ الغارة ، ولما رجع من الحجّ كانت طريقه على الأميـر عزّ الدين الشّريف القطبي وهو إذ ذاك بـأبي عريش ، والٍ على المخـلاف السليماني وبه نشأ وربي ، وكان أطعمه إيّاه المهدي ، فلم يستقر معه على حال من الكفران والتّعدّي ، ولما مرَّ به أكرمه غاية الإكرام ، وأفاض عليه ما في نفسه من الكلام ، فوعده الإجابـة متى دعا ولم يبـالغ في ذلـك الحال ، وإنما عاهده بالقيام بالنفس والمال ، ولما رجع إلى شهارة كاتب القبائل وبثّ الدّعاة والرسائل ، وكان بصعدة الحسين بن علي بن أحمد أبو طـالب ، داعٍ إلى نفسه فكتب إليـه فأجـابه ، ووعـده النّصـر ، وتـأهّب المهدي للذّبّ والدّفاع فإنه بذل الأموال ، وملأ الجهات القبلية بالرِّجال ، فلما عرف الداعي قوّتهم ، وخاف شرّهم أجمع أمره على الخـروج من شهارة كما قَدَّمنا ، وكـان المهدي بـذل [لبعض][1] أهل شهـارة المال

---

(١) ساقط من (ر).

الجزيل في قبضه ، فبادر بالنّهوض إلى ما أبرم خوفاً من نقضه ، وكان استشار مَن يميل إليه ، فحسن له القصد إلى صنوه الحسن بن القاسم بن المؤيّد ، فقال: الرأي ترك هذا الباب فقد علمت أحوال الناس ، وخذلان القبائل وأهل الأهنوم ، فما تحتهم طائل بانفرادهم ، وهم الذين أسلموا والدك ، وما شدُّوا ساعده ، فكيف يشدُّون ساعدك ، مع أن المهدي وعمّاله لا يتعرّضون إلى أموالنا ، ولا غيّروا إلى الآن شيئاً من أحوالنا ، ووالدنا تحت الأسار [وما هناك أمر يوجب الإكثار][1] وقد تنال بهذا السبب ما يفضي إلى العقوق [ويؤدِّي إلى الإضرار بالمخلوق][2] فلم يلتفت إلى هذا القول ونظر إلى المصلحة العامة ، ووكّل والده إلى الحيّ القيُّوم[3] وكان منه ما قَدَّمنا من الخروج فمرّ بذلك اليوم الذي خرج فيه من شهارة بالهجر فتلقَّاه أهلها إلى خارجها ، وكلّهم بقدومه استبشر ، ثم لم يلبث أن صار إلى هجرة عذر فأمسىٰ بقبّة مجد الدين الشهيد وقعد بالهجرة المذكورة ثلاثة أيّام في عقد وتوكيد ، ثم رحل عنها إلى البراغشة فأصلح أموراً كانت بينهم ، وأزال المواحشة ، وفشا خروجه في الناس ، ونسبت إليه البراهين على القياس وخلاف القياس ، وما كاد يبلغ قرن الوعر إلاّ وقد اجتمع له جمع ونفذ النهي والأمر ، وإلى هذه المحلاّت وصل السيد محمد الغرباني الذي كان دعي بأيّام المهدي أحمد والمتوكّل وإسماعيل ، وقد حَقّقنا أخباره فيما تقدّم على اختلاف المباني ، وكان أرسله إليه الحسين بن علي صاحب صعدة وأودعه العلماء بها بذل الطاعة والنجدة ، ومعه بعض آل العنسي بحصان عظيم من الحسين بن علي بن أحمد ، وغير الحصان من العدد والمدد ، ورجع الغرباني وقد أعجبه منه ما شاهد وإلى الدعاء إليه قام وقعد! ثم إن الداعي المذكور صار إلى بين

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) في (د) «ووكّل والده إلى ذي القوة والحَوْل».

العصيمات ، واستقرّ بمحلة مفلح بن صالح السلامي المعروفة بالمركابة وعمّر فيها عمارات ثم دعا من هنالك في رابع وعشرين شهر ذي القعدة من السنة المذكورة فأقبلت إليه القبائل وغيرهم من كل قطر حائل وكان مَن وصل إليه بايعه ، وأخذ عليه العهد بأن يطيعه ويشايعه ، وبعث رسايله إلى أقطار اليمن ، ولما سمع الناس المدافع تعلن من شهارة بدعوته ، أوقد أهل تلك الدِّيار النيران من كل جهة ، فانزعج عمّال المهدي بالمغارب وتواثب الناس عليه فمنهم مَن فارق محل ولايته ، ومنهم مَن انضاف إليه ، وكان بالشرف السيِّد علي بن مهدي الشامي في قوة عظيمة وجيش طامي ، وعامل المهدي بالسودة ، فرّ منها لما رأىٰ إقبال النَّاس على الداعي المنصور الحسين بن القاسم فوجّه الداعي إليها صنوه ، فكان أوّل والٍ جرىٰ له في هذه المساعي ، ثم قدِم على الشرف ابن أخيه زيد بن علي ، فقبض على أصحاب الشامي ، وصار لعروس تلك البلدة مجتلىٰ ، وتعلّق السيِّد علي الشامي بجماعة من الأهنوم فشفعوا فيه إليه بعد تلك الكلوم ، فصار إلى حجّة وبها محمد بن الحسين بن عبد القادر والياً للمهدي وتكاثرت من قبل الداعي المُحاط إلى الشرف ونفذت منه العمّال إلى الوسط والطرف ، ووفد إليه أبو زيد صاحب الهيجة ، وأهدىٰ له حصاناً وسلك معه في المحجّة ، وتتابعت إلى الداعي الوفود وكثرت النذور عليه حتى صار المعدوم لديه موجوداً ، وكان المهدي احترك بحركة عظيمة وبثّ المحاط العميمة ، وأبان عن المهلكة الجسيمة وأهمّه الأمر على عوائده القديمة .

وفي سنة ١١٢٥ تحرّك علي الأحمر من قِبَل المهدي لأخذ حبور وبلاد ظليمة ومحق علي الداعي عمله ، وقد بذل له من الأموال العظيمة ، فقام الحسن بن القاسم صنو الدَّاعي الحسين بن القاسم في دفعه وقعد واستصرخ بالقبائل فوصل إليه منهم ما لا يحصيه عدد ، فضرب من شهارة إلى حاشف وبقي فيه ذلك اليوم راصد واكف ، فعرف الأحمر أن لا قدوة

له بتلك الجموع ، فأضرب عمّا أراد وآثر الرجوع ، فلما عرف الحسن بن القاسم إضرابه صار إلى مدينة حبور ، وخلف بشهارة صنوه عبد الله وهو بالثبات مشهور ، وبقي بحبور ، وجَهَّز المهدي محسن بن الحسين بن المهدي تجهيزاً ما كان مثله من قديم ، وكان عامله على صنعاء وبلادها على التعميم وأصحبه مَن يعرف بالنجدة والجدّة ، والأعداد المستجدّة وطلب القبائل المحيطة بصنعاء وعمران والجبل وبني صريم والصَّيد ، فاجتمع له ما لا يحصيه العدد ، وضمَّ إليهم المهدي جماعة من الرؤساء المعروفين ومَن يُظن بهم الثبات وإن كانوا في الباطن منحرفين ، فرحل من صنعاء إلى عمران ، وبقي فيه بعض زمان ، ثم خرج منه في جمع قبائل ومال عظيم [حاصل](١) فصار إلى جبل شظب ومنه للجلاد تأهَّب وتحصّن بموضع منه يُقال له الجنابي(٢) وعشرت الجموع منه تعشيرة اهتزّت لها الرّوابي، وكان أخو الداعي يحيىٰ بن القاسم بالسودة، ومثل الجموع التي توجهت إليه لديه مفقودة إلاّ أنّه أبان عن ثبات فلم يبرح عن موضعه وأرسل إلى صنوه الداعي وصنوه الحسن يستحثّ الغارة منهما ، وكل واحد أرسل جيشاً ونفذوا إلى السُّودة ، فلما اتّصلوا بها تقدّموا منها على مَن بالجنابي [وبها جند المهدي وتسنّم أصحاب الداعي إلى جهة الجنابي](٣) وأخذوها بأسرع وقت ، وانكسرت منهم الجيوش(٤) المهدوية قبل القتال والتجأ إلى رأس الجبل منهم ، مَن قدّر وحَزّ رؤوس [القتلىٰ](٥) .

وفيها طلب المهدي الرتب من جميع البنادر واستكثر من جمع

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) قلت لعلّه الجناتي بالتاء قرية بالقرب من عمران بالشمال منها بمسافة ٣ ك.م.
(٣) ساقط من (ر).
(٤) في (د) الجموع.
(٥) زيادة في (د).

العساكر ، فاجتمع إليه من العبيد كل صنديد وأكثرهم من النوبة ، فكبّر نفوسهم المهدي بقوارع الكلام وقال لهم: إنّما أدّخركم لمثل هذه النّوب العظام وهذه المفاسد منشأها القطبي بأبي عريش فإنّه أعظم مَن أثار فتنة الداعي[1] ، وإحساني إليكم إنما هو لمثل هذه النائبة ، فبادروا إلى كشفها ، وقد جعلت لكم في عزّ الدِّين القطبي أجلاً معلوماً به تأتون وإلاّ فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ، فإن بلغتم فيه المراد شملكم منّي اليسار وإلاّ أركبتكم البحار ، فقالوا: نحن لك سميعون مطيعون ، وستنظر ما يكون [فالأمر هون][2] فبذل لهم من العطا فوق المأمول وأعطا البنادق والسيوف والخيول وأضاف إليه مَنْ بقيَ من الرتب في كل محل ، وأمر العمّال بكفايتهم ورعايتهم ، فوصلوا إلى أبي عريش في أقرب حال ، فلمّا عرب الأمير عزّ الدين القطبي بحركتهم وما هُمْ فيه من الصولة والدولة كتب إلى المنصور الداعي وإلىٰ الحسين بن علي بن أحمد أبو طالب صاحب الشّام ، واستمدّ منهما الغارة عليه والقيام ، وأطمعهما في أخذ الجيش المتوجّه عليه ، وقال لهما: ما هم إلاّ طعمة طاعم وسنظفر نحن وأنتم بعد أخذهم بالعيش الناعم ، فتحرّك الحسين بن علي بن أحمد من صعدة فعذله عقلاء الناس [لديه حتى يستبين الأمر][3] فلم يعمل بقولهم ، وأمر صنوه القاسم بن علي ينهض معه في قبائل خولان ، وثار للغارة على القطبي وظن المحاط تتلاحق به ، وإن صنوه القاسم بن علي لا يخلّ به ، فلم يصدق معه إلاّ نفر قليل وصنوه إسماعيل بن علي [القتيل][4] وخذلنه شقيقه وتحيّر بخولان في أطراف البلاد ، وكان يظن الأمر سهلاً بتهوين القطبي ، فلما بلغ قريب الدامع رأىٰ ما هاله من الجمع الوافر ، فدفع إليه

(١) في (ر) أثار الفتنة.
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) زيادة (د).

أصحاب المهدي الخيل جريدة وتوجّه نحو أهـل البنادق فلم يتمكّن من الرجوع أو القدوم ، بل عبّأ أصحابه ، وقامت الحرب بينه وبين أصحاب المهدي على ساق ، وثبت هو وجمعه القليل أشدّ ثبات ، وأبان عَمّا يهول من الثّبات ، وكثر القتل من الجميع وآل الأمر إلى انكسار أصحابه أعني صاحب الشام ، وقتل في هذا اليوم صنوه إسماعيل بن علي بعد أن كرّ وصال ، وأبلىٰ بلاءً حسناً ، ورجع الحسين بن علي إلى جبل رازح مغلوب فلبث به بثومات[1] واستخلف ولده عليه فما ينوب ، ثم صار إلى صعدة وقد اشتد به الكمد [وانقطع لشدّة الحرارة التي علقت به][2] فمات ويُقال إنه دسّ له السمّ بيد بعض الأشراف ، وطال الحصار على الأمير عزّ الدين القطبي وانقطعت عنه الأخبار والمعين ، وبعد أن حارب حـرباً شـابَ له الوليد ، وأحاطت به الجيوش المهدويـة ، وكان رجـوع الحسين بن علي وموته أهاج كمده وفتّ عضده ، وأضعف قواه وجلده ، وعظم مصابـه ، وأفشل أصحابه ، وأيقن بما لم يكن له عنه محيد ، فقال مَن كان لديه من أصحابه : الرأي لك ولنا النجاة بأنفسنا والليل يسترنا ، ولا عار علينا فالعذر واضح وإذا خلصنا فظهرك الشام ومن بعدك المنصور ، فقال أخشىٰ تكشف الحرم وهو أشدّ عليّ من القتل وأعظم فلما آيس أصحاب الحسين بن علي من خروجه على الصفة فارقوه ولحقوا بأرضهم من غير كلفة ، ولما ضاق به الحصار وفارقه الأنصار طلب الأمان والضمان ، وتأكّد لنفسـه بالأيمـان ، فتسلّم على يد سرور فقيه وتوجّه إلى حضرة المهدي وله الرأي فيه ، وأمر المهدي بضرب عنقه حال وصل إليه ، وكان المباشر لقتله المدعو بشلخ لعداوة كانت بينهما ، ولم يفلح بعد قتله ، وما زالت دولة المهدي من بعد قتله في تناقص ، وثارت بـذلك اليـوم الذي قتـل به غبـرة وريح كـأنّها السُّموم ، فإنه حال قيد للقتل أكثر الاستغفار ، والتشفّع بالنبي المختار ،

---

(١) قلت لعلّه دار ثومان من عزلة الأبقور من سحار.

(٢) ساقط من (ر).

فقال له العبد النوبي: بخيت شلخ ينفعك جدّك ، ويُقال: إن المهدي ندم على قتله غاية الندم ، ووجد بخط المنصور: أنه لم يبايع له ولا انتظم له في السلك ، وإنما كان مرامه التَّغلّب لنفسه ، وطلب الملك ، وأوصىٰ الحسين بن علي للمنصور بمال واسع كان عند والده من أحمد بن القاسم لقائم حق من جملة الودايع فتغلّب عليه صنوّه القاسم بن علي بن أحمد القاسم ولم يصر إلى المنصور منه إلّا اليسير بعد القيام عليه من كلّ عالم ، وبعد موت الحسين بن علي دعا صنوه القاسم إلى نفسه ولم يتم له ما يريد .

وفيها خطب المهدي إلى يام كريمتهم ، وكان آخر أعراس فعل ، وأراد به استجلابهم ، ورعىٰ حرمتهم ، ولمّا وصلت إليه احترق الصّيوان وهبّت رياح اقتلعت الأطناب وزعزعت الأركان واحترق الفانوس أيضاً فكاد يأتي على الصيوان وتشاءم بذلك المهدي وأهل السَّمرة ، وكان حسين بن علي بن المتوكّل ، ممّن حضر المقام وعرف كراهة المتّفق في وجه الإمام فقام عجلاً وأنشد مرتجلاً:

شاهد الفانوس غرّة من ... ما على أنواره حجب
فاعتراه من مهابته ... نار خوف فهو يلتهب
كيف بالأعداء لو شهدوا ... منه ليثاً عادياً يثب

فزال عن المهدي بعض ما به ، وأعجب بالمقطوع وزاد في إعجابه وتشاءم باليامية وأرجعها إلى أهلها عند وصولها .

وفيها جمع المهدي الجموع الوافرة ، وأظهر من القوّة ما لا يوصف ، ولمّا صارت الجموع ببابه أمَّر عليهم السيِّد محسن الشَّامي وغيره فصار الجميع إلى بيت ابن علا ، وكان المنصور وصنوه الحسن لما بلغهم هذا الجمع الهائل استصرخوا بالقبلة وجمعوا ما أمكنهم من المشقّة والقلّة ، وبَثّ المنصور الرسائل إلى مَن أجابه ، فلبُّوا صوته ، وراعوا جنابه ، ولمّا

اجتمع له من القبائل ما اجتمع أمّر عليهم محمد بن علي بن الحسين بن المهدي أحمد ، وكان إليه انتجع ومعه محسن بن أحمد بن المؤيّد وإلى رأيه المرجع فانفصلا بجيش المنصور ، ومعهم علي بن هادي حبيش ، وصار الجميع إلى حبور ونفّذهم الحسن بن القاسم إلى مقاتلة السيِّد محسن الشامي فتقدّموا إلى السّودة ، ومنها إلى بيت ابن علا فوقع بينهم من الحرب غير كثير ، واستظهر حرب المنصور على ذلك الجمّ الغفير ، وقد كان المهدي كتب إلى ابن الأحمر وابن ناشر بمشاغلة مَن في السّودة مع هذا التوجيه ، وأمدّهما بالمال ما أخرجهما عمّا كانا فيه فمضىٰ يريد السّودة ، ويمدّ إلى بيت ابن علا ، فما شعر بهم يحيىٰ بن القاسم ، وهو مقيم في السّودة ردءاً على الولاء ، إلّا والتعشيرة في الظّلعة[1] من ابن الأحمر وابن ناشر ، وقصدهما الدّخول عليه ، فوجّه إليهما السيِّد المحنّكي في رجال ملتقطة الواحد منهم بمحطة فنصر عليهما وردّهما إلى عتاد ، ولم يتمّ لهما شيء من ذلك المراد ، وأمّا الذين توجهوا إلى بيت ابن علاء فإنّهم طرحوا بنفوسهم على ذلك الملأ ، وحملوا عليهم حملة منكرة فانهزمت المحاط المهدوية وأخذت جميع أموالهم وأثقالهم وسلاحهم وخيولهم وجِمالهم ، وأسرت سراتهم وأصيب عندها أميرهم السيِّد محسن الشامي بضربة سيف خفيفة ، وأسر ، وصيّر بهم إلى الإمام المنصور على غير حال يسر ، فلما وصلوا إليه بعث بهم إلى شهارة تحت الحفظ ، وأمر بخراب بيوت ابن علا بالسهل والجبل ، والتفت الحسن بن القاسم بعد هذا إلى حرب الأحمر وابن ناشر بحصن عَتَاد وضايقهم أشدّ المضايقة حتى طلبا الأمان وأخَذا في تأكيد الضمان والأيمان ، وعرفا أن لا طاقة لهما بحرب الأهنوم ، وشرطت عليهما الأهنوم أن لا تنشر راية ولا تضرب ريح ولا يسمع لها شعار بتصريح ولا تلويح وأن يكون للمنصور الحصن

---

(١) من عزلة ذي عيشان ناحية القفلة قضاء خمر فلعلّها المقصودة هنا.

المذكور بما فيه من السيرة فخرجا على هذه الشروط واصطفّت الأهنوم حتى خرجا صاغرين ، وقبض الحصن بعد أن ولّوا مدبرين ، وكان مدّة الحصار لهما ثلاثة أشهر والرَّاية البيضاء في هذه الأيّام كلّها للأهنوم وقيام الأهنوم في هذه المدة لسبب ، وهو أن ابن الأحمر وابن ناشر اتهما أسر رجل منهم يسمىٰ القضاعي .

وفيها توفّي السيّد العلاّمة المجتهد الزاهد علي بن محمد بن علي بن يحيىٰ بن المؤيّد بحضرة المنصور بالمحل المعروف بمركابة[1] وكان من أوعية العلم والتقوىٰ فلما ظهر هذا الدَّاعي المنصور صار هو وصنوه الحسين بن محمد إليه وكان المنصور يعترف بفضل علي بن محمد المذكور ، وكان يقول هو في فنون العلم أعلم منه ولو دعا ما تخلّف عنه .

وفيها وجّه المهدي إسماعيل بن الحسين بن المهدي إلى وادعة ، وكان خابراً بتلك الدِّيار ، وأمدّه المهدي بالأموال فأعطىٰ العطاء الواسع واستمال الرِّجال .

وفي سنة ١١٢٦ استغرق المنصور من مجهوده الحاصل فاجتمع له محطّة هائلة من القبائل فوجّههم مع ابن أخيه زيد بن علي لاستفتاح البلاد وجعل إليه فيما افتتحه الإصدار والإيراد ، فأوّل ما استولىٰ عليه بلاد عفار وكان بحصنها الحسن بن المهدي من قبل أخيه ، ففارقه على جهة الفرار ، وتوجّه من قبله عن أمر المنصور محمد بن إبراهيم بن الحسين بن المؤيّد إلى حجّة فحاصر مَن بحصن مبين حتى سلكوا معه في المحجة ودار السَّعير وبينه وبين محمد بن حسين بن عبد القادر وكان والٍ بتلك الجهة للمهدي لكن جنح إلى المنصور لما سبق إلى أبيه من الجرائر ، وقد كان اتحد الحال بينه وبين المنصور من قبل ذلك ، وأمدّه بمال جزيل ووعده

(١) كذا وفي ترجمة المذكور بنشر العرف ٢/٢٧٥ مركبان في العصيمات من بلاد حاشد.

الابتهاج معه في هذه المسالك ، فتسلّم وترك الحرب ، وسار هو ومَن لديه من أعيان المهدي ، وخاصة بلا طعن ولا ضرب ، والذين كانوا لديه من أعوان المهدي السَّيد ناصر بن صلاح ، والسيِّد علي بن مهدي الشامي بعد إخراجه من الشرف ، وكان من شرط محمد بن إبراهيم على محمد بن الحسين أن الجمع يكونوا معه إلى حضرة المنصور ، وله فيهم تصريف الأمور ، فلمّا قدِموا عليه أكرم محمد بن حسين ومَن معه بالإقبال عليه ، وأجلَّه وأجلَّ خواصه ، وعاتب السيّد علي بن مهدي والسيّد ناصر بن صلاح وأمر أن يُصار بهما إلى السجن بشهارة مع الإهمال والاطّراح ، وكان أشدّ ما في نفسه على السيد علي بن مهدي ، فإنه نسبه إلى البغي الشديد والتعدّي وظهر صيت زيد بن علي ، واستولىٰ على أكثر المغارب وصار إليه علي بن هادي حبيش وغيره من كبر دهمة وسفيان ووجَّه السيّد أحمد بن هاشم عاملاً إلى حفاش وملك لاعتين وأطلق يده في الحالتين وكان بكوكبان عبد الرحمن بن المهدي والياً من قبل أبيه وعنده من الخيل والرجل ما يكفيه ، فنسب إليه بعض جور ، ولما عظم أمر زيد بن علي ، وضع المهدي الأنطاع وصبَّ عليها الأموال وفتح بابه للنّاس ، وأجاش الجيوش من أهل النجدة والبأس ، وطلب السودان من كل بندر ، وألبسهم الطرابيش والجوخ الأحمر ، وبذل فيهم الأموال وأعطىٰ ما لا يخطر ببال ولا يمرّ في خيال ، وفَرَّق فيهم البنادق من عشرين قفلة[1] فما فوق ، وملك قلوبهم بالإحسان فرموا بنفوسهم إلى القال من الشوك وأحصىٰ عددهم فكانوا ستة عشر كردوساً ، وفرّق فيهم اثنتين وثلاثين بيرقاً يهابهم مَن رآهم وأمَّر على كل كردوس أمير ، وأخذ عليهم في الإقدام والتشمير ، وجعل أمير أمرائهم بخيت شلخ قاتل القطبي ، وجعل على خيل منهم الأمير الماس عبد الرحمٰن ، وهي أوّل إمارة دخل فيها ، ثم إن المهدي

(١) أي البنادق التي تستوعب عشرين قفلة من البارود.

وجّه بخيل آخر على طريق تهامة ، وأمر الجميع بإثارة الحرب على المنصور ، وإقامة القيامة ، ولمّا انفصل بخيت شلخ على طريق صنعاء وقد أمره المهدي بأن يضع السيف من باب شبام ، ولما توجّه عاث بالنّاس ، ودخل بخيت شلخ بذلك الجيش صنعاء وكل واحد من أولئك السّودان يجرّ ثوب خيلاه وبلغ من نظر بعضهم عند دخول صنعاء في باب اليمن أن ضربوا بقر العقائر بالسيوف قائمة وأخذوا ما وجدوا بلا ثمن وبعضهم كشف متاعه وجعل يرش المتفرجة ببوله ، وآخر منهم يشتم الناس وبلغ أن القاسم بن الحسين ، تطلّع من القصر إلى رؤية ذلك الجيش ، فأعجب به وقال: لو كنت قائد هذه الرجال لم أرجع عن أخذ مصر ثم تقدّم هذا الجيش إلى مدع كأنّهم النخل البواسق ولما حلّ ركابهم بها ، واتّصل مسيرهم إليها وانتهىٰ ، استمدّ زيد بن علي على قومهم الذين بحجة من جهة المنصور ، فاجتمع إليه جمع موفور ، فحطّ بهم تحت مدع واتفق حصول مطر ملأ البقاع ، فاغتنم أصحاب المنصور الفرصة ، فلم يشعر أصحاب المهدي إلّا بانحطاطهم عليهم ولم ينتبه الذي في مدع إلّا وقد خالطهم الضّرب والطعن ، فنخرتهم السيوف كما تنخر الأضاحي واحتوىٰ القوم على ما بأيديهم جميعاً بعد الإحاطة من جميع النواحي وانجلت المعركة عن قتل كثير ما سمع بمثله إلّا في الزمن القديم ثم أمر مَن بقي منهم وهم القليل بعد أن جدع أنوفهم وآذانهم وفعل بهم بعد الأسر غير جميل ، وأطلقوهم بعد هذا الفعل الفظيع وقد سلبوا ما عليهم من الثياب الساترة لعوراتهم فصار مَن أطلق إلى صنعاء وبها المحسن بن الحسين عاملاً عليها من قبل المهدي فلما رآهم [عراة][1] أطلق لهم منه ما يستر العورة وكتب إلى المهدي بتحقيق الواقع وأنفذهم إليه فلما وصلوا إليه تكدّر خاطره ، وعلم أن الدّهر قلب له ظهر المجن وخامره الحوب على

---

(١) ساقط من (ر).

ولده عبد الرحمٰن وهو بكوكبان ، وأمّا أصحاب المنصور فعظم شأنهم بهذه الوقعة وبعث زيد بن علي إلى المنصور بما قطع من الرؤوس ومن جملتها رأس أميرهم بخيت شلخ ، ولم يكن بين قتله للقطبي وقتله إلّا ليالٍ يسيرة على التحقيق ، وساق زيد إلى عمّه المنصور مع الرؤوس الأسرىٰ فأمر المنصور بحبسهم في شهارة ولم يخرجوا منها ، حتى كان من موالاة القاسم بن الحسين ما سيأتي ، وتقدّم زيد بن علي فيمن لديه بعد هذه الوقعة إلى حصار كوكبان ، وقد ظهر صيته بها وعن نجدة أبان فنزل بمدينة شبام ولم يقابله عبد الرّحمٰن بغير الاعتصام ، فبقي فيها بعض أيّام من الزمان ، وأجناده تحيط بكوكبان ، واستولىٰ المحنكي من جهته على مسور ، وضاق بعبد الرَّحمٰن الحصار ، ولم يبقَ منه غير حفظ نفسه والاقتصار ولما ابتلىٰ المهدي بهذا الحادث وتوالت عليه الخطوب الكوارث عدل إلى بذل الأموال والتفسيد على المنصور بالأفعال والأقوال واستصلح علي بن هادي حبيش بجملة وافرة وبعث إليه بالنظّار والنفائس الفاخرة ، ويُقال أنّه بذل لأميرهم زيد بن علي من الذهب ما أفسده على عمّه ، فعدل إلى ما تراه العَين من العَيْن ، ولم يحفل بثلمه ، فعملوا بذلك في الانكسار وترك الحصار ، ورجعوا من ساعتهم إلى تفريغ البلاد وشدًّ القطار ، حتى انهم خرجوا من شبام بين مطر شديد وازدحموا ببابه أشَدَّ زحام ، من غير موجب ، وفي خلال الازدحام خربت نوبة(١) باب شبام وهلك بها من خواص زيد بن علي ثلاثة عشر نفراً منهم زيد بن علي ذياب أحد نقباء العسكر وفرَّ مَن بحفا(٢) ولاعتين(٣) وحجة ، ومَن بكحلان وعفار والسّودة بالأمر من زيد بن علي ، فإنّه كتب إليهم بذلك ولم يظفر أصحاب المهدي بغير حسن بن إبراهيم فإنه أُسر وأنفذ إلى مقام المهدي في حال غير

---

(١) ثكنة الحراسة والمراقبة.

(٢) لعله المعروفة بالمحفاء من عزلة ربع مسعود ناحية الطور قضاء حجة.

(٣) لاعتين أو لاعة بلدة معرّة من أعمال حجة تقع في الجنوب منها.

مستقيم فتهدّده[1] بقطع الرأس ، وأمر به فشقّ به اليمن إلى ترسخانة في الحديد مع الاحتراس ، ولم يؤسر من أصحاب المنصور مدة هذه الحروب سواه ، وحثّ زيد بن علي في سيره فصار إلى شهارة راجعاً إلى حضرة المنصور ، وأمّر المنصور صنوه عبد الله بإيداع زيد بن علي سجن التواب فـرام التمنّع ولم تنفتـح له الأبـواب فأوْدع السّجن ودقّ في رجله القيـد واستـولىٰ أصحاب المهـدي على جميع البـلاد ، فوجّـه المنصور صنـوه الحسن إلى حفظ حَبُـور سريعـاً ، وأرجع صنـوه يحيـىٰ إلى السّودة في عسكر ، وكان ناصر منصور العَبْدي دخلها من قبل المهدي فما استقرّ .

وفيها وجّه المنصور إلى ابن جزيلان القاضي يوسف العنسي والسيّد محمد الغرباني وغيرهما من أعلام تلك الجهات يدعونه إليه فما زالوا به حتى أسعد إلى القيام ، وقدِم إلى حضرته في جيش لهام ، فبايعه وتوجّه عنه إلى أرحب وصحبته أحمد بن المؤيّد ، ومن أهل وادعة فلمّا صار ابن جزيلان إلى تلك القبائل اتّسعوا لهم الاتساع الهائل ، وبذلوا معه نفوسهم للقتال ، ومن جملتهم علي بن محمد رومان ، وبقي ابن جزيلان ومَن معه في قرية الرجو[2] نحو ثلاثة شهور حتى بلغوا ما أمّلوا ورجوا ، وأنفق فيها ابن جزيلان من ماله مالاً كان يظن لسماحه بمثله .

وفيهـا وجّـه المهـدي علي بن الحسين بن علي بن المتـوكـل إلى عمران ، وناط به عصابة نافعة من الرجل والخيل مع الإحسان ، فتقـدّم المذكور إلى صنعاء اليمن ونفّذ فيها أوامر كانت معه ترجع إلى القاسم بن الحسين وهو بقصر غمدان ، وكان المهدي رفع يد ابن أخيه المحسن بن الحسين من عمالة صنعاء ، وأرسل عليه أحمد وهيب ، ونفذ به إلى سجن

---

(١) في العادة تطلق لفظة ترسخانة على المكان الذي يقع في جوار الميناء تعمل فيه المراكب ويستودع فيه ما يلزم لذلك من المواد والأدوات والذخائر ولعله هنا موضع الذخائر والله أعلم.
(٢) الرَّجُو: من قرى أرحب معروفة.

القاهرة ولم يزل بها ، حتى كانت الثورة الآخرة ونفذ علي بن الحسين من صنعاء إلى عمران واستقر بها ركابه .

وفيها وجّه المهدي ولده إبراهيم ، وكان منه بالمحل المكين ، وهو عنده القوي الأمين إلى صنعاء والجهات القبلية للتسكين وأمدّه من الجيوش والأموال ما لا ينحصر ، وأضاف إليه من الخيل وركابها وجعله أمير الأمراء وإليه المرجع فيما عرىٰ ، وفوّضه في جميع الأمور وإليه التصرّف في البلاد والأمر والمأمور ، وكلّ نائبة تنوب فالدرك فيها عليه ، وانفصل عن أبيه بأُبّهة عظيمة ومملكة جسيمة وكان شرط على أبيه عند التوجّه نقل القاسم بن الحسين من قصر صنعاء إلى قصر ذمار ، وكان في هٰذا الرأي الخطأ والخطل والوبال عليه والدّمار ، فإن القاسم بن الحسين قرّب من المواهب وتقرّبت الوزراء بالتخريب على المهدي إليه ولو بقي في قصر صنعاء ما تمّ أمر لأنه بحيث يحكم عليه لكن لا غالب لحكم القدر والتدبير لله بالحكم في الورد والصدر فإن نقله(١) مما ساق الملك إليه ، ولمّا بلغ إبراهيم إلى صنعاء في تلك المملكة الجسيمة والخيول والجيوش العميمة ، نفذ منها إلى شبام بعد رجوع زيد بن علي علىٰ الوجه الذي تقدّم فيه الكلام ، فلبث بها بعض زمان ، واتّفق بصنوه عبد الرحمٰن ، وعملا في التّشاور ، ولمّا بلغ المنصور قدوم إبراهيم ، وما أجمع مع أخيه له من الفعل طلب القبائل إليه ، فبادر علي بن هادي حبيش ، وتتابعت بعده القبائل ، وصار الجميع بحضرة المنصور ، فجهّزهم مع محمّد بن الحسين بن عبد القادر ، وأخذ عليه أن يسارع ويبادر ، وبعث المنصور بجيش لقبض عفار فتسلّمه وابن أحمر الشّعر ، وأحمد بن محمّد حبيش كلاهما بمحطّة من دهمة ، وسفيان أمّر عليهم بعض أقاربه فافتتحوا كحلان ، وطلب الأمان صاحبه عبد الله صالح وكان عاملاً به من قبل

---

(١) في (ر) قتله.

المهدي ، ولما دخل كحلان عمَّ أهله بالانتهاب ، وأصـابهم ما لم يكن لهم في حساب ، وأمّا محمّد بن الحسين ، فجاءت طريقه على أطـراف حوث وخلص ، إلى جبل عيال يزيد وقد طالت به الطوائل وأنفق من ماله جزيلاً في الصلات والرشا ، حتى قيل أن مبلغ ما أنفقه في هٰذا الوجه سبعة عشر ألفاً من القروش ، ونفـذ إبراهيم بن المهـدي من شبام إلى حاز[1] ببلاد همـدان ثم مَدَّ منهـا إلى الجاهليـة[2] في دفع أرحب وابن جزيلان فلبث بها قريب شهر في أجناد مؤلّفة وأجناس مختلفة ، ولما بلغ مَن بأرحب خطاطـه بهذا المحـلّ ، وأن محمّد بن الحسين قـد أمَّ إليهم وارتحل تحرّكوا وحرّكوا قبائل أرحب ، وكان الذين مع ابن جزيلان مـع تمادي بقاه ، تفرّقوا عنه، فلما صرخ بأرحب اجتمعوا له في أقرب وقت ، وانحطّ محمد بن الحسين من جبال عيال يزيد إلى حصار مَن بعمران ، وجعله الأهم المقـدّم فبـرز إليـه علي بن الحسين بن علي المتـوكّـل من عمران ، ووقع بينهما من الحرب ما يخرج وصفه عن حدّ الإمكان ، وثبت الجميع أشدّ ثبات واصطدم الفريقان واختلطت الرايات ، وبلغ أصحـاب محمد ابن الحسين إلى جنب الداير وحصلت جراحات كثيرة ولم يبـرح علي بن الحسين عن ظهر حصانه يدير القتال ثابتاً مكانه طول نهاره ، حتى توارت بالحجاب ، وأمسىٰ محمد بن الحسين وقد نال ونيـل منه ، وبنىٰ على معاودة القتال باليوم الثاني ونما إلى إبراهيم هذه الحرب ، وجاءتـه بالأخبار عن الفريقين من يمد بهم من العيـون ، وإن الذين بـأرحب قد توجهوا إليه وتحالفوا بينهم في الوثوب عليه ، فخاف من الجهتين ، وأن يتوسّط في الحالتين ، فرأىٰ أن الرجوع إلى صنعاء ، هو الأسلم والتحصّن فيها خير من النَّدم ، ولم يحصل مع هذا كمال إثبات ، وحلّ به الفشل

---

(١) قرية من همدان على طرف قاع المنقب.

(٢) قرية من عزلة وادعة ناحية همدان صنعاء.

[وما جاوز الغايات][1] فركب من مخيّمه من غير تدبير ولم يستشر صغيراً ولا كبير ، فانهزم الجمع بعده أقبح هزيمة وأخذت الأثقال وما في الأسواق بغير قيمة فخلفه إلى مطرحه أرحب وابن جزيلان فانتهبوا المطرح وما فيه مما لا يحصره الإمكان وغنموا غنيمة واسعة بلا ضربة ولا طعنة ، لأن إبراهيم بن المهدي ترك كل شيء معه ، وقنع من الغنيمة بالإياب ظنّاً منه أن القوم تتبعه فاشتغلوا عن التبِعة له بالأطماع ولو اتبعوه لأدركوا ما طلبوا من غير امتناع إلاّ ردمان فإنه تبع برأسه على بغلته ، وكان بيده مرفع ينقر فيه ، فمَن سمعه من المنهزمين ظن أن الجيش في تبِعته ، ولما وصلت المنهزمة باب صنعاء ازدحمت فيه وتكسّرت كثير من الرماح ومجاري البنادق ، والفائز مَن خلّص من الخيّال أن يلفيه ، ولمّا شهد أهل صنعاء ذلك الحال ارتاعوا روعة عظيمة من الخيّال، ثم إن ابن جزيلان ومَن معه وثب من هنالك إلى سمسرة جربان[2] ، واجتمع عليهم أهل همدان فتديّر ابن جزيلان بالسمسرة في نفر قليل من أصحابه فأحدقت به همدان وكادت تستولي عليه فحفظ بصدق الفعال نفسه ، وبعث بالإشارة في الليل إلى محمد بن الحسين وابن حبيش يسألهم الإنقاذ له ، وكان التواطؤ بينه وابن حبيش على هذا من بدء الأمر وفي قلوبهم على همدان من قتل ابن حبيش في وادعة كما تقدَّم ، فلما وافىٰ الرّسول تركوا عمران وسارعوا إلى جربان في تخليص ابن جزيلان ، وكادت همدان صباح ذلك اليوم الذي بعث ابن جزيلان رسوله إلى محمّد بن الحسين وابن حبيش بالغارة عليه تظهر على ابن جزيلان ، ومَن معه وضايقوهم مضايقة شديدة ، حتى كرهوا العيش ، فلمّا كان آخر اليوم قوي جانب ابن جزيلان ، ومنع عن نفسه بالحرب العوان ، وأجفلت همدان منهزمة ، وأعمل فيهم الطعن والضرب ، وتمّ لابن جزيلان النصر وقتل من همدان نحو خمسة وثلاثين نفراً ، وما وصل

(١) ساقط من (ر).
(٢) جربان: قرية من بلاد همدان بالشمال من صنعاء بمسافة ١٨ ك.م.

محمّد بن حسين وابن حبيش إلاّ وقد انقضت الملحمة ، وكان انفصال محمّد بن الحسين وابن حبيش للغارة فرج لأهل عمران ، ولمّا اتّفق محمد بن الحسين بابن جزيلان داس الجميع بلاد همدان وأطلقوا في قراها النيران ، ثم نفذوا منها في اليوم الثاني أو الثالث إلى الروضة ولّي محمد بن الحسين ما وراءه من البلاد الصنعانية وبقي في الروضة أيّاماً ثم تقدَّم هو ومَن لديه إلى حصار صنعاء وجاءت طريقهم فوق قاع اليهود بإرادة المطرح بحدّة ، وقد كان إبراهيم بن المهدي أغلق أبواب صنعاء وأمر التوابع والخيّالة بالكفّ عن القتال ، ولعلّه كان ختم كلاماً بينه وبين النقباء ، وأمدّهم بالمال في التقاعد ، وشرط لهم مالاً عظيماً وكل ذلك خوفاً من توجيه القاسم بن الحسين وتدافعت الخيل على باب اليمن ، واستؤذن في القتال فلم يأذن ، وبرز يوسف بن الحسين للقتال ولكن بمَن ، وفتح الباب وبرز إبراهيم تحت النوبة ، فاندفع جماعة من الخيّالة والعسكر عن غير أمر إبراهيم وحملوا في القوم فقتلوا منهم أربعة أنفار وانكسر بعضهم إلى عطان[1] ، ولو أذن إبراهيم للقوم في التقدّم كان له اليوم ، فغضب من الذين اندفعوا وشدّد في المنع ولم يلتفت إلى الرؤوس التي جاءوا بها ، وكاد يسطو بهم في ذلك الجمع ، ولما رأىٰ علي بن هادي حبيش تزعزع الصفوف وانكسار تلك الألوف أخذته الحميّة وخاف لا تكون خدعة ، وكان لا متأخر ولا متقدم [وما يدفع ذلك لكلام إلى الدِعة][2] فحمل على فرسه في أصحابه حتى ردّ العسكر والخيّالة ودخل إبراهيم صنعاء وأغلق الأبواب وأظهر الكراهة للحملة والملالة فامتدّت صفوف القوم مقابل باب ستران إلى مقابل باب السبح وثبت الحصار لصنعاء واتّصلت المراماة إلى الليل ولمّا مدّ الليل الأطناب تقوضت الصفوف إلى بئر

---

(١) عطان: قرية في أسفل جبل يناع شمالي حدّة.

(٢) ساقط من (ر).

العزب ، وأضربوا عن حدّه وأقاموا هناك نحو خمسة عشر يوماً والسفير بينهم وبين إبراهيم فلما صلح له باطنهم وختموا أن لا ترىٰ إلّا مساكنهم وكان قد بلغ المهدي على كمال التهويل جميع الحاصل وقرّرت الوزراء لديه اعتماد الصوارم ، فساءه الواقع واهتم بالأمر وشاور فيه [مَن وزرائه زَيْد وعمرو][1] فأجمع رأيهم أن ليس لها إلّا الأسد الهصور والسيِّد السند المذكور القاسم بن الحسين فلمّا وقعت الأنظار عليه وألجىء بالاضطرار قسراً إليه أطلقه من قصير ذمار ولما برز من السجن اشرأبّت القلوب إليه [وازدحمت الأنظار في الجو بالإقبال عليه][2] وزفّ إلى المهدي كما تزفّ العروس [وتبعه الناس للنظر إليه فما مشىٰ إلّا على الرؤوس][3] فلما مثل بمقامه وحيّاه بسلامه أقبل إليه إقبال الوالد على الولد وقال له أنت للمهمّات المعدّ ، وتنصّل إليه من حبسه بغير سبب [وأطلق في ميادين الاعتذار] وقال له المهدي لا عذر لك عن التوجّه لشدّ هذه الفتوق الناجمة ، فأسعد بعد تمنّع على شروط لا تنحلّ عقودها ، من جملتها رفع إبراهيم من صنعاء اليمن ، وأن تكون هي وبلادها وعمران وكوكبان والمغارب جميعاً نظره ، فيها مطلق الرسن ، ومنها أن علي بن الحسين يرفع من عمران ، وعبد الرحمٰن من كوكبان ، وإن الحصون بهذه البلاد جميعها نظرها إليه ، وأن يعطي من الخيل والسلاح والمال بما نصّ عليه فوفىٰ له المهدي بهذه المقترحات ، حسب الإرادة ولم يرجع عن شيء طلبه إلّا بالزيادة ، ولمّا تقضّىٰ زلاجه على هذه الأمور ، بلغ إبراهيم فعظم عليه الأمر ، وهان عليه بذل كل نفيس وخشي يكون صيت الجمالة كما وقع للقاسم بن الحسين بالإفراج عن صنعاء [والتنفيس][4] فوجّه مَن

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) ساقط من (ر).

(٤) ساقط من (ر).

يتوسّط بينه وبين القبائل ، وبذل لهم من الأموال ما عنده من الحاصل ، واتّفق مع ابن حبيش ، في مسجد نقم وأعطاه عشرة آلاف خاصة بـه ، وغيرها مما يعمّ ، وخلع هليه ما فوقه وأشار عليه أن يتأخّر عن باب صنعاء في صفة الانهزام ليقتدي به غيره ، فلما نمي بابن جزيلان هذا الاتفاق عرف أصحابه وشحذ هِممهم على الثبات والملازمة للمكان ، وخرج فيهم متعرّضاً حتى بلغ باب اليمن وما كره تملّك الباب ، ويدخل المدينة إن أمكن وحصل مناوشة حرب ما تحتها طائل وحمىٰ الله المدينة بالسرّ العظيم ، وسعىٰ ابن جزيلان وإبراهيم بالصّلح واتّفقا بالبستان ، بعد أخذ أكيد الضّمان على مثل ما صار لابن حبيش من الدراهم ، وكان قال له ابن جزيلان : لو تبايع المنصور ولك ما تختار من البلاد أن دخلت في هذه الأمور فوالدك قد صار شيخاً كبيراً ، وأرىٰ لك هذا قبل أن يجيء مَن يأخذها عليك [ولا تجد لك عوناً ولا نصيراً][1] فلم يعجب إبراهيم هذا المقال[2] وقال حاش لله أن أخلع أبي بحال ، فلا تخاطبني في هذا ولا تحوم ، وإنما الخوض في رجوعكم عن هذا المركز ، ووفائي لكم بما شرطت فاغتنم الفرصة وانتهز ، فصلح معه ابن جزيلان على ذلك [القدر الذي شرط][3] وتأخّر الجميع إلى الجراف ووردت الأخبار بانفصال القاسم بن الحسين عن زراجة ، وكان محمّد بن الحسين أرسل الفقيه حسن الخياطي عيبة سرّه ، وصهره ومَن قطع في خدمته أيّام دهره يأخذ له من العلم [القاسم] سرّه الخفيّ ، وهل هو منطوٍ على الوفاء لمرسله[4] أو لا يفي فأسرّه العَلَم القاسم بأنه جازم بخلع المهدي وأنّه سيدخل في طاعة المنصور ، وبه يقتدي ، وإن محمّد بن الحسين وكافة النقباء والجند تراعي

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) في (ر) كلامه.

(٣) ساقط من (ر).

(٤) في (ر) للإمام.

الانتظار له في الجراف ، ومع دخوله إلى صنعاء يقبض على إبراهيم ويظهر الخلاف وأنّه سيحكم عليه في القصر ، ولا يرجع عن هٰذا مع الاستعانة بالله تعالىٰ والنصر ورجع عنه الخياطي بهـذا المقال فعـرف به النقبـاء ، وطلب التريّث والإمهـار ، فقال ابن حبيش: أمّا أنا فلا أوجّه هذا الرجل أبداً وقد ختمت أنا وإبراهيم على قول أكيد ، ولا أرجع عن الشرط ولم يلبث أن ترك المركز ، وسار ونظر إليه القوم فعملوا بعمله في الانكسار ، وحاول محمّد بن الحسين وابن جزيلان في وقوف بعض الناس فانقضت الجموع ولم تسعدهم إلى المراس ، واضطرا إلى اللحوق بهم على الأثر وقاسيا الأهوال في الطريق للتخوّف من أهل البلاد ، وسلكا على طـريق الجوف [على خوف][(١)] ولولا أنّهم في كنف دهمه فتحت الطريق بأخشام البنادق لتخطّفوا بكل مهمّة ، وخلص محمّد بن الحسين وكافة مَن معه إلى المنصور ، فلما وصلوا إليه تلقّاهم بالأخلاف وأزال ما حلّ بهم من هذه الأمور ، وقال قد فعلتم فعل الرجال ولنـا الكرّة بعـد الكرّة ، ولمـا ظهر رجـوع القبائـل من بـاب صنعـاء بـدراهم إبـراهيم ، وكـان قـدوم العَلَم القاسم بن الحسين خلال العمل أجمع النـاس أنّ رجوعهم خـوفاً منـه ، وفات إبراهيم تَدْبيره وبقي محتازاً، وعندما بلغ القاسم بن الحسين أطراف سنحان تلقّاه قبائل أرحب مع دومان وهم الذين كانوا على باب صنعاء من حزب المنصور في حرب الصارم ، ولمّا أشرف العَلَم القاسم على صنعاء استشرفت إلى رؤيته حتى المخدرات وأطلق كثير من الناس لشدّة الفرح سوابق العبرات ، ومثل ذلك من شدّة السرور يحصل [ومن فرح النفس ما يقتل][(٢)] وتلقّاه أهل صنعاء قضّهم وقضيضهم ودخـل العَلَم المدينـة في موكب تراع له الفراقد ويموت بغيظه من البغيض الحاسد وكانت أبـواب المدينة على الاستمرار في الغليق فأمر بفتحها جميعاً ، وأخرج الناس من

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).

المضيق ثم صار إلى داره دار الجامع وعمل من حينه في تفقّد الأمور وإنفاذ الطلائع والتفت إلى التجهيز فأوّل ما بدأ به إنفاذ ناصر منصور العبدي ، وحسن بن قاسم خليل الهمداني إلى السّودة وكان إبراهيم خرج من صنعاء إلى سناع على جهة المغاضب والمائل إلى الانقطاع وبعد أن لبث بها أيّاماً توجّه إلى أبيه وأمّا علي بن الحسين وعبد الرحمٰن ، فكانا تقدّما قبله إلى المواهب على موجب ما اشترط العلم .

وفي خلال هذه الأمور واستحكام الطمع بالمهدي من كل مذكور كتب القاسم بن علي صاحب صعدة إليه بأن يمدّه بالأموال ليخرج بأهل الشام على المنصور فاستروح المهدي مَن أفرج وظن به صدق المقال إذا خرج وبادر إليه بإرسال صنوه يحيىٰ بن علي بن أحمد ، وكان هو وصنوه أحمد بحضرته منذ زمان قديم [فارقوا لديه والده على غير حال مجمل][1] فأصحبه من الأموال ما لا عهد له بها ، وأمره يشتد على المنصور على ما قدّر ويبالغ في حثّ صنوه على نجاز ما تمدّح به ، وأكثر ، ووجّه صنوهما أحمد بن علي بخيل ورجل على طريق تهامة إلى الأمروخ[2] ، وأمره بالرّسوخ ، فاستولىٰ على الشرف الأسفل ، وطرد عامل المنصور أحمد بن خيرات عن المحل بعد حرب جرىٰ بينهما قتل فيه من أصحاب المهدي الجمّ العديد لكنّها كانت الدائرة بعد لأصحاب المهدي ، فطردوا ابن خيرات كما قدّمنا ، ثم إن القاسم بن الحسين وجّه الجيوش إلى الشرفين بعد أن فرغ من عفار كحلان ، ولما ترادفت على المنصور هذه الأمور أطلق ابن أخيه زيد بن علي ، وقال: ما سلف من الذنب مغفور ، وهيّأه للإمارة ، وجمع جنداً يسيراً على كلفة أكثرهم من شهارة ، فصار إلى قرية الوعيلة[3] ، وكان قدِم قبله محمد بن إبراهيم والمحنكي في سرِيّة فصار

(١) ساقط من (ر).

(٢) الأمروخ موضع سبق ذكره.

(٣) من عزلة الجبر الأعلى ناحية المفتاح قضاء الشرفين.

الجميع إلى قرية الشاهل[1] من الشرف ، ثم انحطّوا منه إلى حجر ، فكان بينهم وبين أصحاب المهدي يوم عصيب ، وقابل النّصر فيه أصحاب المنصور ، فقتلوا منهم القتل العجيب[2] وغنموا ما بأيديهم وأرجع المنصور أحمد بن خيرات على ولايته واستمر فيها إلى أن دعا المتوكل فصار من جملته .

وفي سنة ١١٢٧ قوّض العَلَم القاسم بن الحسين عن الروضة إلى عمران واستناب بصنعاء ابن أخيه أحمد بن علي بن الحسين ورتّب على المدينة برتبة لا تغفل عنها ولا تفارق ، وجعل أمرهم إلى السّيد حسين بن يحيىٰ الأخفش ، فحفظها حفظ مَن طب لمن حبَّ ، ولما استقر القاسم بن الحسين بعمران ، تظاهر بطاعة المهدي وهو يعمل في أسباب خلعه ، وأخذ بالحزم في جميع أموره ، وجزم بخلعه والانتماء إلى المنصور ، وكان الكبر استولىٰ على [المهدي][3] فتصرّف به أولاده وخافهم الحريبي ، وكان بتّ الأمر مع المتوكل فهو بالتخريب يعمل باجتهاده .

وفيها وفد شيوخ من الشام تطلب من المنصور يولي عليهم مَن ينفذ الأحكام ، وموجب ذلك أن يحيىٰ بن علي بن أحمد لما أرسله المهدي إلى أخيه بذلك المال الذي تقدّم ذكره ، فانقضت أهل الشام إلى صعدة مؤملين خيره ، فما وصل لهم منه شيئاً واشتغل القاسم بن علي وصنوه يحيىٰ بجناب جعفر وظنّا أن الشام بيده وتنافس ابن جعفر وابن روكان على المقام ونفرت بنفور ابن روكان أهل الشام ، فحسن لهم ابن روكان الانتماء إلى المنصور ، فأجمعوا على ذلك وخرج ابن روكان بشيوخهم إلى

---

(١) الشاهل سبق وهو ناحية تابعة لقضاء الشرفين في الشمال الغربي من حجة لمسافة ٣٧ ك.م.
(٢) في (ر) كثيراً.
(٣) ساقط من (د).

المنصور ، ورجع يحيىٰ بن علي إلى المهدي بخفّي حنين ، وقريح القلب ، دميّ العين وأرجع إلى المهدي الدراهم بناءً منه على ثبات دولته ، فما كان أسرع بعد وصوله منشوران الفتن ، ولم يزل المهدي يستحثّ القاسم بن الحسين بمناجزة المنصور وجرىٰ معه من التناقض في مثل تلك الأمور ولم يثبت على الشروط التي وضعت ، وتحكّم بالمهدي أهل الأهواء فأفضعت واستشمّ طرفاً من القاسم بن الحسين في الانقلاب عنه ، وكان القاسم أمر الأخفش ألّا يدخل صنعاء من أرباب المواهب فكان مَن وصل منها أرجعه من الباب ، فلما أيس المهدي من هذه الجهة عدل إلى إظهار المحبّة والألفة وأرسل إليه بجماعة في الزَّناجير ، ممّن كان يظهر الانحراف عن العَلَم القاسم وأولاه المهدي أدبهم ، فجرىٰ معهم العَلَم على خلاف المقصد وأغلق باب المعاملة ولم تفته اللطيفة المرادة ، بل وضع فيهم الإحسان [ولاطفهم بالفعل واللسان فعنده في كل الأمور الحقائق][1] ولما لم ينفذ للمهدي فيه حيلة [ولا أجدت له فيه وسيلة][2] أرسل يحيىٰ بن علي بن أحمد إلى صنعاء على انه برور أهله وأصحبه من المال ما أعجزه حمله فإذا دخل صنعاء فسّد رتب الأموال بالمال وسيرسل مَن لديه عصابة تسري بالليل من المواهب لحفظ صنعاء فتوجّه يحيىٰ بن علي مَن حضرته على هذا التدبير فلما وصل باب صنعاء حيلَ بينه وبين الدخول وقيل له إذا كان لك حاجة في العلم بعمران، وإلاّ فدونك الطريق أمامك [وسيّان][3] فاضطرّ إلى العود إلى المواهب.

وفيها توفي الفقيه الكامل عبد الرَّحمٰن الخيواني [المشيد من دولة الحريبي تلك المباني][4] وكان من أهل الدَّهاء والمكارم ورأيه في أكثر الأمور أنفذ من الصارم له .

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) ساقط من (ر).

(٤) ساقط من (ر).

وفيها أيضاً توفي الفقيه البار المتطلّع من القصص والأخبار عبد الله بن علي بن عزّ الدين الأكوع وعمل للمهدي في المخا وغيره ونفع به وانتفع وقبره رحمه الله بمدينة صنعاء ، وبلغ من العمر حدّاً ذهب معه كلّ زينة .

وفيها وجّه المنصور مع أهل الشام محمّد بن إبراهيم ، فأطاعت له خولان إلّا القليل منهم ، ولما استقرّ بحيدان صلحت له الأمور .

وفيها رجع محمد بن الحسين من حبور إلى المركابة لما استروح من القاسم بن الحسين الانقلاب على المهدي .

وفيها طبع العَلَم ما لديه من الخيل باسمه القاسم وذلك بعدما استوثقت له الأمور ودار الخوض بينه وبين المنصور وكانت [الجموع توفرت لديه وأقبلت القلوب](١) بأجمعها عليه ولما بلغ المهدي طبع الخيل سهر المنام وعرف أن وراء ذلك ما لا يُطاق [ولا يُرام](٢) ثم إن القاسم بن الحسين لما جزم بخلع المهدي استشار أهل العقول فأشار إليه بعض خواصّه يدعو إلى نفسه ، وقال له: أنت في العدد والمدد ، وعندك من المال والرجال ما لا يحدّ والقلوب أميل إليك من المنصور والمهدي ، وقال آخر: الرأي لك الآن في موالاة المنصور [ولكَ من بعد رأيك](٣) وإذا لم تجرِ على إرادتك الأمور ولا تجعل لكَ الآن خصمين من خلف وقدّام ، فلا تدري إلى أيّ الجهتين تلتفت عن مواضع الصدام ، فمال إلى هٰذا الرأي الأخير فخطب في تلك الجمعة التي طبع فيها الخيل بعمران للمحقّ والمحقّين ولم ينص في الدّعاء على أحد بالتعيّين ، ثم إن صاحب هذا الرأي الأخير قال له: التدبير في الإرسال إلى المنصور ، والتعاون منك

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).

ومنه في أخذ المهدي ، فإذا تمّت الأمور اتفقتم أنتم وإيّاه والعلماء وخضتم فيما يصلح به الناس [وتسكن الدهما](١) فلم يجنح إلى هذا الرأي ورأى مبايعة المنصور قبل الاتفاق هو الأوفق عند أهل الحجا ، وندب السيّد علي بن محمّد جحاف للخوض مع المنصور في هذه الأطراف فعقد الأمور على أحسن الأوجاه ورجع بالختم المبني على النجاة ثم بعث مَن بايع عنه المنصور ، وطلب ممّن بحضرته البيعة [له على الوجه المذكور](٢) وكان أوّل ما بدأ به طلب البيعت ممّن بحضرته بعمران فامتنع منها صنوه إسماعيل بن الحسين ، وكان صار من وادعة منضمّاً إليه عن أمر المهدي وهو منه بمكان فقبض عليه في الترسيم وأودع جماعة من أعيان أصحاب المهدي [الأدب](٣) ومنهم القاضي حسين الحيمي الوزير ، ومنهم محمّد بن حسين العنسي والزنجي وغيرهم باختيارهم خوف الملامة [والعاقبة](٤) وطبع الجند برجل يُقال له الجاموسة أمر برباطه ، لما صاح بين الجند وامهدياه وكان النقيب سلمان عبد المهدي بحضرته فعرف الفتك به إذا تأبّىٰ فبايع من جملة الناس وأنفذ من قبض البيعة للمنصور من أهل صنعاء فقبضت بمحفل عام في البكيرية وأمر بعمارة دار ضرب بعمران ، ولم يتم العمل بها لمسارعته بالدّخول إلى صنعاء ، ولما وصلت بيعة العَلَم إلى المنصور أظهر المسرّة والحبور فبعث البشارات إلى جميع الجهات وساق إليه أهل البلاد ودرّت الخيرات ، ووضع على رأسه المظلّة وكان قبل بيعة العَلَم لا يقبلها حتى زالت العلّة ثم إن العَلَم قوّض خيامه عن عمرانه وأطلق صنوه إسماعيل وسائر مَن امتنع عن بيعة المنصور من الأعيان وصار من عمران إلى مدام همدان ثم منه إلى الروضة بات بها

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).

ليلتين ودخل صنعاء ولواء السعد يخفق قُدّامه ، وأرسل المنصور صنوه عبد الله في الأهنوم وعذر وأهل غربان والجبر ، ووجّه مع توجيهه محمد بن الحسين بن عبد القادر بجيش أجشّ ، وجعل المنصور ولاية كوكبان طعمة لمحمد بن الحسين واستمرّت بأيديهم إلى الآن إلّا برهة قبضها العَلَم في خلافته لأمور يطول شرحها ، لا بدّ من الإشارة إليها إن شاء الله تعالىٰ ، ولمّا وصل مَن ذكرنا التقاهم العَلَم إلى شعوب في جيوش تراع لها الفراقد ودخل الجميع صنعاء وأكرمهم العَلَم ، وكان قد جهَّز على المهدي ابن أخيه محمد بن علي بن الحسين ، ومعه صلاح ردمان بأرحب ، وأمر السيد أحمد بن محمد الشامي بخولان ثم وصل جناحه بولده الحسين بن القاسم بن الحسين ومعه من الخيل والرجل ما يسرّ به الناظرين وفي خلال ذلك صار المنصور من محلّه الذي دعا به إلى حوث وكان مدّة بقائه بمحلّة مفلح بن صالح ثلاثين شهراً حتى قيّض الله له بيعة القاسم بن الحسين وعندما قدِم إلى حوث ، وما كاد يستقر سقاه المصاب بأبيه وكان توفي بصنعاء ، والأعواد بها تخطب لولده المنصور وأقام بصنعاء منذ حمل من شهارة نحو أربع وعشرين سنة وأراد ولده إرجاعه إلى محلّه ، فحال دو مرامه الموت الذي لا يتحامىٰ ، وحضر دفنه العَلَم ومَن بصنعاء من الآل ، وكان ولده إبراهيم وعبد الله لديه مع الانتقال ، وقبله بالوشلي عند قبر أخيه علي بن المؤيد وأتعب الناس بمصابه ، لأنه كان من التقوىٰ بمحل ورثاه السيّد عبد الله بن علي الوزير [بهذه الأبيات المتضمّنة للتاريخ][1] :

زر ضريح الإمام وابن الإمام ... وأبي المنتقا إمام الزّمان
فهو القاسم الشهير أخو العَلَم ... وأخو الفضل واضح البرهان
حجّة الدّهر زينة العصر والآ ... ل قاموس علمهم في البيان
عظّم الله فيه أجر بنيه ... وحباهم بالعفو والغفران

---

(١) ساقط من (ر).

[حملته على الرقاب أيادٍ قلّدتها يداه بالإحسان
صافحته الحور الجنان اشتياقا مذ تلقّته من يدي رضوان][1]
في جنان النعيم طاب فأرّخ خلّد الله قاسماً في الجنان

وفي[2] هذه الأيّام فتح العَلَم بصنعاء دار ضرب ونقش عليها اسم المنصور ، وأمر أن يصاح على ضربة المهدي بالإبطال ، وأطلق المنصور مَن كان بحبسه من بني الشامي والسيّد ناصر بن صلاح ، ووجّههم إلى حضرة العَلَم ، ثم إن العَلَم اشتغل بالتجهيزات إلى اليمن الأسفل فقلق لذلك المهدي ، وجعله أهمَّ أموره [وبه احتفل] وأراد صرف العَلَم عن هٰذا الوجه بالتّجهيز منه عنه ، وظن أن في ذلك دفعه [عمّا توجّه إليه][3] فندب زين العابدين بن سعيد المنوفي من أهل مكة وكان استوزره يقعقع به على الحريبي وانتخب معه الخيل الجياد ، والرجل كرجل الجراد [فصار إلى معبر][4] وبذل المهدي لهم العطا كعادته ، وظن أن به استدفاع المقدار الكائن ووجّه في ذلك ابن ابنه علي الحسين المعروف بالأسود بالحدا، وغيرهم إلى «زراجة][5] وقدر أنّه قد كفي الشرّ بهم [وقضىٰ الحاجة][6] وكانت توجهت طلائع العَلَم من صنعاء لقتالهم وأوّل مَن بلغ نقيل يسلح السيد أحمد بن محمد الشامي بخولان يتَدبّر مكان من بمعبر وينظر إلى أحوالهم ، فلما عرف مَن بمعبر اتصاله بالنقيل توجهت الخيل والرجل عليه فبرز إليهم من النقيل إلى قاع جهران ، وهو يعلم أوراه

(١) ساقط من (ر).
(٢) في (د) زيادة هي قوله: «والتاريخ لحسين الحداد رجل من أهل صنعاء كان له تمكّن في نفس عد التاريخ والنظم للسيد عبدة الوزير».
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).
(٥) ساقط من (ر).
(٦) ساقط من (ر).

محمد بن علي بن الحسين بالشجعان وكان العَلَم جهّزه كما قدّمنا لقتال مَن بالمواهب ، فلما صار السيِّد أحمد بالقاع طمعت فيه المواهب وأبانت عن قتال شديد وثبت الجميع الثبات الذي ما عليه من مزيد ، وكادت المواهب تستأصل شأفة السيد أحمد الشامي فأغار عليه محمّد بن علي بن الحسين فلما رأىٰ أهل المواهب المظلّة تغزل ، والأجناد تنحدر من النقيل وتنزل ، ظنّوه العَلَم بنفسه فلما وافىٰ بغاراته ، فرجت كربة السيد أحمد الشامي وأعمل محمد بن علي فيهم سيفه فانقضت صفوف المواهب هُرَّاباً وقتل القتل الذريع ، وتفرّق شذر مذر ذلك الجيش الأجشّ ، ورجع زين العابدين المواهب بيومه وبان للمهدي أن رأيه فيه غير صالح ، ونظر فيمن رجع إليه فإذا هم بين مجروح وأسير ، ونفذ محمّد بن علي إلى ضوران ، وكان المهدي غفل عن حفظه أو تعذّر الإمكان ، ثم إن القاسم بن الحسين أرسل ولده الحسين في جنود لا تنحصر ومعه السيّد ناصر بن صلاح والفقيه عبد الله بن جميل والسيد محسن الشامي ، وغيرهم من رؤساء حاشد وبكيل ، وصار الجميع إلى محل بجهران يُقال له فتايل(١) فجرّد المهدي أولاده في الخيل الصواهل [وكل مقاتل](٢) وبرز المهدي بنفسه إلى ذي ماجد وثبت بها نهاره ردّاً لمن جرّده ، وكان معه الحريبي على شدّة خوف منه على نفسه فهو يعمل في الخداع ويبالغ في انتصار القاسم بن الحسين ، وكان الجيش الذي توجّه إلى فتايل قريب العشرة آلاف وأمّا الخيل فكالعارض الوكاف ، فكان بينهم وبين الحسين بن القاسم قتال هائل اختلطت فيه الرايات وانقضت ملحمة يضرب بها المثل وأغار محمّد بن علي من ضوران وكادت أصحاب المهدي تستولي ، واعتصم الحسين بن القاسم ومَن لديه بالقرية وأحدقت به الأجناد المهدوية ، وضاق الخناق ،

(١) قرية من عزلة علو جهران ناحية معبر قضاء آنس.
(٢) ساقط من (ر).

وعظمت القضية فكان من الألطاف السارية وإقبال الدولة العالية أن خامر أصحاب المهدي الفشل، وباعوا الظفر بعد العشا في ذلك المحل، وكان المهدي أمرهم بالثبات والبيات، وطلب الجَمَّال يوجّه إليهم العشا، فتباطأ مقدمه بالجمال، ولم يأتِ بها إلاّ في الصباح وقد رجع القوم فلمّا سمعها المهدي، قال له: إلى الآن لأقتلنّك قتلة ما أحد قتلها قبلك فكان ﴿آخر العهد به وانفلت من الشرك وكان الحريبي دَسَّ إلى أولاد المهدي مَن يخوّفهم المبات بتلك الليلة، فعملوا بقوله وتمّ له ما أراد من الحيلة، فما كان لهم همّ إلاّ بالرجوع، وأنشط الحسين بن القاسم من عقال فتعقب فيهم والسّيف يعمل ولو أن أصحاب المهدي باتوا ليلتهم على فتايل ظفروا مع الصباح بالكنز الحاصل، وكان المهدي حبس ولده يوسف وتركه بداره البيضاء في القيد، وكان إخوته ألّبوا عليه بالميل إلى القاسم بن الحسين وبذلك عزله عن بلاد ضوران وأمّا محمد بن الحسين بن عبد القادر، لما تجهّز من صنعاء هو وعبد الله بن طالب مع تجهيز الحسين بن القاسم إلى «زراجة» وكان بها كما قدّمنا علي بن الحسين الأسود في الحدا وعنس وحالهم في اللين، كما عرفهم الناس فَتَظاهر بالقتال بهم فواق ناقة وانكسر وإلى الفرار شمّر الهمّة، وتفرّق ذلك الجمع شذر مذر، وطوىٰ تلك الفيافي على جناح طائر من شدّة الخوف والحذر، فدخل عبد الله بن طالب ومحمّد بن الحسين زراجة وطرحا بها، وقد واجه إليهما من قبائلها مَن واجه.

وفي هذه الأيّام بايع محمد بن إسحاق وأصناه للمنصور وقبض الحسن بن إسحاق معشر المخا واستعان به على هذه الأمور وكان الحسن بن إسحاق بتعز عاملاً من قِبَل المهدي ومحمد بن إسحاق بوصاب الأعلىٰ وصنوه يحيىٰ بالأسفل، ولما بايعوا بثّ محمد بن إسحاق الدّعاة إلى سائر اليمن ووجّه صنوه يحيىٰ إلى زبيد ونفذ منها إلى بيت الفقيه

ووجّه القاسم بن الحسين مَن لديه مِن محروس صنعاء سعيد الكامل ، وأمره بمعاضدة يحيىٰ بن إسحاق ، فتعاونا جميعاً ، وكان العامل ببيت الفقيه من جهة المهدي حيدر شاوش ، فحاصراه في القلعة واتّفق بينهما وبين حيدر قتال هائل لم يسمع بمثله في الأوائل وأقاما على ذلك شهر وحيدر في القلعة ، فلما انقطع دونه كل سبب استسلم إليهما وشرط عليهما مسيره إلى صنعاء فوفيا له بالشرط ووجّه محمّد بن إسحاق صنوه عبد الله بن إسحاق إلى العدين ، فواجهت إليه البلاد كلّها وأبعد عنها عامل المهدي بن مغلس ، وفي خلال ذلك اجتمعت الحجرية مع عبد الله بن صالح الحريبي لحرب الحسن بن إسحاق وهو بتعز ، فأمدّه صنوه عبد الله بغارة فأفرج عن أخيه ونصرهما الله عليهم ، فردّوهم في الطريق التي سلكوا فيها ، ووجّه الحسن بن إسحاق السيِّد حسن بن قاسم المحرابي إلى شرعب[1] فقبضها وقَدِمَ محمد بن إسحاق صنوه أحمد إلى إبّ وجبلة فوجّهه إليه حبيش والمخادر مع إبّ وجبلة ، وطردوا عمّال المهدي ، ووجّه أيضاً صنوه الحسين بن إسحاق إلى عتمة فاستولىٰ عليها وعند هذه الأمور والانفعال انفتحت جميع البلاد وكادت تقرّ السيوف في الأغماد فإنها واجهت حفاش وملحان وحراز والحيمة والجبى وريمة إلى القاسم بن الحسين فتوجهت منه إليها العمّال وهكذا واجهت إليه يريم وأرسل إليها عاملاً يحيىٰ بن الحسن بن المتوكل وهو الحكيم فبدرت من ابن عامر أحمد الخيانة بسبب رفع يده عنها ، فكان منه المكاتبة إلى المهدي والتحسين له في الإرسال إليها فوجّه من أجناده إليها فكان بينهم وبين يحيىٰ بن الحسن عامل القاسم بن الحسين حرب ضرير واستولىٰ جند المهدي عليها ولما دخل إليها جند المهدي انتهبوها وبالغوا في موبقات ارتكبوها ، وفي خلال هذه الأيّام هرب يوسف بن المهدي من داره البيضاء

(١) ناحية معروفة من بلاد تعز تضم عدّة عزل.

بذمار ، لما أنذره صنوه الصادق لما صار فيه إخوته مع أبيه ، فصانع المترسم عليه وذهب في الليل منسلاً على طريق ضوران ، مع جماعة فلحق به المترسّم والمقدّم ، ولما بلغ المهدي هربه أمر إخوته المطهر وإسحاق بنهب داره واستئصال ذخره ، فذهب عليه بأيديهم ممالك لا تحصىٰ وتبعه بالهرب علي بن الحسين الأسود ، وكان رأىٰ جفوة بعد انكساره [من زراجة][1] كما قدّمنا ولما وصل يوسف بن المهدي إلى القاسم بن الحسين ، أكرم مثواه وعزّز جانبه ، وكان هربه إليه مندوحة إليه أذكرته بما تقدّم فإنّ يوسف بن المهدي لما غضب والده على القاسم بن الحسين ، وسجنه بقصر ذمار ، وكان يوسف عاملاً في بلاد ضوران لوالده ، قرّر القاسم بن الحسين في الشهر خمسين حرفاً أحمر ذهباً وتتابع خروج الناس من المواهب إلى صنعاء .

وفي هٰذه الأيام أظهر علي بن هادي حبيش المفاوتة ، وقصد المواهب فاغترّ به المهدي وظن أن الفرج له يكون على يده ، فأمدّه المهدي بالأموال والنفائس ما كان لا يخطر له ببال ، فلما أحرز الجميع ، أوهم المهدي توجّهه إلى قتال جند المنصور ، والعَلَم الذي هي حاطّة على المواهب ، ولما بعد عن المواهب قليلاً عدل عن طريق زراجة إلى طريق يخلص بها إلى بلاده من أطراف خولان ، وقال: هذا بذاك ولا عتب على الزمن ، وعندما بلغ المهدي أيس من الناس ، وما علم أن ابن حبيش جرحه لا يندمل على أخيه ، وصار ابن حبيش إلى المنصور .

وفيها وجّه المهدي سعيد بن صالح مغلس بمال جزيل يستدعي له المشرق ، وذلك لما أيس من جهة القبلة فتقدّم سعيد مغلس وجاءت طريقه إلى رداع وبها إبراهيم بن الحسين عاملاً من قبل المهدي ، فعرف أنّه إن ترك ابن مغلس يدخل يافعاً كانت أوّل الدائرة عليه ، فقبض عليه

---

(١) ساقط من (ر).

وما جاء به من الأموال ، وكان له الهدية الباردة ، وعاتبه المهدي على ذلك لأنه كان محسن الظن به فردّ عليه الحجة وقال: أنتَ الذي دعيت المشرق إلى نهب رداع .

وفي سنة ١١٢٨ قدم المهدي أجناده إلى العليب ورصابة ، بعد أن أخذ أصحابه ما في منقذة ، من السقوف والأبواب ، وحملوها إلى المواهب ، وتركوها خرابة ، وكانت الخيل التي أنفذها متوفرة والأمداد معها متكاثرة ، وبعدما استقرُّوا برصابة والعليب ، خرج مركز عبد الله بن طالب ، ومحمّد بن الحسين من زراجة للتمشِّي ولا أرب لهم ذلك اليوم في القتال فَتَفرّقوا ، ولم ينضم بعضهم إلى بعض ، وإنما كان المقصود معرفة قدر الجميع ، فتوجّه نحوهم مَن بالعليب من جند المهدي لما عرفوا أنّهم على غير أُهبة ، وما كان يخطر ببال مَن برازجة إقدامهم عليهم فما وسع غير الانهزام حتى بلغ الأول إلى القبّتين ولم يثبت إلاّ نفرٍ قليل مع الأميرين عبد الله ومحمد خلصوا بهم الاجتهاد إلى زراجة وتحصّنوا ببيوتها وقالوا إن هي إلاّ إحدىٰ الحسنيين إمّا الظفر أو الشهادة ، وكان الحصان كبا بمحمد بن حسين مرّتين سقط في أحدهما عن ظهره ولولا ألطاف الله كانت القاضية وأحاطت أجناد المهدي بزراجة من كل جانب ، ورموهم بالمدافع وأسروا من أصحاب محمد بن حسين جملة منهم عمُّه أحمد وصنوه علي وغيرهم من الكبراء وقادوهم في الزناجير إلى المواهب ولازموا الحصار لزراجة من نهار الخميس إلى صباح الجمعة فما شعر مَن في زراجة إلاّ وقد رجعت عنهم جنود المواهب إلى مطارحها ، وتفرّقت عنهم تفرّق الطَّير في مسارحها لا لسبب يوجب ذلك وإنما بالانقضاء تعمي المسالك وثبت فيها عبد الله بن طالب ، وقتل منهم قتلاً ذريعاً وفي أثنائها غزا المهدي بنفسه إلى قرية شاد من الحدا فأخذهم أخذة رابية [واحتجّهم بالميل عن حرب مَن بصنعاء][1] .

---

(١) ساقط من (ر).

وفيها انتقل عيال المهدي من رصابة والعليب إلى صنعة[١] ثم منها إلى ذمار ، وعندها أرسل المهدي الفقيه محسن بن علي الحبيشي ، الذي كان وزيراً له إلى حضرة القاسم بن حسين وسعيد المنوفي ، وأمرهما بالخوض في صلح باطنه المخادعة التي لا تخفىٰ ، ورام بهذا الإيهام تفتير العزيمة فإنه بعد نفوذهما بلا فصل جهّز ولده المطهر وأولاد ولده المحسن وعبد الله بن يحيىٰ بن الحسين ، وأحمد وهيب ومحمّد بن قاسم لقمان ، وأصحبهم جملة من الأجناد والخيل ، وصاروا من المواهب إلى المخادر ، فنهض إليهم أحمد بن إسحاق بن المهدي وصنوه عبد الله من العدين فاتفق بينهم حرب واستطال بينهم العراك ، وذهبت نفوس وانجلىٰ عن جند المواهب بالطّالع المنحوس ، وكان النّصر لحزب المنصور ، وأسرُّوا أصحاب المهدي أميرهم ، والمأمور ، وغنموا جميع ما كان معهم من الخيل والسلاح ، ثم قيّدوا جميعاً تحت الحفظ والأسارِ إلى حضرة القاسم بن الحسين إلى صنعاء فلمّا وصلوا إليها أفرد بيت الإمام إلى مكان عينه بالقصر لحبسهم ، ولم يوصل بهم إلى مقامه في ذلك الحال ، ووصل ابن لقمان وأحمد وهيب وغيرهما من الأمراء في الزنجير إلى باب الدار ، وابن عامر أحمد وعلي مصطفىٰ وأبو شنب معهم ، فاجتمعوا بباب ديوان الحرض[٢] ليراهم الناس وبنىٰ العَلَم على التجاوز عنهم وكان ينظر إليهم من حيث لا ينظروه فسمع من علي مصطفىٰ كلاماً أحفظه فانضاف ذلك الكلام إلى سوابق [إجرام][٣] لديه فبرز العَلَم فأمر بضربه العنيف بالأخدام ، ووضع المرفع على رأسه وطيف به أرباع مدينة سام ، وهكذا فعل بابن عامر أحمد صاحب يريم وضربه المرفع على رأسه بذلك الذنب القديم وأطلق الباقين من الزناجير إلى السجن أيّاماً وعطف عليهم وخوّلهم إنعاماً .

---

(١) صنعة : بلدة من قرى بلاد آنس من عزلة سفل جهران ناحية معبر جهران .

(٢) ديوان الحرض : بناء كان بالقرب من قصر السلاح وقد اندثر .

(٣) ساقط من (ر) .

وفيها أمر العَلَم جميع الأمراء الذين جهّزهم بالتقدّم لحرب المواهب وجهّز صنوه العبّاس بن الحسين في خيل ورجل واجتمعت المحاط كأنّها الجراد المنتشر فنهدت إليها في أوّل رمضان وأسير الأمراء محمّد بن الحسين صاحب كوكبان ، فكان مطرحه بمسعدة والعبّاس بن الحسين بهران والحسين بن القاسم بن الحسين في حيد ليوان ، وعبد الله بن طالب والسيد عبد الله الكبسي بهجرة ذي غبب[1] ومحمد بن علي بن الحسين في ذي ماجد[2] وأحمد بن إسحاق المهدي في ذمار ، وكذلك بعد طلوعه من المخادر بعد أخذ أولئك الأمراء ، وانضم إليه الرَّضي صاحب الصَّيد ، ولما أحدقت هذه الأجناد بالمواهب ، فتح الحرب على المهدي من جميع الجوانب ، وكان أوّل حرب جرىٰ بينهم يوم الثلوث عاشر شهر رمضان ولم يحجز بينهم إلّا الليل ، بعد أن ذهب أرواح ، وتبعه حرب يوم الخميس ثاني عشر ما برح به الجلاد حتى بدت أعلام الصباح وانتشر وطلب مَن بالمواهب الصلح من شدّة الحرب فلم يتم قول فيه ولا حصل الإمهال ، وتبع هذين الحربين حرب يوم الاثنين ، وهو أعظمها وأشهرها أغرست فيه السيوف بالهام ، وظهر فيها من الفريقين كل مقدام [وآيس بالمواهب من الفرج واعتصموا بالأسوار وضاق بهم الحال وخابت الآمال وقلّت لديهم][3] الميرة وصعب حمل الماء وشدّدت عليهم المحاط [في تضييق المسالك][4] وما كان لهم غير الرمي بالمدافع فطلب المهدي الصلح من القاسم بن الحسين فأرسل إليه الحسين بن علي بن المتوكل والشيخ سعيد المنوفي فجنح إلى الصلح وبايع المهدي المنصور على يديهما ، وخلع نفسه وحقن الدماء ودخلت عينه كل أمير لحضور صلاة الجمعة التي دعا

---

(١) هجرة ذي غبب قال الحجري: قرية خارجة بالقرب من المواهب من مخلاف منقذه.

(٢) من مخلاف منقذة كسابقتها.

(٣) ساقط من (ر).

(٤) ساقط من (ر).

فيها خطبة للمنصور، وكان ذلك في أوائل شهر شوّال، وقرن ببيعته بشروط تمضي له في الحال أطلقها المنصور، والشروط منها: إقطاع خبان(١) وولاية ريمة وبيت الفقيه، ومعظم محصول اليمن منها على الدوام ولم يرَ القاسم بن الحسين الوفاء له بالجميع لنظر سديد، وأمر من التجويز يعرفه غير بعيد فإن المهدي إنما أراد الجمع لمحصولها والتقوّي به ثم يثور وهذا الذي منع القاسم بن الحسين عن الانطلاق في الجميع، ولو علم منه عدم الانقلاب ما بخل عليه بها، وإنّما فكّ بالبيعة عن نفسه الحصار، وبعد البيعة ارتفعت عنه المحاط وزال الحطاط، فصار الحسين بن القاسم وصحبته محمد بن علي إلى ذمار ورجع محمد بن الحسين إلى صنعاء، ثم نفذ كوكبان وأحمد بن إسحاق رجع إلى اليمن وتقوسمت البلاد بعد هذا، فكاد للقاسم بن الحسين الحديدة وحيس ولحج وعدن والمخا، وبلاد صنعاء أجمع واللحية والزيدية وأبو عريش وحجّة وكحلان وعفّار مع الشرفين والسّودة إلى جناب المنصور، ولمحمد بن إسحاق وأصناه ما ثبتوا عليه والنَّظر المطلق في جميع البلاد للقاسم بن الحسين، والرجوع إليه لكونه الحامل أعباء التّكليف والمطلق له التفويض من المنصور، ومع هذا الوفاق والاتفاق سكنت الدهماء بعض أيّام وجادت السماء [بغزر الأمطار ورخصت الأسعار وبلغ السعر في الانحطاط إلى غاية لم يعهد من قديم الزمان وشريت العشرة الأقداح الطعام بقرش في بعض المحلّات](٢) ونمت البركات وشملت الخيرات والى تنحي المهدي عن الخلافة أشار علي بن صالح [بن أبي الرجال] مؤرِّخاً وواصفاً الحال بقوله شعراً:

عجباً للدهر من حالاته ... لم يزل للناس في خدع وشين
ملك المهدي حتى أنّها ... عظمت دولته في كلّ عين

---

(١) جنان: وادٍ مشهور من أعمال يريم وبه سمّيت ناحية جنان.
(٢) ساقط من (ر).

[وأتـانـي قـائـلاً فـي خـلعـه قلت للقائل هـذا القول مين](١)
قـال لا والله قـد أرّخـتـه خلع المهـدي بقـاسم وحسين

ومع ارتفاع محمد بن الحسين من مسعدة أوفد المهدي ولده إبراهيم صحبته إلى حضرة القاسم بن الحسين وأمره بأداء واجبات موجبات الطّاعة وأخذ العهد على محمّد بن الحسين أنّه متىٰ قضىٰ ما ندبه فيه ، رجع على الفور إليه وأنّه لا يسمح بمفارقته ، ولا يركن في أموره إلّا عليه ، ولما صار إبراهيم إلى صنعاء لم يطمئن به المكان ، ورجع في الباطن من الحركات إلى مثل ما عليه كان ، فـرجح العلم في تثبـطه ، ومع كمـال استقامـة المهدي يلتفت إلى التمام في شروطه ، ورأىٰ صـلاحاً في حبسـه بعض ليالٍ كما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ وللتّعريف أن العهد غير القديم وهو مع ذلك على كمال التكريم والحال المستقيم .

وفيها وجّه المنصور إسماعيل بن موسىٰ بن المتوكل وصنوه إلى ولاية أبي عريش وعبد الله جميل من قِبَل العَلَم إلى المخا ، ولم تطل به الأيام وأمَّر المنصور سرور فقيه على اللحية ، فتولّاها ، وأراد المهدي قبض ما شرط له في البلاد فرجح العَلَم القاسم بن الحسين ، إنفـاذ البعض منها لرأي فيه السداد ، فكان ذلك أوّل المحاقِ والتفاوت بينه وبين أولاد عمّه إسحاق لأن العَلَم القاسم بن الحسين كتب إلى المنصور رفع يد يحيـىٰ بن إسحاق عن بيت الفقيه وريمة [ويرجع هو وسعيد الكامل وعامل ريمة لتتم الأمور ، فرفـع المنصور يحيـىٰ بن إسحـاق عن بيت الفقيه وقـابل أمـره بـالامتثال ، وسـارع بالنفـوذ إلى تعز حضـرة صنوه الحسن بن إسحـاق ، فاستولىٰ سعيد الكامل على بيت الفقيه وزبيد ، ولم يرتفـع بعد التـأكيد ورجعت عمّال المهدي الذي كان أنفذهم إلى بيت الفقيه وريمة](٢) على

(١) ساقط من (ر).
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ر).

البريد وكان المهدي جعل الواسطة بينه وبين المنصور محمد بن إسحاق وأراد أن لا يكون للقاسم بن الحسين فيها يد لما سبق في علم الله من الشقاق ، وطلب القاسم بن الحسين من المنصور ، رفع يد أولاد عمّه بني إسحاق من اليم وأشار إليه أن في ذلك التئام الحال ثم إن القاسم بن الحسين وجّه يوسف بن المهدي إلى بلاد إبّ ، وجبلة عاملاً بها فصار إليها في جملة من الخيل والرجل ، ثم بدأ للعَلَم القاسم منه حركات دلَّته على طلبه الاستبداد ، فآل الأمر إلى ما سنذكره قريباً .

وفيها طلب القاسم بن الحسين الاتفاق والاجتماع بينه وبين المنصور ، فاستشار المنصور مَن بحضرته فشوّشوا عليه وجاءت إليه الكتب من صنعاء ، ممّن يؤثر الفتنة ويحب إشعال نارها مضمونها التحذير الكلّي من الاتفاق ، فعملت هذه الأقوال لديه ، فاعتلّ المنصور على القاسم بن الحسين أنّه ينهض إليه بحاشد وبكيل ، ويحتاج مع ذلك إلى الدقيق والجليل [وإن في ذلك موجبات التراخي إلى أن يستمد من البلاد ما يحتاج حاشد وبكيل ، ومع حصول ذلك يتم الاتفاق][1]وكان هذا بشور من أصحابه ، وقال: إن أجاب القاسم بن الحسين ، وأطلق اليد جمعت رؤساء حاشد وبكيل ، وصرت إليه وساعدك الأشدّ ، وإن لم يسعد بالانطلاق ، تمهد العذر يوم الاتفاق ، ولما عرف القاسم بن الحسين ، واطّلع على هذا الجواب علم أن دون الاجتماع ذئاب ، وأعاد الجواب بمشاكلة التعليل ، وتقرَّر عنده أن الاتفاق مستحيل ، فرجح المنصور عند ذلك الانتقال من حوث إلى شهارة ، وعندها وجّه القاسم بن الحسين عن مفاوضة المنصور القاسم بن أحمد بن المؤيد إلى بلاد الشرف ، وناط به عصابة من حاشد وبكيل ، منهم الأحمر ، لإصلاح أمور ما لها طرف منها أن وادعة تغلَّبت على أكثر البلاد ، ومنها أن أهل الخبوت منعوا عن تسليم

---

(١) ساقط من (ر).

الحقّ للمعتاد ، ومنها التخفيف لمن اجتمع لديه بشهارة ، ومنها تقاصر الحال .

وفيها أطلق عامل المخا من جهة القاسم بن الحسين الحسن بن إبراهيم المحبوس من جهة المهدي في ترسخان ، ولما وصل صنعاء قُوبل بالتكريم والإحسان .

وفيها فتح المنصور دار ضرب بشهارة واستمر العمل فيها تارة فتارة وأذن لمحمّد بن الحسين في فتح دار ضرب بكوكبان ، فكان بسببها ارتفاع الصرف لركاكتها وكثرة النحاس .

وفيها أضاف المنصور إلى محمّد بن الحسين مع كوكبان بلاد حفاش وملحان ، ورأىٰ ذلك من التدبير .

وفيها عيّن المنصور دفعة الصلبة لمن وفد إليه من آل الإمام ، وكذلك صرف فيهم صوافي حجة وعفار ، وحصل فيها من البركة ما لا يستطاع .

وفيها ثارت حفائظ آل إسحاق بن المهدي لرفع صنوهم يحيىٰ من بيت الفقيه ، وعدم الوفا بإنفاذ ما شرط لعمّهم المهدي ، وتقرير عامله فيه فتقدّم يحيىٰ بن إسحاق لحرب يوسف بن المهدي بجبلة ، وطرح عليه في العميق[١] ثم إن يوسف بن المهدي اضطربت أحواله ، وصلح مع أولاد عمّه إسحاق على مباينة القاسم بن الحسين وعدم انعماله ، وكأنّها أخذته الحميّة على أبيه ، فوجّه إليه القاسم بن الحسين صاحبه الحاج سعد **مجزبي** ، وكان مسلّطاً عليه ، فخوّفه العواقب ، وما زال به حتى أخلف عيال عمّه إسحاق ، ما وعدهم ، ورجع إليه ثم تلافىٰ أمره ، ورجع القاسم بن الحسين إلىٰ صنعاء ، وكان لديه بجبلة جملة من الخيل

---

(١) قلت: لعلّه جبل عميقة عزلة من ناحية حبيش قضاء المخادر.

والرجل ، لكن ضعف عزمه عن الثبات ، ولما وصل إلى صنعاء ، أكرمه العَلَم ، وجعله مكانه باليمن ولده الحسين بن القاسم ، فكان له بها ذلك المكان ، نِعمَ مقام بتلك الأيام ، وكان محمد بن إسحاق وَجَّه صنوه أحمد ويحيىٰ بن طالب ، إلى العدين فاستوليا عليها وأخرجا عنها عمّال القاسم بن الحسين بعد حروب سالَ منها ، وزلّت القدم ، وكان القاسم بن الحسين وجَّه لأخيه حسين القطابري إلى العدين ، وتقدّم السيِّد المذكور ، ومضت أحكامه فيها فاستمال الحسن بن إسحق قبائل العدين بكتب حتى أفسدهم عليه ، فاضطر القطابري إلى الخروج عنها ، ورجع عبد الله بن إسحق ، وثم طلع بأهل العدين لحرب الحسين بن القاسم فصار إلى ذي جبلة وانتهب الذّعار[1] بعضها وتحيَّز الحسين بن القاسم إلى إبّ ، وكتب إلى والده فأمدّه بالأجناد ، ووصل جناحه بالسّيد حسين بن يحيىٰ الأخفش ، والسيد محسن بن محمد الشامي بجيش أجشّ ، فتأخّر عبد الله بن إسحق إلى تعز بعد حرب جرىٰ بينه وبين الحسين بن القاسم ، ونفذ السَّيد محسن الشامي إلى العدين وتقدّم السيد حسين الأخفش إلى الجند وحصل من الحروب بين الجميع ما سيأتي ، ومع هذه والمراجعة بين القاسم بن الحسين والمنصور دائرة والفتنة بغير إرادة المنصور ثائرة وألحّ عليه القاسم بن الحسين في رفع يد أولاد عمّه آل إسحق من البلاد التي الشِّجار عليها وتابع العَلَم الإرسال إليه في ذلك ، وذكر أن في رفع يد الجميع حسم مادة الشِّجار فوجّه المنصور السيّد إبراهيم بن عبد الله ابن أمير الدين وقاضيه أحمد بن محمد العفاري وأمرهما بالنفوذ إلى ريمة والعدين لرفع العمّال من الجهتين ، فصارا إلى القاسم بن الحسين فآنسهما وأصحابهما وأمر تقصّي انفاذ ما جاء به ونفذ من حضرته إلى حضرة محمد بن إسحق فبادر إلى رفع عسكره من ريمة ، ولما فارق

---

(١) اللصوص وما شاكلهم.

عسكره ريمة دخلها عسكر القاسم بن الحسين عن أمره في ما زعموا ، وكانت لهم الغنيمة ويُقال انه أشار على مَن بالعدين بالثبات على حالهم ، والتظاهر منهم في عدم امتثالهم ، فلما لم يتم الرفع من جهة القاسم بن الحسين قلق المنصور من عدم النفور وتألّم فأظهر القاسم بن الحسين فاصلة الأمور وأباح إذا بالسرّ المستور ، وأرسل السيد أحمد بن عبد الرحمٰن والمحسن بن المؤيّد ومن جملة الرُسل إلى المنصور محمد بن عبد الله بن الحسين والشيخ أحمد بن حسن بن الحاج ، والحسن بن المؤيّد ، وغيرهم من الرؤساء وطلب منه رفع يد أولاد إسحق على الإطلاق . وإذا لم يرفعهم أدّىٰ إلى الشقاق ومما احتجّ به على المنصور أنّه الفاتح للبلاد وإن الشرط بينهما التفويض في البلاد وأنّه يتصرّف كيف ، فلم ينعمل المنصور لهم بحال .

ولم يسعد إلى شيء مما توجّهوا منه إليه ، ولم يقابل الجميع بغير الانقباض وأصدقهم أنّه لا يرفع يد آل إسحاق بحال وأنّه مجتهد معهم في القيام وباذل في نصرتهم نفسه ، فلما أيس القاسم بن الحسين عن دفعهم جمع رسله والعلماء بحضرته ، وكان خاض مع محسن بن المؤيّد وغيره في خلع المنصور ، واحتجُّوا عليه بأمور منها [تصدّر منه النفائع بالقرو ومنها:][1] العجلة المؤدية لهلاك النفوس ، ومنها التصميم في الأمور وغير ذلك من التعلّلات ، ولما جزم القاسم بن الحسين على خلع المنصور ، عقد مجلساً وطلب الأعيان إليه ، وقال: أنا سيف مَن تجمعوا أنتم والمحسن بن المؤيد عليه ، ووجّه الخطاب[2] إلى يوسف بن المتوكل ، وقال له: أنت المرجع عند المشكل فقال حيث قد تقلّد الصنو محمد بن عبد الله ، والولد محسن بن المؤيد بقصور المنصور الموجب خلعه ، فنحن

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) في (ر) كلامه.

لهما مقلّدون [وبهما مقتدون][1] وأمّا أنا فلا طاقة لي بهذا الأمر العظيم ، وقد مضىٰ من الاستحقاق لي في العصر القديم ، وإنّما الصنو محمد بن عبد الله أهل لذلك ، وهو الآن أنشط للانتهاج في هذه المسالك ، فقال محمد بن عبد الله : أنا أتحمّل هذا الأمر العظيم إذا كنتم لي عوناً وظهيراً[2] فأخّر القاسم بن الحسين الخوض إلى غد ذلك اليوم ، ولما بدت تباشير الصباح أحضر القوم فخاض الجميع في ذلك المرام فقال المحسن بن المؤيد لا يرضىٰ بغير القاسم بن الحسين إماماً فهو الأنهض للمسلمين والعارف بأحوال الدُّنيا والدِّين ، ثم اجتذب يده فبايعه فاقتدىٰ به مَن حضر في المجلس ولم يراجعه .

وقد شرحنا بعدما كان بعد هذا في أخبار دولة المتوكل ، فليراجع من هناك ففيه الإيضاح لهذه المسالك .

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

القسم السابع من طيب أهل الكسا
في أخبار دولة المتوكل[1]
على الله

(١) هذا القسم هو عبارة عن سيرة المتوكل القاسم بن الحسين وهي المسَمَّاة بأقراط اللجين في سيره المتوكل على الله القاسم بن الحسين منه نسخة مخطوطة بمكتبة المتحف البريطاني.

بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم

قال مؤلِّف هذا التاريخ ، هذا القسم السَّابع من طيب أهل الكسا في أخبار دولة المتوكّل على الله القاسم بن الحسين بن المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم أعاد الله من بركاتهم ، قد اندرج من أخباره جملة في أيّام إمارته بدولة عمّه المهدي صاحب المواهب ، وإنّما نذكر هنا أخبار خلافته ومقدماتها وعلاماتها بقية أخبار سنة ١٠٢٨ ثمان وعشرين ومائة وألف في أُخرياتها نفذ عزم المتوكل في الدَّعوة إلى نفسه بعد تردّد الرُّسل بينه وبين المنصور الحسين بن القاسم بن المؤيد كما قدّمنا ، وكان آخر الرُّسل إليه محمّد بن عبد الله بن الحسين بن القاسم فلم يتلقّ ما جاء بقبول فرجع إلى المتوكل بصدق الخبر وحثّه على خلعه وهو ممّن قام في إقامته ، وربما طمع يبايع له المتوكل ، وكان من أعظم ما أوجب على المتوكل في القيام السيد الحاكم بصنعاء مهدي بن الحسين الكبسي ، فبايع للمتوكل الناس ولم يتأخّر عن بيعته ممّن يعوّل عليه أحد إلاّ آل إسحاق بن المهدي ، فامتنعوا عن إجابته وثبتوا على بيعة المنصور وهكذا السيد علي بن يحيىٰ لقمان . والسيد الزاهد صلاح بن الحسين الأخفش ، وكذا يوسف بن الحسين امتنع عن البيعة لأخيه أيّاماً لكنّه من بعد بايع ، وكان محمد بن الحسين بن عبد القادر بكوكبان متولياً عليه من جهة المنصور ، فسارع في البيعة للمتوكل ولم يراعِ ما كان بينه وبين المنصور ، وجرىٰ على الامتناع المهدي صاحب المواهب ، ولكنّه بايع للمتوكل من بعد لما

أعيت المذاهب ، ثم إن المتوكل بعد الدعوة ضرب الدراهم باسمه ، ولما تمّ خلع المنصور اختلّ النظام لديه وتقاصرت الأمور وجنح الإقبال على المتوكل واستوثقت أموره وامتدَّ على الآفاق ، ظهوره ثم إن المتوكّل وجّه السيد حسين الأخفش أحد أصحابه إلى حرب الحسن بن إسحاق بتعز وصار إلى الجند ولبث به أيّاماً ، وتقدّم إلى تعز فحصل بينه وبين الحسن بن إسحاق حرب لا يُطاق ، وتَمّ التغلب فيه للحسن ، وانهزم السيّد حسين إلى إبّ وأسر من أجناده فوق الألف من جملتهم حيدر شاوش الذي صار من بعد من خواصّه وقتل معه في حرب التبة[1] ووجّه محمد بن إسحاق وهو إذْ ذاك منتمٍ إلى المنصور صنويه عبد الله وأحمد في مناجزة السيِّد الأخفش بعد أن رجع من إبّ إلى صهبان[2] وأراد معاودة حرب الحسن بن إسحاق بعد ذلك الانكسار فوقع بينه وبين أحمد بن إسحاق حرب كسره فيه ثانية إلى إب وقصد عبد الله بن إسحاق السيد محسن الشامي الحَصَبانين[3] فكسره الشامي وأسرّ من أصحابه جملة ، وكان الحسن بن إسحاق خرج من تعز في أهل الحجرية وغيرهم في قصد السيد محسن الشامي إلى موضع يعرف بالتبة من أعمال شرعب ، وكان خروجه من تعز نسب إلى عدم التدبير فانحطّ عليه السيد محسن الشامي في خولان وغيرها من القبائل فاتفق بينهما حرب يشيب له الوليد واختلط الفريقان وقتل حيدر شاوش من أصحاب الحسن بمسجد اعتصم فيه بعد أن أبلىٰ فيه وأبان عن دها عمرو وشجاعة عنتر وبعد قتله تسلّم الحسن بن إسحق ومَن معه من الأمراء والأجناد وأرسل بهم تحت الحفظ إلى حضرة المتوكل . وكان الحسين بن المتوكل تلك الأيام من جهة والده مندوباً

---

(١) هي من شرعب كما سيأتي قلت ولعلّها التّبهة من مخلاف أعلا ناحية السلام قضاء تعز.
(٢) صهبان: ناحية من ذي السُّفال من قرب ذي جبلة.
(٣) الحصبانين هما حصبان أعلا وأسفل عزلتان من ناحية المسراخ قضاء تعز.

لحرب اليمن لما تمّ على السيد حسين الأخفش ذلك الانكسار غير مرّة فطلبه المتوكّل وتوجّه بالغضب عليه أيّاماً وكان الحسين بن المتوكل قد تقدَّم من إبّ مع تقدّم السّيـد محسن الشامي على حسن بن إسحـاق فلمّا تمَّ أخذه له صار إلى الجند في جيوش لا تلاقي ، فدخل تعز بعد أن خرج إليه خليفة الحسن عليها ، ولما وصل الحسن حضرة المتوكل أودعه دار الأدب هـو ومَن صحبتـه من أجنـاده وتـوجهت المحـاط المتـوكليـة على محمد بن إسحاق وهو إذ ذاك بوصاب ، فلم يتّفق بينهم وبينه قتال ، ورأىٰ الأصلح في التَّسليم عن مقاساة الأهوال وطلع إلى الحضرة المتوكلية فقوبل بالإكرام والتفت المحاط إلى حصار يحيىٰ بن إسحاق وقد كان انحاز إلى عتمه فجرت بينه وبين أصحاب المتوكل من الحروب ، ما دلّ على ثباته وهمّته وحفظ نفسه أيّاماً فاضطر بعـد ذلك إلى التسليم ، وجيء بـه إلى المتوكّل فاستلب أصحابه وانتهب وأمر به سريعاً إلى دار الأدب ، وصفى اليمن للمتوكل جميعاً والدُّنيا لمن غلب ، ثم إن المتوكـل تجرّد لحـرب المنصور وشنّ عليه الغارات ووجّه الخيل والرجل إلى تهامة وجرّد لمباشرة الحروب سعيد الكامل وصـار إلى الغانميـة[1] وجرَّد المنصـور محمد بن أحمد صاحب البستان وصنوه الحسن ، وكانا صارا إليه من قبل هذه الفتن وهما من المنحرفين عن المتوكل لا لسبب ، وكان المنصور وجَّههما إلى حجة لما أحسَّ من ابن أخيه ما أحسّ ولم يتمّ لهما فيها مرام لأنَّ الشوكة فيها لابن أخي المنصور ، وقد كان في الباطن مخادعاً لعمّه ، فلما كان الأمر كذلك، وجّهه المنصور معهما ووجّه جماعة من آل المؤيد وغيرهم إلى تهامة ، وكذلك السَّيـد القاسمي ، من آل أبي عـريش وكان مقيمـاً عند المنصـور فلمّا صـار من بعث المنصور بـالزيـديّة تقـدّموا بـأجمعهم إلى الغانمية ، فحصل بينهم وبين أجناد المتوكّل حرب شديد ، وانهزم الجند

---

(١) بلدة من تهامة معروفة هناك.

المتوكلي وانجلت المعركة لأصحاب المنصور بالنَّصر ، وقتل من الفريقين ما لا يمكن له الحصر ، وبعد اتفاق هذه القضيّة رجع أصحاب المنصور إلى الزيديّة .

وفيها رجع حصن عفار إلى الجناب المتوكلي وطرقه الشيخ أحمد القارني ليلاً بعد أن عامل الرتبة فيه ولما بلغ المحنكي من أصحاب المنصور الاستيلاء على عفار أرسل في استنقاذه أحمد بن إسماعيل البرطي على جهة البدار وكان المنصور قدِم المحنكي إلى تهامة فعرض له أخذ عفار وهو بالطريق فقدمه إيثاراً للسَّلامة ، ثم صار إليه بنفسه فقبض مشايخ البلاد ، وحاصر القارني حتى نزل على حكمه بعد الصبر الشديد ، ونفاذ المواد فدخله عليه ليلاً في ثمانين نفراً من الأهنوم ، فما شعر القارني وأهل الحصن إلاّ وهو يدور به يطوف ويحوم ، وطلب القارني وأهل الحصن منه الأمان فخادعهم وقبض على القارني وأودعه الحديد وأنفذه إلى المنصور وحفظ الحصن عن الجانبين [لضمير له استكن في التامور وتظاهر بالتغلّب عليه من الجانبين][1] وبقي من الطاعة والعصيان بين بين ولما بلغ المتوكل ما اتّفق بالغانمية زفر زفرة الغيظ من الهمّة والحمية ، وبعث العساكر الجرّارة إلى تهامة ، [وجرّد الخيل المختارة][2] حتى اجتمع من عسكره ببيت الفقيه فوق عشرة آلاف ، ومن النخيل جملة وافرة فتقدّم بهم سعيد الكامل إلى الضّحىٰ[3] فعثرت تلك الجموع تعشيرة ارتجّت لها الأكوان ، واتّفق أصحاب المنصور على غزوهم من الضحىٰ إلى الزيديّة ، وكان علي بن هادي حبيش وصل من حجّه قائداً لهم خلال القضيّة ، فعند انفصالهم من الزيديّة ، نظروا في جملتهم فإذا عددهم ما يبلغ خمسمائة

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) الضحى: بلدة من وادي سردد جنوبي الزيدية.

نفر ، والخيل نحو عشرين عناناً لا طاقة لهم بجند المتوكل ، فعزموا على التقدّم في أي حال كان وقعقعوا [على مَن فيه](١) بالأصوات الثخان ، وسترهم الليل عن عرفان مَن بالضحىٰ وقطع أصحاب المنصور أن أقدامهم [بالمغزىٰ في](٢) الليل من كثرتهم فخالطوا أصحاب المتوكل والظلام قد مدّ رواقه فما كان غير الطعن بالجنابي ، وانهزم الكامل فيمن معه إلى بيت الفقيه ، وانحاز من أصحابه نحو خمس عشرة مائة نفراً إلى قلعة الضحي ولم يبق لهم حركة على كثرة الجمع الذي هم فيه ، ثم تسلّموا جميعاً وسير بهم على تخوّف منهم إلى الزيديّة فانجلت المعركة عن ستمائة قتيل ملئت بهم الأندية . منهم قائدهم علي بن هادي حبيش برصاصة أصابته ، وما عرف بقتله إلّا في اليوم الثاني ولا يعرف على الحقيقة قاتله ، ويُقال إن سرور فقيه عامل فيه من أجل حوالات له عليه من المنصور [ولو عرف الذين بالقلعة من أصحاب المتوكل قلة أصحاب المنصور كانوا لهم الغنيمة الباردة ولما تمّت إلى المتوكل هذه القضية وما ذهب بالضحىٰ من القتل مع كثرة المحاط](٣) أعمل همّته العالية ودبّر في سدّ الفتوق من كل محل ، فاستمال زيد بن علي حتى والاه وخلع عمّه وناواه ، ولمّا صار إلى المتوكل أحسن نزله وأكرم مثواه ، وفاء معه عيال الحسن بن القاسم صنو المنصور ، وكانا هربًا إليه فقابلهما المتوكل بالتكريم ، ثم إن سرور فقيه صاحب اللحية ، والعامل عليها من قبل المنصور ، خلع المنصور ، وكان لا يظن به ذلك ولما ظهر لأصحاب المنصور منه الميل عن جنابه أجفلوا إجفال النعام من التهايم وتركوها أفرغ من فؤاد أمّ موسىٰ ، ووصلوا إلى المنصور وتخوّفوا من سرور فقيه ، وأنّه أساء إلى السّيد القاسمي ، فإنه صار إلى سرور فقيه ، وربّما كان البناء على ذلك بينهما من قبل [ولمّا ظهر

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) ساقط من (ر) وقد اختصره بقوله ولما عرف المتوكل بما تم في ذلك.

للمنصور انقلاب سرور فقيه أمر الفقيه محمّـد بن علي الجملولي والسيّد حسين بن علي المحرابي وكانا بالشرف الأسفل من جهتـه بالتقـدّم على سرور فقيه فراما ذلك وتوقفا لمّا تعذّر الوصول إليه][1] .

وفيها رجعت القبائل التي وجّهها المنصور إلى حراز واصطلحوا مـع المتوكل منهم الأحمر وابن جزيلان .

وفي ثامن عشر ذي الحجّة خرج الملك الهمّام والأسد الذي لا يُطاق المهدي صاحب المواهب إلى ذمار ، فأخذها واستولىٰ على مَن بها من الأجناد المتوكليّة في أقل ساعة من نهار ، وأسر منها العبّاس بن الحسين صنو المتوكل ، وهو يـومئذ الأميـر ، وأحمد بن علي بن الحسين والسيـد محمد بن قاسم لقمان ، فصَيّرهم المهـدي إلى الحفظ بالمـواهب [وأمر بعقال الحدا وخولان وعنس الذي معهم إلى قصر ذمار ثم وكّل بهم وبذمار ولده عبد الرَّحمٰن و][2] أرسل إلى المنصور مبشّراً بما فعل ، وكان في ذلك الحال منتمٍ إليه واستمر على الانتماء إليه بعض أيّام حتى رجع الحال بينه وبين المتوكّل إلى الالتئام .

وفي سنة ١١٢٩ أمر المتوكّل ناصر منصور العبدي والشيـخ علي بن محمود ، وكانا من أهل الثبات أن يجمعا بني صريم وجبل عيـال يزيـد وقبائلهما وعمران ويقدما بهم إلى السّودة ، وكان الحسن بن القاسم [بها في أمنة من الغوائل فرّق معها مَن لديه من الجمع الهائل وجوّز أن المتوكل لا يرفع مع الاشتغال بحرب غيره رأساً فما شعر بعد العشاء وهو بالجامع إلّا بجنـد المتوكـل غشيه من جميـع الجهات فبـادر إلى دخول الحصن للإنحياز إليه ولم يكن فيه من الرتبة إلّا نفر يسير ، وفي بيت المعافا أقلّ

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

منهم ، ولمّا بلغ المنصور حوزة صنوه بالحصن المذكور خرج بنفسه من شهارة ، ومعه من الأهنوم كل مشهور ، فانحطّ إلى سوق الثلوّث فأقام فيه بعض أيّام وقدِمَ صنوه عبد الله في جمع كثير إلى المدائِر ثم أمرهم بالتقدّم إلى السوّدة فترفّعت عنها الأجناد المتوكليّة وتكاثرت الغوائر إلى الحسن بن القاسم فارتفعت عنه البليّة ، وأمر الحسن بن القاسم بخراب بيت الشيخ حسن القحيف في القعودين وتقدّم المنصور بعد ذلك إلى حبور واستقرّ فيها .

وفيها دخل الأمير أحمد بن خيرات صاحب أبي عريش في الطاعة .

وفيها وجّه المتوكّل على الرضىٰ صاحب الصَّيد وغيره ممّن ذكرنا آنفاً بمعاودة التقدّم على كحلان ومحاصرة المحنكي فاجتمع لذلك معه الجمّ الغفير وضيّقوا على مَن فيه بالتكثير فكتب المحنكي إلى المحسن بن القاسم يستحثّه الغارة فنهض الحسن بنفسه مغيراً على أطراف بني علي ووجّه إليه مَن اجتمع له من القبائل وجعل عليهم أحد أقربائه ، فأفرجوا عن المحصورين بكحلان ورجع عنهم الرضي وما زال الرضي يعاود إلى كحلان المرّة بعد المرّة ودام على ذلك قريب سنة ولم يحصل له نصرة وأبان المحنكي ومَن معه عن صبر وثبات .

وفيها طلع الحسن بن القاسم إلى شهارة متولياً أمورها من أخيه وارتفع به إسماعيل بن موسىٰ وفي خلال طلوعه هرب عنه ولده محمّد إلى المتوكّل فضمّه إلى أخويه ووجّههم اليمن جميعاً .

وفيها انتخب ابن عفرا الحسيني من دهمة أربعمئة إنسان وضمّ إليهم المتوكل سلطان حضرموت عمر بن جعفر ، وكان استجار به من يافع وأبناء عمّه لما غلب على سلطانه منذ زمان ، فنبذ فيهم المذكور إلى حضرموت ، وكان لدهمه به ترّة عظيمة قديمة يرون غسل عارها أو الموت ، فدوّخ بهم عمر بن جعفر أعاديه ورجع بهم إلى سلطانه كمباديه

وجرت بينهم هناك حروب عظيمة كانت حضرموت لهم فيها الغنيمة ، وكان عمر بن جعفر من بادرة راية ثقل دهمه عليه بعد الاستظهار فأكره رجوعهم بالأعذار ، وما درىٰ أن ثباته بثباتهم لديه وأسعف أهل دهمة إلى الرجوع وظنّ عنهم بمَن لديه من الجموع فلمّا انفصلت دهمة عنه اجتمعت قبائل حضرموت أجمع وتعرّضوا لهم مع عودهم فكان بنيهم يوم عصيب بمثله لم يسمع ثم انحطّ أهل حضرموت على الشديد ابن عفراء وأصحابه بأجمعهم فلم يكن لهم بعد القتال الشديد على جمعهم وهال حضرموت ما رأوا لهم من الثبات لكن جاءهم ما ليس لهم به طاقة وتخطفتهم السيوف فقتلت الأربعمئة أجمع وإلى الله المرجع ورام عمر بن جعفر الدفع فلم ينجع وما لبث أن أنزلته عن منصبه فتجرّع بعدهم الغصص ومات بغصّته .

وفي سنة ١١٣٠ صار مهدي بن أحمر الشعر إلى المنصور في نحو أربعمائة من أصحابه وكان خائفاً من المتوكل فأراد المنصور إرجاعه لتخبّطه في الحالتين وإنكاره المعارف فجدد عليه العهد وأنفذه إلى المحنكي بحجّة ليقابل معه الحرب المتوكلي ، وردفه بأحمد بن محمّد حبيش وكان وفد إليه بعده في جيش وأمّر على الجميع أحد أقاربه محاصر والنقيب عبد الله صالح أحد الموالي وكان من قبل المتوكل في قلع الجراف والي فضيّقوا عليه ، فلما بلغ المتوكّل أهمّه هذا الشان فوجّه السيِّد حسن بن صلاح الديلمي غارة على عبد الله صالح في جيش جرّارة فجاءت طريقه على أطراف لاعة وسكن بها وتراخي عن البدار وقدم المحنكي عليه محطّة مَن لديه فحصل بينهما حرب يهول وانجلىٰ عن استيلاء المحنكي وأصحابه من كل الجهات وكان القتل من الجانبين كثيراً وأرسل المحنكي بعض الرؤوس إلى المنصور وقتل من الأسرىٰ رجلاً وحمل رأسه معهم بعد الأمان والإيمان وكان اتّهمه بقتل صاحب بيرقة بكحلان واستقبح النّاس من المحنكي قتل هذا الأسير بعد الأمان ويُقال أن الأسير هذا شريف من بني جرموز عمل فيه بغير الشريعة فقتل الأسير لا يجوز في ملّة وبعد هذا قهقر

نجم مجد المحنكي وتفرّقت عنه الجموع ولما أيس عبد الله صالح من جناب المتوكل الغارة عليه عمل في تفسير أصحاب المنصور وبذل لابن أحمر الشعر وابن حبيش المال واختلّ أمر المحنكي وقلب له ظهر المجن مَن لديه وضعف أمره وانقلب الدست عليه . وما شعر إلّا بطلب عبد الله صالح البيغة للمتوكل وعرفه بصلاح أصحابه وكتب إلى المنصور وعرّفه الحال فعرفه يخلص نفسه ولو وصل إليه بانفراده فهرب إليه بالليل في جماعة ومعه الحسن بن إبراهيم ، ودخل الحسن المذكور كحلان وبقي به حتى خرج ، مع عامله بعد زمان ، ثم إن المتوكل جهّز سعيد الكامل في جيش أجشّ إلى كحلان وكان عامل المنصور به في غفلة وكان أحمد بن إسماعيل البرطي في جانب من البلاد من جملة أصحاب المنصور وصنوه مع العامل في الحصن فأفسد الكامل أحمد بن إسماعيل ومال به إلى الجناب المتوكل فما شعر عبد الله بن يحيىٰ بن أخي المنصور وحسن بن إبراهيم من أقاربه إلّا والرَّمي لهما من داخل الحصن بالرّصاص فتحيّن أو مَن بقي معهما وأحربا ذلك اليوم حرباً ضعيفاً ورأىٰ سعيد الكامل التخلية بينهما وبين الذهاب فخلصا إلى حضرة المنصور ، ولما تمّ لسعيد الكامل الاستيلاء على كحلان تقدّم لحصار صبرة في ذلك الأوان فنهض على الأحمر من حصن عتاد وكانت صبرة إقطاعه من جملة البلاد فأغار على المحصورين من أصحابه فرجع الكامل عنها إلى كحلان وتكاثر وفود القبائل إلى الأحمر فجهّز المتوكل السيد أحمد بن محمد الشامي ومعه زيد دغيش الحارثي وعلي صلاح خليل الهمداني مع عقال بني حشيش وعمران ، فكانوا نحو ألفيّ مقاتل فتقدّم الجميع إلى عرّة الأشمور وبها حصل بينهم الحرب المشهور وانجلت للأحمر عليهم ، وحصل القتل فيهم ، فلما بلغ المتوكّل جهّز ولده أحمد بن أمير المؤمنين وزيد بن علي بن أخي المنصور فحطّ في ذيفان والمقضضة وأمر المتوكل محمد بن الحسين صاحب كوكبان وينهض لحرب الأحمر بجهات كحلان وأمدّه

بعساكر وجمع وافر وعطاء متكاثر ، وصار إلى كحلان وتوسط بينه وبين الأحمر عقال خولان وذلك بأن الأجناد والأمراء من الجانبين ترتفع وتسكن الدهما تلك الأيام وإن كحلان يرجع إلى المنصور فكتب الأحمر إلى المنصور بتفصيل الواقع فأجاب عليه أن هذا الأمر صادر على جهة المحافظة فلم يلتفت الأحمر ومال إلى الدِّعة وفرّق الجند في كل كوكب وأقام بمحل يُقال له الغنّة في نفرٍ يسير وجمع آل به إلى التكسير ، وبادر إليه أصحاب محمّد بن الحسين واغتنموا الفرصة فكانت الغنيمة الباردة لهم ، لو أن لهم هناك حصّة فخلص الأحمر من الغنّة إلى صبرة وهو حصن منيع فلمّا صار إلى الحصن هذا تمنَّع وظن محمد بن الحسين به لا يوافيه فانحطّ عليه محمّد بن الحسين وحصره به وأخبرته الجنود المتوكلية وضاقت بالأحمر دنياه وآيس مع ذلك من الحياة واحتال في الخلاص على وجه جميل وتقدّم لديه البارود والرّصاص وكان بعض أهل وادعة وهم من قبل المتوكل مع محمد بن الحسين فبذل لهم الأحمر الأموال ووعدهم كمال الإحسان فبذل أهل وادعة جهدهم في إخراجه فنزل من الدّنوّ بآخر درج وانسلّ إليهم ليلاً من المخرج وما شعر محمّد بن الحسين إلاّ بعد خروجه فجاءه من الغمّ ما كدّر حياته وخرج بقية أصحاب الأحمر بالأمان فارتفع محمّد بن الحسين عن كحلان ، وأمّا أحمد بن المتوكل فإنه دوَّخ الصياصي وقبض في القبلة لأبيه فعاد كل عاصٍ وأوقع بالغزي ودوّخ بلاده واجتمع هو ومحمّد بن الحسين بالجنّات وعمران ورجع أحمد بن المتوكل إلى حضرة والده ومحمّد بن الحسين إلى كوكبان .

وفيها وصل المحنكي السيد علي بن الحسين صاحب المنصور إلى حضرة المتوكل مفارقاً لصاحبه فتلقّاه المتوكل بالقبول ولم يلبث بعد وصوله إلاّ أيّاماً يسيرة حتى أصابه داء الجنب وصار إلى الدّار الأخيرة][1] .

---

(١) هذه الصفحات من قوله «بها وأمنه» لا توجد في (ر) وقد حذفها تعمداً من باب الكسل.

وفيها ظهر من المهدي صاحب المواهب تجرمات وحركات تدلّ على الرجوع عن الطاعة المتوكليّة وتقرَّر عند المتوكل أنّها بتحريك ولده إبراهيم ، فقبض المتوكّل على إبراهيم ، وأودعه دار الأدب ، وكان بحضرته من بعد بيعة المهدي وموالاته المتوكل ، لما رجع عن بيعة المنصور ولم يلبث إبراهيم إلاّ أيّاماً يسيرة بالسجن وأطلقه المتوكل فخرج إلى الدار التي كان بها والد المنصور ثم بدا له في الإنسلال إلى أبيه فتدلّىٰ بالليل من داير صنعاء ، ولما وصل إلى حضرة أبيه حسن له الدعوة وحمله على المباينة للمتوكل وكان المهدي بلغ من الضعف إلى حال ضرير ، ولم يبقَ عنده من الخيل إلاّ اليسير أكثرهم مماليكه العبيد لكن النفر الواحد بعديد ، فجهّز المتوكّل عليه المحاط وضايقه المضايقَة الشديدة ، وعثر بالمهدي الجدّ [وعجز عن المدد إلى غاية ومنع الداخل والخارج عن المواهب][1] وما زال الحرب على المواهب ليلاً ونهاراً وصبر المهدي مع كبر سنّه صبراً يقلّ مثاله ، واحتاج حاجة لا مزيد عليها [واتّفق بينه وبين أجناد المتوكّل ملاحم][2] ولم يبقَ لديه من الأجناد الحماة إلاّ الأقل [كسعد مجفش ونصر دفيش][3] ومع هذا فكان المهدي في أشدّ حالات المرض ونفذ إلى القرار ما كان لديه من المال فطالبه مَن عنده بالنفقة وألحُّوا عليه ، فلما أجهدته [اللاوى او ترادفت عليه من أصحابه الشكوىٰ سئم الحالة وتعدّم ما أراد واستحال][4] وكره دنياه فوعد أصحابه بحصول الفرج [واستحسان المخرج][5] وخيّرهم خصلة من اثنتين إمّا الصَّبر أو الذّهاب فجاهدوا نفوسهم على الصبر القليل ، وتطلّعوا إلى ذلك الوعد منه

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).
(٥) ساقط من (ر).

الجميل وكان أجله لهم إلى يوم الاثنين [وانتظر منهم كل ذي أُذنين هذا والرصاص تبلغ إليه فلمّا كان اليوم الذي واعدهم فيه وهو لثمانٍ بقيت من شهر رمضان ما راعهم إلّا الصياح من الدّور [والإعلان بالويل والثبور][1] وسمعوا رجّة عظيمة [وظنُّوا أنها دخلت عليهم المدينة ثم][2] تحقّقوا الخبر ونظروا شق الجيوب والحبر ، وإذا به لقي ربّه وانقطع بموته حربه واستعبَر العدو والصّديق بموته وبلغ الصريخ المركز المتوكلي فاسترجعوا ، ولم يصدقوا بموته [وتثبتوا في التحقيق والمعرفة فلما صَحَّ لهم أنها غير مكيدة وأن الأمور بيد الله القريبة والبعيدة][3] أرسلوا مَن عزا فيه ، وانتشر نظام أولاده بعده ، فلم يثبتوا لعدم مساعدة الجند لهم [ولمّا أيَسوا من إسعاد الجند في الثبات لديهم دهشوا وارتجّت الأمور عليهم][4] فما كان منهم غير إعلام المراكز بوفاة أبيهم كما ذكرنا وحضر بعض قضاة ذمار دفنه ، وكان دفنه بالمواهب في القبّة التي عمّرها على بعض أولاده ، وكان من الكبار في الملوك ، وله الكرم الذي دونه البحار في السلوك ، وسار ذكره في جميع الأقطار دوّخ الدنيا نحو ثلاثين سنة ومات وهو داعٍ لنفسه وقد ذكر ذلك الحسين بن علي بن المتوكل بقصيدة طويلة منها :

ما في الأمانيّ ما ينجي من القدر
فانجو بنفسك أما كنت ذا حذر
مضى محمد المهدي وقد نفذت
أحكامه في جميع الأرض فاعتبر
[لم تمنع الخيل عنه يوم مصرعه
حكم القضاء ولم تردّد يد القدر

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).

مضى كأن لم يكن تسطو بوادره
بكل أشدف رحب المِنخرين جرى][1]
مضى وراح ونار الحرب مسعرة
وللبنادق إرعاد بلا مطر
[مضى وراح وجرّد الخيل سابحة
من التجافيف تمشي مشي مفتخر][2]
ورام ما رام من نصر ومن ظفر
فعاقه الموت عن نصر وعن ظفر
[يا طالب الأمر حثّ السير مبتدراً
نحو النجاة فإن المرء في خطر
لا يخدعنك من دنياك زخرفها
فقدرها كامن كالنار في الحجر
كم أودعت كل ملك حفرة وطناً
بعد الممالك فيها أيّ مفتقر
أين التبابعة الأقيال أين هم
على الجنادل بعد الحزم والحذر][3]

وهي طويلة لم يذكر صاحب التاريخ منها إلّا هٰذا القدر .

ولمّا كان اليوم الثالث أو الرابع بعد وفاة المهدي انثال أصحابه وعبيده إلى المتوكّل يقودهم سعد بن مجفش وولده عبد الرحمٰن فتلقاهم المتوكل بالقبول ، وحمد منهم الصبر مع سيدهم وإن كان عليه ووعدهم كمال الرعاية بثباتهم لديه ، وقال ما فعلتم إلّا فعل أهل الوفاء . [فقالوا له صبرنا

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).

مع مولانا حتى وسَّدناه اليمين وأنت الآن منّا بمثل فعلنا معـه أي قمين وكانت المراكز المتوكليّة وغالبهم أرحب مع بقائها خارج المواهب للحصار عملت في أذيّة الناس ومطالبتهم بأمـوالهم على غير قيـاس وتحفّظوا في الطرقات من تخطفهم ورعوا الثمار](1) .

وفيها أنفذ المتوكّل السيّد أحمد بن عبد الرحمٰن الشامي لقسمة ترِكة المهدي بين شركائه بعد قضاء الـدَّين الذي تـركه من ورائـه ورجع إلى صنعاء .

وفيها قوّض المنصور عن حبور إلى شهارة [فكان بها أيّاماً على أحوال من اليأس منهارة](2) .

وفيها مرض علي بن قاسم الأحمر مـرضاً أدنف منـه وأشيع بـوفاتـه وتحدّث النَّاس بموته فأمر المتوكل محمد بن الحسن بن عبد القادر بقبض قطعته نجرة(3) ثم لما شفي الأحمر من علّته قَصَد المنصور بنفسه في ثلاثة أنفار واعتذر إليه ممَّا جرىٰ منه واستعطفه ولما استؤذن له على المنصور حسَّن له الغدر به في بعض مَن لديه ، فَغَضب من قوله غاية الغضب ، وقال: تحملوني على الغدر الذي هو أعدىٰ من الحرب لاها الله لا ألقاه غادراً ثم اتفق به فأقرّ الأحمر بأنّه حانه ، واستأذنه في أخذ ثأر قطعته من محمّد بـن حسين فلم يأذن له وعَرَّفه أن في ذلك على الرعيَّة كل الحين ، فلم يلتفت الأحمر إلى ذلك بل أجهد نفسه ، وسار إليها فانتهب أهلهـا وعاث وقطع أشجارها ، وعجز محمّد بن الحسين عن مقابلته وبلغ المتوكّل فجَهَّز ولده الحسين بعد طلوعه من اليمن وصار إلى شبام في دفع هذه النائبة

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) نجرة: بلدة بالجنوب الغربي من حجة بمسافة ٢٢ وإن لم تكن هناك نجرة أخرى في حاشد فالمعني بها هنا هي المذكورة والله أعلم.

واتّفق بمحمّد بن الحسين ، ولم ير منه كمال الإنصاف ورجع الأحمر إلى بلاده بعد أن أفظع وفعل الفعل المهين .

وفيها صار المنصور الحسين بن القاسم بن المؤيد إلى المدائر(1) وبقي بها بعض أيّام ، وانحطّ من شهارة إليه صنوه الحسن ، وأقام لديه برهة من الزمن ، ثم نفذ المنصور إلى حاشف ، ورجع صنوه الحسن إلى شهارة [ونفذ المنصور إلى هجرة الخموش حيث مجد الدين صاحب البرهان والإشارة ثم جدّد منها بث الرسائل](2) وكان ضعف أمره وأخلفته القبائل ثم وفد إليه أهل شهارة فخيّرهم في البقاء لديه على الحال أو الرّجوع مع رضاه عنهم فمنهم مَن بقي ومنهم مَن رجع [ومنهم مَن صار بين البين موجع](3) ثم إن المنصور طلب أولاده [إلى تلك الربوع](4) لأنه عرض له مرض استمر به ثلاث ليال ، فنزل من شهارة صنوه الحسن وحَمَله [على أعناق الرّجال](5) فتوفي في يوم الثلاثاء وقت الظهر بشعبان ودفن بشهارة بقبّة جدّه المؤيد .

[ورجّح مَن حضر أن لا يدفن حتى يبايع لصنوه الحسن فأنفذ رسائله إلى الشام واليمن .

وفيها حصل بأيّام «الرَّبيع برد أعفر سَنّ مداله وسَفر ، وحمد به كل جعفر»(6) ولم يبقَ لكثير من الجهات الباردة على الغبراء خضراء ، وأصيب الناس من أثره بالبأساء والضرّاء .

---

(1) المدائر قرية من ناحية طليمة.

(2) ساقط من (ر).

(3) ساقط من (ر).

(4) ساقط من (ر).

(5) ساقط من (ر).

(6) الجعفر: النهر الصغير.

وفيها صالح الحسن بن القاسم على إقطاع وصاب ورجع عن دعوته .

وفيها قرَّب الإمام الحريبي وناط بعاتقه الوزارة وجميع أعمال البلاد وشقّ تقريبه على الوزراء فلم يرفع الإمام إليهم رأساً لما تقرّر من كماله لديه ، واعتمد الإمام عليه غاية الاعتماد ، وانضم إليه الفقيه محسن الحبيشي ، ولم يتمكّنا من الإمام كصاحب المواهب ، ولا سمع كلامهما في غير ما يخصّهما من العمل .

وفيها قدِمَ الحسين بن المتول إلى أبيه من اليمن وأراد والده استكفاه في أعمال حاشد وبكيل فوجّهه إليها سريعاً .

وفيها وجَّه المتوكل ولده أحمد إلى اليم عوضاً عن أخيه الحسين واختار المنجّم له وقتاً حثّه على العجل فقابل له بها السلطان على اليمن ودام بها نحو ثلاثين سنة حتى وافاه الأجل .

وفيها مدَّ الإمام يد العمران بحدّة وأمر بتأسيس دار فيها فوق ماجل حُمَيس(١) .

وفيها شرى الإمام بستان باب السبحة فاتّخذه لنفسه من جملة المعاهد وفعل لوافد القبائل عوضه معمور سمسرة فروة(٢) ونوّب(٣) الدائر، وأدار الإمام على البستان الدائر وغرس الأشجار إلى أن صار كعهده القديم .

وفيها وجّه الإمام الخيل والرجل التي كانت بالمواهب إلى سداد الثغر بلحج وقصد الإمام تأديبهم واختبارهم وأمّر عليهم سعد مجفش ، فقام بما فدي إليه أحسن قيام فهاب العدو جانبه وتوفي المذكور فيها .

---

(١) حُمَيس اسم لفيل حدّة من ناحية البستان.

(٢) نسبة إلى مسجد فروة من جهة شعوب من صنعاء سبق.

(٣) نوب بالتشديد أي جعل له نوب بالتحريك مواضع للحراسة على الدائر أي السور.

وفيها توفي السّيِّد عثمان بن علي الوزير[1] الحاكم بالسرّ وكان أحسن الناس حكماً ودين صليب ورأي قويم .

وفيها تكاملت العمارة لمسجد صلاح الدين[2] وكان المتولِّي لعمارته الشيخ أحمد بن حسن بن الحاج الشاطبي وأعـانه على العمـارة فيه قـوم آخرون وكمل أيضاً بروضه حاتم مسجد الذيباني][3] .

وفي سنـة ١١٣٢ صار الإمـام إلى الروضـة وأظهر فيهـا قوّة الملك والنهضة .

وفيها جهّز السَّيد محمد بن قاسم لقمان أميراً على الحاج [وأصحبه الصرّ المتصدّق به على أهل الحرام وأحوج الناس][4] .

وفيها نظم الحسين بن علي بن المتوكل قصيدة متضمنة لنصيحة الإمام في موازرته الحريبي لما ظهر منه الجور [كما كان منه في سالف الأيّام أيّام المواهب][5] فقال:

إمـام الهـدىٰ خـذ من أخيـك نصيحـة
فـمـثـلي لا غشّ لـديـه ولا مـكـر
لقـد شـاهـدت عينـاك بـالأمس معشـراً
لـدىٰ ملك أخنىٰ على ملكـه الـدَّهـر
أثـاروا عليـه الغـدر من كـل جـانب
فـتمّ لـهم فـيـه وفـي مـلكـه الـغـدر

---

(١) هو من كبار العلماء من مؤلفاته انتهاز الفرص وغيره انظر ترجمته ومؤلفاته في كتابنا مصادر الفكر الإسلامي .

(٢) من مساجد صنعاء العامرة في الجهة الشرقية بالغرب من الميدان «مساجد صنعاء» ص ٦١ .

(٣) ما بين المعقوفين جميعه ساقط من (ر) .

(٤) ساقط من (ر) .

(٥) ساقط من (ر) .

[وسـاقـوا إلـيـه من غـيـر حـلّة
بـظلم فـراح المـال ثم انقضىٰ الأمـر
فـلا تـركنـن منهم عـلى ودّ بـاغض
الا ربـمـا أغنىٰ عن الـخبـر الـخبـر
لـقـد وزروا فـيـمـا مـضىٰ لـمـقلّد
لـه فـعـليـه مـن وزارتـهـم وزر
وكم ولكم قـد أنشبـوا من مـخـالب
من الـظلم أودت بـالعبـاد وكم ضـرُّوا
فـأنت الـذي قـد حنّكتـك تجـارب
من الدهر فيهـا من مكائـدهم حذر][1]
إمـام الهـدىٰ أنت الـذي قمت نـاهضـاً
لإطفـاء نيـران وقـد خمـد الجـمـر
[فـلا يسعـروا نـاراً بسيفـك أخمـدت
فتَستعـرّ الـدُّنيـا وأنت بـهـا الصـدر
إمـام الهُدىٰ قـد صـاغـك الله عسجـدا
فـلا يمتـزج منهم بعسجـدك الصّفـر
واجعـل لـك الصـلاح عـونـاً فـإنّهم
هم النـاس لا غـدر لـديهم ولا مكـر
فـلا خيـر في دُنيـا تـزول وإثمـهـا
سيبـقىٰ ولا يبقىٰ لصـاحبهـا ذكـر
ولا تتّهـم منّي سـوىٰ النصـح إنّني
قنـوع سـواء عنـدي الـتـرب والتبـر][2]

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).

فمـا قلت هـذا الشعـر إلاّ تـخـوّفـاً
لـمجـدك أن يـغتـال والـمـرء يغتـر
[وتـأبي لـك النفس الأبيّـة أن يـرىٰ
وزيـرك فـدم جـاهـل مـا لـه قـدر
وأنـتَ أميـر الله فـي الـخلق والـذي
أقـامـك فيهـا مَن لـه النهي والأمـر][1]

وفي سنة ۱۱۳۳ رفعت الحجرية أعناقها إلى العصيان فسار إليها أحمد بن الإمام فنزل بيفرس محل الشَّيخ الوليّ أحمد بن علوان فلما أطلّ عليهم تناولتهم[2] بيده كؤوس المنيّة [وإنّه كرّر فيهم الكرّات وأمدّه والده بالأجناد فساق إليه القبلة بأجمعها فقضي بهم الأوطار][3] وتحرّك حسن السوا فاحتركت الأجناد المتوكليّة إليه كالسِّاع وقتلوهم القتل الذريع[4] وأُسِرَ المذكور وأرسل به أحمد بن المتوكل إلى والده فخلّده بالسجن بقصر مدينة سام حتى أطلقه ولده المنصور .

[وفيها أمر الإمام بعمارة دائر المشهد[5] بجبّانة صنعاء لضعف بنائه الأوّل ولم يبقَ من العمـارة الأولىٰ القديمـة إلاّ القبلة والمنبـر والمتـولّي لعمارته الحاج سعد المجزبي][6] .

وفيها ظهر للإمام عن محمّد بن الحسين بن عبد القـادر ما يفصح

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) في (د) جاءت العبارة كذا «وحصل في قومه القتل الذريع والنهب الشديد وأسر سواهم المذكور».
(٥) المشهد هو مصلّى العيدين في الجهة القبلية خارج صنعاء وأول جبّانة عمّرت بصنعاء (مساجد صنعاء ص ٣٩).
(٦) ساقط من (ر).

بالعصيان[1] .

[وتحقّق منه عدم الطاعة وإطلاق اللسان في المواقف بالبشاعة والشناعة ، فلما استبان الإمام منه العصيان شغل خاطره ذلك الشأن ولا اطّلع على ذلك إنسان إلاّ أنّه كان يتوجّع منه في بعض الحالات وكان النزيلي قبل التحرّز منه يرفع إلى كوكبان ما سمع ، والإمام من جهة النزيلي في اطمئنان وقرار ، وكان الإمام يراه موضعاً لسرّه ويُشركه في كثير من أمره ، ولم تتطرّق له واهمة في خطيبه ، ولما أطلق النزيلي الإذاعة السَّهم بعد السهم يحرَّز الإمام منه لكن على جهة الوهم ، وبعد ذلك ظهر للإمام منه ما ظهر ثم إن الإمام استعمل دهاءه المشهور ، فكان يتكلّم في مواقف التهم بالنقل أن الصّنو محمّد بن الحسين بالمحل العظيم من الكفاءة والعقل ويذكر أيّامه السَّالفة وما يدل على الموافقة وعدم المخالفة ، ثم إن المتوكل غفل عن القول أيّاماً يسيرة ، وبعد هذا أراد في إظهار الكراهة بمقامه بصنعاء بعد موت أخيه العبّاس بن الحسين ، وأنّه يريد الارتحال عنها والبُعد منها لتضايق الأنفاس ، فلما انطبع في خيال النّزيلي وأخذ القول على ظاهره لم يبق عنده شك يخامره ، فلما عرف المتوكل ما عند النزيلي كرَّر معه ضيقه من صنعاء ، وعدم الطيب له من شؤونها . فقال له النزيلي ومَن تراه يقوم بها كما تريد ، وأخذ ينصّ على رجال بالتَّعديد ، فقال المتوكل كل هؤلاء لا أركن عليهم ، وإنما أركن على فلان أعني محمّد بن الحسين ، ولو أعلم أنه يسعدني لفارقتها الآن ، ولم أقم بها ساعة واحدة ولكن الصنوّ محمد قد طرأت عليه أوهام لا أصل لها وإلاّ فما أركن فيها قطّ على سواه ، وصار المتوكّل يعدّد للنزيلي أيّام محمّد بن الحسين معه والمناقب ، فبادر النزيلي عند ذلك بعد خروجه من عند الإمام بالكتاب إلى محمّد بن الحسين يرفع عنه اللَّبْس ، وقال: إنك لفي وادٍ من

---

(١) ما بين المعقوفتين ورد في (ر) مختصراً في نحو أربعة أسطر لا غير.

الأوهام والمتوكل بمعزل عمّا أنت فيه من الخيال وأشار إليه أن الإمام عازم على الارتحال وإذا لك حصة بادرت الفرصة ، وكان النزيلي عند محمد بن الحسين بمحل لا يتّهم فيه ، فلما وصل الكتاب إلى محمّد بن الحسين عرضه على صاحبه الخياطي ، فلما اطّلع عليه استشرف إليه وصَوَّبه وقبله معقوله ، فقال محمد بن الحسين للخياطي : ولا بد من إرسالك إلى صنعاء تأخذ لي حقائق ، فلما وفد الفقيه حسن الخياطي ، وصار إلى حضرة الإمام قابله الإمام بالتكريم ورضخ له من الإحسان بما أغناه ، وكتب إلى صاحبه بحقيقة الحال ، ثم إن الخياطي المذكور رجع إلى محمّد بن الحسين وحقّق له الأمور ، وحضّه على المبادرة على الوفادة إلى الإمام ، وكان الإمام يطمع بخروجه عن كوكبان ويعده في المستحيل ، فلما هبط إليه وجاء الخبر إلى الإمام بخروجه علم أنها كبت مطيّته وأحاطت به خطيئته ، فوصل محمد بن الحسين إلى الإمام وهو بروضة حاتم صرفه الإمام إلى «دار الخلب» ولمّا كان يوم ثاني وصوله بادر الإمام إلى صنعاء بدخوله وأشار إلى محمّد بن الحسين يتأخّر بعده بالروضة ليُزيل وعثاء السَّفر وأوهمه أن مع دخوله صنعاء يخرجان إلى حدّه ليأخذ بها عهداً ، ثم إن الإمام طلبه في اليوم الثالث من وصوله وأنزله بالقرب منه ، وعدّد الحجج وتصدَّر لمقابلته إسماعيل الوادعي رجل من أهل ولايته وجهته ادّعىٰ عليه الجور والاستيصال لشأفته وبرهن عن أمور من الجور قام فيها بحجته ، فبرز أمر الإمام به إلى دار الأدب ، وراح صاحب البريد إلى الحسين بن الإمام بولاية كوكبان فقام الحسين بها أتمّ قيام وطاب له العيش فيها والمنام] .

وفيها ورد إلى الإمام من باشا جدّه أحد أغواته رسولاً إلى الإمام من أجل الفرنج وشرائهم البنّ من بنادر اليمن وأن المنع لهم من ذلك فيه مصلحة عامة للمسلمين وإن توفر الثمن وبيده كتاب من سلطانهم في إبراق وإرعادٍ وتغالٍ في الخطاب إذا لم يحصل امتثال وإسعاد وإن مَن أعذر

فقد أنذر [ومعظم النار في مستصغر الشرر][1] وأضاف إلى ذلك التجرّم من قطع السواعي إلى جدّة، وكان الإمام أمر بالمنع من إجرائها [لتسلّط الأشراف على تجّار اليمن ومن جملة ما][2] ذكر السلطان في الكتاب أن استيطان الفرنج بندر المخا لا يحسن فأحسن الإمام الجواب عليه وشاكله فيما رمز إليه وذكر أن الأيّام التي عرفوا وقع السيوف بها باقية وقال: إن أحسنتم معاملة التجّار أطلقنا السواعي [وأجابه عن شأن الفرنج بما اقتضاه الحال][3] ولم يلتفت إلى قعاقعهم بالمحال، وأجزل [من كرمه لرسولهم في العطيّة وكافأ مرسله بأضعاف ما وجّه من الهدية وأجاب على باشا جدّه بمثل ذلك الجواب][4] .

وفيها شاع بين الناس أن أولاد إسحاق بن المهدي أرادوا بصنعاء الوثوب وتغليق الأبواب وحفظ الدروب وأنّه صانعهم على ذلك جماعة من شيوخ العسكر وأنّهم جنحوا إلى اغتنام الفرصة لغيبة الإمام بحدة فنما خبرهم إلى النزيلي من جهة المقَيْبع فبادر إلى السعاية بهم إلى الإمام بهذا الاستناد ولم يخف من يوم لا خلّة فيه ولا بيع فبادر الإمام مجدّاً في سعيه ولم يلبث بعد أن دخل صنعاء أن قبض عليهم أجمع وأمر بهم إلى دار الأدب بقصر صنعاء وحمد للنزيلي ما جاء به من البهتان ، ورواية أخرىٰ أن الخبر نما إلى الإمام من غير طريق النزيلي عن محقّقين وأنّهم صانعوا جماعة من حاشد وبكيل وبعض شيوخ همدان والله أعلم أيّ الأمر أقرب إلى الوقوع][5] .

وفي سنة ١١٣٤ تكامل بناء دار العين بحدّة مع الجامع .

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).
(٥) ساقط من (ر).

[وتمّ أيضاً بها في دار الماجل مثل الملعب الغسّاني وأجرىٰ إليه الماء من نهر عصيفرة .

وفيها عذر الإمام السيد حسين الأخفش عن ولاية صنعاء وناط عمالتها بمكانة محمد بن أحسن بن أبي طالب ولبث بها أيّاماً ثم رجعت ولايتها للسيد حسين الأخفش](١) .

وفيها كان التجهيز العظيم إلى الجوف والباعث له التغلّب من ذي حسين على الصافية مع بني نوف وهذه صافية الخارد المشهورة ، وهي بالتمليك من الإمام المتوكّل على الله للإمام المهدي أحمد بن الحسن فاستشار الإمام في قتلهم كبار الأعوان [فتكلّم كلّ بما عنده في الحال وكان رأي الحريبي في التغافل وقدّر المخروج في الحاصل وبالغ في تفتير عزم الإمام وقعد وقام . وكان رأي الكبسي في المخالفة وقال: الرأي في المخرج عليهم فجزم الإمام حينئذ بالتجهيز](٢) وأمر الكبسي باختيار أمير للسريّة فاختار يحيىٰ بن علي بن أحمد صاحب صعدة ، وهو لم يجرّب الحروب ، فمضىٰ إلى الجوف في خيل وخول لو قرن ذلك التجهيز بأمير يدبّره لاختطف من دسته بمصر العزيز(٣) وكان الإمام انتخب مع هذا القائد عبيدة الفرسان الخواص [ومَن يخوض الغمرات بين الرصاص](٤) فكان لهم بالجوف فتكات وحروب أصيب فيها جماعة من أصحاب الإمام فدوّخوا الجوف وأهله ورتّبوا الحصون به [الوعرة والسهلة](٥) وعيّن الإمام رتباً من العبيد وانتزعت الصّافية من يد المتغلبين

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) في (ر) باختيار القائد الكفء لاختطف عزيز مصر من دست ملكه.
(٤) ساقط من (ر).
(٥) ساقط من (ر).

وكان الإمام أشار إلى يحيىٰ بن علي أمير الجيش مع توجّهه إذ لاح له القبض على الأمير حسين الجوفي الشويع على صفة لا يحصل فيها تعب بادر إليه وإن يجد الأمر يؤدِّي إلى مثل ما اتّفق أغلق هذا الباب [وكرّر عليه القول بأن لا يقدم إلّا على بصيرة والحاضر يرىٰ ما يرىٰ الغائب](١) وكان هذا الشريف أصل المفاسد وهو المجرّيء للقبائل على أخذ الصافية فترجح ليحيىٰ بن علي اختداعه إلى أن وصل إليه ولم يمهل حتى قبض عليه فقال له الحازم من الرجال: الرأي إرساله تحت الحفظ الآن إلى الإمام وإذا تراخيت يسيراً تعذر الإمكان فإنه إن بات تجمعت القبائل عليك فلم يعمل بهذا الرأي السمين وبدا له احتباسه لديه وكتب إلى الإمام يعلمه بالقبض عليه ولم يلبث أن اجتمعت الجوف لحربه وحصاره بسبب القبض على الشريف فضعف عزمه ورأيه فأنهىٰ إلى الإمام المتّفق فأجابه الإمام بحفظ نفسه يوم أو يومين والغارة إليه بلامين ثم انتخب الإمام عبيده الخواص من الفرسان وأميرهم النقيب فرحان ، وكأنّ الإمام نظر إلى الغيب من ستر رقيق فقال كأنّي بيحيىٰ بن علي قد [استفزّه الطيش](٢) وأطلق الشريف فيذهب كلما فعلناه وحثّ الإمام النقيب فرحان على البدار وأن لا يكون همّه غير المبادرة بإرسال الشريف ، فواصل النقيب فرحان الخطا ، وكان أهل الجوف أكثروا [في الضوضاء على يحيىٰ بن علي وراعوه بالأصوات وبينه وبينهم القفر الخالي فاستفزّه الطيش وأرسل العنان لذلك الشريف](٣) ولو صبر فؤاق ناقة [كانت الجمالة له وقد كان أشار عليه المشير عند اجتماع ذلك الجمّ الغفير من الجوف أن يضرب عنق الشريف ويلقيه إليهم ويحفظ نفسه ومَن معه حتى تصل غارة الإمام فلم يجنح إلى هذا أصلاً](٤) ولما وصل النقيب فرحان إليه وقد فات المطلوب فطالع

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).

الإمام هل يقيم أم يؤوب ، ولما جاء الخبر إلى الإمام بإطلاق الشريف عجب لهذا لرأي هذا القائد الضعيف، وبادر بالإشارة إلى فرحان بالتريّث بالجوف أيّاماً لأمر اقتضاه التدبير وبعد أيّام طلب الجميع إليه واطّرح يحيىٰ بن علي ولم يلتفت إليه فراح إلى يفرس كالمغاضب وفيها أحمد بن المتوكل.

وفيها تكامل السور على بستان باب السبح .

وفيها كان تزويج الإمام لعقائله من ذويه .

[وصنع وليمة فيها ما تلذّ الأعين وتشتهيه ، وحضر السّماط أعيان الدَّولة وأنشد الشعراء في ذٰلك المقام التهاني وممّن حضر الموقف الحسين بن علي بن المتوكل وأنشد في ذلك قصيدة طنّانة وأجاد فقال:

جآذر إلا أن هنّ أوانس
من البيض في وشي السجوف كوانس
ومن حول هاتيك السجوف عساكر
من الزنج والخيل العتاق حوارس
محجَّبة بالبعد والتّيه دوننا
فلِم ذا على جهل حمتها الفوارس
يروعها جرس الحليّ وأنها
لتصرع ليث الغاب والليّث عابس
فلا تتّقيها بالفوارس إنما
فوارسنا للغانيات فرائس
إلى الله كم أصبو إلى كل غادة
لها الشمس شبه والصّباح مجانس
وترقص أقراط الفلول سوالف
لها إن تثنّت أو تغنّت مائس

وما عشت لا أنسى بنعمان ليلة
نعمت بها والسعد للنحس عاكس
أقبّلها في درّ ثغر منضد
لأنفاسه المسك الذكيّ ينافس
وأشهد منه روض خدٍّ مورّد
على ورد سيف للواحظ حارس
كما حرس الإسلام بالبيض والقنا
إمام له غلب الملوك فرائس
إمام سديد الرأي في كل معضل
ضرير جري للحروب ممارس
إمام له في كل مهمه فاقة
بواجس جود للغناء بواجس
على أنه برٌّ وبحر مكارم
متى خاض في ليل الشَّدائد يابس
ويهتز من أثوابه عطف ماجد
وفي إذا خاب الصَّديق المؤانس
ويفعل فِعلَ السيف إن زاغ زائغ
عن الحق أو ناوى العدو المعاكس
وأعجب من هذا وذا إن سعده
وطالعه للظُّلم والجور باخس
لهذا ترى في دهره كل ظالم
وطاغٍ على خوف من السَّيف بائس
والله ما أجراه في الحرب إن سطا
وكل شجاع من بقا النفس آيس

لذاك أطاعتني القوافي لمدحه
وعن غيره منّي القوافي شوامس
فلا زلت في أرض المدائح غارساً
غصون ثناً في روض نظمي مؤانس
ولولاك ما صغت القوافي لأنني
بمجدي على هام المجرّة جالس][1]

وفيها تطلع عنق الشدّة ، ولم يزل من سنة ٣١ [في نمو وازدياد وكانت] سنة ٣٦ هي الطامّة الكبرىٰ وسيأتي تحقيق عجائبها في مواضعها إن شاء الله تعالىٰ .

وفيها خاض الأحمر من العصيان بالغمر ونفع على شريف من الشرف لجأ من جانب الخليفة بالباب وتقاضا رسوله ذلك الشريف النفاعة بالحضرة غير مرتاب فأقام الإمام هذا وأقعد وأوجب على نفسه الاستئصال للأحمر واستعدّ وسيأتي فصل المخرج عليه في سنة ١١٣٥ التي بعد هذه .

وفيها منَّ الإمام علي بن محمد بن الحسين بن عبد القادر الإطلاق من سجنه الأوّل وحمل ما كان منه على كاهل الاحتمال [وتأوّل][2] وأفاض عليه سِجال المعروف ولم يزل على الاستقامة ومن أجل حقده تعلّق بالصاخة والطامة ، ولما صار الإمام إلى الروضة ومحمّد بن حسين صحبته وصار يعمل في أسباب التمحيق على الإمام وسعىٰ من النقص في غير ما يليق وسيأتي تحقيق ذلك وما انتهىٰ إليه حاله من المهالك .

وفيها وصل أهل المشرق قعطبة وبها عبد الله بن طالب بن المهدي أحمد وعلّلوا بأخذ المكس عن أصحابهم وما لهم من الدولة من العوائد ،

---

(١) ما بين المعقوفتين أسقطه ناسخ (ر).
(٢) ساقط من (ر).

والسبب وفور الشدّة لديهم وترادف أسباب البلاء عليهم ففرّوا إليها من المصائب وظنوا مع قلّ الجند عند عبد الله بن طالب الظفر بمطلوبهم وأنه يتسهّل لهم دخول قعطبة بغير قتال فصاروا إليها في جمع وافر فبرز لهم عبد الله بن طالب في جمع يسير وانغمس بنفسه في تيار جمعهم فكاد يطيح وأصيب [بكور ذهب][1] ثناياه وأقدم إقدام مَن لا يطمع في الحياة واتفق بينه وبينهم حرب لا يعرفه الشباب والكهول حتى أن بعض شجعانهم دخل تحت بطن حصان عبد الله بن طالب ليقطع حزام السرج ويلقي راكبه إلى الأرض فانتبه له عبد الله بن طالب وضربه بسيفه ضربة علوية هاشمية قَسمه بها نصفين، ولما رأت المشرق هذه الضَّربة العلوية أجفلوا إجفال النَّعام وتبعهم عبد الله بن طالب ببعض عسكره وغنمت الأجناد منهم غنيمة عظيمة وردّوهم إلى أرضهم [في حالة غير قويمة][2] وكانت هذه الفتكة حازمة الأمور لم يطمع الشرق بعدها في الخروج.

وفي سنة ١١٣٥ أبرز الإمام مكتوم [سرّه وأظهر الأمر][3] وجزم بالتقدمة لاستئصال الأحمر، بعد أن جمع لذلك الأموال وأعدَّ الرِّجال وصال وجال وقوّض الخيام عن حدّة وانفصل عنها بالليل [البهيم][4] إلى قصر سام [وكان ذلك عن اختيار مَن له معرفة بالنّجوم والأحكام][5] فأقام بصنعاء ثلاثة أيّام وخرج إلى روضة حاتم للتبريز بها وما كاد يستقر حتى ندب الناس إلى هذا وقتاله أعني على الأحمر ولما اجتمع [إلى الروضة القبائل وغيرهم حتى ضاقت لهم الأرجا][6] بدأ بتجهيز الأمراء إلى كل

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).
(٥) ساقط من (ر).
(٦) ساقط من (ر).

مخلّ فيه للأحمر علاقة وأمره ولده الحسين بن المتوكل بالنفوذ إلى خمر [والمطرح بها عليه وكل أمور الحرب والأمر مرجعها إليه][1] ، وكان الإمام بثّ صلاته في الناس استفتاحاً [وطلب النصر المعجّل لهم][2] ودخل ولد الإمام الحسين خمر ، وأرسل الإمام إلى السّودة وحبور أميراً زيد بن علي بن القاسم المؤيّد في عسكر جرّار وإلى الشرفين ابن عمّه ومحمّد بن إبراهيم بن المؤيد والسيد حسين القطابري ، فكان لهم بتلك الجهات موقع عظيم ونزل بأصحاب الأحمر منهم العذاب الأليم ، والإمام مع ذلك يواصل الأمداد إلى ولده الحسين وأمدّه بكل أسبوع من عنده بسبع مطايا من المال واجتمع بحضرة الحسين بن الإمام من الأجناد ما ملأ بهم الوعر والوهاد ثم إن الإمام وجّه إلى ولده الحسين من الفرسان والسودان ما ضاق بهم وبكل مكان ، وناط أمرهم بابن أخيه محمد بن علي بن الحسين [وابتدأ الحسين بن][3] الإمام وهو أمير الأمراء بالتماشي إلى قرىٰ الأحمر وكانت الشدّة عندها طائرة كالشرر في جميع الأقطار ونفاذ الذّخائر في أيسر طعام والدرهم والدينار بسبب كثرة الجراد فإنها أكلت الثمار ، وما علىٰ الأشجار حتى غلت الأسعار [وتعدمت الأقوات][4] وبيعت الأطيان والنفائس من الحليّ والسلاح بأرخص الأثمان [وقد صلبت الأراضي بموت أهلها][5] ، وأكل الفقراء الميتة والكلاب ودقّوا العظام وشربوا دم ما يذبح في المدن [من الأنعام][6] واتّفق من عجائب هذه الشدّة ما لا يتّسع له الكتاب ، وركب العالم من هولها الأخطار واتّفق من أهوال الشدّة ما لا يمكن التعبير عنه بقلم ولا بمثلها من قادم الزمان يعلم ، وأقدم النّاس في

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).
(٥) ساقط من (ر).
(٦) ساقط من (ر).

بعض الجهات على أكل بعضهم البعض وخلت قرىً عديدة عن أهلها بالموت في التهايم والجبال، وأما العلوفة فلحقت بالمستحيل، وأنفق الإمام فيها على الفقراء(١) والمساكين ما فاز به عند الله في الدُّنيا والدِّين ثم صارت القبائل تفِد إلى الحسين بن الإمام أفواجاً [وواصل التجهيز من خمر إلى كل محل](٢) واتفق بالسّودة وغيرها معارك والحسين بن الإمام ما برح يتمشّىٰ إلى ديار البغاة **فيخربها** حتى استأصل منها الكثير وملأ الزناجير من أهلها وذلّ الأحمر وقلّ [وصار بالعزمات المتوكلية في آخر رمق](٣) وفي خلالها طلب الإمام ابن أخيه محمّد بن علي . . على الانفراد وتوفرت لدىٰ الحسين بن الإمام الأجناد فدكّ بها الصخور من الأعادي وامتد خطوه فيهم [بالأثخان ورماهم من عزماته بشواظ من نار ودخان ولم يزل يعمل فيهم الجولة والصولة](٤) فخمدت نار الأحمر وانطفت وأخذ ما كان بيده **من جميع البلاد وحاول أن تترك له إقطاعه [المعتاد](٥) وحصن عتار تفضلاً** من الإمام وتوسّط إلى الحسين بن الإمام بعبد الله بن محمّد بن أحمد أبي طالب فسعىٰ له في المطلوب ويتأدّب بثلاثين ألفاً من القروش وتخرّب بيوته وتحمّل أحجارها وأخشابها على الجِمال إلى باب الإمام والمنادي ينادي، فمنع الحسين بن الإمام عبد الله بن محمد من الخوض في هذا، وقال: لا ولا كرامة له [فيما هنالك](٦) ولما لم يسعفه أيقن بالهلاك فرأىٰ إعادة القول ثانية أن يترك له **الطين المكتسب، وعلى أن يسلم الأدب المشار إليه** بالقروش ويترك بيته لا له ولا عليه فلم يكن من الإمام إلى ما سأل التفات

---

(١) في (د) الضعفاء.
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).
(٥) ساقط من (ر).
(٦) ساقط من (ر).

ولم يقنع بغير استئصاله بالسَّيف الباتر.وخراب جرثومته إلى المأثر وضاعف إلى ولده إرسال الخيل بالتجديد وأمره بالتشديد والإتيان بالأحمر في الحديد وأن يقصده إلى عقر دياره .

وفي هذه الأيّام والإمام بروضة حاتم قتل الحسن بن طالب في داره غيلة [وطال الكشف في عرفان خصمه على الوجه الشرعي فأعيت الحيلة وحمل إلى خزيمة مقطّعاً كتقطيع العروض وتزاحمت الظنون في قاتله ولم يظهر فيه قرينة تدل وكان أضيع شي][١] دمه ذهب هدر .

وفيها وفاة الشيخ صالح بن علي الحريبي الحجري بروضة حاتم وكان له [اتّساع واحتمال و][٢] صناعة عجيبة في استخراج المال وتمكّن في دولة المواهب وكان صحب المهدي من أيّام المنصورة وثبت معه في الحوزة ، وفعل في إعانته بكل ممكن وكان يحمل الفطير على ظهره [أيّام الحوزة في المنصورة][٣] فلمّا استظهر المهدي ومَلَكَ المُلْك كافأه بأن ولّاه جميع البنادر بل أكثر اليمن وقامت بالمخا له دولة ما بلغ إليها ابن أم وحضر دفنه الإمام والأعيان .

وفيها جزم الإمام بقبض واجبات الأجبار[٤] وبنىٰ عليهم وصمَمَّ وحصَّل الأجبار ، وهو مطلب حق واجب وإنما ترك الصرف الأئمة لأربابه لمصلحة عامة ورأي ثاقب فبعث الإمام الخراص بواسطة الشجني المختار للقبض ، وكان هذا بدسيسة نعمة الله اللّاهوري والسيّد عبد الله الكبسي وغيرهم ، أرادوا به إثارة الفتنة فحسّنوا للإمام هذا الشأن وعلّلوا بأمور حتى حصل الإستحسان . ولما تمّت لهم المكيدة عَصَبوها[٥] برأس الشجني وكان

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) الأجبار انقطع المعفية من الضّرائب.
(٥) عصّبوها وعقدوها.

أشدّهم في الحثّ على ذلك للإمام فجعل الإمام تولّي ذلك إليه ولم يسمع مقال مَن يعوّل عليه فعند ذلك ندب الخراص على بيت الإمام والرؤساء العِظام [والعلماء الأعلام والمشائخ الكرام][1] وكل خاص وعام واستقبل الأمر بالعنف [والإهانة][2] ونسب الناس إلى الخيانة وأنفَ الناس من أفعاله ، وراجعوا الإمام فصمّم على ذلك ولم يقبل كلام وبذل محمد بن الحسين بن عبد القادر وغيرهم أداء زكاتهم إلى الإمام من غير واسطة ومن غير خرص ، فلم يرجع الإمام عمّا أبرم ، وأراد الإمام أن بعد معرفة القدر وشمول الأمر في زكاة الأجبار إذا عرف التحرّي من الأرباب أذن في الصرف وظنَّ آل الإمام أن الباعث لهذا إرادة الاهتضام وإدخالهم في جملة العوّام فحصل بين [كبراء][3] آل الإمام وأعيان الناس واجتمعت كلمة الجميع على شبّ نار الخلاف ، وتفرّقت آراؤهم في صفة العمل ، فقال بعضهم يكون كذا وبعضهم يقول كذا فقال لهم الحازم: كلما ذكرتم من الأمور لا يتم والرأي خروجنا إلى حيث نأمن فحتموا عند هذا القول وتواعدوا اليوم الذي يكون فيه الرحيل وظهر تألّبهم لجماعة من خواص الإمام فكتموا الأمر لعدم الانعمال ، ودخولهم في سلك الانتظام وخفي هذا التعاقد على الإمام لاشتغاله باستئصال الأحمر ، ولما تمّ عقد القول ووافق من بعضهم إحن قديمه ومنافسة في الرتبة العظيمة وكان الشّجني ندب الخراص إلى كل ولاية وراجع الإمام في هذا الشأن مَن يعزّ عليه من ذوي الأنظار بأن قالوا له فتح هذا الباب لا يليق مع هيجان الحرب فربما أدّى إلى أن ينضم إلى العدو الصّديق، وقد مضت الأئمة [على التقرير و][4] أذنوا في الصرف لأربابه ولا بد يفتح هذا باب مشقّة عظيمة [ولا ينبئك مثل

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).

خبير][1] فلم يلتفت الإمام إلى هٰذا القول [وصَمَّم على القول القديم ولما أيس النَّاس من رجوع الإمام عمَّا مضىٰ فيه من تسليط الشجني على الأجبار][2] جزم آل الإمام بالمضيّ فيما تعاقدوا عليه ، وكان أسرعهم إليه محمّد بن الحسين بن عبد القادر لحقده القديم، وكان اجتماع آل الإمام بدار إسماعيل بن الحسين بن المهدي صنو الإمام ، وكان علي ردمان [مَن نكص على عقبيه وخان وكفر الإنعام والإحسان][3] فغمس يده في نقض هذه الأمور على الإمام بسبب الشجني ، وعدم قبول الكلام ، وكان له من الأطيان المكتسبة في جميع البلاد فحالف آل الإمام على أمور يقوم بها ويكفيها ، ويكون مصيرهم إلى بلاده والسكون فيها ودلّهم بعد ذلك إلى محلاّت يعرفها وبذل لهم أن ينصر القائم ، وكان محمد بن الحسين ختم الكلام معه على نصب محمد بن إسحاق وأنّه الأنهض بالقيام من غيره [على الإطلاق][4] دخل معهم محمد بن عبد الله بن الحسين بن القاسم والكلام على أنّه القائم بأمر الإمامة ولما [عقد الأمر على هذا المرام و][5] تمّ القول وختم الكلام قال ردمان: أنا آخذ الرأي من الإمام إلى أخذ العهد ببلادي وأسبقكم إليها ومضىٰ إلى الإمام واستأذنه في المضي فأذن له الإمام ولا يتطرّق إليه فيه الوهم لأنّه من أخص [الأعوان وله سابقة في قيام الإمام][6] ، لكن الشجني هو الذي أوجع قلبه مع القلوب فإن الأخفش وهو أخصّ الخواص هم فيما نقل وسعىٰ ردمان بينه وبين يوسف بن محمد بن المهدي في القيام ، وكان يوسف أسعدهم ، فثناه عن رأيه الحاج سعد مجزبي ، واتّفق خروج بيت الإمام وبطل أمر

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).
(٥) ساقط من (ر).
(٦) ساقط من (ر).

الشجني وما قد بدأ من أمر الأخفش بادٍ فحمد الله على الانحلال ، وحال هذه المتّفقات والحسين بن الإمام بخمر والأحمر [وقد ذلّ وقلّ](1) وملّ حياته مع مبالغة في العفو وبذل من نفسه النّزول على الحكم المتوكلي ، وفوّض الأمر إلى ولد الإمام في تخريب بيوته كما قدّمنا فرجح الحسين بن الإمام القبول لصلاح الأمور [لأنه أخبر وأعرف بحقائق الأمور](2) فآل الأمر إلى ما سنذكره إن شاء الله تعالىٰ .

وفيها فوّض الإمام أعمال الوزارة إلى الوزير الفقيه محسن الحبيشي بعد موت الحريبي .

وفيها وفاة علي بن صالح بن أبي الرجال(3) بلغ في الكبر عتيّاً وله شعر جيّد مذكور في ديوانه ومن شعره في الاقتباس:

قالت لها جاراتها وقد خلون بالحما
هل نال منك بعضهم في وصله محرّما
فأقسمت وابتسمت عن شنب يشفي الظما
بأنّه ما همّ بي مذ هام بي وإنما
أنا الذي راودته عن نفسه فاستعصما

ومن شعره:

وغادة قد أخجلت بحسنها شمس الفلك
فزرتها إذ غفلت عن بابها أهل الدرك
فغلقت أبوابها ليلاً وقالت هيت لك

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) هو من أشهر شعراء عصره. انظر ما كتبناه عنه في كتابنا الأدب اليمني ص ٥٥١ ـ ٥٨٠.

وفي سنة ١١٣٦ مازج الشدّة بقدح زناده بالنار ، ولم تزل الجراد في تـرداد حتى أهلكت البلاد والحسين بن الإمـام بخمـر ، على الحـال من المثاغرة وصدور الأجبار تغلي من أجلها بسبب الشجني وبينا الحسين بن الإمام في إخماد نار تلك الأهوال ومباشرة القتال ، [ولم يبقَ إلاّ مسافة صغيرة يسيرة الاستئصال والإمام على التصميم ومع الناس من أمر الشجني المقيم المقعد وقد انقطع رجاؤهم][(١)] فما شعر الناس بعد صلاة الجمعة عند المغرب وهم في الروضة إلاّ بفرار آل الإمام إلى أرحب ولم يتضح للإمام هربهم إلاّ قريب صلاة العشا وقد قطعوا مسافة فأطلق بعدهم الخيل والرجل [ولما حدث هذا المتّفق][(٢)] لم تكتحل لهذا الحادث عين الإمام بمنام [وعتب في عدم إيقاضه بهربهم على مَن يختصر وأرجف الناس تلك الليلة بمسير آل الإمام أجمع ثم إن الإمام طلب حال هربهم مَن بالروضة من آل الإمام أجمع وتكلّم بكلام معهم ظاهره التهديد والوعيد والتجرّم من الهـاربين][(٣)] وكشف الإمام عن الهـاربين فإذا هم محمّـد بن عبد الله بن الحسين ومحمـد بن إسحاق ومحمّـد بن حسين بن عبد القـادر وفي اليوم الثاني من هربهم تبع الإمام لهم بنفسه فبلغ بين الدرج وأقام بها خمس ليالٍ ، وورد إلى الإمام الحسن بن صلاح الديلمي عامل جبلة بالتقدمة فلم يلتفت إليها لاشتغاله بهذه المهمة ، وأمر من فوره بالذّهاب إلى استصلاح ردمان وأن يبذل له الأيمان والأمان ووهب له التّقدمة أجمع فسار إلى علي ردمان في الحال وساسه ، وضمن له ما طلب [وردّه على ذلـك الجمع الذي ألّب][(٤)] ولما قرّر معه الرجوع رجع إلى الإمام ورجح الإمام الرجوع إلى الروضة والاستعـداد منها والنهضـة وأبطل من سـاعته طلب الأجبـار

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).

بالكلية وعرف أن من قبلها جاءت البليّة ثم تنكّر للشجني ورماه، الناس [عند الإمام][1] عن قوس واحدة واستمر الذين فرّوا في قرىٰ أرحب وما منهم إلاّ مَن سهّل لهم القِرَىٰ [مع الشدّة] ولما خلصوا بقرية مدر[2] ظهر أمرهم المكتوم فبويع لمحمّـد بن إسحاق وأخلفـوا محمّد بن عبـد الله ما وعدوه من المبايعة له وكان محمّد بن حسين اختدعه للخروج بالإيهام ولما أيس محمد بن عبد الله من البيعـة وجال فكـره بين النفوذ والـرجعة [لم ينطلق معهم لبيعة محمّـد بن إسحـق ومضىٰ معهم إلى الرجـو وهو على الامتناع وقيل انه بايع بعد وكان توسّط له يوسف بن محمّد بن المهدي في الرجوع إلى الإمام وعلّل بمرضه المخوف فهمّ الإمـام يرسـل له التخت وفارقوا الرجو وهو معهم على أشدّ حال من الألم واستحـكام الكمد والهمّ والغمّ ولما تمّ عليه من التدبير][3] ولما بلغ الجميع إلى قـرية هـاوم[4] أدركه أجَلَه المحتوم ولقي الله عزّ وجل [ولم يظفر بشيء مما أمل] ورجع أولاده من ساعتهم إلى الإمام قبل دفنه ، ولم يقمْ على قبره ابن عمّه ولا ابنه ، فلما وصلوا إلى الإمام حمد منهم ذلك وعزّاهم في أبيهم وأفاض من معروفه عليهم وراح محمّد بن إسحاق وأهل بيعته إلى بلد شاطب[5] وبثّ رسـائله إلى جميع البـلاد وترادفت عليـه القبائـل فشقّ[6] به مـع الأزمـة الإنفاق ، وأمّا الإمـام [فلما اتفقت هـذه الحادثـة فبعد رجـوعه من بئـر الدرج][7] انتظر ردمـان حتى رجع إلى الـطاعة ثم أن الإمـام دخل من

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) مدر: مدينة في أرحب بالشمال من صنعاء.

(٣) ساقط من (ر) واستبدله بجملة مختصرة هي قوله وسار معهم وهو على أشد ما يكون من الهمّ والغمّ والكمد.

(٤) قرية من عزلة عيال عبد الله بناحية أرحب.

(٥) بلد من أعمال ذي بين لسفيان.

(٦) عبارة (د) وكانت القبائل رفعت رؤوسها إليه وترادفت وفودها عليه.

(٧) ساقط من (ر).

الروضة إلى صنعاء [بعدما لبث بها عاماً ولم يلتفت عندها إلى غير تقديم][1] استصلاح الأحمر وكان في ظن آل الإمام الهاربين أن الأحمر لا يسعد إلى الصّلح لما ناله من الموجعات وأنّه يدفع بنفسه وماله دونهم فلم يكن له التفات غير قبول صلح الإمام ، وتمَّ بينه وبين الإمام الصلح بوساطة ولده الحسين بن الإمام [وعقد بينه وبين والده العهود الوثيقة وكانت الشدّة على الوتيرة واستحكامها في الناس لم تغادر صغيرة ولا كبيرة][2] **وأمر الإمام بعد تمام صلح الأحمر ولده الحسين بالبقاء بخمر واشتمّ** الحسين بن الإمام من والده ما كَدَّر طبعه ، وذكر عن محمّد بن الحسين أنّه نُدم على خروجه لما قاسىٰ من الإنفاق فراح إلى عَرَّام[3] في جمع القبائل وحاول من الأحمر الاتفاق فلم يحصل منه على طائل ثم إن الحسين بن الإمام بعد تمام صلح الأحمر توجّه من خمر إلى أرحب [وعامل أهلها بقبولهم الهاربين من آل الإمام][4] وأخرب فيها بيوتاً كثيرة[5] ، وما كان هذا من رأي الإمام [فيما نقل انفصاله عن خمر][6] ورأىٰ ولده أن بقاءه بعد صلاح الأحمر لا فائدة تترتّب عليه ، ولما صكّ أرحب بسطواته ، وأخمد وقودها بلغه مصير محمّد بن الحسين إلى عَرَّام وصار إلى ريدة ، وكان قد انفصل قبله إسماعيل بن محمد بن إسحاق إلى المغارب ودبّروا مع محمّد بن الحسين أنّه سيدخل كوكبان وانتهوا إلى الصلبة فانتهبت ولم يعجب محمّد بن إسحاق من محمد بن حسين ما خَمَّن من الوثوب وقطع أنّه إن قصد بأرحب على الانفراد أنّه مغلوب ، وصار محمّد بن الحسين

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) عَرَّام: قرية من مرهبة من ناحية ذي بين.

(٤) ساقط من (ر).

(٥) ساقط من (ر).

(٦) ساقط من (ر).

إلى أرحب وجمع قبائله وسرىٰ بهم في اللَّيل إلى شبام [فلمّا بلغ محمد بن الحسين][1] فوصل إليها عند الصَّباح ونزل بدار ابن عمّ له [بالعوار][2] وظن أن كوكبان يتسهّل له الولوج ، وأن عامله لا يقاتله وإنما يقابله بالخروج ، ثم إن عامل كوكبان بادر بالكتاب إلى الحسين بن الإمام [يخبره بوصول محمّد بن الحسين إلى شبام وكانت ولاية كوكبان إليه فبادر الحسين بن الإمام فوصل إلى شبام][3] فلما بلغ محمد بن الحسين وصوله بادر إلى طلوع العين[4] ، وهو لا يشكّ أن العامل لا يمنعه من الدخول فلما وصل إلى الباب منع من الدخول وقابلوه بالرَّصاص المُذاب ومع وصول الحسين بن الإمام شبام لقي أقارب محمد بن الحسين كل محذور وقتل ابن عمّه بداره ثم إن الحسين بن الإمام تبع محمد بن الحسين وصعد العقبة فلما عرف محمّد بن الحسين أنّه مأخوذ وهالك قصد الاعتصام ببيت عزّ فلحقه الحسين إليه وضايقه أشدّ مضايقة ، فعندها سقط في يده وضاق به الحصار ، وخطّأ نفسه بدخول بيت عز ولا أنصار فراجع الحسين بن الإمام على أن يتسلّم إليه هو ومَن معه مجملين ففعل الشَّرفي بن الإمام ما سأل وخرج إليه وبادر الحسين إلى والده بالبشارة ، لما تمّ القبض على محمّد بن الحسين سكنت الهزاهز وتقدّم الحسين بن الإمام إلى والده ومعه محمد بن الحسين يُقاد بين يديه ، فلما بلغ إلى باب المنجل[5] أمر الإمام الأخفش بالزنجير يضعه في رقبة محمد بن الحسين وكان رأي ولده الحسين بن الإمام ترك ذلك فراجع والده فلم يسعد إلى ذلك وخرج مَن بصنعاء للتفرجة وما زالت الجيوش تدخل باب السبحة من بعد الشروق إلى

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) بليدة من ناحية السُّودة قضاء عمران.
(٥) موضع من جهة الغرب لصنعاء.

قرب صلاة العصر ، فلمّا وصل محمّد بن الحسين إلى القصر أقيم وأصحابه أمام الدار وخرج الإمام لاعتراضهم وأمر به وبأصحابه إلى نوبة المدافع بعد أن قاسوا [أهوالاً لا يحدّ ذكرها ولا وصفها][1] ووضع في رجل محمد بن الحسين الأدهم ولبث أيّاماً بالنوبة ثم بدأ الإمام نقله إلى سجن زيلع مقيّداً على جمل ، وأمر أن يُطاف به على الصّفة في مدائن اليمن .

وفي سنة ١١٣٧ انتقل محمّد بن إسحاق من شاطب إلى ظَفَار وصار علي الأحمر إلى عَفَار ، وكان الميل إلى محمد بن إسحاق فأهمّ الإمام هذا ونظر في الأمور فعطف على ولده الحسين بعد جفوة نالته بعد دخوله لمحمّد بن حسين ، فطلبه الإمام إليه فأقبل عليه بعد الإعراض وأخذ عليه بالمبادرة لإطفاء نار الفتن وأعطاه من المال ما طلب ومن الخيل والرجال ما سيظهر به على العدو ، فخرج من صنعاء وعرّج بكوكبان وكان إسماعيل بن محمد بن إسحاق عند طروقه الصلبة وانتهابها وتوغله ببلاد كوكبان والأحمر بالمغارب واستقر بحفاش ، واستفحل أمره وملك الحصون ، ونفذ الحسين بن الإمام من كوكبان وتوغّل في البلاد دخولاً ، ونزل الأحمر على حكمه إليه ، ولما استقرّ الحسين بن الإمام من أطراف بموضع سحيق وعلمت القبائل بتقدمه فأقبلت إليه من كل فجٍّ عميق واتسع نطاق الإنفاق ولم يتم من الإمام الوفاء لولده بما شرط من تتابع المواد ، فوجّه إلى والده يخبره بما عليه من التكليف ، وما لديه من جمع القبائل مع ضعف النّاس والرعايا مع الشدّة فتباطأ الإمام بإرسال المادة ، وظنّ الحسين بن الإمام أن المماطلة من والده لقصد [وإن ثم سعي من الحسّاد][2] في اختلال النظام فقوّض الأطناب ، ورجع إلى كوكبان كالمغاضب ، وعند رجوعه إلى

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

كوكبان كثر بصنعاء الأرجاف أنه خلع ربقة الطاعة ، وأن الأحمر بايع له [مع الجماعة فقلق لهذا الإمام واقتضىٰ رأي][(1)] الإمام تدارك الأمر قبل التفاقم ، فبعث إليه جماعة من القضـاة واختار لمخـاطبته السيِّـد حسين الأخفش ، وكان خاصّاً بالإمام وبه حين نـزل بمقام الحسين[(2)] بكـوكبان أفاض إليه موجبات الرجوع بما أقام به الحجّة وأبان وإن سببه التقصير وما زال الأخفش [يتلطّف مع الحسين بالمقـال ويعرّفـه بحقوق الآبـاء على البنين][(3)] وضمن لـه على الإمام أن لا يقـابله بغير الإعـظام والتجليل [فأسعده إلى دخول صنعاء وقد كان همّ بالخلاف على شروط أكيدة][(4)] ولما تقرّر الأمر على هذه الصفة وتهيأ الحسين من ساعته للسفر وقدّم إلى حضرة أبيه ما شعر الإمام إلاّ [والحواشي تزدحم والصافنات الجياد على الباب تحمحم][(5)] فقابله بالتكريم وألبسه خلع التعظيم وكشف عن الأوهام نقاب التحقيق ، وعرف والده أن رجوعه إلى كوكبان سببه تأخير المادة ، فعلم الإمام أن التقصير كان منه ، ولم يزلْ الإمام يقابله بالبشر [والإيناس][(6)] في الظاهر ويفرط في قطع أرزاق أصحابه وخيله غير مجاهر .

وفيها توفي يوسف بن الحسين صنو الإمام بالوادي ، وراح الإمام لدفنه هناك ولم يلبث إلاّ بمقدار أداء مسنون العزاء [فيه لأهله وكان يوسف بن الحسين انعزل بالوادي بضع أعوام كالمغاضب في الباطن للإمام][(7)] .

وفيها أودع دار الأدب علي بن الحسين بن علي بن المتوكّل، فإنّ عداته قرّروا عند الإمام أنّه ممّن شاور آل الإمام في العزم ، وأكثر أذيّة من الفقيه محسن الحبيشي الوزير ، بسبب سالف الأحقاد المتقدّمة من أيّام صاحب

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) في (د) الإمام.
(٤). ساقط من (ر).
(٥) ساقط من (ر).
(٦) ساقط من (ر).
(٧) ساقط من (ر).

المواهب وقد تقدّم ذكر ذلك ، وأكّد الإمام على الأخفش العامِل في صنعاء بمراعاة جانبه مع الاحتفاظ وأعفاه من التحجيل بالأدهم وحين تم سجنه خاف والده الحسين بن علي به يطول الأمد ، وأشار إليه والده بالانتزاح وحثّه على المبادرة وأمدّه بمال ، فراح تحت أذيال الليل إلى ذيفان وتوسّل إلى الإمام في العطف وفكاك ولده من السجن وما زال بذيفان شطراً من الأيام ورام تحريك القبائل فوجدهم نيام، ولم يظهر منه تخبّط ولا إنجاع مفرط فلاطف الإمام بالعطف والإبقاء وشكا إليه ما يلقىٰ من شدائد الأزمة مع البقاء فحرّكت الإمام له عواطف الشيم وأبت سجيّته إلّا العفو والكرم ، وكان غايته تخليص ولده من السجن ، فآل به الحال إلى ما سنذكره إن شاء الله تعالىٰ .

وفيها توفي المحسن بن الحسين صنو الإمام ، ودفن بقرب تربة وهب بن منبّه وكذلك صنوه إسماعيل بن الحسين توفي قبل المحسن بلا فصل عقيب مسير الإمام وله اليد الطّولىٰ في السعي والمعاقدة بينهم بالقيام ، وسلّم بموته من التِبعة واللائمة ، وقبره بروضة وحاتم .

وفيها وفاة إبراهيم بن الحسين صنو الإمام برداع وكان حسن الطويّة كريم الطباع .

وفيها لما استوزر الإمام زين العابدين فثقل على الفقيه محسن الوزير ، فسعىٰ له بولاية ريمة بقي فيها أيّاماً ثم عزل وانتصب له الفقيه محسن لجور نسب إليه وقال احتجر عليه فصودر بمال ولقي أهوال وتغيّر عليه قلب الإمام ، فلما أكثر عليه الفقيه محسن المقال عند الإمام خرج على تخفٍّ من داره فتوارىٰ وبثّ الإمام الرجال في طلبه ووجد بعد ثلاثة أيّام في دار السيِّد محمد بن إسماعيل الأمير[1] فأراد الإمام البطش به فشفع

---

(١) هو علّامة اليمن الكبير صاحب مؤلفات كثيرة، وفاته سنة ١١٨٢ .

فيه عند الإمام الحسن بن إسحاق فقبل الإمام شفاعته في عدم البطش والانتقام وألزمه الارتحال عن اليمن إلى دياره فركب البحر ونزل بالمدينة المشرّفة على صاحبها أفضل السلام ، وما زال بها حاكماً إلى أن لقي الحمام في سنة سبع وخمسين ومائة وألف وكان ابتداء خروجه أيّام عمالة الحريبي للمخا في أيّام صاحب المواهب وعرف به المهدي وارتقى لديه في الوزارة أعوام وعند المتوكل كذلك وإنما الفقيه محسن تصدّر لأذيّته حتى أوجب على الإمام إخراجه من اليمن .

وفيها وقع الصّلح بين الإمام ومحمد بن إسحق وأطلق الإمام إخوته على الإطلاق والتفت الإمام إلى الحسن بن إسحاق غاية الالتفات وواصل الإنعام إليه [جبراً بما فات](١) وكان محمد بن إسحق شرط على الإمام [مع إطلاق إخوته](٢) التفريج عن محمد بن الحسين فما أسعده الإمام إلاّ لنقله من زيلع إلى قصر غمدان واستقرّ محمّد بن إسحق بظفار ومع هذا والحسين بن الإمام بصنعاء على التجافي [وهم فيما زعموا بسلّ الظبا أو الانقلاب من الحضرة مغاضباً](٣) فنجم خلاف بالمغرب [وتخشّى الأحمر] وقلّ احترامه وتكاثرت الفتوق من كل جانب وكثر الشاكي إلى الإمام [لعدم الذابّ عنهم](٤) فاتّضح للإمام أن ما لها غير ولده الحسين المعروف بالفتات [فبادر به إلى سدّ الثغور وإطفاء نار الحرب ذات الوقود فخرج من صنعاء بعد أن أصلح الإمام فاسده وقع معانده إلى مبين](٥) واتفق به الأحمر هنالك وحصل بينهما من الوفاق ما كان للأحمر به النجاة من المهالك وكان في الظفير يحيىٰ بن جعفر متغلّب على الحصن

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).
(٥) ساقط من (ر).

واستفحل أمره واحتال في حفظ الحصن برتبة استدعاها من الأحمر وكان الأحمر قد استولىٰ على عدّة حصون بتلك الجهات فدبّر عليها الحسين بن الإمام حتى خلصها من العاهات ورجح نظر الحسين بن الإمام استدعاء يحيىٰ بن جعفر من الظفير ، فما اطمأن فؤاده إلى الخروج ، فكفل له الشيخ علي راجح أن لا ينال بسوء ، وأن يرجع في يومه ، وإنما القصد الطاعة [منه ومن قومه فمثل يحيىٰ بن جعفر على البساط الشريف واعتذر عن ذنوبه في تلك الساعة ثم رجع من فوره إلى الظفير وحين صلحت الأعمال](١) رجع الحسين بن الإمام إلى عمران ودخلها والسعد في قران وما أعجب الإمام ذلك الاتفاق(٢) .

وفيها ظهرت بصنعاء اليمن رسالة سمّيت بنصيحة الإخوان في الذبّ عن سبّ معاوية بن أبي سفيان فثارت لها حفائظ الشيعة وعدوا ظهورها في خططهم من القضايا الشنيعة فأجاب(٣) عليها السيِّد صلاح بن الحسين الأخفش وألزم قائلها إلزامات كثيرة .

وفي شهر رمضان انسلّ علي بن الحسين بن علي بن المتوكل من سجنه بصنعاء [بضرب من التلطيف عجيب](٢) وخرج من القصر [في الخارجين] في اللّيل للصلاة وقد تنكر بزيّ النساء وصار إلى مسجد خضير(٤) [وهو إلى باب شعوب أقرب محل](٥) فلما فتح الباب بعد صلاة الفجر ركب على ما أعدَّ له بعض أصحابه [من اليوم الأوّل](٥) واتصل

---

(١) في (ر) استبدل هذه الجملة بقوله فأتي ووطي البساط ورجع من يومه ولما صلحت الأحوال.

(٢) ساقط من (ر).

(٣) وهو بعنوان «عجالة الجواب في الردّ على شيعة معاوية الكلاب» منه نسخة مخطوطة بجامع صنعاء برقم ٩١ مجاميع. انظر (مصادر الفكر الإسلامي ص ١٣٤).

(٤) هو من المساجد بصنعاء يقع في الجهة الشمالية الشرقية بالقرب من باب شعوب شرقي الطريق النافذ من باب شعوب. انظر مساجد صنعاء للحجري ص ٩.

(٥) ساقط من (ر).

الخبر بالأخفش عند حلول الإفطار فغشي عليه وظن أن الذاهب محمد بن الحسين فحصل بقلبه نكتة انفطر بها ونمي الخبر إلى الإمام ، وهو بحدّه متنزهاً فبادر بالدخول إلى صنعاء ولام الأخفش [وقرر عليه أنه الجاني ويُقال أنّه ناله بشيء من الأدب وأقسم ليغرِّمنّه ما لزم في شأنه في موجبات الحرب][1] وصار على ابن الحسين إلى حوث واتفق بالأحمر وخاض معه ، وكان الأحمر باقياً على الصلح الذي وقع فماطله وأوعده بما امتنع [إلاّ أن علي بن الحسين شغل الإمام بموقع خطابه في القبائل ومع ذلك فلم يُطِل بالأخفش المدىٰ][2] بعد خروجه وعملت بقلبه النكتة فمات كمداً رحمه الله تعالىٰ .

وفيها استروح الإمام نفس الخلاف من عبد الله بن طالب وهو في قعطبة فوجَّه عليه محمد بن علي بن الحسين في الظاهر لتولِّي ذمار والباطن التقدّم إلى قعطبة والسبب الحامل لعبد الله بن طالب على الخلاف أنّه جرىٰ بينه وبين أحمد بن المتوكل تنافس على البلاد وتغافل الإمام عن حزم المادة وظن الإمام أن ولده الحسين دسَّ عليه وأنّهما اتفقا في الباطن عليه وسيأتي تمام الكلام .

وفي سنة ١١٣٨ اتسع نطاق الفتنة بين أحمد بن الإمام وعبد الله بن طالب فجهّز أحمد بن الإمام يحيىٰ بن علي صاحب صعدة وأصحبه الفرسان [وألبس راكبها السَّوابغ الحِسان وناط به عسكراً][3] أملأ الفضاء ، ولما أحسّ عبد الله بذلك كاتب سيف وقحطان سلطاني المشرق وأرسل بعض إخوته [واستعان بهم على ما توجَّه إليه][4] فأمّا سيف فماطله

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط (من).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).

بعد أن وعده ، وأمّا قحطان «ففارق الأوطان ولبّىٰ نداه في جحفل جرار وانتهىٰ»(١) إلى قعطبة . ويحيىٰ بن علي أمير الجيش الأحمدي فاستقر بمحلٍ يُقال له الأحذوف(٢) فلما وصل إليه فرّق الجيش في الخطط ، وأراد يتوفّر له ما ينفقه عليهم ، وذلك عين الغلط ، فانحطّ عليه عبد الله ، فما كان أسرع من أخذه وإيقافه بين يديه ، فأنفذه أسيراً إلى قعطبة واستولىٰ على جميع [ما أجلب به واحتوىٰ على الخيل الأحمد وأدراعه وركابها] ، فلما بلغ أحمد بن المتوكل وكان حينئذ بيفرس ظن أن عبد الله بن طالب يمدّ خطاه إلى تعز بعد الوقعة ، فبادر إلى حفظها سريعاً [وكان خروجه من يفرس اقتضاباً فنال الناس كمال المشقّة حتى حمل القاضي أحمد بن عبد الواسع بالليل ، وهو في السّياق على الأعناق وأدركه أجله بمحلٍ يُقال له الضّباب(٣) فحمل منه ميتاً إلى باب تعز ، ودفن بها وعبد الله بن طالب رجع إلى قعطبة محل ولايته ، وكان الإمام قدم محمد بن علي إلى الرضمة(٤) في الخيل والرجل وأمره أن يطرح بها حتى يتقوّم بالميل . وهكذا السيد حسين القطابري من جهة النادرة وعامل رداع السيد شرف الدِّين النّمري ، وكان بيده المعسال فغنم آل غنيم ارتجاعه ، فانتهزوا الفرصة في الوثوب عليه فلما كانت قضية المعسال تبعت قضية الأحذوف أشار الإمام إلى أهل المطارح بالوقوف حتى ينظر في الأمور ورجع عامل رداع لاستحلال المعسال إن أمكن ثم إن الإمام](٥) أمر بالتقدّم على قعطبة وعبد الله بن أبي طالب يراجعه في هفوته ، ولما ألوت المحاط به من كل جانب عطف الإمام عليه أيّامه السابقة معه في الجهاد

---

(١) ساقط من (ر) واستبدلها بقوله: «فأتى ملبياً».
(٢) لعلها أحذوف الحشا بالشرق الشمالي لتعز.
(٣) الضباب عزلة كبيرة من ناحية صبر قضاء تعز.
(٤) قرية بالشرق من يريم بمسافة ٣٤ ك.م.
(٥) ساقط من (ر).

وأشعر الإمام الأمراء بقبول توبته ومحو حوبه ، ورجع أصحاب الإمام إليه[1] وجدّد لعبد الله [بن طالب][2] الولاية وأرسل له بخلعة فاخرة وأطلق يحيىٰ بن علي من الأسر وحسمت المادة .

وفيها طال بالحسين بن علي بن المتوكل اللّبث بذيبان ، فخاض مع ردمان وعوّل عليه في طلب الصفح له من الإمام ، والأمان فتجاوز الإمام عن خطيئته وبادر بالمجيء إلى الإمام ، فلما وصل إليه تلقاه الإمام بالإكرام والعفو ، وأمّا ولده الحسين ، فإنه لما استقر بحوث اجتذب الناس إليه والهارب من صنعاء لجأ إليه ، وتسلسل الأمر إلى هرب النِّساء مع أزواجهنّ فتكدَّر من ذلك صفو الإمام ، وأعملَ فكره بحسم المادة بالنظر العام ، وكان الأحمر تجمَّل بالهاربين إلى خطته [وكان الحسين بن الإمام بعمران ففهم من فحوىٰ لسان الإمام محبة استجلاب الهراب **إليه**][3] وكان بين الحسين بن علي والحسين بن الإمام ألفة سابقة من اليمن ، وبينهما كال الصَّداقة فعوّل علي ابن الحسين على الحسين بن الإمام في طلّابه إليه والبقاء لديه فأسعده إلى ذلك ، فسارع الوصول إليه فقابله بالتكريم والالتفات ، ولما استقرّ علي بن الحسين بعمران اطمأن به الدَّار ، وطاب الحال وقرب من الحسين بن الإمام ، وكان لا يفارقه في غالب الأحوال ويعمل برأيه في الأقوال والأفعال وبلغ الإمام ذلك فتشخصت له الأوهام في ولده وتجسدت وظن الإمام أن ولده مبطن عليه الخلاف .

«هنا بياض مقدار أربعة **أسطر**»[4]

---

(١) هذه الجملة من قوله: «أمر بالتقدّم» بدّل فيها ناسخ (ر) وحرف.

(٢) ساقط من (ر).

(٣) ساقط من (ر).

(٤) زاد في (د) «وقال: لعل ثم نقص».

وفود أرحب إلى الإمام لمّا دخلوا صنعاء فكثرت منهم أذيّة الناس والنهب والتخطّف خلف السور والأبواب وضجّ الناس من تعدّيهم إلى الإمام ، فنهاهم فما ازدادوا إلاّ جرأة بغير احتشام ، فتعاقدوا بينهم على ارتكاب الحادثة العظمىٰ ، فساقهم سيىء أعمالهم إلى الانتقام ، ولم يكفهم ما خرجوا به عن الطاعة والأدب ، حتى توعّدوا السوقة بالانتهاب يوم الجمعة عند صلاة الجماعة ، فتصابر الإمام وتغافل من أجل أن يقضي بهم الغرض ، فما زادهم الإغضاء إلاّ تلصّصاً ، وزيّن لهم الشيطان ارتكاب القبيح ، ولمّا كان يوم الجمعة ثالث وعشرين رمضان قبل الصّلاة ، وفرغ الإمام منها وقف بمحلّه المعروف للاعتراض ، أقبلت الكتائب واحدة بعد واحدة ومرّ في أثنائهم مكتب أرحب المنحوس ، ولم تدفع من بنادقهم في التعشيرة إلاّ اليسير وحَلَّق جمعهم بجنب البكيرية(١) يتأبّط شرّاً فكان من الأسباب المقدّرة أن دفع أحد المماليك فرسه بالميدان فمال شوطه قليلاً بلا اختيار له إلى حلقتهم فثار إليه أحدهم بالحملة ، ودفع بعض(٢) **الفرسان للحجز بينهما في الجملة فوجّهت أرحب بنادقها، وأطلقت ما** في أجوافها ، فأرسل الإمام إليهم ، وهو برأس الصَّف مَن يأمرهم بعدم الإطلاق والكفّ ، ولمّا لم يرَ منهم الامتثال [ولا كفُّوا عن الرمي](٣) وأراد تحقيق القضية ، فعزّز بيوسف بن محمد بن المهدي لخطابه فما سمعوا منه الخطاب ، وراموا الفتك به للإعجاب ، ولم يخلص لهم [إلاّ بعد هول مهيل ولم يتصل بالإمام إلاّ وقد طاح بين يديه قتيل من بنادقهم ورمىٰ هلال المظلة فأمر الإمام مَن صاح بإهدارهم وأذن في قتلهم](٤) وبرز بنفسه بين

---

(١) البكيرية: من المساجد العامرة بصنعاء في الجهة الشرقية بالقرب من القصر عمّره الوزير حسن باشا سنة ١٠٠٥ «مساجد صنعاء ص ١٧» وقد سبق ذكره في بعض الحوادث.

(٢) في (ر) أحد.

(٣) ساقط من (ر).

(٤) ساقط من (ر) وأبدله بقوله: «عند ذلك أمر الإمام بإهدار دمائهم.

الصفوف وكرّت الفرسان فيهم كالصقور وأطلقت الرتب من القصر بنادقهم إلى ظهورهم ، [والتجأ بعضهم إلى مقبرة البكيرية والسُّور ، وأمر الإمام بحفظ الأزقّة من نفوذهم، وإغلاق باب الدُّور، وعندما اشتجرت فيهم الرماح تنضّد الميدان بجسومهم ، ولم يرتفع عنهم القتل إلى اللّيل فصاروا ما بين قتيل وأسير وجريح واقتحم عليهم بعض الفرسان السور ، فتردّوا من أعلاه ، وتفرّق الهراب منهم طلباً للنجاة ، واختفوا بمنيعات المساجد ثم إن الإمام انفصل عنهم من الميدان إلى ميدان الذَّهب بالقصر وهم يقادون إليه أفواجاً ، ثم أمر بعد ساعتين برفع السَّيف عنهم ثم إن الإمام ، أمر بأسراهم إلى المناخ ، وأمر بجمع قتلاهم على الأرض ، واختلف الناس في عدة القتلىٰ ، فمنهم مَن قال: إنهم مائة أو يزيدون ، ومنهم مَن قال: خمسين وأمّا الأسرىٰ فتنيف على ستمائة ثم إن الإمام][1] أمر بتفريقهم إلى الحبوس في جميع اليمن ، وكان يوسف بن محمد بن المهدي غامر في ذلك اليوم ، ويُقال: إنّه استهول الأمر فانصدع فؤاده وغَصَّ بالريق فشرق ، وهذا لا أصل له وإنّما صادفه أجله فمرض أيّاماً يسيرة ولقي ربّه ودفن أوّلاً بمقبرة خزيمة ، وبدا للحاج سعد مجربي ، فنقله خوفاً من حبَّار[2] ، فنقله ليلاً إلى العلمي[3] فدفن به ثانية بمسجد عمّره عند السَّيِّد حسين الأخفش الشامي ، ولما خلص إلىٰ أرحب منهم مَن نجا فاستمر بعضه في النكاية [وإيجاع الإمام][4] **فحزّ** رجال منهم قرون النساء

(١) ما بين المعقوفتين اختصره ناسخ (ر) بقوله: «وأمر الإمام بحفظ الدروب وأعلام الدور ولم يرتفع عنهم القتل إلى الليل».

(٢) حَبَّار بلد من أرحب، ولعلّ أصل العبارة خوفاً من أهل حبّار.

(٣) مسجد العلمي من المساجد العامرة في الجهة الشمالية من صنعاء قبلي الطريق النافذة من الفليحي إلى السائلة، وعن هذه الزيادة المقبور فيها المذكور يقول القاضي محمد بن أحمد الحجري: «ويتصل بالمسجد من جهة الغرب قبّة عمّرها الشيخ سعد بن سعيد المجزبي في سنة ١١٣٩ وبجوارها قبر سيدي يوسف بن الإمام المهدي محمد صاحب المواهب، وقبر أولاً بخزيمة ثم نقله الشيخ سعد بعد أربعة وأربعين يوماً». انظر مساجد صنعاء ص ٨٥.

(٤) ساقط من (ر).

والنواصي ودعوا بالنكفة المعروفة [بينهم كل عاصي وداعي هذا لا تهمله القبائل][1] فأجابهم حيّ بكيل وحاشد وجهد الحسين بن الإمام وهو بعمران في سدّ الثلمة لأبيه فقرّرت السعاة أن لولده هذا إرادة ، وبان له مَن شاهد الحال تأكّد الواهمة [فيه خلاف العادة وصار في أمر مريج ولم يزل يكرّر على الإمام المراجعة ويعلمه أنّها إن لم تدارك فعواقبها فاجعة فما أثر قوله إلّا البعد الشديد والانتهاج من المخالفة للرأي في غير ما يُريد وما يفيد][2] .

وفي سنة ١١٣٩ فارقت أرحب عكفها وأحكمت ما بينها عند نكفتها ، ورمت عنها أحلافها بسهم الإجابة ، وكان الحسين بن الإمام كما قدَّمنا حام حول ذلك الجيش وسعىٰ في كفّ اجتماع البغاة بالتنفيس وردّ السلاح وإطلاق المحابيس][3] فمضىٰ الإمام على التصميم ، ولما أجابت القبائل نكفة أرحب تحرك ابن جزيلان وابن الأحمر ومضىٰ على طريق الحسين بن الإمام إلى عمران وبه اقتدىٰ وطلب الإمام من القبائل سنحان والحدا وخولان وغيرهم وترك ولده يوسف بالروضة في خيل كثير وعسكر ثم رجح الإمام دخول ولده يوسف من الرّوضة بعد أمور يطول شرحها ولحق أهل الروضة مشقّة هائلة وذهب من أموالهم وحبوبهم ما له قيمة وبعد دخول يوسف بن الإمام صنعاء][4] انحطّت قبائل أرحب إلى الروضة فعاثوا بها وحملوا أبوابها وطيقانها إلى بلادهم ونهبوا فراش الجامع الكبير [بالروضة][5] ومزّقت المصاحف ، وصار الحسين بن الإمام والأحمر إلى

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).
(٥) ساقط من (ر).

ضلع[١] ولما تمّ لأرحب بالروضة ما تمّ وكان بقاؤهم فيها ثلاثة أيّام خرج الإمام بنفسه إلى باب شعوب في الخيل والرّجل فقدّم مقدّمة إلى الروضة وكانت أرحب فيها فلما تحقّق لهم وصول الأجناد ارتفعوا إلى محلٍ عالٍ وحصل بينهم قتال وبلغ أصحاب الإمام إلى أطراف الروضة ، وقتل من أرحب جملة ، وأجلت أرحب عن الروضة ، وصار أكثرهم إلى بلادهم ، ورجع أصحاب الإمام إليه بالرؤوس وأمر بصلبها على الأسوار ، وكان الحسين بن الإمام ومَن معه مستقراً بضَلع [فلما اتفق هذا المتّفق بالروضة حصل مع القبائل البغاة روعة واتّهم الأحمر أنّها على رأسه صنعة فكاد يفارق مطرح ضلع واتفقت][٢] معارك بين الإمام وبين القبائل قتل من أصحاب الإمام إسماعيل بن أحمد الشاطبي وصنوه ومن العبيد جوهر أبو شنب وسلطان الحار ومرجان عبيد الإمام ، ثم تقدّم الحسين بن الإمام إلى باب المنجل ثم منه إلى حدة فخاض بينه وبين الإمام مَن خاض في الإصلاح فتَمّ عقده بينهما على أحسن الوجوه وأضاف إلى ولده الحسين الحديدة وحراز ورجع الحسين إلى عمران وأطلق المحابيس من أرحب وردّ سلاحهم ، ثم إن الإمام بعد الصلح أقبل على تلاوة القرآن .

وفيها توفي القاضي علي بن محمد العنسي بموضع من الحيمة يُقال له العرّ[٣] كان قاضياً بها من جهة الإمام ، نعم ولم يعش الإمام بعد قضية أرحب إلّا أقل من سنة أقبل فيها على تلاوة القرآن وفعل كل محسنة ، وكأنّه كان أحسَّ بقرب الوفاة ، وكان ولده الحسين بعد عوده إلى عمران مدَّ يده إلى الأطراف وتلقت العمّال أوامره بالعدل والإنصاف ، ولما لم يبقَ من شعبان إلّا الأقل أمر الإمام بالتمشية ورجع إلى الميدان وكان قاعدته في

---

(١) هي ضلاع: إحدى منتزهات صنعاء الشمالية بمسافة ٥ ك.م وهي من همدان.

(٢) ساقط من (ر).

(٣) العر: جبل عالٍ منيف في الحيمة الداخلية وهو متّصل بجبل النبي شعيب من ناحية الشرق. وفي أعلاه قرية العر المذكورة، وهي مركز الناحية.

البغشيش[1] للأجناد يتولّاه بنفسه ثم دخل إلى داره فأدرك بجوفه التهاب فدخل من ساعته الحمام ، ولما خرج منه زاد به الالتهاب واستدعىٰ الماء ودعىٰ بالفصاد عن أمر الطَّبيب ، فما زادت الفصد إلّا زيادة في العلّة ، فلزم الفراش وضعف قواه عن الانتعاش وما برح ينمو به الألم ، ولما أثقله المرض هتف بولده الحسين يصل إليه فتثاقل عن الوصول وظنّ أنّها حيلة عليه ، فلما تحقّق الحسين صدق المقال انفصل من عمران يوم الثلاثاء لعشرين خلت من رمضان واستصحب معه جيشاً جرّاراً من حاشد وبكيل وبرز بهم يوم الأربعا في بئر العزب ، ودخل إلى زيارة والده في الخواص من أصحابه ، فمكث عند أبيه ساعة وخرج إلى أصحابه ، ولمّا كان يوم الخميس لاثنتين وعشرين خلت من رمضان توفي الإمام المتوكل على الله ، ودفن بموضعه الذي عليه قبّته الآن[2] رحمه الله تعالىٰ .

ولما تمّ الدفن وقد ضبطت الأطراف ، شخصت إلى الحسين بن الإمام الأبصار ووردت في خلال هذه الأيّام دعوة محمد بن إسحاق من ظفار ، والناس بصنعاء مع الحسين بن الإمام في خوض بتحمّل أعباء الخلافة فلم يسعد وجهد الحسين بن إسحاق في ذلك وقال للحسين أنت أحقّ مَن يليها وحَسَّن له إذا قام بأعبائها ألّا يكون بينه وبين صنوه محمد بن إسحاق اختلاف فاستوثق الحسين بن الإمام من الجميع ، فكان ما سنذكره إن شاء الله تعالىٰ .

---

(١) البغشيش أو البخشيش بالخاء: عطية مجانية أو إكرامية قال المعلم بطرس: تركية معناها الهبة وقد بنوا منها فعلاً فقالوا بخشش وكلاهما عاميّ.

(٢) قلت هي المعروفة بمسجد قبّة المتوكل وهذا المسجد مما انتفع به النَّاس الآن مما دلَّ على صلاح نيّة واقفه، يقول الحجري في وصفه: من المساجد العامرة في باب السبحة عمّرها الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين بن المهدي أحمد بن الحسن في سنة ١١٣٩ وهو مقبور في جانبها وكانت تسمى بستان المسك. انظر «مساجد صنعاء ص ٩٤».

النفحات المسكيّة[1] في أخبار الدولة الناصرية المنصوريّة

(١) هذه السِّيرة لا نعرف وجود مخطوطة لها غير ما بأيدينا وهو مختصر عنها كما هي عادة المؤلِّف جمعها المؤلِّف عن أئمة عصره، وقد ذكر هذه السيرة العلاّمة محمد بن علي الشوكاني، وإنها في الحقيقة سيرة للوزيرين علي بن أحمد راجح ومحسن بن أحمد راجح.

قال مؤلِّف هذا التاريخ: هذا القسم الثامن من طيب أهل الكساء نعم ولمّا مضت من شَوَّال لييلات وجاءت الجمعة، برز الحسين بن المتوكل بدار الجامع ودعا النَّاس إلى البيعة لنفسه، فبايع مَن حضر الديوان ومَن دخل واستتمّت البيعة إلى قريب الصَّلاة وكان الحسن بن إسحاق وإخوته بلغوا من الحسين المحل العظيم وشملهم بالتكريم وشكر لهم بحسن القيام والسَّعي، وكان الحسين تلقَّب بالناصر ومحمد بن إسحاق تلقّب بالناصر كذلك، واستمر على دعوته كما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ، ثم إن الحسين بن المتوكل أنفذ البريد عقيب وفاة والده إلى إبراهيم بن محمد المهدي بن المهدي وهو بالمواهب، وكان صار إليها بالإذن من المتوكل لزيارة أرحامه، وإرسال البريد إليه بالعهد، له بولاية إبّ وجبلة وأمره بالمسارعة إليهما. وأمل الناصر منه الثبات في حراستهما، وكان في تعز أحمد بن المتوكل، وفي قعطبة عبد الله بن طالب، وأكثر الخوف منهما، فلما وصل إبراهيم إلى ذي جبلة فما وضع العلاقة[1]، ولا كاد يستقر فواق ناقة حتى طرق عبد الله بن طالب اليمن، وارتفعت يد إبراهيم عنها وبقي إبراهيم لديه أيّاماً في حكم الأسير وهو يطالبه بالمسير إلى المواهب فماطله إلى أن اتّفقا على رأيٍ صائب كما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ، ثم إنَّ

(١) العلاقة بالكسر السوط ونحوه.

الناصر بن المتوكل قدّم المقدّمات من العساكر إلى اليمن وانتخب لذلك مَن عـرف بـالشجـاعـة ، منهم أحمـد بن إسمـاعيـل البـرطي ، وراجـح الخولاني ، وكل واحد منهما بعصابة وافرة ، وكان عبد الله بن طالب جعل ولاية يريم إلى السَّيِّد حسين القطابري ، ولما فارق صنعاء مَن ذكرنا من الأجناد فوافوا إلى ذمار ، فقيل إنها حصلت مكاتبة من عبد الله بن طالب إلى البرطي والخولاني ووعدهما بشيء من المـال وأن يكونـا من حزبـه وقضي الأمر على هذا ، ولما قربوا من يريم كتب القطابري إلى عبد الله بن طالب بِصَفَة الواقع واستحثّه الغارة عليه ولم يكن له شعور بالخوض بين عبد الله بن طالب وجند صنعاء فأمدّه عبد الله بن طالب بنفسه فوصلت أجناد صنعاء إلى يريم مع وصول عبد الله بن طالب يريم ، فاتّفق بينهم مناوشة حرب ما تحتها طائل ثم حصل الإذعان من البرطي والتسليم وصـار من أعوان عبد الله بن طالب وكان عبد الله بن طالب استصحب معه إبراهيم في هذه الخطرة ولما حصل الاستيلاء على مَنْ في يريم أذن له بالعـود إلى وطنه المواهب ، ورجع عبد الله بن طالب إلى إبّ وصحبته مَن ذكـرنا ، وصالح عامر يريم صحبته وتخلّصه من المال ما مبلغه عشرين ألف قرش ورجح المنصور إرسال السيِّد العـلاّمة أحمـد بن عبد الـرحمٰن الشامي ، والقاضي عبد القادر النزيلي لاستصلاح عبد الله بن طالب ، فلما وصلا إليه لم يلتئم حال ، فرجع السيِّد أحمد إلى المنصور ولا شيء معه من تمام الأمور وبعد نفوذه إلى صنعاء قبض عبد الله بن طالب على النزيلي وصادره بمال ، واستمر بقاؤه لديه إلى أن قبض عبد الله بن طالب وحبس ، فصار

---

(١) كتب في (د) تعليقاً مهماً يقول فيه : «لعلّ هنا سقط في الأصل وهو من فعل المؤرِّخ فإنه صرّح باسم المنصور ولم يكن ذكر وقت نقل الدعوة والتلقيب من الناصر إلى المنصور فيبحث عنه» قلت : هذه الملاحظة مهمة وأظنه من سهو المؤلف حيث إن تلقّب الناصر بالمنصور سيأتي فيما بعد عند ذكر حادثة هناك وأظن المؤلف كتب حوادث تاريخه أو هذّبها بعد وقوع الأحداث بمدة ، والله أعلم .

النزيلي إلى المنصور[1] ، وفي هذا الأوان كان إسماعيل بن محمد بن إسحاق في وصاب عاملاً لأبيه من أيّام المتوكل فلما بلغه وفاته توجَّه من وصاب لأخذ ريمة عن أمر أبيه فما كان أسرع من أخذها والاستيلاء على مَنْ فيها وخاف المنصور يسري ذلك ، وكان مع وفاة والده أطمع الفقيه محسن الحبيشي في الوزارة وجعل الحلّ والعقد بيده وجعل أعمال التَّجهيز عليه إلى ريمة فأدَّاه نظره إلى اختيار السيِّد شرف الدين النمري وأمّره على جيش جرَّار ، وكان المنصور ركن إلى رأيه في اختيار هذا الأمير ، فلما توجّه وانفصل عن صنعاء استخفّ به الجيوش ، وطالبوه بالنفقات وعاثوا في الطرقات ولم يظهر له عليه صولة وأخبر المخبر أن الفقيه محسن هو الذي أشار على العسكر بأن يعثوا بل أشار على النمري بالتراخي في الطريق وقصد تقوية آل إسحاق فإنه يختلف بالليل إلى الحسن بن إسحاق ، ويُقال إنّه منّي بالوزارة لمحمد بن إسحاق وظهر للمنصور **من العسكر الذي توجه مع النمري عدم النَّصيحة، ومع هذا فانتقض البناء** بين الحسن بن إسحاق وبين المنصور في الباطن فاستمال الحسن العسكر بصنعاء إلى جناب أخيه وما زال يكثر الاختلاف إلى بير العزب وغيرها لأرب ، فما مضت ليالٍ في شهر ذي القعدة حتى تمّ له التَّدبير فما شعر المنصور إلاّ بهرب أخيه محمد بن إسحاق ومعهم محمد بن علي بن الحسين والحسن بن علي بن الحسن بن المتوكل وغيرهم من آل الإمام ومعهم عصابة من القبائل والخيل فرفع إلى المنصور ذهابهم .

[وجاء الخبر بأنّهم سلكوا على طريق أعشار[2] وخفي عليه شأن الحسن بن إسحق هل ذهب معهم أم بقي لأنه الأصل في عقد هذه

---

(١) أعشار قرية في الجنوب الغربي من صنعاء وعدادها بلد دي جره «المقحفي معجم المدن والقبائل ص ٢٩».

(٢) ما بين المعقوفتين أسقطه ناسخ (ر).

الكائنة فلم يعثر له في تلك السّاعة على خبر فعندها أمر المنصور بالاحتراس على الأبواب وأمر النقيب فرحان في طائفة من الخيل والتوابع خلف مَن ذكر وإرجاعهم بالقسر إليه ، فأدركهم في أثناء الليل ، ولكنه جبن عن الوثوب ، ثم سلك طريقاً غير طريقهم ، ورجع إلى المنصور بعد يومين بخفّي حنين ، والحسن بن إسحق انكشف أنّه اختفىٰ بصنعاء في بيت يحيىٰ العلفي حتى خفّ الطّلب وخرج من صنعاء بدهائه على صفة لم يشعر بها الرّتب فلحق بأخيه إلى ظفار ، فلما وصل إليه جعل بيده الحلّ والعقد وصار الذين ذهبوا من صنعاء من آل الإمام إلى ريمة ، وفيها إسماعيل بن محمّد بن إسحق كما قدّمنا ، ومنها نفذ يحيىٰ بن إسحق إلى بيت الفقيه ، ورجع محمد بن علي إلى ضوران ورجع النمري ومَن معه إلى المنصور ، وكان بضوران عبد الله بن يحيىٰ المهدي بن المهدي عاملاً عليها من جهة المنصور ، فاستولىٰ عليه محمد بن علي وأذعن عبد الله بن يحيىٰ إلى التسليم ، وتوجّه من جهته إلى حضرة المنصور ، ولما بلغ المنصور دخول يحيىٰ بن إسحق بيت الفقيه جهّز مَن عنده الأمير سعيد الكامل في خيل ورجل ، فلما وصل إلى بيت الفقيه برز إليه يحيىٰ بن إسحق ، وكانت قد تقدمت كتب من سعيد الكامل إلى يحيىٰ بن إسحق أنه معتزياً إلى محمّد بن إسحق في الظاهر وفي الباطن العكس فلم يثق بقوله ، وكان ملقاه له إما القتال أو الاتفاق فرأىٰ من حركاته ما دلّه على الاختلاف وكانت قلعة بيت الفقيه مقبوضة مع أصحاب المنصور ، فاتّفق ترام بين يحيىٰ بن إسحق والكامل فكان الكامل أوّل مَن أصيب فخرَّ صريعاً على الأرض ودفن بجنب دائر القلعة فلما اتّفق هذا استسلم مَن في القلعة وظهر يحيىٰ بن إسحق وعظم شأنه واستفحل ووجّه محمد بن إسحق عاملاً إلى المخا السيد قاسم بن أمير الدِّين ، وكان بالمخاء عاملاً الشيخ عمر مغلس من أيّام المتوكل ، فسلّم بندر المخاء للسيِّد المذكور ، وبقي عمر مغلس لديه حتى كان ما يستشير إلاّ إليه في

مواضعه ، وكان بالحيمة عاملاً زيد بن محسن بن المهدي وحسن بن صلاح في حراز كذلك][1] فواجهت البلاد جميعها لمحمّد بن إسحق من جملتهم زيد بن محسن وبايع أحمد بن المتوكل لمحمد بن إسحق .

[وفيها سلّم العامل بكوكبان من جهة المنصور الحصن المذكور لمحمّد بن إسحق][2] .

وفيها تحرّكت من المنصور عاطفة الكرم فأمر بفكّ ربقة محمّد بن الحسين من عنق الاعتقال [وكان تأكّد عليه بالعهد الوثيق وكفل به متبرّعاً السيِّد حسن بن حميد الدين][3] .

وفيها ظهر للمنصور مخادعة الفقيه محسن الحبيشي الوزير ، وبان له سعيه في المخادعة [وأنّه السَّبب في تضعيف جيش النمري مع ما ظهر له من مخالطة من عزم من صنعاء من بيت الإمام وظهر له مَن مدّ يده إلى خزانة المتوكل مع مرضه بيد السرقة ، وقابله الفقيه أحمد خزندار واقتضى رأي المنصور إيداعهما الحبس وترك به الفقيه محسن أياماً وأطلق خزندار سريعاً وطولب الفقيه محسن بالمال وضيّق عليه بالترسيم وكان مبلغ ما][4] سلّمه الفقيه محسن للمنصور خمسين ألف قرش .

وفيها جعل المنصور ولاية صنعاء لمحسن راجح فاستمر عليها إلى أن حان الأجل من المنصور .

وفي سنة ١١٤٠ بَكَت علي بن قاسم الأحمر العهود التي كانت أحكمت بينه وبين المنصور وطمع من جهله في الاستقلال وتخيّل أنّه إذا

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) ساقط من (ر).

(٤) ساقط من (ر).

استقلّ وليّ من جهته الحصون والبلاد ، واستعبد أهلها بالإذلال وكان بايع محمّد بن إسحاق بلا وثوق معه على الانتقال وتجهّز عنه في الظاهر وابن جزيلان إلى استصلاح المنصور له أو الحرب العوان ، وهو مضمر للكيد من الجهتين ، فمضىٰ على رسله ، وبيده كما زعم التّفويض ، واستحكم معه الطمع في المُلْك المصون وجعل أكبر همّه بثّ الرتب [من جهة الحصون][1] وبعث بجماعة من أصحابه إلى حصن «العروس»[2] ومدَّ مخالبه إلى ضوران ، وجاءت به الطريق على أطراف همدان ، والأمر بيده دون ابن جزيلان ، فانتهىٰ به السير إلى عصر ، والمنصور في إحسان الظنّ به على العهد القديم ، فلما حلّ به ركابه ، وساقه إليه مصابه ، أمر المنصور له بالضّيافة ، وظنّ موافاته لنصرته على العهود ، وأنهىٰ إلى المنصور تغيّر نيّته وحينئذ دبّر عليه المنصور بإعداد المماليك بعد أن تابع الرُّسل إليه إلى عصر ، فتغالىٰ الأحمر في الخطاب وأغلظ للرّسول في الجواب ، وقال: إنما الاتفاق لما نعيّنه[4] له من البلاد ونصَّ على بلاد حقيرة لا تقوم ببعض الأفراد ، فعند ذلك حرّر المنصور النيّة على قتله وإراحة البلاد منه والعباد ، وكان الذين اختارهم لقتله بعد الاختبار أربعة أنفار رأسهم ذو الفقار ، وكان المنصور ضرب المضارب للاتفاق في عصر[3] وخرج إليه لذلك في الظاهر ولا أرب له في غير قتله على الإطلاق وقد لبس الدروع ، وألبس مَن أعدّ لقتله من تحت الثياب ، ولما سلّم عليه رام يباشره بنفسه حال السلام فوجد الدبوس فضّة ما مثله في

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) حصن العروس من حضور يقع بالجنوب الغربي من صنعاء وهو مقابل لكوكبان من الجنوب.

(٣) في نشر العرف ١/٥٣٩ «مصبانة عصر».

(٤) كذا في الأصل ونشر العرف الذي نقل هذا النّص بكامله. انظر نشر العرف ١/٥٣٩ ط مركز الدراسات.

العادة يقتل[١] ، ولمّا كان في اليوم الثاني طلبه المنصور إلى خيمة قد أُعدّت لقتله ، وبها العبيد المعدّين لقتله ، فلما صار إليها ومعه أحمد بن محمد حبيش ، فلما عرف المنصور بمصيره إلى الخيمة نهض وركب على جواده ولاعب علي بن الحسين بن علي ، وما عنده شيء من ذلك ، وسمع الأحمر النوبة وحرّكت الخيل ، فسأل عن ذلك فقيل له: الإمام يلعب فخالجت الأحمر الأوهام ، وأراد القيام فقيل له: هذا الإمام على المجيء إليك ، ولما استبطأ المنصور نهض للخروج كالمغضب ، فلمّا بلغ باب الخيمة ، قال له الأمير ذو الفقار: انتظر الإمام فانتهره الأحمر بكلام غليظ ثم قبض ذو الفقار على وفرته ووجأه في نحره بالجنبيّة فما نطق بعدها بحرفٍ من الخطاب إلاّ أنّه قال: عاب عاب وخَرَّ صريعاً [ونفخ روحه سريعاً][٢] ، ولما رأى ابن حبيش الطعنة شقّ الخيمة بجنبيته ، وذهب خجلاً ، ولهذا اتّهم مَن رآه والجنبية بيده أنه قاتله ، واطّلع المنصور عليه [من باب الخيمة][٣] وهو يخور في دمه ويركض التراب بقدمه ، فقال لعبده سلمان دونك الرأس فاقطعه فباشر قطعه والرّصاص تنهل[٤] على المنصور وأصحابه كالمطر وتناول المنصور رأس ابن الأحمر من يد عبده [غير مرتاب][٥] وأشار إلى أصحابه هذا صنمكم وما زال الرأس بيد المنصور[٦] حتى خلص من تلك الوعور [وكان ابن جزيلان عند مباشرة

---

(١) كذا في الأصل وعبارة نشر العرف ١/٥٣٩ «ولما استقر المنصور بخيمته وصل إليه ابن الأحمر وابن جزيلان وخاضوا معه ثم تلفع المنصور في الخيمة بردائه واستلقى وترك ابن جزيلان غيره يخوضون مع ابن الأحمر فلم يرعو لهم وكان تأخير الكلام والمراجعة إلى اليوم الثاني وهو عاشر المحرّم» إلخ . . .

(٢) ساقط من (ر).

(٣) ساقط من (ر).

(٤) نشر العرف ١/٥٤٠ «والرصاص تدفع من جموع القبائل».

(٥) ساقط من (ر).

(٦) قلت: حادثة ابن الأحمر هذه وغيرها من حوادث التاريخ التي يكون فيها عامل الغدر هو=

الأحمر بالمحل الذي نـزل به ولم يـأتِ من قبله رمي مع قـرب المحل وأصيب بعض المماليك من الرصاص](1) وكان القاضي حسين الحيمي تأخّر قليلاً حال قتل الأحمر بالوطاق فانحطّ عليه رجل من بني جبر فطعنه طعنة قتله بها وحمل جسده إلى صنعاء ودفن بمسجده(2) الذي عمره ، ثم إن أصحاب الأحمر أمعنوا بعد هذا في الهرب وحملوا جسد الأحمر معهم إلى همدان ، ثم أنفذوه إلى أهله بعد أن شفع في رأسه فردّه [بعد صلبه إلى الجثمان ولما خلص المنصور من الأكام أمر برأس الأحمر يحمل قدّامه إلى صنعاء على قناة ثم دخل صنعاء في موكب عظيم](3) ، وكـان ابن جزيلان ترفّع بعد قتل الأحمر إلى حضور ولبث بها [ليالٍ قليلة](4) يدفع التهمة عن نفسه عند القبائل ثم إنّه وصل إلى المنصور وبذل نفسه للصبر معه تحت الأعلام .

وفيها بدا ليوسف بن المتوكل في مفارقة صنوه المنصور والانضمام إلى محمّد بن إسحاق فعامل جماعة من عبيد والده وشقّ بهم باب شعوب فلما وصل إلى محمّد بن إسحـق شكر له ذلـك وضمّه إلى أخيـه الحسن بن إسحـق .

وفيها وجّه محمد بن إسحاق صنوه الحسن إلى أرحب وأمر بجمعهم والتوجّه بهم إلى حرب المنصور [فصار إليها ومعه يوسف بن المتوكل وقد

= المسيطر، وهي من الحوادث البشعة ولا شك أنه مما ينكره ذوو الضمائر الحيّة ويشجبه التاريخ ولا حول ولا قوة إلا باللّه العليّ العظيم.

(1) ساقط من (ر).

(2) هو المعروف بمسجد الحيمي نسبة إلى المذكور يقول الحجري: من المساجد العامرة في الجهة الشرقية الجنوبية جنوبي الطريق النافذة من باب اليمن إلى القصر وهو قريب من القصر «مساجد صنعاء ص ٥٠».

(3) ساقط من (ر).

(4) ساقط من (ر).

جعل له ولاية اللّحية وبها الأمير عبده جوهر أخذ بالطرفين][1] وما زال الحسن بن إسحاق يتقارب إلى صنعاء بالتنقّل في البادية وأطبقت معه البلاد على الخلاف فوثب من شعب إلى مذبح للمطرح به على المنصور ولم يبقَ بيد المنصور غير سنحان وقابلته الجموع من كل مكان وثبت معه ابن جزيلان [ببئر العزب فما زال يكثر له السواد ويجاهد معه بالاجتهاد] وتوالت أيّام حرب تعدّدت ومعارك كلّما بليت تجددت وكان المنصور لا يزال خارجاً إلى حربهم لابساً للحديد ولا يرجع إلاّ وقد أثر في الصناديد وما زال الحرب بينهم نحو ثلاثة أشهر واشتدت الأحوال بصنعاء وضعف بها الجمهور وكان طرح بحدّة عبد الله بن إسحق وانضم إليه زيد بن محسن وكان في جملتها ابن شمسان جاهداً في حرب المنصور فإنه كان من خواصّه وكفر نعماه ونكث عهده وكان محمد بن إسحق تقدم من ظفار إلى عمران والحرب سجال بين المنصور والحسن بن إسحق وفي بعضها أراد مَن بحدّة أخذ غنم أهل صنعاء من القاع فانتدب لها ابن شمسان وكان المنصور خرج ذلك اليوم إلى قتال مَن بمذبح فتم بينه وبينهم يوم زنادة يقدح ونارة تلفح وبلغه في أخريات العمل تعرّض لابن شمسان للغنم وكان ابن شمسان توغل في القاع وجاوز الحدّ وظن أن لن يقدر عليه أحد فأمر المنصور بعض الخيل لقتاله ولما رأى الخيل طمع في قبضها وكان اعتصم بأكمة هناك فما هو إلاّ أن رأته الفرسان حرّك راكبها الارسان علم أن لا طاقة له بما رام فلجأ هو وأصحابه إلى المقهاية التي بطرق حدّة وأحاطت به الخيل ووجي هو وأصحابه بالرماح حتى هلك ومَن معه أجمع وحمل رأسه ورؤوس أصحابه على القنا إلى المنصور وكان المنصور أمر محمد بن الحسين بالخروج معه للقتال ، ويركبه على حصان وكان لا يخاف من جهته للعهود . فلما كان هذا اليوم خرج معه وقد أعدّ رجالاً من بني

---

(١) ساقط من (ر).

مضمون ينطلق فيهم عند إمكان الفرصة .

ولما رجع المنصور وازدحم الناس بباب السبح مع الظلام لاحت له الفرصة فانسلّ إلى بين أثل فوجد مَن أعدّه يراقبه فانطلق فيهم إلى حدّة كالسهم الطائش] ثم منها إلى مذبح ثم منه إلى محمّد بن إسحق ولما بلغ المنصور ذلك فلم يحفل بشأنه وإنما عجب من نكث إيمانه وأمانه .

وفيها فارق إبراهيم بن محمد بن المهدي المواهب يريد استجاشة المشرق ، فلما وصل إليها ما كانوا أهلاً لما أمل منهم من النصرة وماطله سيف بن قحطان وتقارب له قحطان بن عمر بن هرهرة وباطنه مع عبد الله بن طالب ، وإنما اجتمع له من غوغاء المشرق الذين لا يعوّل عليهم، فقصد بهم رداع ، وكان بها محمّد بن زيد بن المتوكل ولا قوة عنده للدفاع فتحصّن بالقلعة ودخل إبراهيم المدينة هو ومَنْ جمع فانتهبها واتصل الخبر بعبد الله بن طالب [وكان بمدينة إبّ وكانت أعمال رداع إليه بولاية من محمّد بن إسحق فتجرّد للغارة فوراً ، فلما عرف إبراهيم موافاته ، اضطرّ إلى الذهاب عن رداع ، والرجوع إلى المشرق ، ودخل عبد الله بن طالب رداع فاستنزل محمد بن زيد من القلعة ، واتّخذ رداع دار قرار وإبراهيم بن محمّد لما رجع إلى المشرق ضاق به الحال وتعذّر نصر المشرق له واستحال فاضطرّ إلى الصلح فخاض قحطان بن عمر مع عبد الله بن طالب في ذلك][1] فانعقد الصلح ورجع إبراهيم إلى المواهب نعم وأمّا الحسن بن إسحاق فطال به المطرح بمذبح واتّسع نطاق الإنفاق ورأى أن الوصول إلى صنعاء [مما يتعذّر وإن دون البلوغ إليها خرط القتاد وهلاك البشر واسترسل مَنْ لديه من الأجناد بالمطالب وملّوا][2] فترك مَن خاض مع المنصور في موالاة مشروطة وبيعه على الوفاء بالشروط

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

[منوطة][1] وحصل الاتفاق على بلاد معلومة تنفذ ولاة المنصور بذلك إليها وانعقد الصلح وحصلت المبايعة من المنصور وحررت الأوضاع ودعا المنصور لمحمّد بن إسحاق بمنبره وقوّض الحسن بن إسحاق خيامه عن مذبح [ورأىٰ أنه قد اجتهد][2] ورأىٰ الأصلح ، وصار إلى أخيه محمّد بن إسحاق بعمران ، فلم يرضَ الإصلاح وأظهر الكراهة ، وكثر الخوض بينه وبين أخيه الحسن، في هذا وطال وختم القول فيما قبل على قبول الصلح، وإيهام المنصور بالنّفوذ في البلاد مع المطال [وكان المنصور أنفذ ولاته فيما وجّه إليه من البلاد ولا يخطر له ببال المماطلة][3] واستمر المنصور يدعو لمحمد بن إسحاق على منبره نحو ثلاث جمع أو أربع وأمر أن يرسم اسمه في السكّة ولما أنفذ المنصور عمّاله إلى البنادر وأمرهم بقبض الحصص الراجعة إليه لم ينطق عمّال محمد بن إسحاق في إنفاذ عمّاله وكان في أثناء ذلك بعد انعقاد الصّلح عزم يوسف بن المتوكل على الله إسماعيل ابن القاسم من صنعاء إلى عمران يريد الخوض بين الداعيين في إخماد نار الفتنة فأخذ رأي المنصور فلما حطّ ركابه بعمران لبث فيه أياماً يسيرة ، وهو مع ذلك جاهد في تمام الوفاق بينهما ، وأراد الرجوع إلى صنعاء لم يسعده محمّد بن إسحاق إلى عوده ، وكان من أسباب القضاء المبرم [والقدر المحتوم الذي مضىٰ به القلم][4] ان مرض فثقل به المرض ، ولم يكد يحتمل [ولم يلبث أن ذاق الحمام وفارق من دنياه المأموم والإمام][5] وذلك بشهر جمادي من السنة المذكورة ودفن بعمران في قبّة الحسين بن محمّد بن أحمد أبو طالب ، وكان بينهما اتصال قديم من أيّام المهدي أحمد بن حسن والمؤيّد ، وكان يصوم الشطر من أيّامه لنَذْر وجب عليه وفيه

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).
(٥) ساقط من (ر).

من الكرم الخارق ما يضرب به المثل وكان معدوداً في العلماء [الأعلام وخطباء آل الإمام] ولما لاح للمنصور عدم الإنفاذ لعمّاله ، رجع إلى التّصميم في عدم انتقاله ، وأمر بحذف الدعاء لمحمّد بن إسحاق من الخطب وأضرب عن الضربة له بعد الثبوت وأمر محمّد بن إسحاق عمّاله بالقبض على عمّال المنصور واضطرب النّاس لهذا الأمر المذكور ، وطلب المنصور من محمّد بن إسحاق الاتفاق فأسعده إليه من غير إشفاق فلما توجّه إليه المنصور ببطانته وسار نحوه في أُبّهة عظيمة ، وكان محمّد بن إسحاق رحل من عمران إلى ثلا فلم يطب له السكون بها فحسن له محمّد بن الحسين بن عبد القادر المصير إلى شبام ويتخذها مع كوكبان دار مقام ، فصار إليها وبيد محمد بن حسين التقديم والتأخير ، وهو الوزير الأعظم ، وقرّر محمد بن إسحاق صنوه الحسن بثلا ، ولما قرّر ركاب المنصور بالحلقة ، وضربت له بعرصاتها الأوطقة ، طلب الوقفة من محمّد بن إسحاق ، وتردّدت الرُّسل بينهما ، فبدا لمحمّد بن إسحاق رأي عدم الاتّفاق وأشار إليه بتأخيره مع الانطلاق ، وأرسل له بتنفيذ العمّال ، فألحّ المنصور على محمد بن إسحاق أن لا بدّ من الاتفاق وإلاّ انفتح باب الشّقاق ، فصمّم محمد بن إسحاق على عدم الاتفاق ، فتقدّم المنصور إلى باب شبام ولما بلغ دور العوار أخذ في الانتظار ، ونصّ على الاتفاق بين الأشجار ، وبرز من شبام في هيئة المحارب ، وقام محمّد بن الحسين بقرب الباب كالمواثب ، وفرّق الجميع للمقاتلة في كل جانب ، وصار يشجّع مَن لديه على الإقدام وبينا الحال كما ذكرنا إذ ببندقة صرخت تؤذن بالقتال ومنادٍ لا يعرف مَنْ هو يقول: يا منصوراه في ذلك الحال فتفائل المنصور(١) بالنداء وكان قبل ذلك يلقّب بالناصر ، فطلب البيعة تحت الشجرة ممّن لديه فامتدت أيدي الحاضرين بها إليه وعندما تمّت له البيعة

---

(١) ساقط من (ر).

ثار من ساعته للقتال وكان يوم عصيب شديد الأهوال ، وبعث إلى صنعاء مَن يأخذ له البيعة من الناس فسارع إليها الجمّ الغفير وتلكّأ فيهم السيِّد القاسم العياني ، لا لزهد في الحطام وإنّما ليقال فكر المنصور بباب شبام ، ونال منهم ، ونالوا منه والحرب سِجال ، وانهزم بعض مراكز مَن بشبام ، واعتصموا بالسّور من شدة الالتحام ، وكان بثلا كما قدّمنا الحسن بن إسحق وعنده جمع لا يُرام ولا يُطاق وكان المنصور قدِمَ في اليوم الأوّل لحربه أهل خولان واتّصل ما بين شِبَام وثلا من الطرفين **الجولان وأصيب راجح الخولاني في الحرب من جهة ثلا وقتل أهل شبام مسفر الحسيني، وكان يعدّ نفسه بملا وقتل محمد شاوش المعروف بشحّين،** ولم تزل الحرب بباب شبام [حتى أقبل الغلس ، فرجّح المنصور الرّجوع إلى مطرحه بحلقة ، وكان محمّد بن الحسين أصيب برصاصة حادت هامته ومزقت عمامته وقتل مملوك له بين يديه ، ولما صار المنصور إلى مخيمه وافاه النمري بخولان واعتصم أهل شبام بذلك الجبل المنيع ، ولم يجد المنصور إلى الاتصال به أصلاً يحسن عليه التفريع ، فدبر نظره العود إلى صنعاء فقوّض عن الحلقة أطنابه وأحرق ما تعذّر حمله خوف انتهابه](1) وجعل طريقه على بلاد البستان [ولمّا تكامل عمل الشداد وبادر بالارتحال اطّلع مَن بكوكبان على الحركة ، **وصرخوا** في القبائل لديهم في تعويق المنصور من النفوذ ، وما زال من جهاتهم الإرعاد والإبراق وتقدّم بعض جند كوكبان من طريق يُقال له الحديدة ، فلزم المضيق فكرّ فيهم المنصور ، حتى شتّت شملهم بالتفريق ، ولما انفتحت له الطريق لم يبت إلاّ بعصر ، بعد أهوال اقتحمها يشيب منها الوليد ، ودخل من غده إلى القصر السعيد ، وما زال يدبر أموره ويعمل الأنظار الموصلة إلى الانتصار ، حتى آل الأمر إلى ما آل ، وكانت العاقبة له](2) وصلحت الأحوال ، وكان

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

علي بن الحسين بن علي بن المتوكل قبل حركة المنصور [هذه إلى الحلقة ومع موالاته لمحمّد بن إسحق وتلك الأمور المتّفقة][1] ظن ثبات الأمر لمحمّد بن إسحاق وأمّل أن يكون إليه من السابقين [لأياد منه في أيّام المتوكل سلفت إليه][2] فاستأذن المنصور في الارتحال إليه فكره ذلك منه وشقّ عليه ، فما زال به حتى أذن له على جهة المغاضب ، ولما صار علي بن الحسين إلى كوكبان ونزل من جناب محمد بن إسحاق بمكان رادف عليه الإنعام ، وأطلعه من أموره على الخاص والعام فخاف محمّد بن الحسين أن يصرف وجهه عنه إليه فما زال يلقي الأقوال إلى محمّد بن إسحاق بالدَّسّ عليه وينسب أسباب خروج المنصور [عن موالاته إليه وأنه مانع الرتبة بفتح باب شبام للمنصور ليلاً ومال محمد بن إسحق إلى تصديق ما قال ، قيل أمر محمّد بن إسحق][3] بالقبض عليه وعلى خيله ورسم عليه فما زال كذلك حتى تمّت الأمور وكان عاقبة الأمر للمنصور واستقر المنصور بصنعاء وما سواها بيده وتقوسمت البلاد ونفذت الكتب من محمّد بن إسحاق إلى عبد الله بن طالب وإلى يحيىٰ بن إسحاق يوجب فيها عليهم التقدّم لحرب المنصور [فنفذ مأموره بالكتب إلى مَن ذكر في شهر رجب فما زال الأمر بين الأميرين في تزاحم أيّهما يبتدىء بالتقدّم ، وإسماعيل بن محمد بن إسحق كان صار من ريمة إلى بيت الفقيه ثم إلى المخا بجمادي الأولىٰ ، فلما صحَّ له انطلاق عمّه يحيىٰ وعبد الله بن طالب إلى حرب المنصور ، وجّه ابن عمّه المطهر بن يحيىٰ وكان صحبه من بيت الفقيه إلى المخا دويلاً[4] عنه في عصابة من الأجناد وما زالت الكتب إلى الأميرين بالتقدّم إلى صنعاء ، وكان عبد الله بن طالب

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) ساقط من (ر).

(٤) كذا في الأصل.

جاء من رداع إلى ذمار في هذا الشأن وبقي بها أيّاماً حتى صحّ له خروج يحيىٰ بن إسحق][1] من بيت الفقيه صار من ذمار إلى زراجة وانتظر بها ليكون المغار إلى صنعاء واحداً عند الحاجة وصار الحسن بن إسحاق من ثلا إلى طيبة[2] وحَتّم على مَن بها من المكارمة[3] أن يفرغوا دورهم [فنكرت لذلك همدان ولهم فيهم كمال العقيدة واستصرخ المكارمة في يام وطالبوهم في النكفة على قاعدة القبائل ودعاهم مع ذلك المنصور إلى نصرته فنهض أهل يام إجابة للداعي وفارق يحيىٰ بن إسحق بيت الفقيه في ذي القعدة وقد][4] صار عبد الله بن طالب في زراجة وصحبته إبراهيم بن محمّد المهدي بن المهدي أحمد ، والسيِّد حسين القطابري ، [ولمّا وصل يحيىٰ بن إسحق إلى الحيمة قدِمت يام من بلادها فخرج] المنصور لتلقّيهم وختم الكلام بينه وبين قضاتهم على نصرته ، ثم صار يحيىٰ بن إسحاق إلى القلاض[5] من حضور ومعه من العبيد الذين كانوا ولاة تهامة من عهد المتوكل ، وكان قبض عليهم يحيىٰ بن إسحاق وصادرهم وخلّدهم في السجون ، فكاتبوا إلى النقيب فرحان المتوكل بما سنذكره قريباً إن شاء الله تعالىٰ والحسين بن إسحاق طرح بأهل البستان في بعض قرىٰ حضور ، والحسن استقرّ بطيبة ، وتَهيَّأ عبد الله بن أبي طالب للحركة من زراجة ، واجتمعت الجموع على المنصور وتقاسمت الأربع الجهات المحيطة بصنعاء ، ولما حلَّ ركاب يحيىٰ بن إسحاق بالقلاض وخلص أهل يام إلى المنصور بالانتهاض وجّههم نحو طيبة وتوجّه بعد إنفاذهم من ساعته في عسكره الخاص إلى استئصال يحيىٰ بن إسحاق

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) حصن يطل على وادي ظهر بالغرب من صنعاء على بعد ٧ ك.م وكان يعرف بدورم.

(٣) هم طائفة الإسماعيلية باليمن.

(٤) ساقط من (ر).

(٥) قرية من عزلة بني شهاب الأسفل ناحية بني مطر انظر التعداد (صنعاء ص ٧٩).

بالقتال وكـان يحيـىٰ بن إسحـق قدم ولـده المطهـر في نبذة من الخيـل والرجل طارشاً غير مهتال ، وما هو إلّا أن انفصل عن أبيه فصادف مقدمة المنصور ، وقد انفصلوا عنه على البنا الذي بينه وبين العبيد [الذين قدّمنا بالكتب أنهم مخادعون ويحيىٰ بن إسحـق][1] فأحدق العبيد الواصلون من تهامة والواصلون][2] من صنعاء بالمطهر وأخذوه أسيراً بين أيديهم ، ولما وافوا به إلى المنصور وجّه به فوراً إلى صنعاء لتقرّ الخواطر وبادر من فوره فما شعر يحيـىٰ بن إسحاق إلّا وقد أطلّت عليه الأعلام وألوت به المحاط من خلف وأمام وثبت عليه الحصار ، فأبان عن صبر شديد وثبات جأش ما عليه من مزيد ، وتعدم الماء فشرب ماء الورد ، وقاتل مع انقطاع القوت وشدّة البرد وبلغ القتلىٰ من أصحاب المنصور نحو الثمانين ، ولما أيقن يحيـىٰ بن إسحـاق بالاستئصال كفّ الرمي حتى اتصـل بـه الـوسـائط ، وخاضوا بينه وبين المنصور في التّسليم على مراجعة شـروط أمرهـا إلى الإمام ، ثم خرج إلى المنصور على حكمه ، وأذن من ساعته بالرحيل ، وأمر أن يؤتىٰ بولده فيضم إليه في الدخول إلى صنعاء ، وكان بين خروج المنصـور من صنعاء وقبضـه ليحيـىٰ بن إسحاق نحـو أربع ليـالٍ ودخل المنصور صنعاء في موكب عظيم ، ولما استقر بها أمر بالعماد وولده إلى دار الأدب ، ولم يضع السيف عن عاتقه ، حتى تهيأ لملاقاة عبد الله بن طالب ، وكان الحسن بن إسحاق مع محاصرة أخيه وتوجّـه أهل يـام مع المنصـور إلى القلاض فـارق طيبة وصـار إلى ثلا وصنـوه الحسين فارق حضور ورجع إلى كوكبان ولما بلغ عبد الله بن طالب إلى القبّتين بجيشه الأجشّ جاءته الأخبار بالقبض على يحيـىٰ بن إسحاق ، فحار هنـاك بين النفوذ والرجوع فرجح نظره النفوذ إلى غيمان كونه حصناً منيعاً فلما استقر

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

به أرسل إليه المنصور في الاتفاق وسار وراء مرسله بجنده على السباق ، فما كاد المرسل يطرد في خطابه حتى تراءت أعلام مصابه وإذا بالمنصور فطال الخوض بينهما وامتد وزحف المنصور حتى خالط أطراف مطرحه بقوة اليد فأسعد عبد الله بن طالب إلى الاتفاق ونزل من غيمان وبات المنصور بريمة ابن حميد وانفصل عن ريمة في اليوم الثاني فدخل صنعاء بموكب عظيم وكان رأي المنصور بعبد الله بن طالب أن يأخذ منه العهد ويوجه[1] بعض البلاد التي كانت تحت يده إليه بشرط البقاء بحضرته فاستشعر منه المنصور كراهية البقاء وأنه منطوٍ على الرجوع إلى ما كان عليه من البلاد فأرسل إليه المنصور مَن يعرفه الصواب فردّ الجواب بالجزم والتّصميم بالعزم فلما لم ينعمل في التأنّي والقرار طلبه المنصور إليه وهو بالقصر وأمر بالقبض عليه ، وأودعه دار الأدب ، وقبض المنصور على جميع أصحابه ، ولما فرغ من عمل عبد الله بن طالب أرسل إلى ما كان بيده من البلاد ، وجعل عليها عمّالاً من جهته ، وأرسل إلى تهامة ذا الفقار عاملاً ، وفيها أحمد بن إسحاق نائباً عن أخيه يحيىٰ ، فقبض عليه وأرسل به إلى المنصور ، وهكذا أهل عمران قبضوا على عبد الله بن إسحاق وبادر أهل عمران بالإرسال به إلى المنصور والحسن بن إسحاق صار إلى ثلا كما قدّمنا فأراد التمنّع به فما تمّ له مراد وقبض عليه أهل ثلا ، وعرفوا المنصور عن شأنه فوجّه مَن يأتي به ، فلما وصل إلى صنعاء عاتبه المنصور في موقف عام ثم أمر به فقيّد يديه وحمل به إلى السجن، فما زال به إلى الحمام، وهكذا إخوته تركوا في السجن حتى أدركهم الوفاء به وثبت محمد بن إسحاق ومحمّد ابن الحسين بكوكبان، وبقي إسماعيل بن محمد بن إسحق في المخاء فوجّه إليه الأجناد أحمد بن المتوكل أميرهم الشيخ أحمد الوادعي فحطّ بموزع ومعه محمّد بن سالم بالحجرية ، وما زال إسماعيل بن محمد يتعرض

(١) في (ر) ويعطيه بعض البلاد.

للحرب ، ثم اقتصر عن الخروج لحفظ المخاء وشمل مَن عنده مع وفاء الحصة بالسخاء وجَهَّز المنصور من عنده الأمير وزير لحرب مَن بالمخا ، وطال الحصار به وتعدم المجلوبات ، وأنفذ المنصور عهده بولاية اللحية إلى الأمير عبده جوهر ، وأمره بالقبض على صنوه يوسف وإيداعه كمران ففعل فيه ما أمره به .

وفي سنة ١١٤١ ، وإسماعيل بن محمد بن إسحاق بالمخا على التأبي وأضر حصاره به من أهله بكل ذي شيبة وصبيّ وأحرقت بخارج المخا العشش فحصل تمال بين الوادعي والرتب بسعاية الحسن بن صلاح واختدع علي بن الحسين الأسود ، وكان بنظره باب صندل[1] وشرط لعلي بن الحسين شروطاً إن فتح الباب فوثق بها ، ولما أجاب إلى ما دعا ولم يبق له بها شك دخل من جهته الوادعي على حين غفلة ، وما شعر إسماعيل بن محمّد إلاّ بالإحاطة به فرام التمنّع بالدار فتعذّر عليه ، وأمر الوادعي فنودي بالنداء بالأمان وخرج الوادعي من المخا ومعه إسماعيل بن محمد وسائر المتعلقين به إلى مطرحه ، ثم أمر بالرحيل فوصل عند أحمد بن المتوكل بتعز وهو معه فقابله أحمد بن المتوكل بما يليق بمثله[2] وأنزله بالقاهرة في بيت قريب منه على جهة المسجون وبنى على تِركه بالسجن لديه حتى يخف ما يجدّ من المنصور عليه ، فلم يقنع المنصور بغير الإرسال به إليه ولم يسع أحمد بن المتوكل غير الامتثال والتّوجيه به ، ولمّا وصل إسماعيل بن محمد إلى حضرة المنصور عاتبه فأجابه بما معناه: إني كنت مستنداً إلى إمام ووالد وكان ذلك الواجب عليّ وقد بذلت جهدي في نصرته وها أنا الآن بين يديك فاصدع بما تؤمر فأمر به إلى السجن ولم

---

(١) من أبواب المخا الشهيرة له ذكر في التاريخ .

(٢) قلت المذكور: هو من أفاضل العلماء انظر مؤلفاته في كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص ١٦٥ وص ٢٢٩ وفاته سنة ١١٦٤ .

يأخذ في حقّه باللين [حتى خفّف عنهم كما سيأتي] .

وفيها توفي المحسن بن المؤيد بصنعاء .

وفيها جهّز المنصور لحرب مَن بكوكبان يحيىٰ بن علي صاحب صعدة وأحمد وهيب [في عدد وعدّة فصار إلى الخلقة[1] والعروس][2] ، فوقع بينهم حرب [بينهما وصبر الجميع فيه وتكرّرت الحروب بينهم ونظر مَن بكوكبان في الأمر وتدبّر فوجد أنّها قد فاتت من أيديهم البلاد وهم بالحصن هذا على شدّة الاحتراز فرجع عندهم سدّ الثلمة وتركوا مَن خاض في الصلح وجنحوا للسلم فأنعم المنصور لهم بالقبول ودعىٰ][3] للمنصور على منابر كوكبان وارتفعت المحاط عنهم .

وفيها [في رجب][4] سقط بصنعاء ثلج عظيم ، وكان أشبه شيء بالطلق[5] [وضرّ وقوعه أصول العنب وسائر الأشجار واستمر نقصان ثمرها بسببه والأمر لله الواحد القهّار وعدّ أهل جهاتنا سقوطه في العاهات][6] .

وفيها عقد المنصور لمحمّد بن علي بن الحسين الولاية على عمران وبلادها وندب أحمد وهيب في الوزارة له وافتقادها ولبث بعمران أيّاماً لم يلق كيداً .

وفي سنة ١١٤٢ أراد الحسن بن محمّد زبيبة القبض عن رأي الإمام على بن أبي مُنَصَّر المفسد ، وطالع حضرة الإمام بأنّه قد احتاط عليه ،

---

(١) قرية كبيرة من قرى همدان من مخلاف الربع.
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).
(٥) الطلق: ذرور معدني لطيف المجس «قاله في المنجد ٤٧٠».
(٦) ساقط من (ر).

وطلب من الإمام أميراً وعسكراً يعينه على القبض عليه فأشار الإمام إلى أحمد وهيب ، وكان في عمران كما قدّمنا وعرفه أنه لا يحترك من عمران إلّا بعدما يتحقّق ما ذكر ابن زبيبة ، فاستفزّ الطيش ابن وهيب ، فانتقىٰ من عمران بعض الخيل وأصحبه محمّد بن علي بن الحسين القاسم بن زيد بن المتوكل أميراً على الجميع وكان أبو مُنَصَّر فَهِمَ التورية عليه وأن الحديث يُساق إليه فأنهىٰ خبره إلى قاسم الأحمر وهو كان من أصحاب أبيه وطرق أحمد وهيب هو ومَن معه إلى ذيبين ، ولما استقر بهم المكان ، وأعمل تدبيره في القبض على ابن أبي منصر ، إذ طرق ابن الأحمر بالعصيمات على إنقاذ صاحبه ، وما عند أحمد وهيب خبر بوصوله فتساهل في الأمر ، وفرّق العساكر قاطعاً بالظفر ، فانحطّ عليه قاسم الأحمر ، وضايقوه بالحصار ، فبنىٰ على الثبات حتى تشنّ الغارات وانحاز في البيت الذي هو فيه ، فقاتلهم أشدّ قتال ، وقتل من أصحاب الأحمر مَن قتل ، فلما اشتد الحصار على ابن وهيب خاطبه الأحمر في الأمان على نفسه والاطّراح لمن قتله منهم ، فلما استوثق تسلّم إليه على الشرط وقد عرف ابن وهيب أن القبائل لا تتعرّض للقاسم بن زيد بن المتوكل لجلالة آل الإمام فأودعه بعض سلاحه وانفصل ابن الأحمر عن ذيبين وصحبته ابن وهيب والقاسم بن زيد فسار بهما إلى بلده وبقي القاسم بن زيد لديه يومين وأطلقه ولم يتعرّض لشيء مما كان معه ورجع القاسم إلى عمران ، وبقي ابن وهيب في بيت الأحمر ، وعلى صفة غير لائقة واستمر في الأسر إلى أن كان ما سيأتي .

وفيها خرج أهل يام للعبث في البلاد وقادهم المكرمي وفتح حيّ حاشد لهم الطّريق وكان المكرمي خرج عن طاعة الإمام وانضاف إليهم ابن أبي مُنَصَّر فطرقوا بيت الفقيه بن عجيل في غفلة من الاستعداد وكان عاملها الأمير ذو الفقار في أشد مرض ، ونما الخبر إلى الإمام فأقامه وأقعد ، فوجّه مَن بحضرته من بكيل ، وأمرهم بملاقاة يام على التعجيل ، وأمر

عليهم علي بن عبد الله بن المؤيد ومحسن بن حسن بن المهـدي فواصلوا السير واتّفق جند الإمام بالبغاة في موضع من حواز تهامة يُقال له الحمرة واتّصل القوم بالقوم وتحيّز أهل يام بأكمة كانت هناك ، وحملت فيهم بكيل بصدق عزيمة إما للموت أو للغنيمة ، فانجلت المعركة عن أخذ جميع ما أخذت البغاة ، وانهزم البغاة أقبح هزيمة وقنعوا بالإياب عن الغنيمة ولم يبقَ بيد يام إلاّ اليسير مما نهبوا من بيت الفقيه ورجع الجند الإمامي إلى حضرته ، وقـد امتلأت أيـديهم بالغنـائم وغَصَّت بها صنعـاء وبيع العلق النفيس بـأبخس ثمن وكـان الإمـام قـد تقـدّم في بـدء القيـام [أذن للمكـارمة][1] في عمـارة طيبة وفـده[2] فعمّروهـا وحصّنوهـا وظهر خبث نيّتهم ، فحثّه مَن يعرف العواقب على خَرابَها ولم يجبه في ذلك الآن وجاء للأمور من أبوابها ولم يبق إلاّ فده تحيز المكرمي فيها كما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ .

وفيهـا كانت وفـاة السيِّد العـالِم الزاهِـد العابِـد فخـر الحيّ والميت صلاح بن الحسين الشامي المعروف بالأخفش رحمه الله تعالىٰ .

وفي سنة ١١٤٣ ثبت المكرمي على الامتناع بفده بعد أن شحنها بما يصرف عنه الشدّة وغالط بعدم الأمن في الدخول إلى الإمام وتحقّق الإمام خروجه عن الطاعة وعدم القنوع بما سمح لهم من القطاعة فندب الإمام مَنْ اختار لحصاره وشدّد في حفظه على أنصاره وتباطأ به عن الاستئصال ، وظن به الإنابة قبل الاتصال وكان في بدء أمره أنفذ خيله إلى يام ، فقبض عليها أهل ذيفان بأمر الإمام ، وأمر الإمام بجرّ المدافع لترمىٰ بها القلعة واشتدّ به الحال وضاق الخناق ، وظن مَن بكوكبـان إليه الحـديث يُساق

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) فدة: جبل منتصب وسط وادي ضهر بالغرب من صنعاء بمسافة ٧ك.م.

فكاتب بواسطة صاحب فدّة أهل يام وأنفذ إليهم رسولاً من جهتهم [وسألهم][1] معه القيام ، وأراد المكرمي بهذا التفريج عن نفسه وكان الشيخ عمر مغلس فسّد كثيراً ممّن بصنعاء وعاقدهم في الانتماء إلى صاحب كوكبان وأحكم الشيخ عمر بن محسن مغلّس عقد هذه الأمور ويُقال إن النقيب فرحان ممّن استميل وعاقد غيره من أهل التأثير ببذل المال واتّفق رأيهم على مكاتبة محمّد بن إسحاق وبذل البيعة له ودبّروا أيضاً التّحسين للإمام بالتقدّم إلى كوكبان ومقصدهم خروج المنصور من صنعاء فإذا خرج أرسل محمّد بن إسحق عصابة من يام وأميراً فيدخلون صنعاء على حين غفلة وهذا مع تواطؤ فرحان وعمر مغلّس ، فلما بلغ المنصور خروج يام إلى محمّد بن إسحاق صمّم على الحركة بنفسه إلى كوكبان في دفع هذه الأمور فخرج من صنعاء يوم الثلوّث ثاني شهر جمادي الآخرة في عدّة وافرة وأُبّهة فاخرة فأمسىٰ في بيت نعامة[2] وفارقها في غده إلى مسيب فأقام به نحو عشرة أيّام والشيخ عمر مغلّس صحبته في تخريب واستجلاب للنّاس ، فلمّا وصل المنصور إلى مسيب مات فيها عمر مغلّس وحمل إلى صنعاء ، وكان وفاته من اشتداد البرد في ذلك الوقت فبطل بوفاته ما كان دبر ، وحصل تفاوت بين محمّد بن إسحاق ويام أوجب بعده عنهم وإخراجهم ، فمضوا على طريق بلاد كوكبان ونهبوا بها من أصحاب محمّد بن الحسين عدّة بلدان ، وبادروا إلى بلادهم بالرّجوع ومات كثير منهم من شدّة التخطّف والجوع ، فعندها جنح المكرمي بفده للصلح مع المنصور ، ونظر محمّد بن الحسين لنفسه في الأصلح فرأىٰ موالاة المنصور له الأرجح وبان لمحمّد بن إسحاق من محمّد بن حسين الانقلاب في الأمور ، وصار محمّد بن حسين كالآمر عليه ، وهو كان المأمور ، وصلح

---

(1) ساقط من (ر).

(2) بيت نعامة: بلدة بالغرب من صنعاء بمسافة ٢٣ ك.م في ظاهر جبل عيبان من الغرب.

محمّد بن إسحاق مع صلاح محمّد بن الحسين ، ولما صلحت الأمور والإمام بمسيب أشار عليه مَن أشار بالعَوْد إلى صنعاء فلم يلتفت إلى هذا الرأي فجعل وجهه من مسيب إلى خمر وجاءت طريقه تحت كوكبان وقصد بهذه الحركة شدّة الوطأة على الأحمر وغيره وخلاص أحمد بن وهيب من أسر الأحمر وبات في ثلا وارتحل عنه إلى خمر وتواصلت له الأمداد من صنعاء ولم يتعذّر شيء مع اتساع الأجناد ، وخرج يوم الاثنين خامس عشر من الشهر المذكور إلى درب الموجمة بقرب عمران ووصل إليه الحيدري صاحب جبل عيال يزيد تائباً مستسلماً وكان تظاهر بالعصيان وأقام المنصور بدرب الموجمة ثمانية أيّام ، ورحل إلى الخربة ومنها إلى دعان(٢) ومنه إلى العقيلي ومنه إلى خمر فداخ البلاد وأهلها وأخرب الكثير من القرىٰ وملأ الحديد [منهم](٣) بالأسرىٰ وجزم بقصد الأحمر إلى عقر دياره وإخراج أحمد وهيب ، فرجفت من الخوف أحشاء تلك الأقطار ، وانتهىٰ أوّل هارب منهم إلى أطراف الجوف ، وصَدّ الإمام عن قصد الأحمر عدم الماء في تلك الجهة بالكليّة [فإنه كان أعزّ من بيض الأنوق](٤) وتثبّت المنصور بخمر علىٰ رجاء حصول مطر «يتم له معه القصد وقضاء الوطر فما ازداد الحال لديهم إلّا شدّة ومع هذا فالأحمر يتوصل إلى»(٥) عفو الإمام ويبذل من نفسه الطاعة وأذعن بتسليم الحصون التي بيده غير عتار(٦) فرأىٰ المنصور قبول هذا إذ لا يتم قصده بدون الماء ، وكان إبراهيم بن المهدي طلب من الإمام تولية النفوذ إلى بيت الأحمر [وأن يطأ بقدم استظهار

---

(١) من قرى بني مطر ثم من عزلة بني الراعي.
(٢) دعان: قرية من عيال يزيد عزلة الثلث قضاء عمران.
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).
(٥) عبارة (ر) فلم يأت المراد كل ذلك والأحمر يجتهد في استجلاب».
(٦) عتاد: قرية من عزلة ابن الحكم ناحية السُّودة قضاء عمران ولعلها المقصودة هنا وعثار بالثاء والراء قرية من عزلة ثلث ضحيان ناحية خارف قضاء خمر، والله أعلم.

الإمام ديارة](١) **ويتسلّم أحمد وهيب، فسمح الإمام بالإذن لإبراهيم فيما** طلب فتوجّه إلى محل الأحمر فتلقّاه بالإكرام وأطلق أحمد وهيب للمقام ولما رجع إبراهيم بأحمد وهيب إلى مقام الإمام أمر أحمد وهيب بالتقدّم قبله إلى صنعاء بالأسرىٰ ، فورد بهم إلى صنعاء نحو سبعين نفراً بالحديد ، وأمر الإمام وهو بخمر من يخرب بذيبين جملة بيوت للمفسدين ولما أصلح أمر الظاهر [وتمهّدت به قواعدها في الظاهر والباطن](٢) رأىٰ محمد بن إسحاق بعض غضاضة في الإقامة بكوكبان مع موالاة محمد بن الحسين وجنح إلى الصلح مع الإمام كما قدّمنا فكاتب الإمام ، وبذل الموالاة الصحيحة ، وتردّد الرُّسل بينهما إلى خمر ، حتى ختم القول على أمور صحيحة وتمّ الكلام على وصول محمد بن إسحاق إلى صنعاء بعد رجوع الإمام من خمر إلى صنعاء بثلاثة أيّام وقوّض الإمام عن خمر أطنابه يوم الاثنين ثامن وعشرين شهر رجب الفرد ومدة إقامته بخمر نحو واحد وثلاثين يوماً وصار منه إلى الكولة(٣) وأخربها خراباً كليّاً وأقام بها إلى يوم الأحد رابع شهر شعبان وفارقها وبات بَوَرْوَر(٤) .

[وفي خامس شعبان قصد إلى ذيبين وعرج إلى ظفار لزيارة المنصور عبد الله بن حمزة(٥) وانصب من ظفار] إلى مشهد الإمام الشهيد أحمد بن الحسين(٦) وأقام به ثلاثة أيّام ، ورحل منه إلى ريدة البون وصلّىٰ بها الجمعة ومنها إلى الروضة(٧) البهيّة .

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) بلد من حاشد ناحية العشّة.

(٤) ورور: بالتحريك جبل ووادٍ أسفل شوابة من بني جبر من ناحية ذي بين.

(٥) من مشاهير الأئمة وفاته سنة ٦١٤. له سيرة مخطوطة.

(٦) هو الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسين ولد بهجرة كرمه من بلاد الظاهر سنة ٦١٢ ودعا في حصن ثلا سنة ٦٤٦ وقتل سنة ٦٥٦. «إتحاف المهتدين» ص ٦٠.

(٧) هي روضة حاتم «معروفة».

وفي يوم الإثنين الثامن عشر دخل صنعاء في عزّ مقيم ومُلْك جسيم .

وفي خامس عشر من الشهر المذكور من هذه السنة حثّ محمّد بن إسحق ركابه من كوكبان مسارِعاً إلى الجناب الكريم فلمّا وصل إلى صنعاء أكرمه الإمام إكراماً تامّاً وأحسن نزله وقابله بما هو أهله وندم محمّد بن إسحق على ما كان منه وكان وأسف على تجشّم الإقامة منه في ذلك المكان .

وفيها توفي السيِّد محمد بن علي فايع [وكان له اشتغال بفعل الخير وعمّر عليه ولده إسماعيل بن محمد قبّة عظيمة بمسجد الحيمي رحمه الله تعالىٰ][1] .

وفي سنة ١١٤٤ فيها بصنعاء اغتال سيد من بني المطاع شقيقه وفعل به من المنكر ما لا غيره يطيقه ، قطّعه أخلافاً ، ولما فرغ من عمله جمعه في جولق حمله على جمله ، وسار به إلى وطنه «بسناع» واحتفر له بحرث والده المطاع ، وأجرىٰ على ذلك الحرث الماء فكشف عنه صاحب الشرطة بصنعاء ، وشدَّ على الجمّال الذي حمله ، وضربه الضرب المبرح ، فعرّفه بحقيقة المتّفق ، ودلّه على موضعه ، فاستخرجه صاحب الشرطة وحمله إلى الإمام على الصّفة ، وقبض على أخيه القاتل ، فأنكر الفعل والمعرفة ، فتوضّح للإمام القضية فأمر بقتل الفاعل في الميدان حدّاً ، وكان هذا السَّيِّد الذي قتله الإمام من الأشرار المعتبرين[2] .

وفيها: قصد أهل يافع ثغر قعطبة وكان بها من أهل الثبات ـ أي رتبة ـ فدخل البغاة البلد بمكر بعض أهلها وفشل العامل فجمع الرتبة إلى دار الدولة وتفرّقوا في مراتبها وحفظوا بالرصاص جوانبها ، وفيها من يافع

(١) ساقط من (ر).
(٢) هذا الخبر والذي يليه وردا مختصرين في (ر).

ثلثمائة أو أكثر وانتهبت يافع المدينة فلم تبقِ ولم تذر وسلّم بيت الدَّولة ورجع البغاة بلادهم .

وفيها: عدي بن أبي منصر على بعض درسة[1] ذي بَين وقتله عند ضريح الإمام الشهيد ، ولم يراعِ الحرمة فعوجل بالانتقام ولم يمر عليه حتى قتل قدر عام .

وفي سنة ١١٤٥ : أمر الإمام بعمارة قبّته التي جعل فيها ضريحه في مسجد الأبهر ، وكملت في حياته وجعل في ذلك المسجد زيادة عظيمة انتفع بها الناس وأمر أيضاً بصَل[2] أصواحه وتجديد ألواحه .

وفيها قصد العبدلي وسيف بن قحطان إلى لحج وفيها الأجناد الإمامية فقصدوهم على حين غفلة وبالغا في التضييق عليهم ، فضاق بجند الإمام الحصار ، وتنافس الأمراء بينهم وهَبّت ريح الاختلاف باعصار ، وبلغ الإمام فأمدّهم بالغارة الشّعوىٰ ، وكتب إلى فضل العبدلي يحذّره عواقب البغي فما ارعوىٰ ، ولما أمدّ من صباح عزمه بعموده ، ناط علاقتهم برجل منهم اسمه محمود فخاض إلى لحج لجج الاهتمام ، فوجد العدو قد أحدق بالقلعة ، وقد حفظت الأدراك عن الاتصال بالمحصورين ، وأجهد فضل العبدلي نفسه على الثبات للحصار ، وما كان العامل للدولة تدبير يؤمل له الانتصار ، وآل الأمر إلى خروج من بلجح بصلح العقد ، ونما المتّفق إلى الإمام فغضب على العامل والقائد فرجعوا إلى الحضرة واستبدّ الفضل بلحج وعدن[3] .

وفي سنة ١١٤٦ ابتدأ الإمام بعمارة دار سعدان بصنعاء وكانت من

---

(١) أي طلبة العلم.

(٢) صل الأرض بتشديد اللام: رصفها بالحجارة.

(٣) توسّع في هذا الخبر صاحب هدية الزمن ص١١٨ نقلاً عن البراهين المضية في السيرة المنصورية.

مفاخر الدُّنيا وعجائب البلدان .

وفيها كبس صاحب الشرطة بصنعاء بيتاً [في السائلة](١) لبعض موالي آل الشامي وكان ران على قلبه [التجاري والتعامي ففعل الفعل القبيح](٢) وتعدّىٰ إلى قتل النفوس ببيته [ولما فتّش بيته وجد به حفائر بها قتلىٰ](٣) وكان يجتلبهم [بزوجة له عليها ميسم جمال فإذا صاروا](٤) إلى بيته قتلهم لأجل ما معهم بهذه الحيلة [ودام على هذا الفعل أيّاماً](٥) ولما أراد الله هتك ستره وإظهار أمره اجتلب بعض أهل الذمّة [ليأخذ منه لؤلؤاً من الذي كان يأخذه على مَن يقتل](٦) فلما صار إلى بيته طمع في دراهمه فصاح الذميّ بصوته وخفي بعد وقد سمع الجيران الصوت ونما الخبر إلى صاحب الشرطة [وقد علقت به التهمة منذ زمان](٧) فدخل صاحب الشرطة البيت وفتّشه فرأىٰ عجائب واستخرج القتلىٰ من جملتهم الذميّ فحملوه إلى الإمام مع القبض عليه وتحقّق الإمام الأمر المنسوب إليه فأمر بضرب عنقه [على أكمة برّوم(٨) وترك ملقىٰ على الأرض](٩) يرجمه الناس غير مرحوم .

وفيها: توفي السيد العالِم الأديب عبد الله بن علي الوزير(٣) وهو من

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).
(٥) ساقط من (ر).
(٦) ساقط من (ر).
(٧) ساقط من (ر).
(٨) مسجد بروم: هو أبو الروم من المساجد العامرة شرقي السائلة بالقرب من السور الجنوبي وهو من المساجد القديمة «مساجد صنعاء ص ٧».
(٩) ساقط من (ر).
(٣) كذا يضبط المؤلف سنة وفاته وعند سائر مَن ترجم له سنة ١١٤٧ فلعلّ وفاته كانت آخر السنة

أهل بيت علم وأدب شهير .

وفيها بلغ الإمام خبر ثقة لا شك فيه أن إبراهيم بن محمد المهدي بن المهدي صار يحالف القبائل بصنعاء على قتاله ، وأنّه يختلي بشيوخهم من أجل ذلك في اللّيل ، ويعطيهم الكسوات الفاخرة [ويحيل لهم من البلاد التي إليه بالحوالات النافعة][1] وإن الأمر سرىٰ إلى تألّف العبيد فلما لم يبقَ عند الإمام شكّ فيما نسب إليه تغير خاطره عليه ، وما شعر الناس إلّا وقد طلبه وعاتبه في قرطاس ، أبان له عن موجب حبسه بلا تكثير وأمره أن ينهض إلى دار الأدب مسارعاً وقبض البلاد التي جعلها له وولّاها وتركه في السجن نحو أربع عشرة سنة .

وفي سنة ١١٤٧ توفي السيد الورع القاسم بن الحسين بن المطهر الجرموزي[2] ، وكان من آيات الزمان مملوء [من قرنه إلى قدمه بالإيمان وتولىٰ المهدي صاحب المواهب بلاد وصّاب وبعد واقعة الحبيشي طلبه الإمام إليه وأجراه في الوزارة ثم تخلّص بولاية][3] القضاء في صنعاء فاستمرّ به إلى حين وفاته وكان شديد التحرّي في أحكامه ولا يقبل الهدية وله تاريخ لطيف في نحو خمسة كراريس[4] ومن مؤلّفاته صفوة العاصر في أدب المعاصر[5] ترجم فيه لجماعة عرفهم أكثرهم من أهله ونظم الأزهار بأرجوزة مفيدة[6] وله شعر رقيق ، فمن شعره قوله :

= المذكورة واللّٰه أعلم، انظر ترجمته في البدر الطالع ١/٣٨٨، ونشر العرف ٢/١١٣، ومصادر الفكر الإسلامي ص ٣٤٤.

(١) ساقط من (ر).

(٢) ترجمته في نشر العرف ٢/٢٤٦ وكتابنا مصادر الفكر الإسلامي ٣٤٣.

(٣) ساقط من (ر).

(٤) هذا التاريخ يسمّى نزهة الفطن في ذكر ملوك اليمن. انظر كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص ٤٤٦.

(٥) هذا الكتاب من نوادر المؤلفات وقف عليه المؤرخ زبارة ونقل عنه كثيراً.

(٦) يسمّى هذا النظم هداية المسترشد منها مخطوطة في مكتبة الأمبروزيانا بإيطاليا. انظر كتابنا =

حشاي على جمر ذكيّ من الجوى
وعيناي في بحر يرقرقه الهوى
[ويومض برق المازمين فأنثنى
على كبد مقروحة بيد النّوى](١)
ويطربني سجع الحمائم بالضحى
وقد ملن من ترجيعها قصب اللّوى
[سلو الركب عن صبٍّ بأعتابكم لقي
بسلوانه عنكم مدى الدَّهر ما نَوى](٢)
وبي منكم داء بقلبي جنة
وسورة وجد حَرَّها للحشا كوى
وأكتم ما ألقى فإن عنّ ذكركم
جرى مدمعي جهراً فينشر ما طوى
[ولا تسألوا غير الصبا عن صبابتي
وكنه الذي ألقاه فيكم من الجوى
فكم نحوكم حَمَّلتها من رسالة
مدوّنة عن أضلع مَسَّها الدوى](٣)
وبشّرني ساري النسيم بقربكم
فيا طيب ما قال النسيم وما روى

[وفي سنة ١١٤٨ سلب القاضي عبد القادر النزيلي(٤) حجاه وتغيّر

= مصادر الفكر الإسلامي ص ٢٢٨.
(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ترجمته في نشر العرف ٢/ ٦١ قال: لما صرف عن الخطابة اختلّ عقله في آخر أمره نحو أربعين سنة وأنفق أمواله على جهة الإسراف وتوفي سنة ١١٥٤» قلت وإليه ينسب مسجد النزيلي =

هيكله عن تلك الأوجاه والسبب أنّها أفتيت منه العين واستهلّها ولده منه أو عبده كما قِيْل وهكذا ما جمع من «نهابر» صار في «نهاوش»[1] . وذلك ثمرة إحسان المنعم والسعي في الإضرار بكل مسلم وآل به الحال إلى أن قيّد بالبيت وصار بعد خطب[2] الحياة كالميت] .

وفيها: أمر الإمام بعمارة منارة عظيمة بمسجد موسىٰ[3] وتكميل تَجْديده وأنفق فيه جملة من المال وكان ابتداء العمل في تجديد المسجد لبعض شيوخ يريم وكمّله الإمام بالمنارة والترميم .

وفيها أمر الإمام بنقض صومعة[4] وهب خارج باب اليمن لمصلحة رآها .

وفيها أهديت للإمام راية المصطفىٰ صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم فكان لموقع وصولها السرور الأعظم والتيامن بذلك الفضل الأعمّ [واستشعار الفتوح من ذلك الجناب المكرم][5] .

وفي سنة ١١٤٩ ظهر رجل من لصوص أرحب يدعىٰ بقاسم المدري وكان أعدّ معه جماعة فصار بهم إلى قلعة من أعمال من محمد بن حسين

= بالغرب من باب السبحة أسّسه سنة ١١٣٧ وقد انتفع الناس به الآن كثيراً.

(١) لم أعرف قصد المؤلف من هاتين اللفظتين ولعلّهما من كلام العامّة.

(٢) كلمة مطموسة في الأصل.

(٣) مسجد موسى: من المساجد العامرة في الجهة الجنوبية وقد أشار إلى زيادة إصلاح منارته المذكورة الأديب قاسم بن يحيىٰ الأمير من أدباء ذلك الوقت فقال:

يا حبّذا منارة ... فاقت على كل بنا
قد أكسبت مَن شادها ... فخراً وأجراً وثنا
ومَن حمى بالبيض والسـ ... ـمر الغوالي اليمنا
وهنه مؤرخاً ... «قد حاز ذكراً حسنا»

انظر مساجد صنعاء ص ١٢١ .

(٤) الصومعة هي المنارة ووهب سبق ذكره.

(٥) ساقط من (ر).

في لاعة وبالقلعة بذور أمواله وعدّة كاملة فأخذ [ما بها جميعاً وقتل رجلين من أهلها وحمل ما بها من الشحنة إلى بلده][1] وثبت بها حتى صولح بمال سلّمه له محمّد بن الحسين [من يده][2] .

وفيها كانت وفاة الأديب شعبان سليم[3] [وشعره أرقّ من النَّسيم ، وكان من الصَّلاح بمحل عظيم يواصب في أغلب الأوقات على الطاعة والتزم التبكير إلى مسجد صلاح الدين في آخر أيّامه عند السَّحر وامتحن آخر أيّامه بإقعاد منعه بداره ، وحبسه عن تقلّبه وبداره ، وهذا العارض الحاصل معه من صكّة أصابته بمطاهير صلاح الدين واستمر به الإقعاد حتى الوفاة ويُقال: إن سبب هذا المتّفق معه دعوة من مؤذن صلاح الدين يُقال له المجاهد ، وكان من أُولي الفضل والعبادة جاهد ، وكان شعبان هجاه بمقطوع للبطا في الأذان ولم يكن عن تعمّد بل على جهة الإتحاف منه قوله:

محق الأوقات هذا قطع الله أذانه][4]

وفيها نكث أبو فارع من أهل القبلة العهد الذي بينه وبين المنصور وجمع أحلافه ، وغيرهم ، وقصد بهم الإمامية فجعل طريقه على حراز والحيمة ، وإلى بلاد آنس[5] وما زال في نهب للضعفاء والمساكين[6] ، فجهّز عليه الإمام الشيخ محسن بن أحمد راجح وعدّة من حاشد ، وبكيل[7] فلما بلغ أبو فارع ذلك الجيش وطوىٰ المراحل إلى أن استقر

---

(١) ساقط من (ر). (٢) ساقط من (ر).

(٣) هو من أدباء العصر في ذلك الوقت. انظر ترجمته في نشر العرف ٧٥٢/١ وفي كتابي مصادر الفكر الإسلامي ص ٣٤٤ والأدب اليمني عصر خروج العثمانيين ص ٤٠٠.

(٤) هذه الزيادة لا توجد في (ر).

(٥) في (د) بعد هذه اللفظة زيادة قوله: «مجوزاً للسلامة».

(٦) في (د) زيادة قوله: «في خطرته».

(٧) في (د) زيادة قوله: «فشقّ جيش من الإمام فرش الحيمة».

بمدينة ذمار وقد أثقل من الأطماع فوافى ذمار على حين غفلة من أهلها ، ولما صار بها انتهبها ودافع أهل ذمار أشد دفاع وقتلوا من البغاة نحو الثلاثين ، وقتل من أهل ذمار ستة وسبعين ما بين رجل وامرأة وصبيّ ، ثم خرج منها آخر نهار ذلك اليوم الذي وصل فيه إلى قرية تسمى المِلّة[1] خارج ذمار ، وبات بها إلى آخر الليل ثم بان عنها إلى طريق عنس ، ولم يتّصل ببلاده إلاّ بعد شدائد وأهوال ، وتأخّر عنه جند الإمام في الطريق .

وفيها ما شعر أهل المخا إلاّ بوصول طائفة من مراكب الإفرنج أشعلوا نار الحرب للبندر ورموا إليه بآلة تسمّى البرم[2] فيها النار وقعت [منها برمة بميدان المخا وقتلت فيه وأخرى وقعت يوم العيد بركن الجامع الأعظم والناس في الصلاة][3] فهدمت منه جانباً ، فعندها بادر مَن بالمخا بإخراج أهلهم من البندر وبلغ الإمام ، فتابع الأجناد من حضرته ، وأرسل إلى عمّال البلاد [من جهته][4] للغارة إلى حفظ البندر وقصد الفرنج قلعة عبد الغفور ، وكان بها رتبة [نحو الأربعين النفر فلما دخلوا القلعة فأتوا على

---

(١) الملّة قرية حيّة من عزلة منقذة قضاء وناحية ذمار. انظر «التوزيع السكاني» (محافظة ذمار) ص ٥٨ .

(٢) أظنه نوعاً بدائياً من القنابل المعروفة شبه بالبرمة القدر المعروف أو أنها تتخذ من هذه البرم وتُحشى باروداً، وقد وجدت في رحلة الورثلاني المتوفى سنة ١١٩٢ ص ١٥١ وصفاً لنوع من هذه القنابل يسمّيه «البنبة» يقول: «ترى البارود حين يخرج مَن بخش المدفع فإذا بكُرة محمّاة تحكي الشهب خرجت منه، صعدت ثم أخرى وترتفع أكثر من الأولى، ثم تتدلى هابطة فإذا وقعت بالأرض سُمع لها صوت هائل تصمّ منه الآذان فيتصدع في الموضع الذي وقعت فيه وتتفرق ولا تقع على بناء إلاّ وهدّمته، ولا على بسيط مستوٍ إلا وحفرته ولا على إسطوانة إلاّ وهدمتها» إلخ . . وفي نشر العرف ١/٣٠٣ في ذكر هذه الحادثة وفي سنة ١١٤٩ خرجت طائفة من الإفرنج الفرنسويين إلى المخا ومعهم المراكب العظيمة فأشعلوا نار الحرب على البندر ورموه بالبرم التي يصنعونها من المعادن على فم المدفع» .

(٣) ساقط من (ر).

(٤) ساقط من (ر).

مَن بها من الرتبة قتلاً][1] وملكت الفرنج القلعة والسبب في حربهم هذا أن عامل المخا الفقيه أحمد [خزاندار][1] حال بينهم وبين ما كانوا يتظاهرون به من فعل المنكرات في البندر، فمضوا في الأوّل العام إلى سلطانهم وأخبروه بالمتّفق، فأجمع رأيهم مع سلطانهم لحرب المخا، فلما لم يجدوا إلى دخول البندر سبيلاً مع كثرة الأجناد الإمامية فيه فخاض [الحاكم في البندر وعقال البندر على] الإصلاح فتم على ما شرط الإمام وكان مدّة لبثهم في المرسىٰ سبعة أيّام.

وفيها في ثامن شوال توفي الحسين بن علي بن المتوكل إسماعيل وكان سهل الأخلاق طَلْق المحيّا وشيّع جنازته الإمام والمأموم.

وفيها في شهر ذي القعدة تجمّعت قبائل القبلة للفساد، وأميرهم أبو فارع [فلما اجتمعت له القبائل وردّ بهم إلى مشربة الوليّ ودلّهم بغزو على قصد الجبى وبلغ الإمام مصيره إليه ورأىٰ الإمام من الصَّواب التقدّم بنفسه، ولما حرّر هذه النيّة خرج من صنعاء وهو يؤمل في القرب الرجوع فبات ليلة بعصر ومنه إلى متنة[2]، وتراخىٰ بها نحو يومين حتى تلاحق الناس وتقدّم منها إلى خميس[3] المخلاف والحيمة، فلما وصل إلى الخميس وجّه على أبي فارع وحَرَبه وهو بالجبى، فقدم الإمام خولان وأميرهم السَّيِّد حسين الأدور الشامي ولما وصل جند الإمام الجبى[4] ضيّقوا على البغاة المسالك وأصابهم الجوع الشديد، ولما ضاق به الحصار سعىٰ

(١) ساقط من (ر) والفقيه المذكور هو أحمد بن يحيىٰ الخزندار ترجم زبارة في نشر العرف ج ١ ص ٣٠١ وهو الذي ألّف باسمه العلاّمة عباس بن علي الموسوي كتابه نزهة الجليس المطبوع في مجلدين سنة ١٢٩٣ هـ.

(٢) متنة: قرية بالقرب من صنعاء في حقل سهمان ناحية البستان «بني مطر» وهي على طريق المارّ الآن.

(٣) هو ما يعرف اليوم بخميس مذيور من عزلة المخلاف ناحية الحيمة الخارجية.

(٤) الجبى بلدة من ريمة هي مركز الناحية.

إلى رؤساء القبائل من أصحاب الإمام في البقيا عليه ، وعرفهم أنّه قد ذلّ ، وسقط في يديه ، وأنّهم إذا تداركوه ، كان لهم في عنقه قلادة ، وذلك بأن يتغافلوا عنه في المحارس حتى يذهب باللّيل هو وأصحابه في فرجة بالحصن على جهة الانسلال ، فعمل بقوله السَّيِّد حسين الشامي المؤمّر على خولان وعرفوا الإمام بذلك ، فأجاب عليهم بالثبات وحذّرهم ما وقعوا فيه ، ولكن السيِّد حسين وراجح الخولاني رأوا الأصلح لما طال عليهم الحصار ففتحوا الطريق المذكور ، وخرج إلى بلاده خائفاً يترقّب ، وعيد الإمام عيد الأضحىٰ بالمخلاف .

وفي سنة ١١٥٠ رجع الإمام عن خميس المخلاف باليمن والسعادة إلى مدينة صنعاء .

وفيها اقتضىٰ نظر الإمام إبداع صلاح بن علي ردمان دار الأدب وكان يدخل مع الإمام ويخرج بخروجه وطالبه الإمام بوصول صنوه محسن وما زال يتعلّل على الإمام والعلّة هو المشير عليه بعدم الوصول فلما تعذّر وصوله أمر الإمام بالاحتفاظ به فقبض عليه][١] .

وفيها توفي الفقيه العارف المتشيّع في الآل زيد بن علي قيس المعروف بالخيواني وكان له سعي في نفع المساكين وله صحبة بالسيِّد عبد الله بن الوزير[٢] .

وفيها: قَدِمَ إلى الحضرة شيخ من علماء العجم يُقال له محمّد بن إبراهيم شاكياً إلى الإمام أن صنوه توفي بجازان ، وأن الشريف قبض أمواله . وكان القادم من أوعية العلم ومعادن الزهّاد وبرز بالجامع الأعظم بصنعاء اليمن للوعظ والإفادة وأبان عن علم غزير وافتنان كثير [وصلح

(١) ما بين المعقوفتين ورد مختصراً في (ر).
(٢) انظر ترجمته المذكورة في نفحات العنبر (٦) ونشر العرف ١/٦٨٣.

بوعظه جمٌّ غفير وأقبلت العامّة على أداء الصلوات في أوقاتها لما حثّ عليه][1] ثم لم يلبث [أن آن له حمامه وتصرّمت دون البلاغ أيّامه ولقي ربّه حميد سعيه وشيّع جنازته من أهل صنعاء وغيرهم الجمّ العديد][2] ودفن بجربه الروض عدني باب اليمن وخلفه في الوعظ السيِّد محمد الأمير واتفق بسببه أهوال يعجز عنها التعبير وفي خلال هذا وصل رجل من العجم ذكر أنّه شريف حسيني اسمه يوسف نسب إليه العلم والافتنان فيه فأمر الإمام أن ينصب له كرسي بالجامع الكبير وأمره بأن يملي شرح ابن أبي الحديد في فضائل أمير المؤمنين عليّ كرّم الله وجهه في الجنّة فاستمر على الإملاء والتقريب من الإمام[3] .

وفيها نفذ الإمام في الزواج بابنة محمد بن الحسين بن عبد القادر صاحب كوكبان فجُهِّزت إليه في أُبّهة عظيمة ومملكة جسيمة وصنع الإمام وليمة طال العهد بها [في هذه العصور] .

وفيها اجتمع فقهاء لا يعرفون الحقائق فألقوا إلى الحسن بن القاسم بن المؤيد بشهارة أن الأمور على غير قياس جارية وأن الدنيا من العدل والإنصاف عارية وطعنوا في السيرة المنصورية فلما ألقوا إليه ذلك وتحدّث

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) قلت هذا المذكور ممّن ناصب علاّمة اليمن ومحدّثها الكبير محمد بن إسماعيل العدا وقد وقعت بسببه حوادث جسيمة ذكرها العلاّمة الأمير في ديوانه ص ٣٥٩ ط (دار المدينة) يقول وفي سنة ١١٧٠ أمر خليفة العصر بتسفيره وقد كتب إلى العلاّمة أحمد بن محمد قاطن في وصف المذكور فأقرة الدين قاصمة لظهور المتّقين ومصيبة في الإسلام لم يطمع في وقوعها إبليس اللعين. . وسببه أنه وصل رجل من العجم إلى صنعاء اليمن فارّاً على زعمه من طهماسب يتسمى يوسف العجمي وفد إلى صنعاء سنة ١١٦٠ وله معرفة في علم الميزان على ما خبرناه. . وهذا العجمي لا يدّعي لنفسه معرفة سنّة ولا كتاب بل لا يقيم سورة من القرآن بلسانه إلخ. . انظر ديوان الأمير الصنعاني ص ٤٦٨ وللعلاّمة الأمير رحمة رسالة في شأن يوسف العجمي هذا، انظرها في قائمة مؤلفات الأمير المنشورة بمجلة الإكليل.

له مع الزمانة هذه الأوهام دعا الناس إلى بيعته وبثّ الرقاع في البلدان من ساعته .

في سنة ١١٥٢ فيها صار هادي بن علي حبيش وغيره من القبائل إلى الحسن بن القاسم بن المؤيد بشهارة لما دعاهم فاستجابوا له ونكثوا عهودهم مع الإمام ولما صاروا إليه غلظ عليهم في الأيمان وبذل لهم ميسوره بحسب [الإمكان][1] ووجّههم مع أحد أقاربه إلى حراز فدخلوها على غفلة من العامل من الاحتراز فانتهبوا ما ظفروا به وردفهم الحسن بن القاسم بغيرهم ، فكان الردف من الأسباب عليه في تغيّرهم ، وجهّز الإمام أميراً في قبائل نهم وبني الحارث وبني حشيش وهمدان ، وأمرهم بملاقاة تلك الأقران ، فوصل الجند الإمامي إلى مفحق[2] وقدّم الأمير مقدّمة إلى العجز[3] على أنّه بهم يلحق فلما صارت المقدمة إلى العجز انحطّ عليهم ابن حبيش بمن لديه في اللّيل ولم يشعروا إلاّ وقد خالطهم وهم نيام فحصل فيهم قتل ذريع وسلبت بنادقهم والسلاح [جميع][4] وحفظ الأمير نفسه في الحصن ثم إن ابن حبيش رجع من حينه إلى حراز وحصل التفاوت بينه وبين [مَن ردفه به][5] الحسن بن القاسم [فلم يستقم إلاّ أيّاماً قليلة ورجع إلى شهارة][6] ولما رأىٰ الحسن بن القاسم إخفاق مسعاه [وعدم المراعاة وخذل مَن دعاه][7] وكان أحمد بن المتوكل أطمعه في الموالاة فلما أظهر الدّعوة خلفه بما وعد [وبقي على دعوته لم يباشر أمر الإياسة من القبائل][8] وكان الإمام ولّىٰ ابن أخيه علي بن عبد الله بن

(١) ساقط من (ر).
(٢) مفحق: بلد وحصن في ناحية الحيمة له ذكر كثير في التاريخ.
(٣) من قرى الحيمة كسابقتها على طريق المسافر من مفحق إلى مناخة «الحجري» ص ٥٨٠.
(٤) ساقط من (ر).
(٥) ساقط من (ر).
(٦) ساقط من (ر).
(٧) ساقط من (ر).

القاسم بن المؤيد خمر وأعمالها فلما ثار عمّه هذه الثورة فارق علي بن عبد الله خمر وصار إليه ، فجهّزه عمّه على ابن منصور والسُّودة فتوجّه إلى ابن منصور ، فلم يعثر على طائل ، وجرىٰ بينهم حرب هائل وحيلَ بينه وبين دخول السُّودة ، فاضطرّ إلى الرجوع من حيث جاء فصار إلى عمّه فانقبض منه واتّهمه بالمصانع والتقصير لأغراض فلما رأىٰ علي بن عبد الله من عمّه الإعراض استعطف الإمام بالرجوع إليه فأقاله الإمام العثرة وصار إلى المقام العالي المنصوري .

وفيها : خرج الإمام من صنعاء إلى الروضة بجميع البيوت فاتّخذها دار وطن فعرض له بأوساط العام وهاج به ألم البحران[1] فمرض منه أشدّ مرض وانقطع عن الخروج للصلاة ثلاث جمع ، وأرجف الحسّاد على الإمام ، فتعاقد محمد بن أحمد بن المتوكل وياقوت زيلعي على الهرب إلى أحمد بن المتوكل ، وظن الفرصة أمكنت بمرض الإمام ، فانتهبه الإمام لذلك فغضب على محمد بن أحمد بن المتوكل وجعل حبسه بيته ، وتنصّل الزيلعي عن هذه الجمل ، ولما أبل الإمام ورجع إلى عادته من الانتظام والانتقام ، دخل صنعاء وتردّد بينها وبين بئر العزب . وكان الحسن بن القاسم صاحب شهارة رجع إلى الحركة بعد السكون واغترّ بأطماع أحمد بن المتوكّل بالبيعة والمناصرة والحال أن أحمد بن المتوكل لا يُقاد له في هذا عند الحقائق وإنّما أراد إهاجة الشر بينه وبين الإمام ، وكان الموجب لحركة أحمد بن المتوكّل ومشاغلته للإمام أن الإمام عيّن له على عامل المخادر دراهم مقابلاً لما انعقد من خزانته في التّجهيز إلى لحج ، واتفق من العامل بعض مماطلة ، وما زال يدسّ على الإمام في تحريك الأقران ولم تغرب على الإمام هذه الأفعال وأثارت بخاطره الاهتمام

(١) البحران : هو التغيّر الذي يحدث للمريض دفعه من الأمراض الحادّة يقولون : هذا يوم بحران ويوم باحوري على غير قياس كأنه منسوب إلى باحور «محيط المحيط» ص ٣٨ .

والاشتغال ، وعلم أن وراء ذلك أمراً عظيماً كما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ[1] .

وفي سنة ١١٥٣ في شعبان منها انفصل الحاج سعد بن سعيد المَجْزَبي عامل المخا لزيارة الإمام وصحبته تقدمة خيل ودراهم وغير ذلك وكان الإمام عرّفه [بكتاب][2] أن طريقه تكون من تهامة وينفذ إلى صنعاء منها والسبب أن الإمام استشمّ من أخيه أحمد [بن المتوكل حركات أوجبت الخلاف] فلم يعمل الحاج سعد بما عرفه الإمام وكان طريقه تَعز ، وصحبه الحاج حسن الحسوسا [لأن أعمال المخا كانت جميعاً بنظره][3] وجملة التقدمة [من الدراهم][4] أربعون ألف قرش أما النفائس والقماش فكثير فلما وصلوا تَعز قبض عليهما واعتلّ بعدم تسليمه ما حوّل له الإمام مما احتج في مخرج لحج لأن الإمام أشار إلى أحمد المتوكل بعد أن ملكت العبادل لحج وعدن أن يتولىٰ عمل التجهيز عليهم ومع افتتاحها تكون ولايتها إليه أو يسلم إليه ما احتاج في المخرج فزلج الوادعي من عنده بخيل ورجل ، فلما وصل إلى لحج استولىٰ عليها وعلى عدن واحتاج أحمد بن المتوكل من المال جملة ، فلما تمّ المراد لم يرَ الإمام أن البلاد تكون بنظره ، وجعل له تحويلاً إلى المخا بما احتاجه في تجهيز الوادعي فلمّا وصلت الحوالة إلى الحاج سعد تباطي بالتسليم وكان ما سنذكره هنا .

نعم ثم إن أحمد بن المتوكل صادر الحسوسة مصادرة عظيمة وتظاهر بالغضب على الحاج سعد وأحواله مستقيمة ثم إن أحمد بن المتوكل قدّم نفراً من حاشية خيله إلى مدينة إبّ وما زال اللاحق بعدهم على التدريج ، حتى

---

(١) ورد هذا النص بصورة مضطربة في (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).

تمكّنوا من المدّينة [وكانت في ذلك الوقت خالية من الرتب الإمامية ولما تمكنوا من المدينة] حفظوا أطرافها [ومنعوا الخارج والداخل] ثم أرسل الأمير يمن المتوكل إلى العدين بجيش أجشّ ولكن الأمير نفسه غير طيبة من أحمد بن المتوكل في الباطن وقدِم الشيخ أحمد بن عبد الله الوادعي إلى إبّ وياقوت زيلعي إلى جبلة [وواصل الأرداف بعدهم] ولم يكن طمعه في الخلافة ولا في البلاد التي قبضها وإنما طمعه أن يعيّن له بلاداً تقابل ما خسره في مخرج لحج وعدن ، ولكن اتسع الخرق عليه ولما بلغ الإمام هذا أقامه وأقعده فبث الطلابات إلى القبائل وكان ياقوت زيلعي هرب من صنعاء أول شعبان وصار إلى أحمد بن المتوكل فلما وصل إليه جسَّد له الأمور ما جَسَّد وحرّك عزمه على هذا المقصد وكان أحمد بن حبيش طال به اللبث ببلاده مع إعراض الإمام عنه فجمع مَن لديه من القبائل ومقصده نزول تعز إجابة لابن المتوكل فأرسل إليه الإمام [وعرّفه بإحسانه الماضي إليه ، فرجع عن هذه الهفوة ، فلما بلغ القبائل الذين كان جمعهم دخوله في طاعة الإمام ، رفعوا على قواعدهم له الراية السوداء ، وقادهم المراني وغيره من قبائلهم وعقالهم ، ولما انفصلوا عن محالّهم وبادروا بارتحالهم ، وصل بعقب نفوذهم محمد الجثّام الخياري من حضرة أحمد بن المتوكل على ضُرب من التخفي ، ولما وصل إلى خيار وضع أُعطيات أحمد بن المتوكل في حاشد وبكيل ، واستمالهم إلى الخلاف معه واستصلح كشيمة العصيمي وأنفذه في أثر المراني ولما نفذ المراني من بلاده وانتهىٰ به شوطه عن طريق أصاب الأعلا والأسفل ، فانتهبوها نهباً فظيعاً ، ولمّا تم له في وصاب ما تم افترقت أصحابه فرقتين ، فتوجهت ذو حسين على طريق الظهرة[1] لما انتهبوا فندب أنفار منهم إلى الأمير ألماس ببيت الفقيه ، وكان لهم اختصاص به من قبل ذلك ، وسألوه ترك أصحابهم يمرّون على طرف بلاده الطريق إلى بلادهم لقربها من هنالك على أن لا يعترضوا بلاده ، وعرّفوه أنّه لا قدر له في ملاقاتهم لكثرتهم وشوكتهم ، فلم

يقبل الأمير نصحهم ، فقالوا له: لم يبقَ عندنا لك عتبىٰ ، ورجعوا إلى أصحابهم وأعلموهم بقصد الأمير إليهم فافترق أصحابهم ثلاث فرق ، فرقة تأخّرت مع الأطماع ، وفرق توجهت في مقابلة الأمير ألماس ، وفرقة كمَنت على مخاتلته فالتقىٰ هو وإياهم في وادٍ بين الظهيرة وملاحة ، فاشتجر بينهم القتل وكان الأمير في بدء الأمر أرسل إليهم بأن يتركوا ما بأيديهم من الأطماع ، ويذهبوا أين شاؤوا . فأظهروا له الضعف عن ملاقاته وطلبوا المهلة إلى الصباح فلما رجع إليه ثقاته بهذا الكلام فتر عزمه وانتظر الصباح فلما علم البغاة ركون الأمير إلى صدق المقال طوّقوه في الحال ، وهو على غير أُهبة ، وكانت جنده وضعت أسلحتها ، فما ثارت الفرسان إلى خيلها إلاّ وقد غشيهم العدو من تحت ومن فوق وقتل بعض الخيل وبعض ساقوها وان المفقود من الخيل ستّة عشر رأساً ، وانتهبوا أصحاب الأمير نهبة فظيعة ، وقتل من أصحاب الأمير نحو مائة نفر ، ومن البغاة نحو عشرين نفراً . وحصل بالأمير أصواب نجّاه الله منها ، وخلص القبائل إلى بلادهم بأطماعهم ، وأمّا المراني فنفذ من وصاب يريد الانضمام إلى أحمد بن المتوكل ، فخاف عواقب الأمور فبقي بين أجناد الإمام في اليمن على تقديم رجل وتأخير ، فراجعوا الإمام من قبله على أن يصل إلى بابه تائباً مستغفراً فرجع إلى الحضرة الشريفة ثم إلى بلاده][1] .

وأمّا أحمد بن محمد حبيش لما صلح حاله مع الإمام كما قدّمنا وصل إليه وأنعم عليه ووجّهه من فوره إلى قتال مَن باليمن [فكانت طريقه على أطراف بني سرحة ليخلص منها إلى بعدان][2] وهكذا ناجىٰ بن ناصر جزيلان لما طلبه الإمام بادر إليه مسرعاً فلما وصل قريب صنعاء حجر عليه الإمام دخول صنعاء وأمره أن يشمّر الهمّة وأمدّه بمال واسع فنفذ إلى يريم

---

(١) ما بين المعقوفتين أسقطه ناسخ (ر).
(٢) ساقط من (ر).

والمخادر وكان القاضي حسن أحمد العنسي أسعفه الجدّ بإقبال الإمام عليه وتوجيه جميع أعمال ذي حسين إليه فوجّهه بقبائله إلى اليمن [وصار إليه من إحسان الإمام فوق الأمل](1) .

[وفيها: ورد إلى الإمام رسول من عند الحاج سعد المجزبي من تعز يخبر بتضييق أحمد بن المتوكل عليه وعرف الإمام أن الأجناد الذي أرسلها لحربه لا تزال في أغلب الوقت ترد إليه وأن الإمام لا يركن لقتالهم فما لهم أرب غير المأكل من الجانبين](2) .

وفيها نصب القاضي يحيىٰ بن صالح السحولي للقضاء مع أبيه ، وكان ظهر من كماله مع صغر سنّه ما دلّ أنّه نبيه وما زال ينمو به الحال إلى أن انخرط في سلك الوزارة .

[وفيها طلع الأمير يمن من العدين عن أمر أحمد بن المتوكل لوصل جناح من بين المدينتين ، وكان بجبلة ياقوت الزيلعي ، وبأعمال إبّ أحمد بن عبد الله الوادعي إلّا أنها طرأت منافسة بين الوادعي ويمن على الرئاسة أثارها إحنٌ قديمة ، فلم يقرّ خاطر يمن مع هذه الأحوال ، فاضطرب حاله ، وكان السّيد أحمد بن عبد الرحمٰن الشامي استشمّ أنفاس يمن على يد وكيله باليمن ، فوجده قريب الصَّلاح فاستماله إلى جناب الإمام ، وما زال به حتى رجع كما سيأتي قريباً إن شاء الله تعالىٰ .

ثم إن الزيلعي تقدم من جبلة إلى المخادر عن أمر أحمد بن الإمام ، فلما وصل إليها ملكها ورتّبها ، وكان ناجي جزيلان زحف إلى قتالهم مع أبطال مخادعة ، وكانت الحدا في حزبه عن أمر الإمام فقدّمهم لقتال مَن في المخادر وتأخّر ناجي عنهم في المحفد(3) على جهة الردّ والاعتصام

---

(1) ساقط من (ر).
(2) ساقط من (ر).
(3) قرية في الشمال من المخادر.

فاتّفق بينهم حرب قتل فيه من الحدا عصابة وترفّع ناجي إلى سمارة والحال لا يوجب البلوغ إلى هذه المثابة . وأحمد حبس لما استقر بجبل بعد أن توجّه لحربه ياقوت زيلعي والأمير يمن فحصل بينهم مناوشات حرب لا طائل تحتها وما زال السيِّد أحمد بن عبد الرحمن الشامي يكاتب يمن إلى أن صلح حاله ودخل تحت الطاعة الإمامية ولما عرف ياقوت زيلعي خروج يمن عن طاعة سيده أحمد بن الإمام رجع من][1] بعدان واستقر بجبلة ولديه عصابة نافعة والشيخ أحمد الوادعي استقرّ في إبّ وحفظها والأمير يمن لما أظهر الطاعة للإمام تحرّك من بعدان إلى محل يسمّىٰ عُنقرة ثم رحل منها إلى جبلة لقتال ياقوت زيلعي فلما وصل إليها دخلها من أعلاها وانحاز الزيلعي بحافة الدار [وما والاها واتفق بينهما حرب يسير وانتهبت المدينة نهباً فظيعاً][2] واستمر الحرب من بعد كما إليه نشير ، ولما كان من يمن هذا الرجوع إلى الإمام سقط في يد أحمد بن الإمام المتوكل فإنه كان قد أحكم أموره ولم يبقَ مانع من دون ظهوره [فخرب عليه ما عمر وأحربه بماله ورجاله][3] .

وفيها عقد الإمام ولاية الحجرية لأحمد وهيب [وكان يتفوه أنّه عند وصوله يأخذ أحمد بن الإمام ولما صار الأمير يمن إلى جبلة محاصراً لياقوت زيلعي كما ذكرنا بادر أحمد بن المتوكل بغارة من تعز صحبة النقيب عامر فاتصلوا بجبلة وكان الأمير ممّن ضيق على الزيلعي فناداه القبائل الذين مع الزيلعي بخروجهم عن جبلة هم وإيّاه إلى تعز فقال يمن أمّا أنتم فاذهبوا حيث شئتم وأمّا ياقوت فلا سبيل إلى خروجه فقالوا ما نذهب ونترك أميرنا .

---

(١) ما بين المعقوفتين ورد ملخصاً ومضطرباً في (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).

[وكان الرأي لو تركهم يذهبون هم وأميرهم فإنه أتعبه شأنهم واشتد بينهم الحرب ، وآخر الأمر أنّهم خرجوا من جبلة كما شرطوا أوّلاً ، فخرجوا والبيارق منشورة والمرافع إلى أن وصلوا تعز][1] وبعد خروج الزيلعي من جبلة ، تقدّم الأمير يمن لحرب مَن في إبّ والإمام يمدّه بالأموال والرجال .

وفيها: توجَّه إسماعيل بن علي المتوكل إلى حضرة أحمد بن المتوكل عن رأي الإمام واستمر الحرب بين الوادعي ويمن في أكثر الأوقات ، ودخل القاضي حسن العنسي جبلة .

وفيها تقدمت خولان من حضرة الإمام إلى إبّ لمناجزة الوادعي ، فلما وصلوا إلى خارج المدينة حملوا حملة رجل واحد فثبت الوادعي وكسرهم كسرة هائلة ، وحفظ الوادعي مدينة إبّ ولم يتعدّم عليه بها مع شدّة الحصار شيء ، وقام به أهلها مع الأخذ المستحسن .

وفيها تحدّث النّاس بتمام الصلح بين الإمام وصنوه أحمد ووردت كتب إسماعيل بن علي من تعز بإطلاق سعد مجزبي والجسوس ، وأنّه ردّ بعض ما أخذ من الحمولة التي قبضها وأنّه سيوجّهها ويوجّههم إلى الحضرة فأجابه الإمام أن لا خوض في الصلح إلاّ بعد وصولهم .

وفيها أخرجت الحجرية رتبة أحمد بن المتوكل من المنصورة فوجّه إليها السيد علي بن المؤيدي فحالت أهل البلاد بينه وبين دخول المنصورة ، فرجع إلى الدمنة ورفعت الحجرية رؤوسها للخلاف على أحمد بن المتوكل ، وحاصروا السّيد علي المؤيدي بالدمنة فوجّه أحمد بن المتوكل غارة عليه ياقوت زيلعي في رجال حاشد وبكيل فكان بينهم يوم

---

(١) الدمنة: اسم لعدّة مواضع بالحجرية تحمل هذا الاسم فيحقق الموضع. والغالب أنها دمنة خدير.

عصيب ، منح الله جند أحمد بن الإمام النَّصر على أهل الحجرية ، وكانت الرؤوس التي حملت إلى تعز تنيف على مائتي وخمسة وأربعين رأساً ومن الأسرىٰ نحو ثلثمائة ، وذلّت الحجرية بعد هذه القتلة ونفذت فيها العمّال .

وفيها: نفذ من تعز الحاج سعد مجزَبي والجسوس إلى حضرة الإمام وأمر إسماعيل بن علي بالمسير معهم لختم الصّلح فتحيّر بعدهم بإب أيّاماً قليلة ، فلما وصل الحاج سعد إلى الحضرة والإمام في بئر العزب يفرّق الأضاحي للنّاس عامة ، وهو من سكرة الخوف غير صاحي ، فلم يلبث إلاّ نحو ثمانية أيّام ، ثم انقطع حبل الالتزام وسلّم من الحَمَّام إلى الحِمام ، وكان في نفس الإمام عليه بمخالفته في المرور ما أشار إليه .

وفي شهر ذي الحجة وصل إسماعيل بن علي بن المتوكل إلى حضرة الإمام وسعىٰ في الصلح فلم تنعقد له الأسباب وأقنعه الإمام أن لا خوض في الصلح البتّة ، إلاّ بعد خروج الوادعي من إبّ .

وفي سنة ١١٥٤ نفذ السيد حسين الأعضب إلى عند الوادعي وهو بمدينة إبّ للخوض في خروجه منها فلما وصل إليه وفتح عليه الخطاب وأسعد للخروج ، بعد أن أخذ الرأي من أحمد بن الإمام ، وكان خروجه من المدينة سابع عشر شهر المحرّم من السنة المذكورة ، فلما انفصل عنها ، أمر الإمام ياقوت عبد السيد إسماعيل فايع بحفظ المدينة وبقي بها أيّاماً حتى توجهت ولايتها إلى الأمير يمن ، ولما صار الوادعي إلى تعز أوهم أحمد بن المتوكل أنه سيكفيه المؤونة وطلب منه الرأي لنهوضه إلى الحضرة ، وما أراد الوادعي بذلك إلاّ تخليص نفسه لمّا رأىٰ تلاشي الأمور بتعز ، ولم يعجب أحمد بن المتوكل مصيره إلى الحضرة لعرفانه بالتصميم على حربه ونسبه إلى عدم الوفاء ولما وصل الحضرة أكرمه الإمام وخاض في الصلح فلم «يسعده» ثم امتدت بعد ذلك مراكز الإمام إلى الجند وشرعب وصهبان ، وضاقت الأحوال بمن في تعز وكان الإمام لما ارتفع

الوادعي من إبّ أمر القبائل المحيطين بإبّ يتوجهون على الشرماني[1] والجُمري وإلى الحشا[2] والعمارة[3] ، فما كان منهم إسعاد ولم يظهر لهم نفع يعوّل عليه واستصعبوا النفوذ ، وأجمع رأيهم في الرجوع إلى المقام العالي ، ثم أنفذ الإمام قبائل همدان وغيرهم إلى الجند ، وصار الأمير يمن إلى جبيل من أجل المدد ، ثم إن أحمد بن الإمام خرج من تعز وصحبته مدفع قاصداً لمن في الجند ، فلما وصل إليهم تحيّزوا في دار منها فرماهم بالمدفع ، أخرب جانباً من الدار ، وقتل نفرين فعندها خرج مَن في الدار بالأمان إلى عند الأمير يمن ، فلما وصلوا إليه وهو بالحبيل ارتفع إلى العدين .

وفيها توجّه أحمد وهيب لولاية الحجرية على أن يذكي نار الحرب منها علي أحمد بن المتوكل .

وفيها تواترت الأخبار بخروج ياقوت زيلعي إلى الجند مضمراً للعيب في الباطن على أحمد بن المتوكل ، وكاتب إلى الإمام بواسطة السيِّد أحمد عبد الرحمٰن [واختلف الأحبار واستبعدوا أن يكون منه هذا العظم جرمه عند الإمام][4] وقائل قال: [إن الكلام بينه وبين أحمد بن المتوكل على جهة المخادعة ليمن فإذا وصل إليه وانفرد به قتله فختم بينه وبين الإمام على انفصاله إلى عند يمن بعد أن أعطوه الأمان][5] فلم يشعر يمن وهو بحبيل إلّا والزيلعي عنده فقابله بالقبول مع الاحتراس وتمارض الزيلعي فأمره يمن بالنفوذ إلى العدين ويسكن بها حتى يحصل له الشفاء فلمّا صار إلى العدين ظهر ليمن أن خروجه إليه حيلة فلما صحّ له ذلك انقضّ [من

(١) من بلاد ماوية أعمال تعز «الحجري» ٤٥١ .
(٢) ناحية من قضاء ماوية.
(٣) العمارةُ هما عزلتان سفلى وعليا من ناحية الحشا، قضاء ماوية.
(٤) ساقط من (ر).
(٥) ساقط من (ر).

حبيل][1] إلى العدين ولما دخلها أخذ الزيلعي في الحال ووضع في رقبته الزنجير وبادر بإرساله الحضرة وعرف الإمام ما الموجب لقبضه واختلفت الأخبار [في ذلك][2] والله أعلم بحقيقة الحال . [ولما وصل شريف الحضرة هو ومن صحبته من العبيد أمر الإمام بإركابهم على جِمال لقصد التعزير يُطاف بهم في بئر العزب وصنعاء وقاع اليهود حتى إذا وصلوا إلى باب السَّبح وكان الإمام ببستان السُّلطان عقد مجلساً فيه عظماء الدولة وغيرهم ، وأقيم الزَّلعي وأصحابه أمام الإمام ، وكان من جملة أصحابه سيد من المحاقرة هو الذي دبّر الزيلعي للهرب من صنعاء ، حتى صار إلى هذه الفاقرة فأمر الإمام بضربه ضرباً مبرحاً ، وأمر بضرب الزيلعي ومَن كان معه من العبيد وأمسوا ليلتهم في البستان ، ولما كان يوم الثالث من وصولهم برز أمر الإمام بأن يُطاف بهم في أرباع صنعاء على الصّفة الأولىٰ إلى سجن غمدان ، وكان أحمد بن المتوكل لما استولىٰ على الجند كما قدّمنا تقدّم منه إلى القاعدة[3] وبها رتبه من يمن فما كان أسرع من استيلائه على مَن في القاعدة ومدّ منه إلى السفنة[4] فألهب بجوانبها النار ذات الوقود وأخذ ما فيها من العلوفة والطعام ، وحمله إلى تعز ثم رجع إلى تعز وما أمن يمن في هذا الحال يمدّ بغارة ، وصار لمعاناة حاشد وبكيل الذي لديه في محارة وكتب إلى الإمام يعرّفه بعجزه عن الدفاع ويستمد أميراً يحصل به الانتفاع فأجابه الإمام بمقتضىٰ الحال وإن الإمداد بأمير يشاركه عندها من المحال وتعقّب هذه الأمور مرض يمن الذي كان به وفاته فاختلّ في خلاله التدبير وانفصل عنه بعض الجند الذي لديه إلى

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) القاعدة: مدينة بالشرق الشمالي من تعز بمسافة ٢٩ ك.م.

(٤) هي المعروفة قديماً بسهفنة قرية، شمالي الجند بالقرب من القاعدة على الطريق منها إلى ذي السفال.

همدان الشوافي فعاثوا بقراها .

ولما صحّ للإمام مرضه وفعل القبائل بهمدان الشوافي بادر بإرسال][1] الشيخ سعيد بن جابر الراجحي إلى اليمن في عصابة وأمره بحفظ مدينة إبّ ثم إن أحمد بن المتوكل غنم الفرصة [في مناجـزة][2] يمن فحمل المدافع على الجِمال وصار إلى حبيل بعد أن كاتب القبائل ، واستمال مَن استمال وملَكَ حبيل بعد إخراج مَن كان فيه من الرتبة الإمامية واتفق في خلاف ذلك وفاة الأمير يمن بالعدين [فكتم موته ليال][3] فما اطّلع عليه اثنان وحزم صهره الأمير أحمد بن محمّد ياقوت في مخلّفاته وحرزها [قبل ظهور وفاته وكتب إلى الإمام يعلمه الحال ، ويستطلع رأيه في المآل فرجح نظر الإمام المبادرة بتوجيه][4] الشيخ محسن بن أحمد راجح [الوزير صنو الوزير على البدار][5] فخرج من صنعاء [ومعه جمع كثير][6] وكان وصوله إلى مدينة إبّ في موكب عظيم فأوّل ما بـدأ به في كفّ المتغلبين من القبائل فاستنزلهم على صفة ، وكان ظهر له من ابن راجح الخولاني ميل إلى جانب صاحب تعز وإن والده أشار إليه بذلك][7] فبادر الشيخ محسن بالقبض عليه والإرسال به إلى حضـرة الإمام وأمـر به الإمـام إلى سجن غمدان [ثم إن أحمد بن المتوكل بعد أن أخذ حصبان دخل الجعدي ولبث به أيّاماً ثم نفذ منه إلى تعز ، وأظهر أن ذلك من أجل العيد ، وكان الشيخ محسن بعـد اجتماع الجنـد المنصوري خـرج من إبّ إلى جبلة في نيّة

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).
(٥) ساقط من (ر).
(٦) ساقط من (ر).
(٧) ساقط من (ر).

التقدّم بهم إلى تعز وأمر الإمام السيد الشامي عامل قطعبة يتقدّم إلى الجند فحرّك يافع بمال بذل لهم ليخلص بهم إلى المشار به إليه الإمام فخرج قحطان في نحو ثلاثة آلاف ، وكان قدم صنوه أبا بكر إلى جحاف فانتهب الطماع مع قحطان أطراف جبل بعدان فنظر الشيخ محسن أن دفعهم أهم من التوجه على تعز فبادر من جبلة إلى إبّ في قصدهم ، وقدم إلى طلوع الجبل قبله مقدمه ، فلما عرف أهل المشرق بقصد الجيوش الإمامية إليهم فولّوا على أعقابهم هاربين][1] ثم بعد ذلك توفرت الجيوش عند الشيخ محسن واتسعت النفقات فيهم وتحمّل فوق ما طاق مع ميله إلى التخفيف على الرعايا بالمطالب فإن يمن كان أهلك الطارف والتالد .

وفي تاسع عشر شهر القعدة حصلت بجميع البلاد رجفة عظيمة [وجاء بها الخبر من جميع الأقاليم وانهدّ بها جملة بيوت وجبال بالمغارب وأمر الله تعالىٰ غالب وتفجّرت بها جملة مياه وغارت أخرىٰ وقد ذكر السيوطي أنّها مقدّرة بطلوع النيزك وكان الأمر كذلك فإنه تعقّب وقوعها ظهر وكأن له ذوابة من أعلاه كالتاج ويرىٰ بآخر الليل معترضاً بالجو كالسراج الوهّاج][2] .

وفيها توفي القاضي عبد القادر النزيلي خطيب الخلافتين المتوكلية والمنصورية بعد أن سلب حجاه ولبث على فقدان العقل نحو ثلاث أو أربع سنين وفرّق من أموال جمعها على غير قياس وتوفي بالروضة وحمل إلى مسجده الذي عمّره خارج باب السبح وكان يخف على المتوكل ويدنيه ولا يخرب أمراً هو بانيه ولكنه مال إلى خدعه وإفشاء سرّه فعوقب بزوال عقله .

وفيها قبض أبو فارع حمولة أهل الظفير فلم يطلقها لهم إلّا بإثني عشر

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

مائة قرش .

وفيها بالغ السيِّد محمد بن إسماعيل الأمير الخوض في الإصلاح بين الإمام وصنوه أحمد فأسعده الإمام إلى مطلبه [وتوجّه من صنعاء إلى تعز وبقي بها نحو ثلاثة أشهر](١) وسيأتي ما آل إليه الأمر إن شاء الله تعالىٰ .

وفي سنة ١١٥٥ فيها اتفقت مناوشة حرب تعددت بين أصحاب أحمد بن الإمام وحرب الإمام في عدّة مواضع ، وثبت الشيخ محسن بجبلة وإبّ ما نفد عنهما ولا حضر بنفسه شيئاً من الوقائع ، وكان الخوض دائراً في الصّلح لما حصل الملل من الطرفين [وبالغ الشيخ محسن في حثّ صنو علي على الإشارة على الإمام بالإصلاح وأفهمه تلعّب القبائل وأنّه لا يرتجىٰ على أيديهم به فلاح فما زال الشيخ علي هو وغيره في خوض مع الإمام حتى أسعدهم بذلك](٢) على شروط وتوجّه السيد محمد الأمير بعد عوده من تعز إلى حضرة الإمام لأخذ العهد من أحمد المتوكل [فلما وصل تعز قابله صاحبها بالإكرام وسرّ بانطلاق الإمام في الصلح ، فقد كان آيس من وقوعه وانعقد الصلح على أمر جميل](٣) وعيّن الإمام لأخيه من البلاد ، بلاد تعز ، وشرعب وصبر ، وبعد ذلك ارتفع الشيخ محسن من إبّ وجبلة برأي الإمام [وكانت اليمن جميعاً امتلأت بالقبائل فما اجتمعوا للشيخ محسن إلّا بعد جهد جهيد ، ودخل صنعاء في موكب عظيم وتلقّاهم الإمام بالإحسان وتمّت الأمور على أحسن نظام](٤) .

وفيها ترجح لأبي فارع أن عرض للحجّاج في الطريق عند جبل وضرة(٥) وهي من إقطاعه فقبض على نحو عشرين [نفراً من أهل صنعاء

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).
(٥) وضرة جبل من بلاد حجة فيه عدة قرى وقلاع.

وغيرهم وحبسهم بهذا الحصن وزعم أنّه أخذهم بأولاده الذين حبسهم الإمام بقصر صنعاء وأنّه لا يطلقهم إلّا بأولاده][1] وبقي الحجّاج في أسره نحو ثمانية أشهر على أشد حال ثم فكّهم لمّا لم يجد للبغي مجال .

وفيها في ثامن شهر شعبان ترجح ليوسف بن المتوكل صنو الإمام فطلب منه إذناً في النزهة إلى الروضة فأسعد له الإمام بما طلب ولم يخطر على باله ما انطوىٰ عليه من الشرّ وكان راجح الخولاني قد بالغ في إطلاق ولده ولم يجبه الإمام فيه إلى سؤال وعلّق إطلاقه بالمحال فلما أيس راجح من إطلاق ولده كان عند يوسف بن المتوكل فقيه من اليهانية يكتب له من بلد يُقال لها العين ولهذا الفقيه خُلْطة واتصال براجح الخولاني فعوّل راجح على السعي بينه وبين يوسف بن المتوكل وأنّه يخرج إليه إلى بلده وخولان بيده فيما أراد فما زال به حتى أخرجه في بعض الليال عند أذان المغرب وهو معه وأحد أولاده .

وكانت طريقه ما بين سعوَان[2] والرَّوضة وخلص إلى خولان وعند وصوله دعا إلى نفسه وتكنّىٰ بالمهدي وبقي في بيت كاتبه بالعين وأمر الإمام الفقيه يحيىٰ بن أحمد الآنسي بالنفوذ في عصابة معه منهم ابن حبيش ليجمعوا قبائل الحدا ولم يدر أن البخيتي صاحب الحدا فسَد مع راجح فنفذ الفقيه يحيىٰ ومَن معه غير عارف بفساد الحدا فلما بلغ إلى القبّتين دَبّر له أهل سنحان بجمع القبيلتين في قصده ولا طاقة له بحربهما فلم يسع عنده قولهم وركن إلى ابن حبيش ، وهو في خمسين نفراً ولا تنيف على المائتين جملة العسكر فلما بلغ إلى محل يُقال له الخربة بقرب الجهارنة[3] عرض له راجح في خولان فانحاز الفقيه يحيىٰ بالقرية ،

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) سعوان: وادٍ مشهور بالشرق الشمالي من صنعاء بمسافة ٨ ك.م.

(٣) مدينة أثرية قديمة كانت تعرف بيكلي على ربوة حمراء أعلا مخلاف الكميم بالحدا عثر بها في سنة ١٣٤٨ على تمثال ذمار علي وابنه.

وحصل بينه وبين خولان حرب، وقتل أصحابه جماعة من خولان لاعتصامهم بالدار، وقَهرت خولان الفقيه يحيىٰ بكثرتها وإقدامها فوقع بينهم صلح على تسلّمه، ومَن معه جميعاً وقبض راجح ما جاءوا به من السلاح والميرة، ومنّت خولان على ابن حبيش بالكفّ عنه وعن أصحابه وتركوه محتشماً وأشاروا إليه بذهابه ورجع راجح [بالفقيه يحيىٰ ومَن معه إلى يوسف بن المتوكل وظن راجح الخولاني][1] بقبضه الفقيه يحيىٰ أنّه قد ظفر بولده، وإن الإمام يأنف أن يدعه بيده وبلغ الإمام عند تَبريزه بالسَّعدىٰ قاصداً خولان أن الفقيه يحيىٰ قبض فصار منه في آخر يوم من شعبان إلى غيمان[2] ولبث فيه أيّاماً وقدِم منه القدمات فصار بعضها إلى قرية أسناف[3] وقد انبعث منهم بالفساد هامات فمنعوا عن الخطاط، وكانوا استجلبوا خولان إليهم فحصل بين مقدمات الإمام وخولان مصاف، بعد أن دخل أصحاب الإمام البيوت بأسناف، فكانت الدَّائرة على خولان، وانجلىٰ عن هزيمتهم وحصل قتول من الجانبين وحملت جملة رؤوس إلى الإمام وتقدّم الإمام من غيمان إلى أسناف وأثخن الوطأة فيهم وعسفهم بما ارتكبوا من الخلاف وانتهب جميع ما في بيوتهم من المتاع والحبوب وآلة الحرب ونزل بهم من العذاب ما لم يكن لهم في حساب وبقي الإمام بأسناف بعض أيّام ثم ارتحل إلى مسور[4] وترفعت خولان بحشمها إلى الجبال، وكانت مقدَّمات الإمام توغَّلت بالأمر الشريف بلاد خولان واتّفق بينهم حروب، وأصيب جماعة من جند الإمام وانجلىٰ عن دخول بيت الهزامي وهو من أشد المحاربين فتقدم الإمام بنفسه إليه وأباح الانتهاب، فما تمّ على أحد ما تمّ عليه وكان راجح الخولاني بعد انهزامهم أخرب بيته بيده وتحمّل هو

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) غَيْمان: قرية في بني بهلول شرقي صنعاء بمسافة ٢٠ ك.م.

(٣) حصن وقرية كبيرة بالغرب من جحانة وهي من أعمال خولان الطيال تبعد عن صنعاء بمسافة ٢٠ ك.م جنوب شرق «المقحفي معجم البلدان» ص ٢٣.

(٤) بلد بالجنوب الشرقي من صنعاء في خولان العالية وهو وادٍ خصيب يضم عدة قرى.

ويوسف بن المتوكل إلى هجرة أيطبة(١) والفقيه يحيى صحبتهم وأقام هناك وأرسل الإمام علي بن الحسين بن علي إلى أخيه يوسف بن الإمام يقول له عن هذا ما أغناك ، وما زال به حتى رجع إلى الصَّواب وأذعن بالرجوع ، وطلب عفو الإمام ولم يؤاخذه الإمام بما فعل ، وأمر أن يتقدّم به إلى صنعاء مأموراً بالبقاء في بيته ، وراجح الخولاني نظر لنفسه الأرجح ورأىٰ أن إرسال الفقيه يحيىٰ إلى جود(٢) الإمام في إخراج والده بلا واسطة فقال الفقيه يحيىٰ: اذهب إلى الإمام [ولي شفقته](٣) وعليك جهدك في المعاونة وأرجع له حصانه ومتاعه وسلاحه فلما وصل إلى الحضرة شفع إلى الإمام في إطلاق ولد راجح فلم يستصوب ذلك الإمام ثم إن الإمام أمر الفقيه يحيىٰ أن يتقدّم بالأسرىٰ إلى صنعاء ومن جملتهم النويرة ثم إن الإمام صار من بيت الهزامي إلى قرية عذوبة(٤) فأخرب بها بيوتاً ثم استمر إلى قرية الجعري(٥) فعيّد بها عيد الإفطار وسمّاها الخضري ، وأراد نقل السوق الجامع إليها فنجم حركة بحراز من قبل المكارمة ويام أوجبت القبض على عبد العلي المكرمي بخولان والتشديد عليه لأنه الواسطة في صلاح أمور إخوته ، وعليه الضمان ، ولولا نجوم هذا ما بادر الإمام بالرجوع من خولان إلى صنعاء وقد صلحت خولان بعض صلاح ولما قبض الإمام على عبد العلي المكرمي بخولان كما أشرنا إليه أمر به إلى السجن بصنعاء وكان سببه أن أهل يام الذين بصعفان قبضوا عامل الشيخ محسن راجح على حراز ورسموا عليه بقلعتهم وكان داعي ذلك أن بعض مَن ينتمي إليهم على مذهبهم راموا التغلّب عليه وليس من إقطاعهم فتمنع

---

(١) أيطبة: هجرة من بلاد بني جبر من خولان العالية.

(٢) عبارة (د) ورأى إرسال الفقيه يحيىٰ إلى جود الإمام.

(٣) ساقط من (ر).

(٤) عذوبة: قرية من عزلة قروي ناحية خولان الطيال.

(٥) أظنها الجعراء من العزلة السابقة.

عامل البلاد بقلعته واستجلب من يام جماعة إليه فوجّه الإمام على القلعة الجيش والمدفع وحوصر حتى نادىٰ صاحبها بالرجوع إلى الطّاعة الإمامية فتولد من ظعنهم لأجلها مع أسباب غير اغتنامهم الفرصة باشتغال الإمام بخولان ، وانضاف إليها جيش هادي حبيش حبسه الإمام لموجبات طرأت منه أيّام بقائه في اليمن عند الأمير يمن ، فاجتمع أحمد بن محمد حبيش وأبو فارع ويام ، وكلّهم يطلب خلاص محبوسه وعملوا في أسباب الفساد ، فلما بلغ الإمام هذا التحالف طلب ناجي جزيلان والقاضي حسن بن أحمد العنسي قائد ذي حسين ليوجّههم على يام بصعفان[1] فخرج ناجي من بلاده في جيش بلغ به إلى ذيفان وأرسل له الإمام بيارق الجهاد وما يحتاج إليه وحجر عليه دخول صنعاء وأنفذه إلى صعفان فجاءت طريقه على حضور ، ثم على الحيمة وحراز والقاضي حسن ومَن معه كذلك نفذوا إلى الحيمة وكان أحمد بن محمد حبيش وأبو فارع مع يام نفذوا من بلادهم وتفرقوا من أطراف حراز فأمّا أهل يام فانضمُّوا إلى أصحابهم بصعفان وابن حبيش وأبو فارع صارا إلى رقاب[2] واستوليا عليه ونفذ ناجي من الحيمة إلى بلاد آنس وقاضى على يام بصعفان لقتالهم وخلاص عامل الإمام فأمّا ناجي فاتّفق بابن حبيش وأبي فارع وصلح بينهم الحال إلى الإمام ، وضمن لهما ناجي بفكاك هادي بن حبيش وأولاد أبي فارع وانفصلا من رقاب على هذا الضمان [وتسلمه أصحاب الإمام][3] ويام وذو حسين اتفق بينهما حروب أبانت فيها يام [عن نجده وقتلوا][4] من ذو حسين ثمانية عشر نفراً [ثم إن ذو حسين هابت جانب يام بعد هذه

---

(١) صعفان: جبل غربي مسار من أعمال مناخة.
(٢) رقاب: بلدة من جبل برع (لعلها المعنيّة هنا).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).

الفعلة](1) ثم إن يام خرجت من صَعفان وبادروا بالمسير [لا لقلّة](2) فعجب الناس من خروجهم ، ولهم الغلبة وإذا بهم قصدوا الحديدة ، وانتهبوها ، وسبوا من أهلها ، وحصل بينهم وبين أهل عُمان(3) حرب وقتلوا منهم جماعة وغلبوهم بالكثرة وشدة الإقدام وذهب جملة من أموال الناس وأحرقوا بيوتاً ، ثم انفصلوا عنها ومعهم بعض الحريم من أهلها وأحرقوا في الغانمية عدّة من العشاش والمربعات ، واستحلّوا بها البنين مع البنات واستاقوا الماشية ودخلوا اللحية فوجدوا أهلها قد تحصّنوا بالبتّار ثم إنهم خرجوا من اللحية بعد أن أحرقوها إلى بلادهم .

وفيها: أمر الإمام بخراب بيوت المكارمة بطيبة وأمر همدان بالخراب فيها مع غيرهم من القبائل واليهود وانتخب أخشابها وأحجارها وأبوابها وصارت كأن لم تغن بالأمس .

وفيها حفر أهل ذيفان قبر مهدي بن أحمر الشعر ورموا بعظامه الأرض تشويفاً لناجي جزيلان ، فإنه لما طلبه الإمام من بلاده لحرب يام وأبي فارع ، فكانت طريقه ذيفان فلما وصل إليه اتّفق [بينه وبين](4) أهلها افتراق على الخطاط فقتل منهم اثني عشر نفراً وأربع نساء وكان فعل أهل ذيفان بقبر مهدي لهذا السبب ، وهذا مهدي بن أحمر الشعر كان خرج إلى عند الإمام أيّام خلاف أحمد بن المتوكل ، فلما وصل إلى صنعاء مرض وحمل مريضاً إلى بلاده فلما وصل إلى ذيفان مات فيها وقبر هنالك .

وفي سنة ١١٥٦ طالب أهل ذيفان ناجي جزيلان بمَن قتل منهم فحكم الإمام بينهم على تسليم الديّة .

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) ساقط من (ر).

(٣) أهل عمّان هم التجّار وأصحاب المراكب من أهل عمّان وغيرهم من أهل الخليج العربي.

(٤) ساقط من (ر).

وفيها كانت وفاة الحسن بن القاسم بن المؤيد بشهارة .

وفيها وجدت مصاحف في مجاري ماء حمام الإمام واتّهم أن ذلك من فعل اليهود [ومَن هو أخسّ ديناً من أهل الجحود](١) .

وفيها: خرج ذو حسين من بلادهم فقصدوا إلى بلاد آنس وعثوا بها وانتهبوها ، وأخذوا من الماشية وغيرها [ما وجدوا](٢) وحصل بينهم وبين بني راجح أهل جبل الشرق مناوشة [حرب](٣) وقتلوا من القبائل أنفاراً وامتدُّوا إلى أطراف عتمة [وريمة](٤) وانتهبوا ما ظفروا به واستاقوا حريماً فتفادىٰ أهلهنّ بمال جزيل ، وكانوا مع خروجهم من بلادهم استطرقوا قطعة الأحمر ، فلما رجعوا عرض لهم بالطريق [وكان جمع ألفافاً من قومه وكمن لهم](٥) ورام أخذ ما بأيديهم من الأطماع فلما بلغهم جمع الأحمر جانبوا الطريق الذي هو فيها إلى غيرها [فلحق في أثرهم فوافقه جماعة](٦) من عقال ذو حسين وأدخلوا له فيما ذهب من قطعته ، فأبىٰ فلما لم يسعدهم حملت فيه وفي أصحابه ذو حسين ففرّقت شمله وجمعه شذر مذر وانجلت عن قتل كثير من أصحابه [وانهزامهم وقتل من عيال أبي منصر اثنين](٧) في قصة طويلة [ويُقال أن القتلىٰ من أهل حاشد مائة وخمس وستون نفراً ومن بكيل نحو الثلاثين وجملة قتلىٰ هذا الموضع من حاشد وبكيل وغيرهم تنتهي إلى مائتي نفس وثمانين نفساً وفي خلال هذا قصد راجح الخولاني رجال بكيل يستعين بهم في إخراج ولده ولبث فيهم

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) ساقط من (ر).
(٥) ساقط من (ر).
(٦) ساقط من (ر).
(٧) ساقط من (ر).

شهوراً وهم يعدونه الخروج][1] .

وفي شهر شوّال في هذه السنة توفي يوسف بن المتوكل صنو الإمام مسجوناً بداره وبآخر ذلك اليوم توفيت والدته الشريفة رقية بنت المتوكل .

وفي سنة ١١٥٧ في محرمها أطبقت خولان على الفساد مع راجح الخولاني وكان قد جلب إليه جيلاً من بكيل الدانية فجرّد الإمام خيلاً ورجلاً يقودها الأمير سليم لحفظ ذمار فلما وصل راجح جمعه خولان أخرب دار الدولة بها ثم مَدَّ منها إلى جهران فانتهب رصابه وقتل بها رعوياً يقال البغة ثم صار رجح ومن معه إلى فتايل وقرىٰ جهران وبلغوا إلى أطراف بلاد عتمة وضوران ثم عطفوا منها بإرادة دخول ذمار فانتدب لهم الأمير سليم في الخيل التي لديه ، فلما بلغ القعمة[2] صادف بها البغاة وكان مسراه من ذمار ليلاً فأحدق بهم الأمير سليم من جوانب القرية ثم اقتحمت عليهم الفرسان إلى البيوت التي باتوا فيها فقتلوا مَن ظفروا به وكان [أكثرهم نجا إلى محل لا مجال للخيل وكان][3] قدر الخيل ثلاثين فاحتزّوا ثلاثة عشر رأساً ودخلوا بها ذمار على رؤوس الأسنّة ، وكان الإمام لما بلغه توجه البغاة إلى ذمار خرج من صنعاء ، سابع وعشرين شهر محرم فأمسىٰ بحزيز[4] فبلغه هذا المتّفق وأن خولان قد رجعت فرجح الإمام الرجوع للمطرح عليهم بكبيشات ولما رجع راجح الخولاني وحزبه إلى خولان ورتب أطراف بلاده ومدَّ إلى الجمعة واستقر الإمام بكبيشات وورد قبائل حاشد وبكيل وأمرهم بالاستعداد للجهاد ثم إن الإمام تَمشّىٰ إلى ضبر حدة واستقام هناك سلّم عليه ابن ناشر في حرب الأعروش[5] وسلّم عليه

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) قرية حيَّة من عزلة منقذة في ناحية وقضاء ذمار.

(٣) ساقط من (ر).

(٤) حزير بالتحريك وزايين: قرية من سنحان جنوبي صنعاء.

(٥) الأعروش: قبيلة من خولان هي عزلة هناك.

ابن الأحمر في حروب قروىٰ[1] ثم وجّه الإمام نحو خمسة وعشرين من الخيل إلى قرية جوب[2] لأن الشايف من بكيل أحد البغاة ، صار في أسناف وراجح في مَن معه في الحصن الأبيض فأمر الإمام قاضي برط وعصابته بالتّقدم إلى (سيان)[3] وقدم أحمد بن إسماعيل البرطي والسيد النمري في همدان وبني حشيش وبني الحارث إلى أطراف سنحان .

وفي يوم الثلوّث ثامن عشر شهر صفر تقدمت حاشد إلى الجعري وحصل بينهم وبين حرب ضرير ، وكانت خولان تحصّنت في البيوت وحمدت عليهم حاشد حملة مَن لا يموت فقتل منهم جماعة كثيرة منهم ثلاثة أنفار من قرابة ابن ناشر وقتل ابن ناشر منهم مقتلة عظيمة وتم لهم الظهور ، وللأجناد الإمامية وحملت الرؤوس إلى الإمام ، وانتهب الأجناد الإمامية الجعري . وقد كان الإمام قبل هذه الفتكة بأهل جعري حتم[4] هو والقاضي حسن البرطي على إطلاق ولد راجح الخولاني لما بلغه أن صنوه أحمد بن الإمام قد نقض الصلح فأطلق ابن راجح بواسطة القاضي حسن .

وفيها: رجع الأمير سليم من ذمار بعد الجمالة التي فاز بها فأقام بصنعاء ثلاثة أيّام ، ثم أمره الإمام بخراب بيوت عينها في خولان ، وأمر حاشد بالتقدم على قروى والقاضي حسن إلى الأعروش ولم يدخل الإمام صنعاء إلّا وقد صلحت خولان وارتفعت المحاط منها .

وفي خامس وعشرين شهر رجب ساخ وادٍ بالأهجر وصار عاليه سافِله وغارِبه النهر المنصب وانطمست مواجلة[5] [وظهر من تحته صفاء

---

(١) قروي: وادٍ وعزلة في خولان الطيال السابقة.

(٢) جوب: قرية من ناحية بني بهلول بالشرق الجنوبي من صنعاء بمسافة ١٧ ك.م (لعلّها المقصودة هنا).

(٣) قرية عامرة جنوبي صنعاء من بلد ذي جرّة (بلاد الروس اليوم) بالغرب من مقولة.

(٤) أي ختم الكلام: انتهى إليه.

(٥) جمع ماجل وهو حوض الماء يبنى على الصخر ونحوه.

أملس][1] وذهب به أموال جزيلة .

وفي هذا الشهر كان بمطر الخريف كثرة وتهدمت بيوت صنعاء وغيرها وبلغ السيل بباب شعوب الأقفال .

وفي شهر رمضان سارت نساء بيت ردمان إلى برط وجززن نواصيهنّ للتنكيف في خروج محابيسهنّ وشفع ابن جزيلان إلى الإمام في إطلاق عيال ردمان وضمن عليهم بالتوقف وحُسْن الطاعة وأذِن الإمام لمحسن ردمان بزيارة أهله واستَبقىٰ صلاح بحضرته .

وفيها أمر الإمام باستخراج غيل جدّه الإمام المهدي[2] بعد أن استمر دفنه أربعة أعوام .

وفي سنة ١١٥٨ استدعىٰ أحمد بن المتوكل أهل يافع لما عرف أن أحمد وهيب بالحجرية صار يمدّ إلى بلاده فخرج إليه قحطان وصنوه أبو بكر في نحر عشرين ألفاً من يافع فوصلوا إلى تعز وقدّمهم منها إلى محل يُقال له الغرس ما بين تعز ويفرس فقدّم إليهم أحمد وهيب مقدمته وهو لهم هائب وتأخّر بعدهم [بتدبير العواقب][3] فلما تراءى الجمعان حصل بينهم قتال وانجلت المعركة عن قتل قحطان سلطان يافع ، وكان أخوه أبو بكر والمفلحي انحازوا في بيت فأذم عليهم الشيخ عبد الرب بن أحمد ، وهيب ، واستحلّ بسببهم من عقوق والده ما استحلّ ، ونهب الكثير من سلاح يافع [وبعد قتل قحطان طار أصحابه في كل وادٍ شاسع ، وأراد أحمد وهيب الإرسال بأبي بكر إلى حضرة الإمام ، فمنع دونه ولده عبد

---

(١) ساقط من (ر).

(٢) إشارة إلى الماجل الذي اكتشفه الإمام المهدي أحمد بن الحسن قبل تولّيه الإمامة فقد ذكر ذلك الجرموزي في نزهة الأسماع قال: وجد بعض أهل شعوب أمارة لماء في موضع من شعوب فاستخرجه أحمد بن الحسن وأباحه لكثير من الضعفاء.

(٣) ساقط من (ر).

الرب ، ونفذه إلى بلاده][1] ولم يعجب الإمام ما فعل عبد الرب [وقابله في الباطن بكمال الغضب ، واتفقت بعد هذه القتلة حروب بين أحمد بن المتوكل ، وأحمد وهيب بجبل صبر غالب اليد فيها لأحمد وهيب][2] ثم إن أحمد وهيب جهّز ولده عبد الرب إلى جبل صبر لحرب مَن في تعز ، وكاد يظهر على مَن فيها وحصلت أمور يطول شرحها أوجبت رجوعه إلى ولده ثم أرسله والده إلى الحضرة بعد قتل قحطان بأسرى يافع ، وفي نفس أبيه منه لما أطلق أبا بكر من الأسر ، فلما وصل إلى الإمام ، لم يقابله بالإكرام ولامه على فعله وحركته من عند أبيه بغير رأي فأمر به إلى ترسخانة فشفع فيه مَن شفع وأن يكون حبسه عند الشيخ محسن [في الديوان فبقي أياماً ثم أطلق .

وفيها صار الإمام إلى الروضة للنزهة ببيوته وابتدأ بالتجهيز على أحمد بن المتوكل[3] .

وفيها فارق صلاح ردمان الروضة إلى بلاده هارباً .

وفي سنة ١١٥٩ ما زال صلاح ردمان بعد فراره [من الروضة كما ذكرنا يجمع قبائل أرحب ، ولما كان في شهر رجب اجتمع له ما طلب منهم وسلك بهم على طريق بني جرموز[4] ولما بلغ الإمام وهو في الروضة جهّز مَن عنده الخيل والرجل فقطع الطريق وحصل في الروضة تلك الليلة هيصة عظيمة مع الناس من قبل أشراف الجوف فإنهم وصلوا إلى حضرة الإمام نحو خمسين فارساً وردمان نفذ من وراء نقم فلما كان صباح اليوم

---

(١) ساقط من (ر).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٣) ساقط من (ر).
(٤) بنو جرموز: مجموعة قرى ناحية بني الحارث شمالي صنعاء بمسافة ٢٥ك.م.

الثاني لحق الإمام ردمان واحترك من الروضة إلى السَّعدي ثم نفذ إلى قرب تنعم[1] فلما وصل إليه بلغه تقدّم ردمان إلى الكبس[2] فتقدم الإمام إلى سيان قاطعاً أن ردمان يتوقف مكانه فبلغه نفوذه إلى جهران فتقدم الإمام إلى وعلان[3] وقدم منه القاسم بن زيد والفقيه إسماعيل النهمي والقاضي حسن البرطي ، وكانت البغاة قد تقدمت إلى قرية ضاف[4] فبلغهم وصول الأجناد الإمامية فتركوا ضاف وصاروا إلى رصابة[5] فتبعهم الأجناد الإمامية إلى رصابة ، وبلغ الإمام أن ردمان نفذ بعد على طريق المغرب ، فدخل ذمار يتحقق أين مصيرهم ، وما زال ردمان يطوي المراحل فصادف وصوله إلى محل يقال له مارية[6] ، وكانت حمولة تجّار صنعاء الواصلة من المخا فيها فانتهبها ردمان وقومه في أقرب وقت وجند الإمام في إثرهم إلى أن خلص ردمان على طريق الحيمة ثم إلى كوكبان فاجتمعت عليه القبائل وأصدقوا فيهم الوضع حتى تسلموا منهم ما كانوا انتهبوه وكان أصحاب الإمام [لما خلصوا من الفرش][7] جاءتهم الأخبار بمصير البغاة ببلاد كوكبان فرجعوا إلى الإمام ولما بلغ رجوعهم لم يرَ وجهاً للبقاء في ذمار فثنى عزمه من ذمار إلى صنعاء][8] واستقر بالسَّعدى ثم نفذ إلى سعوان وطلب المحاط من كل جهة للتَّقدم على أرحب وإذا بوصول البشرى [من كوكبان والحيمة][9] بأنّهم قبضوا على جند ردمان ولم يفلت منهم إلا ذو

---

(١) من قرى خولان العالية.

(٢) الكبس بكسر الكاف من قرى خولان العالية تقع أسفل جبل كنن المشهور.

(٣) بلدة جنوبي صنعاء بمسافة ٣٢ ك.م وهي من بلاد الروس.

(٤) قرية في قاع جهران من أعمال آنس.

(٥) أكبر قرية في قاع جهران جنوبي صنعاء بمسافة ٧٥ ك.م.

(٦) مارية جبل في الشمال الغربي من ذمار بمسافة ٢٠ ك.م، به آثار قديمة.

(٧) الفرش: قرية في آس لعلها ما تعرف الآن ببيت الفرش قرية من عزلة محلاف ضوران (التعداد ٥/٣٧).

(٨) ساقط من (ر).

(٩) ساقط من (ر).

حسين ومحسن ردمان تَحَصَّن في قطعته ، ولما بلغ أحمد بن المتوكل اشتغال الإمام بهذه الوجوه لاحت له الفرصة فوثب بنفسه على أحمد وهيب بيفرس وحاصره خمسة أيام فتسلَّم إليه مجملاً ورجع إلى تعز وأخذ عليه العهد ثم نفذ الإمام من سعوان إلى الغراس ثم إلى بيت ابن دغيش وفرق المحاط بالخطاط ، وقدِمَ ولده العباس إلى شعب في جيش أجشّ وأرسل إليه أحمد بن محمد حبيش أنه يرجع فلم يسعد إلا بعد جهد جهيد وهربت أرحب إلى تخوم الجوف ثم اجتمعت عقال بكيل ورؤساؤهم ، وعرّفوا الإمام بما صار إليه أرحب وإن القياس إرسال الأمر لخراب بيوت المفسدين ، وما زالوا به حتى أسعد وجَهَّز عدَّة رؤساء فأخربت بها عدة من البيوت ولما انفصلت هذه الأعمال رجع الإمام من بيت ابن دغيش إلى الروضة وبقي بها ثمانية أيام ودخل صنعاء .

[وفيها جهّز القاضي حسن بن أحمد البرطي إلى حرب أخيه أحمد بن المتوكل][1] .

وفي سنة ١١٦٠ أمر الإمام بهدم قبّة الوليّ صالح بجهران وهو مجهول لا يعرف له نسب إلى الآن وكانت العامة جاوزت الحدود بالاعتقاد فيه وهكذا قبّة ابن ميمون ببني سيف[2] أمر بهدمها .

وفيها احترك القاضي حسن إلى جبل صبر لحصار أحمد بن المتوكل وضيّق على مَن بتعز من جميع الجهات وتكررت الحروب بينهم وفي أكثرها تخرَّج أحمد بن المتوكل بنفسه وصبر على الحصار مع شدّة الحاجة صبراً لا يظن والإمام يواصل الإمداد إلى القاضي وأطلق له التَّصرف في جميع البلاد .

وفي خلال هذه الأيام وصل القاضي محسن بن يوسف [عامل][3] ريمة وعيّن عليه الإمام شيئاً يسيراً لا يراجع في مثله فأصرّ على الامتناع وحلف الأيمان الغليظة بقصور الباع فعولج بكل ممكن على أن يسلّم عشرة

آلاف قرش وبذل له الوزير معونة منه خمسة آلاف فلم ينعمل فعندها أمر الإمام بسمردارة والاحتراز عليها فقبض عليه وكان أمر أن يمسي ليلته بدهليز دار سعدان ولما صحَّ له سمردارة بذل أربعين ألف قرش فلم يسعد الإمام ، ثم قبض ما في داره فوجد فيه ما لم يكن عند الإمام من الأموال ومن النّفائس والجواهر ما تحار فيه العقول(١) والأفهام وكان يتحدث القاضي أن الذاهب عليه من بيته [من المال وما يفصل به من سائر النفائس والعروض بمقدار](٢) أربعة لكوك وأفتى السَّيد محمد الأمير أن ما في يد القاضي حلال لبيت المال فقلّده الإمام فيه .

وفيها توفي الحسن بن إسحاق بن المهدي بالسجن وكان من أوعية العلم كريماً لا يكاد يمسك شيئاً وقبر بخزيمة غربية [جنوبي] صنعاء .

وفيها قصد أهل يافع إلى قعطبة وبها الوادعي في قلّ من الأجناد فطمع ابن بكر بن هرهرة وغالب(٣) فوصلا إلى خارج قعطبة فخرج عليهم الوادعي ونصره الله تعالى ويقال أن أبا بكر بن هرهرة هو الذي باع(٤) ذلّ الوادعي عليه فإن القتل وقع في أصحاب غالب بن سيف وحملت منهم عدّة رؤوس إلى الأمام(٥) يافع إلى بلادهم مهزومين .

وفي شهر رمضان أطلق الإمام إبراهيم بن محمد المهدي بعد أن لبث فيه نحواً من عشر سنين .

وفيها حصل بزبيد سيل ما يعهد أهلها مثله خرّب به عدّة من الأموال

---

(١) في (د) الألباب.

(٢) ساقط من (ر).

(٣) خروم في (د).

(٤) خروم في (د).

(٥) خروم في (د).

والبيوت وذهب بحمايل طلعت من المخا واجتحفّ قرية من بلاد حيس وكان عدة مَن ذهب بهم من أهلها[1] أربعون نفراً واحتمل الأشجار إلى البحر .

وفيها اشتد الحصار لأحمد بن المتوكل [وهتف بالصلح][2] .

وفي سنة ١١٦١ وأحمد بن المتوكل مضيق عليه ولم يبق له معين فالج الإمام على القاضي حسن في[3] وكانت الأجناد لديه موفورة وكانت عجزت عن المبادرة وانفصل عنه مَن انفصل إلى بلاده ومنهم[4] صاحب تعز لأن ما أحد منهم إلا وقد أحسن إليه وادّعى القاضي المذكور تقاصر الأمور فاضطر إلى التّحقق منهم والتباعد وحتموا عليه بأن لا يكون غير الصلح[5] الحالّ ويعرفه الأقوال فأجاب عليه الإمام يأمره بالثبات ويحذّره شرع بالإمام فتقاصر اتفاق القاضي فلم يرَ لنفسه الخلوص بغير الإصلاح[6] أنها تدخل ببارق الإمام إلى القاهرة[7] ويجعل ببابها الأسفل رتبة يسيرة من جهة الإمام وكتب إلى الإمام بأن هذا ما بلغ إليه جهده وكان الإمام في شدة فأجال عليه بالثبات ونفذت الرُّسل بهذا .

ولما كان في يوم عشرين من شهر ربيع الأول دخل المريخ في بطن الزهرة وتحدّث أهل النجامة بوفاة الإمام ، فلما كان يوم السبت عند شروق الشمس ثالث وعشرين شهر ربيع الأول توفي الإمام المنصور بالله الحسين بن المتوكل رحمه الله وترك دفنه إلى آخر اليوم ودفن بالقبّة التي أنشأها بالأبهر [إلى هنا انتهى ذكر الإمام المنصور بالله بن أمير المؤمنين المتوكل على الله رضوان الله ورحمته عليهما وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم][8] .

---

(١) خرم في (د).
(٢) ساقط من (ر).
(٣) بياض في الأصول.
(٤) قلعة في قمة جبل صبر المطل على تعز.
(٥) زيادة في (ر).

جزء من كتاب طبيب الكساء
للسّيد
محسن بن حسن أبي طالب
وهو ابتداء دولة ذي الثلاثة الألقاب

(١)
فهرس الأعلام

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ج ـ

- ح -

ـ د ـ

ـ ذ ـ

ـ ر ـ

ـ غ ـ

ـ ف ـ

ـ ق ـ

ـ ك ـ

ـ م ـ

ـ ن ـ

ـ هـ ـ

ـ و ـ

ـ ي ـ

(٢)
فهرس الجماعات والقبائل

ـ ح ـ

ـ خ ـ

ـ د ـ

ـ ذ ـ

ـ ر ـ

ـ ز ـ

ـ س ـ

ـ ش ـ

ـ ص ـ

ـ ض ـ

ـ ع ـ

ـ غ ـ

ـ ف ـ

ـ ك ـ

ـ م ـ

ـ ن ـ

— هـ —

— و —

— ي —

(٣)
فهرس الأماكن والبلدان

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

- ح -

- خ -

ــ ص ــ

ـ ض ـ

ـ ط ـ

ـ ظ ـ

ـ ع ـ

ـ غ ـ

ــ ن ــ

ـ م ـ